صالح صائب الجبوري

محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب

يشتمل هذا الكتاب على مذكرات الفريق الأول الركن صائب صالح الجبوري (1898-1993)، رئيس أركان الجيش العراقي خلال حرب فلسطين 1948. كان الجبوري قد شرع بعد تقاعده في كتابة مذكراته على مراحل زمنية متعددة، وانتهى منها في عام 1965، غير أنها لم تصدر إلا في عام 1970. ويعيد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات نشر هذه المذكرات في سلسلة "مذكرات وشهادات" حيث يحكي الفاعلون السياسيون والاجتماعيون العرب تجاربهم.

تُعَدّ نكبة فلسطين عام 1948 من أبرز الحوادث الكبرى الفاصلة وأخطرها، حاول الجبوري أن يصحح بشأنها المعلومات الشائعة وغير الدقيقة المتعلقة بدور الجيوش العربية الفتية، والضعيفة التدريب والمقيَّدة والمحدودة التسليح.

فجاءت هذه المذكرات محاولة لإضاءة الحقيقة التاريخية، ليطلع عليها أبناء الجيل الحالي والأجيال المقبلة التي يخصها الجبوري باهتمامه، لتكوِّن وعيًا تاريخيًا بتلك الحقيقة خارج الانفعالات وردّات الفعل والمضاربات السياسية والفكرية.

يقدم هذا الكتاب للمهتمين والباحثين والمؤرخين المحترفين مصدرًا مساعدًا في كتابة تاريخ حرب فلسطين من منظور الرؤية العربية، وهو ما قد يساهم في بناء رواية عربية موضوعية عن هذه الحرب ما زالت المكتبة العربية مدعوةً إلى إنجازها.

السعر: 22 دولارًا
ISBN 978-9953-0-2981-8



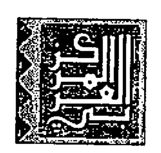
محنة فلسطين
وأسرارها السياسية والعسكرية

محنة فلسطين
وأسرارها السياسية والعسكرية

الفريق الأول الركن المتقاعد

صالح صائب الجبوري

الغلاف: صورة للجيش العراقي خلال حرب فلسطين 1948



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

الفهرسة أثناء النشر إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الجبوري، صالح صائب

محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية / صالح صائب الجبوري.

654 ص. : خرائط ؛ 24 سم.- (مذكرات وشهادات)

يشتمل على فهرس عام.

ISBN 978-9953-0-2981-8

1. القضية الفلسطينية - تاريخ. 2. فلسطين - تاريخ - الاحتلال البريطاني، 1917-1948.
3. الحرب العربية الإسرائيلية، 1948-1949 - العراق. 4. حرب فلسطين 1948 - العراق. أ. العنوان.
ب. السلسلة.

956.9404

العنوان بالإنكليزية

The Plight of Palestine and its Political and Military Secrets

by General (General Staff) Saleh Saeeb Al-Jubouri

الناشر



شارع رقم: 826 منطقة 66
المنطقة الدبلوماسية الدفنة، ص. ب: 10277 الدوحة قطر
هاتف: 44199777 00974 فاكس: 44831651 00974
جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى عن المركز
بيروت، آذار/ مارس 2014

صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام 1970 عن دار الكتب، بيروت.

المحتويات

قائمة الخرائط

تقديم

يشتمل هذا الكتاب على إعادة تقديم مذكرات الفريق الأول الركن صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي خلال حرب فلسطين. كان الجبوري قد شرع في كتابة مذكراته بعد تقاعده على مراحل زمنية متعددة، وانتهى منها في عام 1965، غير أنها لم تصدر إلا في عام 1970 بعنوان **محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية**. ويعاود المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات نشر هذه المذكرات في إطار برنامجه لتقديم مذكرات وشهادات الفاعلين السياسيين والاجتماعيين العرب الذين انخرطوا بحكم مواقعهم أو مبادراتهم في الحوادث المصيرية العربية الكبرى.

تعد نكبة فلسطين في عام 1948 التي تركز هذه المذكرات عليها من أبرز وأخطر تلك الحوادث الكبرى الفاصلة. وتندرج من ناحية نوعها الكتابي في إطار المذكرات التي شاع تقليدها في القرن العشرين، وفي إطار الشهادات والمذكرات التي صدرت عن حرب فلسطين خصوصًا. وتتجاوز أهمية المذكرات بوصفها نوعًا كتابيًا حدود التجربة الشخصية والسيرة إلى كونها مصدرًا مساعدًا في كتابة تاريخ حساس لا تزال كتابته والكتابة فيه مستمرة، فضلًا عن أهمية هذه المذكرات في إضاءتها التجربة العسكرية العربية، والكشف عن تكوين قادتها وأفكارهم واتجاهاتهم.

ولد الجبوري في بغداد عام 1898 في عائلة بغدادية تتحدر أصولها من عشيرة الجبور من ناحية والده ومن أشراف بغداد من ناحية أمه. وقد

اقتفى الجبوري الشاب طريق والده «اليوزباشـي» (النقيب) السابق في الجيش العثماني، فتخرج في الكلية الحربية العثمانية، وشـارك فـي القتال في إحدى أهم معـارك الحرب العالميـة الأولى الشـهيرة على جبهـة الدردنيل (معركة جناق قلعة)، التي هُزم فيها الجيش البريطاني، ثم قاتل في جبهة قفقاسـيا التي كانت القوات الروسـية تتقدم فيها إلى قلب الأناضول، حيث التقى والده الذي كان يقاتل في الجبهة نفسـها. وفي معارك هذه الجبهة الصعبة قاسـى الجنود العثمانيون الشدائد، وعركوا الصعاب، وكان في عدادهم الجبوري الذي تعرض لإصابات عدة.

وعندما تم تشـكيل الجيش العراقي فـي 6 كانـون الثاني/ يناير 1921، التحق الجبوري به مع عدد كبيـر من الضباط العراقيين السـابقين في الجيش العثماني، وعلّم في دار التدريب في المدرسـة العسـكرية العراقية، وشـارك في عمليات الجيش العراقي في الثلاثينيات، وأحيـل على التقاعد بعد إخفاق الانقلاب العسـكري الأول الذي قاده الفريق بكر صدقي، لكنه ما لبث أن أعيد إلى الخدمة. وبحلول عـام 1941 تخرج في كلية الأركان، وتسـلّم في آب/ أغسطس 1941، في إثر فشل حركة رشيد عالي الكيلاني في أيار/ مايو 1941، منصب قائد فرقة، فغدا من أبرز قادة الجيش العراقي بعد مواجهته القاسـية مع البريطانيين، وتولى من أواخر عام 1944 حتى عام 1951 منصب رئيس أركان الجيش العراقي، وشغل بعد تقاعده من الجيش حتى قيام ثورة 14 تموز/ يوليو 1958، مناصب وزارية عدة.

خلال ترؤسـه أركان الجيش العراقي وقعت حرب فلسـطين، وشـارك الجبـوري، بهذه الصفـة، في اجتماع رؤسـاء أركان الجيـوش العربية الذي انبثق عن اللجنة العسـكرية للجامعة العربية لإحباط مشروع تقسيم فلسطين. وتركز مذكراته على هذه الحـرب، ودور الجيش العراقي فيها. وقد كتب عدد من الضباط العراقيين الذين شـاركوا في الحرب في إطـار الجيش العراقي، أو في إطـار جيش الإنقاذ مذكراتهم وشـهاداتهم، وفي مقدمتهم العسـكري والسياسـي العراقـي المخضرم طه الهاشـمي، واللواء الركن خليل سـعيد،

والمقدم المتقاعد عامر حسك، لكن ما يميز هذه المذكرات استنادها، بحكم منصب صاحبها، إلى معرفة وثيقة عسكرية - سياسية بالمجريات والخلفيات والوثائق.

تتألف هذه المذكرات من أربعة وثلاثين فصلًا، وملاحق وثائقية. وتخص الفصول الخمسة الأولى رؤية الجبوري للقضية الفلسطينية وتطورها من وعد بلفور حتى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين. وتكشف الفصول التاريخية عن تكوين وعي الضباط العراقيين، والعرب عمومًا، في تلك المرحلة بقومية القضية الفلسطينية، ودور هذا الوعي في تحديد أدوارهم السياسية ومصائرهم، بغض النظر عن نتائجها ونهاياتها. أما ما يخص التجربة المباشرة، وهي الأكثر أهمية في هذا النوع من الكتابة، فيبدأه الجبوري اعتبارًا من الفصل الخامس بالتوقف عند اجتماع الرؤساء والملوك العرب في أنشاص في أيار/ مايو 1946، ثم عند اجتماعات اللجنة العسكرية العربية الدائمة المنبثقة عن الجامعة العربية وتوصياتها في أيلول/ سبتمبر 1947، واجتماعات رؤساء هيئة الأركان، ويخص الوضع العراقي السياسي والعسكري باهتمام خاص تبعًا لطبيعة مذكراته. ويبدأ الجبوري في هذا الفصل برواية القصة الدرامية وفق تسلسلها الزمني، وتوثيقها في ضوء المراسلات والوثائق والتقارير بما يضبط تقديراته ومنظوره لما كان يحدث ويحتمل حدوثه من تطورات. وتشكل هذه الحجم الأكبر من هذه المذكرات، وهنا تكمن قيمتها وأهميتها في مستوى قيمة الشهادات في الحوادث. وتتميز الملاحق التي نشرها، أو استخدمها في سرده، بأهمية خاصة من الناحية التاريخية التفصيلية، ففيما عدا الوثائق التي باتت معروفة، تزخر الملاحق بالوثائق الداخلية التي لا يزال قسم منها غير متاح حتى الآن، أو حبيس أدراج جامعة الدول العربية. كما تساعد هذه الوثائق الباحث والمؤرخ المحترف المعني بقضية فلسطين في بناء تحليل معمق لمجريات الحرب، وإعادة صوغها بلغة علمية، فهي لم تفقد قيمتها كوثائق حتى اليوم، وهو ما يتطلب في التعاطي معها إخضاعها لقانوني النقد الداخلي والنقد الخارجي.

حاول الجبوري أن يصحح المعلومات الشائعة وغير الدقيقة عن دور الجيوش العربية الفتية، والضعيفة التدريب والمقيدة والمحدودة التسليح في حرب فلسطين، من منطلق إضاءة الحقيقة التاريخية، ليطلع عليها أبناء الجيل الحالي والأجيال القادمة التي يخصها الجبوري باهتمامه، لتكوّن وعيًا تاريخيًا بتلك الحقيقة خارج الانفعالات وردات الفعل والمضاربات السياسية والفكرية في شأن تلك الحقيقة التي ستؤثر بطريقة حاسمة في تطور التاريخ الاجتماعي - السياسي العربي برمته في النصف الثاني من القرن العشرين.

يتمثل أحد جوانب الكتاب المهمة في هذا المستوى الذي من شأنه أن يقدم للمهتمين وللباحثين والمؤرخين المحترفين مصدرًا مساعدًا في كتابة تاريخ حرب فلسطين من منظور الرؤية العربية، وهو ما قد يساهم في بناء رواية عربية موضوعية عن هذه الحرب ما زالت المكتبة العربية مدعوةً إلى إنجازها. ويأمل المركز أن يكون هذا الإصدار فاتحة إصدارات أخرى في مجال شهادات ومذكرات الفاعلين السياسيين والاجتماعيين العرب بشأن الحوادث القطرية أو العربية الكبرى التي كانوا شاهدين عليها أو منخرطين فيها، بما يتيح بناء الذاكرة التاريخية العربية، وفهم «عبر» التاريخ الاجتماعي - السياسي العربي الحديث.

ختامًا،

لا بد من الإشارة إلى أن قسم التحرير في المركز الذي أعد هذه المذكرات للنشر لم يتدخل في تعديل النص الأصلي إلا عند الضرورة القصوى كتوحيد طرائق كتابة بعض المصطلحات مثل «الهاغاناه» التي ترد في الكتاب كالتالي: الهاكاناه. وحين اضطر المحرر إلى بعض التعديلات فقد كان يُشار إلى ذلك إما في المتن أو في الهامش.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

إيضاح

دونتُ بعض فصول هذا الكتاب منذ سنين خلت، وأتممتُ كتابة جميع فصوله وإعداده للطبع سنة 1965. وفي سنة 1966 سافرت إلى لبنان بقصد طبعه، ولكن حالت بعض الظروف دون ذلك. وبعد عودتي إلى بغداد قررت طبعه فيها وقدمته إلى وزارة الثقافة والإعلام عملًا بالتعليمات النافذة للموافقة على طبعه، فأودعته تلك الوزارة إلى وزارة الدفاع مستمزجةً رأيها. وبعد انتظار عدة شهور، وفي 27 شباط 1967، حصلت الموافقة على الطبع.

وبينما كنت على وشك المباشرة بالطبع وقعت كارثة 5 حزيران 1967 التي بدأها الصهاينة بمباغتة سلاح الجو المصري وتحطيم طائراته وهي جاثمة على الأرض، وحققوا بذلك التفوق المطلق في الجو الذي مكنهم من مهاجمة الجيش المصري والاستيلاء على معظم أسلحته ودروعه واحتلال غزة وسيناء، ثم مهاجمة الجيش الأردني واحتلال الضفة الغربية من فلسطين التي كانت جزءًا من المملكة الأردنية، ثم الاستيلاء بسهولة على مرتفعات الجولان السورية. وقد توقفت عن طبع الكتاب بسبب هذه الكارثة المروعة. واعتقدت كما اعتقد كثيرون غيري أن العرب، بتأييد الشعوب الإسلامية والفئات المتمسكة بدياناتها ومبادئها الخلقية من العالم المسيحي، لا بد وأن يقوموا بصد العدوان وإزالة آثاره مهما بلغت مساندة الاستعمار للصهيونية، وأن حربًا طاحنةً أخرى لا بد من خوضها لاسترداد العرب بلادهم المغتصبة ومقدساتهم

المدنسة وشــرفهم المهان. غير أن دولاب الزمن دار كثيرًا وانتهت السنة الثالثة بعد نكبة حزيران والعدو ما زال يحتل الأراضي التي اغتصبها ســنة 1967 وما زال يواصل اعتداءاتــه وغاراته الأرضية والجوية على البــلاد العربية المحيطة به، بتشــجيع من الولايات المتحدة الأمريكية التي تمده بالســلاح والمال، بل وبالرجال أيضًا، وتدافع عنه في الأمــم المتحدة وتعرقل إدانته كما تعرقل تنفيذ قرارات المنظمة الدولية كقرار 22 تشــرين الثاني 1967 الذي يقضي بوجوب انسحاب إسرائيل، الأمر الذي مكن إســرائيل من التمرد على مقررات مجلس الأمن والجمعية العامة، بل والاســتهزاء بها إن لم توافق هواها. ومع كل ذلك فإن بعض العرب علقوا آمالهــم على دعوة الحل الســلمي، التي هي بوجهها الآخر وسيلة لتخديرهم وكسب الوقت لإسرائيل للتمركز في الأراضي المحتلة وظلوا يتطلعــون إلى هذا الحل بأمــل أن يعيد إليهم الأراضي المغتصبة ســنة 1967 ويعالج المشاكل الرئيسية الأخرى كمشكلة اللاجئين.

ولكن هذا الأمل سوف لن يتحقق مهما طال الانتظار إن لم يعد له العرب، كل العرب، العــدة التي تحققه، مــن تصميم جماعي علــى النضال والصمود وحيازة الأســلحة الحديثــة والانكباب التــام على التدريــب وتكريس جميع الطاقــات والجهود للمعركة، ثــم التضامن والتعاون الصــادق بين كافة الدول العربية وتوحيد قيادتها الحربية والتزامها جميعًا بتنفيذ مســؤولياتها السياســية والعسكرية والاقتصادية حسب توصيات هيئتها المشتركة وقيادتها الموحدة التي يجب أن تتاح لها حرية العمــل والتصرف، كما يجب عليها أن تنصرف بكليتها إلى دراســة المواقف وجمع المعلومات ووضع الخطط وتطويرها والإشراف على الاستحضارات اللازمة.

ومن المؤســف أن العرب لم يتمكنوا من اتخاذ هذه التدابير الجدية رغم مرور أكثر من عشرين سنة على مأساة فلسطين عام 1948 وما أعقبها من مآسٍ ومحــنٍ أخرى. غير أن هناك بوادر تشــير إلى أن بعض الــدول العربية أخذتْ تدرك لزوم الأخذ بهذه المتطلبات وضرورة السير عاجلًا في الطريق الصحيح، كما أن دخــول العمل الفدائي ميدان المعركة بشــدته المتصاعدة وازدياد وعي

الجماهير وإدراكها حقيقة الأخطار المحدقة بالبلاد العربية من وجود إسرائيل، يبشر ببعض التغيير والسير في الاتجاه السليم.

وحيث قد طال تأجيل طبع هذا الكتاب كثيرًا، بسبب الأحداث والظروف التي سبق ذكرها، وحيث إن قصة صراعنا مع الصهيونية ستطول وتتعدد فصولها، فقد قررت طبع الكتاب الآن مع إضافة بعض الفصول عما استجد من الأحداث ووضعه بين أيدي القراء من العرب وغيرهم، ليطلعوا على صفحة من صفحات النضال ضد الصهيونية والاستعمار الذي يقف وراءها. وأرجو أن أكون قد أسديت خدمةً بسيطةً وجبت علي لأني كنت بحكم عملي في قلب الأحداث، وأن ذلك فرض علي أن أضع أمام أبناء أمتي ما في جعبتي من معلومات وآراء وعلى الله الاتكال ومنه العون والتوفيق.

العيواضية - بغداد

صالح صائب الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين،

المقدمة

إن احتلال الصهاينة القسم الكبير من فلسطين هو فاجعة العرب الكبرى في تاريخهم الحديث. ومهما تكن الأسباب والعوامل التي ألفت بين الاستعمار والصهيونية للتنكر للعرب وغمط حقوقهم وسلب بلادهم المقدسة، فإن خسارة العرب الجولة الأولى ستبقى وصمة عار في جبين كل عربي حتى تسترجع فلسطين ويعود الحق إلى أهله.

لقد نشر وأذيع الكثير عن حرب فلسطين سنة 1948، صادف أن اطلعت على قسم منه، فلمست أن العاطفة أثرت في تدوين بعضها فجاءت محرفة، كما شوهت بعض صفحاتها الدعايات والأغراض فظهرت بعض فصولها مخالفة للحقيقة والواقع.

كنت أرجح الانتظار إلى ما بعد الجولة الثانية، التي لا بد منها، لأبدي ما عندي من معلومات عن حرب 1948 ليطلع عليها العالم العربي عامة وأبناء فلسطين خاصة، ولكني نزولاً عند رغبة بعض الإخوان وإلحاح البعض الآخر وخدمة للحقيقة والتاريخ، وجدت نفسي وأنا أمام واجب لا بد لي من أدائه،

ذلك هو تدوين ونشـــر بعض المذكــرات عن تلك الحرب مســـتندة إلى وثائق ومراســـلات رســـمية، ليطلع عليها من يود الاطلاع على الحقائـــق وليعتبر من الأخطاء من يبتغي العبرة.

إن معظم ما دونتـــه يخص الجيش العراقي والمـــداولات والاجتماعات والاتصـــالات التي قمت بهـــا، بحكم واجبـــي بصفتي رئيـــس أركان الجيش العراقي في تلك الفترة، وكذلـــك المعلومات التي اطلعـــت عليها بعد انتهاء الحركات.

وقد رأيت من المفيد وأنا بصدد تســـجيل أحداث فلســـطين العسكرية أن أضيف إليها موجز الأحداث السياســـية التي ســـبقت المعركة العسكرية والتي واكبتها، لتكتمل جوانب البحث وتستقيم سلسلته.

لا يستبعد أن تغيظ صراحتي بعض الجهات والأشخاص الذين أرجو أن يتقبلوا هذه الحقائق بروح طيبة وصدور رحبة، لأني لم أقصد من مذكراتي هذه إلا تدوين الحقائق التاريخية ليطلـــع عليها أبناء الجيل الحالي والأجيال القادمة ولتكون حافزًا لهم.

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

الإهداء

إلى شعب فلسطين البطل الجريح، الذي ضحى بكل شيء في الذود عن شرفه وتربة أجداده، وتحمل ولا يزال قسوة التشرد وفقدان الأهل والوطن، ولكنه صامد صابر يتطلع بإصرار إلى يوم العودة، وهو على استعداد لتقديم المزيد من التضحيات لتطهير أرضه المقدسة من رجس الغاصبين، ويبرهن للعالم أجمع أنه جدير، بمسلميه ومسيحييه، بحمل رسالة السماء وأمانة العروبة.

إلى أولئك المقيمين وراء الأسوار في الوطن السليب من أبناء العروبة، الذين يذوقون كل يوم مرارة العيش وذل الحياة تحت السلطان الصهيوني اللئيم، وهم أشد تطلعًا إلى يوم الخلاص.

إلى أرواح جميع الشهداء على أرض فلسطين من ضباط وجنود ومناضلين من مختلف الجيوش والأقطار، الذين قدموا دماءهم قربانًا للذود عن حق الشعب الفلسطيني في وطنه، والذين ستحمل ذكراهم مشاعل التحرير في حرب العودة.

إلى أبناء جميع الجيوش العربية وقوات المناضلين الذين على قيد الحياة، وكانوا قد ساهموا في حرب فلسطين سنة 1948 وذاقوا مرارتها، وإلى جميع الجيوش العربية والإسلامية التي عليها أن تخوض يومًا ما معركة العودة بكل قسوتها وأهوالها، وإلى أحرار العالم أجمع الذين سيقفون بجانب شعب

فلسطين لاســـترجاع دياره المغتصبة وإنقاذه من براثن الصهاينة، ومن يساندهم من عبيد السلطان والمال والشهوات.

إلى الأجيال الصاعدة التي عليها أن تقدم أرواحها وقودًا لمعركة الشـــرف ورد الاعتبار ومسح العار.

إلى جميع هؤلاء وأولئك أهدي هذا الكتاب.

المؤلف

كلمة شكر

لقد وجدت لزامًا على أن أشـــكر الذوات الذيـــن تعاونوا على إخراج هذا الكتاب، وأخص بالشكر كلًا من الأستاذ برهان الدين العبوشي الذي اطلع على نصوص معظم فصـــول الكتاب، والأخ العميد الركـــن المتقاعد أحمد الجنابي الذي تكرم بقراءة مســـودة الكتاب وإبداء ملاحظاته اللغوية عنها، والأخ الحاج المميز الذي تجشم عناء الإشراف على طبع الكتاب وإخراجه. فلهم مني الشكر والثناء ومن الله الأجر والثواب.

بيروت في 15 أيلول 1970

المؤلف

الفصل الأول

نظرة في القضية الفلسطينية

إن قضية فلسطين، هذه القضية المعقدة، تكاد تكون غريبةً في بابها ولم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، لأن عوامل التعقد السياسي والتآمر ونكث العهود والغدر قد تجسمت فيها. لقد وعد الإنكليز أثناء الحرب العالمية الأولى باستقلال البلاد العربية وأغروا أمير مكة الشريف حسين بالاشتراك في الحرب مع الحلفاء ضد الأتراك والألمان الذين كانوا متفوقين على الحلفاء في ميادين القتال حينذاك. وبعد تثبيت العهود والمواثيق المعطاة للعرب بمخابرات استمرت ستة شهور، أعلن العرب ثورتهم الكبرى في أوائل سنة 1916 واشتركوا فعلًا في الحرب بجانب الحلفاء وساهموا بالانتصارات. ولقد استمر الحلفاء بكيل الوعود للعرب وتطمينهم حتى انتهاء الحرب في سنة 1918 بانتصار الحلفاء، ومع ذلك فقد تآمرت الحكومة الإنكليزية في سنة 1916 مع الحكومتين الفرنسية والروسية مجتمعتين، ثم مع الحكومة الفرنسية منفردة، وعقدتا معاهدة سايكس-بيكو السرية لفرض سيطرتهما على البلاد العربية وتقسيمها مناطق نفوذ بينهما. وفي 2 تشرين الثاني سنة 1917 وتحت ضغط المنظمات الصهيونية أصدرت الحكومة الإنكليزية وعد بلفور المشؤوم الذي وعدت فيه بتأسيس وطن قومي للصهاينة في فلسطين.

جرى كل ذلك والحرب ما زالت قائمة والألمان متفوقون ونتائج الحرب معلقة بكفة القدر والإنكليز ليس لهم أية صلة بفلسطين إذ كانت جزءًا من الدولة العثمانية ولا يملكون حق التصرف بمستقبل شعبها العربي الذي لا ينازعه أحد في ملكه وله وحده الحق في تقرير مصيره، فضلًا عن العهود المقطوعة له من الإنكليز أنفسهم.

وبعد انتهاء الحرب وانعقاد مؤتمر الصلح، كشر الإنكليز عن أنيابهم

وظهرت نياتهم السيئة تجاه العرب فتمكنوا من إقناع مؤتمر الصلح بوضع فلسطين تحت انتدابهم، وكانت حينذاك نسبة السكان العرب في فلسطين 93 بالمئة والصهاينة 7 بالمئة.

وجد العرب أنفسهم نهب أطماع المستعمرين وأذنابهم والمؤتمرات تحاك ضدهم لاستعمارهم واستغلال خيرات بلادهم. فوقفوا بوجه تلك المؤامرات وناضلوا ما أمكنهم كل في محيطه، ولكن بقيت فلسطين تحت الانتداب البريطاني وحكمه القاسي لتنفيذ مؤامرة سلخها من البلاد العربية وتسليط الصهاينة عليها.

ولقد وجهت الحكومة المنتدبة وهي بريطانيا مساعدتها إلى الطرف المغتصب، وهم الصهاينة، ومهدت لهم السبيل وفق مصالحها وأهدافها فتدفق المهاجرون الصهاينة إلى فلسطين وأخذت نسبتهم بالارتفاع، مما جعل عرب فلسطين يشعرون بالخطر المحدق بهم وبمستقبل بلادهم فهبوا للدفاع عن أنفسهم وعن حقوقهم المشروعة فحصلت عدة انتفاضات وثورات جماعية أخمدها بشدةٍ وقسوةٍ الإنكليز الذين كانوا يحابون الصهاينة ويحمونهم على حساب العرب.

ولقد شاركت الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة رئيسها ترومان، حكومة الانتداب محاباتها الصهاينة بتأثير النفوذ الصهيوني المتغلغل فيها فتعقدت القضية الفلسطينية حتى عجزت عن حلها لجان ومؤتمرات كثيرة عقدت من أجلها، مع أن جميع التقارير كانت لصالح العرب، ولكن لم يؤخذ بها.

طالت قضية فلسطين وتأزمت، وبعد أن زاد عدد الصهاينة في فلسطين واشتد ساعدهم وكثر سلاحهم، وتم استعدادهم، أبدت بريطانيا رغبتها في التخلي عن انتدابها على فلسطين. فقام الصهاينة بمهاجمة بعض القرى العربية وإفنائها واقترفوا مذابح وحشية وأعمالًا منكرة لإرهاب السكان العرب وإلقاء الرعب في قلوبهم والتأثير على معنوياتهم وإجبارهم على ترك منازلهم وقراهم للاستحواذ على أكبر مساحة ممكنة، بينما كانت الحكومة البريطانية ما تزال مسؤولة عن حفظ الأمن والنظام في البلاد في أواخر أيام انتدابها.

بدأت اجتماعات المسـؤولين فـي الحكومات العربيـة لمعالجة القضية الفلسطينية واستمرت تصريحاتهم بنصرة الفلسطينيين فتوقع القوم خيرًا، ولكنهم لم يأخذوا الأهمية اللازمة للقتال التي يقتضيها الموقف، ولم يهيئوا قواتهم في الوقت المناسب. ولم تكن الأفعال بقوة الأقوال في بعض الحكومات التي ظهر أخيرًا ارتباطها بوعود وتواطؤها مع المستعمرين مع الأسف.

وأخيرًا لجأ الطرفان المختصـان، العربي والصهيوني، إلى السـلاح وما كادا يفعلان حتى برزت السياسة الاسـتعمارية بأجلى مظاهرها لتدس أصبعها، فتنتصر للطـرف الغاصب وتمده بالضباط والجنود المدربين وأنواع الأسـلحة والمهمات والطيارات سـرًا وعلنًا، بينمـا فرضت الحظر علـى البلاد العربية ومنعتهـم من تـدارك نواقصهم من الأسـلحة وغيرها. وقد اسـتغل الصهاينة الموقف أيما اسـتغلال، وكانت الهيئات الصهيونية العالمية بما لها من سيطرة ونفوذ على الحكومات الاستعمارية والهيئات العالمية تسند هذا الاستغلال إلى أبعد الحدود. ولقد امتد تأثير الصهيونية إلى ميادين القتال فكانت تفرض الهدنة عندما يكون الموقف الحربي في صالح العرب، وذلك لفسح المجال للصهاينة وتخليصهم من المـأزق الذي يكونون فيـه. وعندما يكـون الموقف بجانب الصهاينـة لا يكترثون بقرارات مجلس الأمن والوسـيط الدولي ولا ينفذون ما يطلب منهم، ولا يتراجعون عـن المحلات التي يغتصبونها من بعض الجهات، ولا يسألهم أحد عن مخالفتهم هذه حتى انتهت القضية إلى النهاية المؤلمة التي آلت إليها بتشـريد مليون عربي عن وطنهم ومسـكن آبائهم وأجدادهم، ليحل محلهم صهاينة من مختلف بلاد العالم.

وبالرغم من دعم الاسـتعمار الصهاينة دعمًا قويًا في النواحي السياسـية والعسـكرية وغيرها، فإنهم لم يكونـوا عند بدء القتال من القـوة التي تمكنهم من التفوق على القوات العربية. ولو نبذ رؤسـاء العرب خلافاتهم، ولو لبعض الوقت، وأحسنوا اسـتخدام القوات المتيسـرة عندهم آنذاك ووحدوا جهدهم وقيادتهم السياسية والعسكرية لكان النصر حليفهم ولقضي على آمال الصهاينة وآمال أسيادهم وحلفائهم المستعمرين في احتلال فلسطين.

إن النتائج التي آلت إليها القضية الفلسطينية في مختلف أدوارها، وآخرها دخول جيوش الدول العربية فلسطين لحماية أرواح أبنائها العرب واشتباكها مع الصهاينة لتحرير فلسطين من الغزو الصهيوني، هذه النتائج المؤلمة التي انتهت بتشكيل دولة إسرائيل واعتراف معظم الدول بها، لم تكن إلا وليدة عوامل كثيرة قديمة وحديثة تشترك في مسؤوليتها كثير من الجهات المسؤولة وغير المسؤولة. لا بد من بحث هذه العوامل لتشخيص العلل التي أودت بالقضية الفلسطينية وتقدير خطورتها، ليس على فلسطين وحدها، بل وعلى كافة الأقطار العربية ومستقبلها إذا تمادت في التغاضي عن هذه العلل وبقي الصهاينة يعملون أحرارًا ويبذلون كل جهودهم ونفوذهم في سبيل تحقيق حلمهم الأكبر الذي لا يقتصر على فلسطين وحدها، بل يشمل أقطارًا عربية أخرى من النيل إلى الفرات بأجمعها. وبصرف النظر عن الاستعمار الفعلي الذي يطمح إليه الصهاينة، فإن هناك أنواعًا كثيرة من الاستعمار الفعلي الذي يطمح إليه الصهاينة لتكبيل هذه البلاد به إذا ترك الحبل على الغارب ولم تتخذ الأهبة والاستعدادات لضرب حصار فعلي على الصهاينة لمنع تسريب سمومهم إلى الأقطار العربية من جهة ولتحرير فلسطين من جهة أخرى. والمستقبل ميدان سباق ومن تخلف فيه ضاع كما ضاعت فلسطين من قبل ومن لم يعتبر بالحوادث كان مصيره الفشل المحتم.

لذلك وددنا أن نستعرض ونحلل ولو بإيجاز العوامل التي أدت بفلسطين إلى حالتها الحاضرة لاستخلاص العبرة منها، مع ذكر لبعض الملاحظات حول الخطة الواجب انتهاجها لتجنيب البلاد العربية تغلغل الخطر الصهيوني وتقليص هذا الخطر واتخاذ العدة اللازمة للقضاء عليه قضاءً نهائيًا.

الأسباب والعوامل التي أثرت في القضية الفلسطينية

يمكننا تلخيص الأسباب والعوامل التي أثرت في القضية الفلسطينية كما سيلي، وذلك بقدر ما يتعلق الأمر بالعرب والصهاينة أنفسهم، وبصرف النظر عن عوامل السياسة الخارجية التي أثرت بدورها تأثيرًا كبيرًا في هذه القضية،

وسنجري مقارنة بين الطرفين المتخاصمين، أي العرب والصهاينة في مدى تأثير هذه العوامل في كل منهما:

1 - للصهاينة هدف وخطة منذ زمن بعيد

من الأمور المعلومة أن مطامح الصهاينة في إقامة وطن لهم في فلسطين قائمة منذ زمن بعيد، وإن البوادر العملية لذلك قد بدت منذ بدء القرن العشرين، وتأيدت بتصريح بلفور سنة 1917، وأخذت تتحقق تدريجيًا بعد ذلك بشكل الهجرة المستمرة إلى فلسطين وتأليفهم الجمعيات لشراء الأراضي وإقامة المستعمرات والتكتل العنصري في أقسام معينة من فلسطين. وتشجيع الهجرة إليها وتأمين العمل للمهاجرين فيها وإمداد هذه الجمعيات بالأموال الغزيرة من كل حدب وصوب.

وكان واضحًا كذلك أن اليهودية العالمية متضافرة جميعها لتحقيق هذا الهدف أفرادًا وجماعات، وكان جميع اليهود يغذون هذا المشروع بأموالهم وبكافة الطرق من جميع أنحاء العالم. وقد تم توحيد هذه الجهود عن طريق المؤتمرات الصهيونية العالمية التي عقدت بين وقت وآخر، وعن طريق الجمعيات والنوادي والمدارس التي كانت منبثة في جميع الأقطار، ومنها البلاد العربية بصورة خاصة، وبذلك تمكن الصهيونيون من بث دعوتهم في كل مكان ولم يقتصروها على الجيل الناشئ فقط، بل حاولوا أن ينفذوا بها إلى كل يهودي، شبانًا وشيبًا ونساء ورجالًا، بحيث يتبنى كل فرد يهودي هذا الهدف.

أما من جانب العرب فقد تمادت بهم الغفلة والتهاون، ولم تحركهم جهود الصهاينة هذه لإدراك مدى الخطر المحدق بهم، واقتصر الشعور الصادق في تقدير هذا الخطر على عدد قليل فقط من العرب هنا وهناك. أما غالبية العرب فقد تهاونوا في شأن الصهاينة، وتغاضوا عنهم ولم تقم بينهم منظمات اجتماعية لمقاومة نشاط الصهاينة، ولم تنبثق زعامات شعبية بهذا المستوى، ولم تكن الثقة اللازمة متوفرة بين الأفراد والجماعات العربية لتحقيق أي نوع من التعاون الاجتماعي والوطني مما جعل ردة الفعل تجاه الصهاينة ضعيفة، يضاف إلى

ذلك ما بذله الأجانب في هذه البلاد من تفرقة الصفوف وبلبلة الأفكار وإضعاف المعنويات وتشجيع الجهل وخلق المشاكل المحلية لصرف الشعوب العربية إلى أمورها الخاصة دون التقارب بينها للتفاهم على مشاكلها العامة ومعالجتها، فضلًا عن بقاء معظم هذه الشعوب تحت النفوذ الأجنبي المباشر إلى وقتٍ قريبٍ، وغير المباشر بعد ذلك، واستغلال الصهاينة هذا النفوذ لصالحهم دومًا.

2 – استعدادات الصهاينة العسكرية في فلسطين

بصرف النظر عن أوجه النشاط المختلفة التي بذلها الصهاينة في مختلف الميادين استعدادًا لإقامة دولتهم المنشودة في فلسطين، فسنحصر البحث في الاستعدادات العسكرية لكل من الطرفين، العرب والصهاينة.

إن نظرةً واحدةً إلى وضع المستعمرات الصهيونية من حيث مواقعها وتماسكها وطراز إنشائها ووسائل تحكيمها وسيطرتها، ونظرة أخرى إلى تاريخ العصابات الصهيونية وتطورها وتأليف جيش إسرائيل منها أخيرًا ومتانة تنظيم هذه القوات وحسن تجهيزها وتدريبها، تظهران بجلاء مدى الجهود والاستعدادات التي قام بها الصهاينة لتحقيق أهدافهم، كما تبينان متانة الخطة التي وضعوها وخلوها من الأعمال الارتجالية وتكاملها بمراعاتها مختلف النواحي في وقتٍ واحدٍ. ويتجلى هذا بوضوح في وضع المستعمرات الصهيونية. فرغم أن هذه المستعمرات قد أُنشئت على مدى سنين مختلفة وفي ظروف سياسية متنوعة ولأغراض السكنى وممارسة الأعمال الزراعية والصناعية، فإنها قد أُسست جميعها وفقًا لفكرة الدفاع الذاتي تجاه الهجمات، فأُسست في مواقع مسيطِرة على ما حواليها، وأُقيمت فيها أبراجٌ للمراقبة والإنذار، وأُنشئت فيها التحكيمات والتحصينات، وجُهزت لها الأسلحة للقتال، وهُيئ لكلٍ منها مقاتلون مدربون من أبنائها، وحُسبت أسوأ الاحتمالات، فجُعلت كل مستعمرةٍ مكتفيةً بذاتها لمدةٍ طويلةٍ من حيث الذخيرة ومواد المعيشة لكي تستطيع القتال والمقاومة طويلًا. وفوق ذلك فقد نظموا التعاون فيما بين المستعمرات فجعلوها متساندة متماسكة، بأن جعلوا الرؤية متبادلة بين بعضها كما ربطوها بشبكات من الطرق لسهولة التنقل فيما بينها، وجهزوها بوسائط المخابرة المختلفة. كل هذا مما

جعل هذه المستعمرات قلاعًا حصينة يصعب التغلب عليها، إلا بعد دكها بنيران الأسلحة الثقيلة والقصف الجوي ومهاجمتها باستعمال الدروع. وبذلك تلافى الصهاينة محذور قلة عددهم بتقوية دفاعاتهم وتشتيت القوات التي تهاجمهم باضطرارها إلى تفريق قواتها على هذه المستعمرات الكبيرة العدد، والتي تستنزف قوة المهاجمين قبل أن يصلوا إلى الأهداف الرئيسية.

هذا من حيث حالة المستعمرات. أما من حيث التنظيمات العسكرية الصهيونية، فالمعروف أن جميع القادرين على حمل السلاح كانوا أعضاء طبيعيين في منظمة من منظمات الهاغانا أو شترن أو أرغون. وكان مجموع أعضاء هذه المنظمات كبيرًا جدًا، وكان تدريب هذه القوات يجري باستمرار. وقد استغل الصهاينة فرصة قيام الحرب العالمية الثانية، فانخرطوا في خدمة الجيوش المقاتلة، كما ألفوا لواءً صهيونيًا قاتل مع الحلفاء. وقد اكتسبوا من كل ذلك تجارب عسكرية قيمة، واهتموا بإنتاج الأسلحة والمهمات(*) العسكرية محليًا، وكان لهذا تأثير كبير عند مباشرة الحركات في فلسطين، فقد استعملوا مدافع الهاون والأسلحة الخفيفة بكل سخاء لاعتمادهم على ما تجهزهم به معاملهم منها.

أما العرب في فلسطين فعلى خلاف ذلك، لم تكن لهم منظمات عسكرية تعمل في سبيل تقوية مناطقهم وتدريبهم وتسليحهم وإعدادهم لدرء عادية الصهاينة، بل بقوا مفككين ولم يأخذوا بوسائل القوة العصرية والتنظيمات الاجتماعية، وهم يرون بأم أعينهم ما يقوم به الصهاينة في هذا الميدان، ولا ينكر أن قد وجدت جماعة كبيرة من الفلسطينيين في مختلف الظروف كانت تقدر خطورة الحالة والنتائج المحتمة التي تنساق إليها البلاد، وقد ناضلت بإخلاص وضحت كثيرًا في سبيل ذلك، غير أن الجهاد الجماعي الذي أعلنه الصهاينة في كافة أنحاء العالم، وما لهم من ثروات وكفاءات ونفوذ لم يكن ليقف بوجهه جهود ضيقة وقوة ضعيفة كتلك التي كانت بوسع جماعات صغيرة

(*) الذخائر والأعتدة (المحرر).

من الوطنيين العرب أن يوفروها. يضاف إلى ذلك مساعدة الاستعمار للصهاينة وإعطاؤهم الحرية في العمل لتأليف المنظمات السرية والعسكرية واقتناء الأسلحة وتحصين المستعمرات وما أشبه ذلك، بخلاف ما كان من التشدد نحو العرب والقسوة في قمع حركاتهم وعدم إتاحة الفرص السياسية والاقتصادية لهم للانتعاش والتقدم، ومطاردة أحرارهم وتشجيع التفرقة بينهم، وغير ذلك من الوسائل التي أعاقت تحسين حالة العرب وتقدمهم.

أما المناضلون من قوات الجهاد المقدس وغيرهم ممن كافحوا الصهاينة في أواخر عهد الانتداب وبعده فلم يكونوا بالمستوى الذي يتطلبه الكفاح المثمر، ولم يكونوا منظمين ومجهزين تنظيمًا وتجهيزًا يمكنانهم من الوقوف بوجه الصهاينة، مما جعل المدن والأحياء العربية لقمة سائغة بيد الصهاينة حال انسحاب سلطات الانتداب، بالرغم من عدد العرب الهائل في تلك المدن والأحياء.

3 - الزعامة الفلسطينية والزعامة الصهيونية

من المعلوم أن الهيئة العربية العليا برئاسة سماحة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني كانت أقوى منظمة تزعمت القضية الفلسطينية منذ زمن بعيد. ومع اعترافنا بوطنية أعضاء هذه الهيئة وكفاحهم واحترامنا لأشخاصهم نلاحظ أنهم جميعاً (عدا اثنين منهم) قد غادروا فلسطين اضطرارًا قبل سنوات من النكبة على إثر الاضطرابات والثورات التي قامت في عهد الانتداب تخلصًا من مضايقة الحكومة المنتدبة والتعرض للعقوبات، ومع أنهم استمروا في نشاطهم الوطني فقد أثّر خروجهم من فلسطين تأثيرًا سيئًا كان في مصلحة الصهاينة إذ خلت البلاد من قوة كبيرة لتوجيه الرأي العام العربي في فلسطين وتنظيم نشاطه وإظهار قيمته، خاصة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية التي استغلها الصهاينة أيما استغلال، بينما بقي الشعب العربي في فلسطين مهملًا لا يحسب له حساب لعدم وجود من يقوده ويطالب بحقوقه ويدفع الشر عنه. كذلك فإن وجود هذه الهيئة خارج فلسطين بعد انتهاء الحرب كان له محذور أعظم ونتائج أسوأ، إذ استغل الصهاينة اضطراب الأحوال العالمية والأحوال السياسية في

الشرق الأوسط، فأخذوا يطالبون بتحقيق دولتهم ويضرمون نار الاضطرابات والعصيان في مختلف أنحاء فلسطين ويبثون الدعاية لهم في كل مكان، ويحققون الهجرة ظاهرًا وباطنًا حتى أقضوا مضاجع حكومة الانتداب ونجحوا في حمل الدول الكبرى على الانصياع لمناوراتهم، فشكلت لجان التحقيق، ووضعت مشاريع التقسيم وأيدت هيئة الأمم كل ما هو في صالح الصهاينة.

4 - موقف الحكومات العربية وسياستها تجاه فلسطين

ولا تنحصر تبعة الفشل في الفلسطينيين وزعمائهم وحدهم، وإنما يقع قسم كبير من ذلك على عاتق الحكومات العربية بأجمعها. فمن المعلوم أن خطورة القضية الفلسطينية كانت معروفة منذ أعطي وعد بلفور سنة 1917، وأن العرب حكومات وشعوبًا قد أعربوا في مختلف الأدوار عن تقديرهم لخطورة هذه القضية على مستقبل فلسطين والبلاد العربية الأخرى والعرب جميعًا، ولكنهم لم يتخذوا من التدابير الفعالة ما يحول دون استفحال هذا الخطر، فاقتصر النشاط الذي بذل في هذا السبيل على الاحتجاجات والمظاهرات والمساعدات الارتجالية الطفيفة لعرب فلسطين في بعض الثورات وإيواء بعض الفلسطينيين اللاجئين، في الوقت الذي كان سيل المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين في تدفق مستمر، وشراؤهم الأراضي قائمًا على قدم وساق، وإنشاؤهم المستعمرات وتحصينها متواصلًا، وإقامتهم المشاريع الصناعية والعمرانية في تزايد، وتأليفهم القوات المسلحة في توسع.

إن وقف الخطر الصهيوني قبل استفحاله كان يتطلب اتخاذ إجراءات فعالة من جانب الحكومات والشعوب العربية. وكان ينبغي وقوفها موقفًا حازمًا تجاه سياسة الاستعمار في فلسطين التي أفسحت المجال لنشاط الصهيونية وتوسعها، وفتحت باب الهجرة لهم، وتغاضت عن استعداداتهم العسكرية حتى أصبحوا وكأنهم حكومة داخل حكومة، ولم يبالوا بسلوك جميع الطرق المخالفة وغير المشروعة لبلوغ مآربهم، بينما وقفت حكومة الانتداب مكتوفة الأيدي تجاههم، وكأنها عاجزة عن إيقافهم عند حدودهم، ولو أرادت ذلك حقًا لقضت عليهم متى شاءت.

وكان من الواجب على العرب حكومات وشعوبًا أن يتخذوا تدابير مضادة للأعمال والمشاريع الصهيونية، وكان ينبغي الاستفادة من أهالي فلسطين بتسليحهم وتدريبهم وتأليف قوة كبيرة منهم عند الحاجة، وكان ينبغي اتباع سياسة اقتصادية موحدة ضد الصهيونيين بضرب نطاق من الحصار الاقتصادي عليهم للحيلولة دون توسيع مشاريعهم في فلسطين، غير أن الواقع كان بخلاف ذلك إذ ترك الصهاينة أحرارًا في إقامة مشاريعهم الاقتصادية، وساعدهم على ذلك فترة الحرب العالمية الثانية، حيث توقف ورود معظم المواد من الأقطار الأوروبية، فوجد الصهيونيون لهم أسواقًا رائجة في الشرق الأوسط، فانتعشت صناعاتهم وتوسعت وساعدهم على ذلك تعاون اليهود معهم في مختلف الأقطار العربية بترويج منتوجاتهم، ولم تكن للعرب خطة مقررة في هذه الأقطار لمقاطعة البضائع الصهيونية.

هذا ما يتعلق بموقف الدول العربية تجاه القضية الفلسطينية قبل قرارات التقسيم وإنهاء الانتداب البريطاني. أما بعد ذلك حين انكشفت الهاوية السحيقة والنتيجة المؤلمة التي تنساق إليها فلسطين، فقد أعلن العرب حكومات وشعوبًا مقاومتهم لأي مشروع تقسيم وتضحيتهم بكل شيء في سبيل إبقاء فلسطين عربية، وأوعدوا وهددوا وعقدوا المؤتمرات تلو المؤتمرات، وقالوا إنهم اتخذوا في بعضها مقررات سرية صارمة إلى غير ذلك من الادعاءات والمظاهر. وليت ذلك كان حقًا، ولكنه لم يكن كذلك ولم ينطوِ على تفاهم صريح أو استعداد حقيقي أو عزم أكيد، إنما كان دعايات سياسية لاسترضاء الرأي العام أو تهاونًا لا مبرر له في تقدير الخطر الصهيوني واستصغار شأنه، وقد كان لذلك أسوأ النتائج في مصير القضية الفلسطينية منذ جعلت هذه التصريحات والادعاءات عرب فلسطين يعتمدون على جامعة الدول العربية في إنقاذهم وحل مشكلتهم، كما أنها استنفرت الصهاينة وجعلتهم يخشون نتائج هذه التهديدات ويزيدون من استحضاراتهم الحربية للوقوف بوجه الجيوش العربية مما كان شرًا على الجيوش العربية نفسها في الوقت الذي لم تقم الدول العربية بالاستعدادات العسكرية اللازمة التي تتناسب مع تصريحاتها للقضاء على الصهيونيين، وفي الوقت الذي لم تأخذ بعض الدول العربية بآراء رجالها

العسكريين حول مستلزمات النجاح في الحرب الفلسطينية من سوق القوات الكافية وتوحيد القيادة وتنسيق الخطط، وغير ذلك مما ظهرت آثاره جلية بعد نشوب الحركات وفي أثنائها.

مراحل خطة الاستعمار والصهيونية لسلب فلسطين

لقد كانت السياسة الاستعمارية والخطط الصهيونية مبنية على المكر والخداع والتدرج خطوة بعد أخرى للوصول إلى الغاية المنشودة بالاستيلاء على فلسطين. لقد بدأ الاستعمار والصهاينة خطوتهم الأولى بوعد بلفور المشؤوم القائل بفكرة إنشاء وطن قومي لليهود لا يمس الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية في فلسطين. ثم تحولت هذه الفكرة إلى إنشاء دولة عربية في فلسطين تعطى لليهود فيها بعض الحقوق. ثم استبدلت هذه الفكرة بفكرة إنشاء دولة ثنائية يشارك فيها العرب واليهود على السواء. ثم استبدلت هذه باستصدار قرار من هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وإسرائيلية. وأخيرًا وليس آخرًا تثبيت حدود المنطقة المغتصبة وحماية إسرائيل حسب البيان الثلاثي الصادر في 25 أيار 1950 من أمريكا وإنكلترا وفرنسا إقرارًا بالوضع العدواني الذي قام نتيجة للمؤامرات الاستعمارية وما حصل عليه الصهاينة من أراضٍ فلسطينية كانت مخصصة إلى العرب حسب قرار التقسيم الجائر. ولم تبقَ في الميدان غير قضية اللاجئين، وإن قرار هيئة الأمم المتحدة صريح بحق اللاجئين العرب بالعودة إلى وطنهم فلسطين، ولكن إسرائيل امتنعت وما زالت تمتنع عن تطبيق هذا القرار غير مبالية بهيئة الأمم المتحدة وقرارها، كما يظهر أن هيئة الأمم المتحدة غير مكترثة بتنفيذ القرار، وقصد الصهاينة من وراء ذلك تفتيت قضية اللاجئين بمرور الزمان وفي الحقيقة إن ما كابده الشعب الفلسطيني واللاجئون خاصة من صبر على المكاره وتحمل المشاق والحرمان يفوق كل وصف، وقد طال الانتظار وتجاوز مداه، ومع ذلك فإن حل هذه المعضلة يتوقف على عمل العرب الجماعي، وفي مقدمتهم عرب فلسطين الذين لا يزال أمامهم المزيد من الصبر والكثير من التضحيات.

ملحوظات موجزة في الخطة الواجب انتهاجها

إن أقصى الأمور وأشدها إيلامًا أن تؤدي الوقائع المتعاقبة في فلسطين إلى أن يحقق الصهاينة ما كانوا يطمعون فيه من تأسيس دولة صهيونية بقيام إسرائيل بعد أن عجزت الدول العربية عن الحيلولة دون قيامها، وبعد أن عاضدتها الدول الكبرى وساعدت على تأسيسها بصور مباشرة وغير مباشرة، وبعد أن اعترفت بها معظم الدول، وأخيرًا بعد أن فاوضتها على انفراد أكثر الدول العربية التي اشتركت في القتال ووضعت معها أسس هدنة دائمة.

فإذا كانت قضية فلسطين قد انتهت إلى هذا المصير المؤلم، فإن هذا المصير يجب أن لا يعتبر إلا مرحلة أولى تتلوها مراحل تتوقف نتائجها خيرًا أو شرًا على ما ستنتهجه الدول العربية تجاه هذه القضية، فإما أن تتجاهل خطرها وتتقاعس عن معالجته فتترك الصهاينة أحرارًا في توطيد أركان دولتهم وتقويتها وتوسيعها وتقويض كيان الدول العربية الواحدة تلو الأخرى، وأما أن تعتبر هذه الدول بمأساة فلسطين، وقد تجلت فيها عبر كثيرة فتنتفض من رقدتها وتحزم أمرها وتتلافى نقائصها وتقوّم معوجها وتهيء العدة اللازمة لمكافحة الصهيونية في مختلف الميادين لتخليص الوطن من خطرها الذي يهدد البلاد العربية بأجمعها. ولا شك في أن رضوخ الدول العربية للأمر الذي تمخضت عنه إسرائيل أظهر هذه الدول بمظهر المندحر في نظر العالم، وخاصة بنظر الذين يجهلون تفاصيل مؤامرة الاستعماريين والصهاينة ضد العرب، وهذا الاندحار ليس من النوع الذي يحصل من تطاحن معسكرين بينهما شيء من التكافؤ، ولكنه اندحار فظيع تغلبت فيه فئة قليلة على فئة كبيرة. وهذا مما يزيد موقف الدول العربية ذلًا وخذلانًا تجاه الرأي العام العالمي، ويصورها بحالةٍ سيئةٍ من الضعف والتردي. وسوف يبقى كابوس الخذلان جاثمًا على صدور الدول العربية وشعوبها ما لم تقم باسترداد كرامتها، وسيبقى التنين الصهيوني فاغرًا فاه لابتلاع كل ما يستطيع ابتلاعه، كما ستظل السموم الصهيونية تدب في جسم الدول العربية بما عرف عنها من أساليب جهنمية ما لم تضع هذه الدول

بنفسها حدًا لذلك. وإذن فلا بد لهذه الحالة من أن تعالج وبالسرعة الممكنة قبل أن تستفحل فتتعذر المعالجة ولا يفيد الندم.

ولهذه المعالجة وجوه عديدة وأساليب مختلفة تتصل بشتى نواحي النشاط في الدول العربية، وتتطلب تعاون معظم مؤسسـات وتشـكيلات الحكومات، ولكننا سـنقتصر على ذكر بعض الملحوظات باختصـار، وإن كانت غير خافية على ذوي البصيرة من رجال العرب.

وجوب التهيؤ

إن الهـدف العام لـكل دولة عربية وللشـعوب العربيـة جميعًا يجب أن يرمي إلى وجوب التهيؤ والاسـتعداد لإنقاذ فلسـطين ووضع الخطط الفعالة لهذا الغرض والحرص على تطبيقها والمثابرة على ذلك والاسـتفادة من جميع الظروف والفرص التي توصلهم إلى هذا الهدف.

ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن العرب سوف لا يستطيعون إنقاذ فلسطين ما لم تكن لهم قيمة وأهمية في نظر المجموعة الدولية، وبصورة خاصة الدول الكبرى ذات المصالح المتشـابكة، لذلك فلن تكون للعرب كلمة مسموعة ما لم يكن لهم وزن في ميـزان القوة، فإذا ما تحققت لهم هذه المنزلة وأحسـنوا استغلالها، فإنهم سيسـتفيدون من ذلك على وجوه شـتى، وإذن لا بد من أن تتعاون الدول العربية تعاونًا متواصلًا وتوحد خططها وتنسـق سياسـتها تجاه الدول الأجنبية من جهة، وتجاه إسرائيل من جهة أخرى.

والخطر كل الخطر أن يتهاون العرب في مكافحة إسرائيل ويتهاونوا معها، فليس في ذلك غير انهيار كيان العرب عاجلًا أو آجلًا لا سـمح الله. فسوف لا يتوانى الصهاينة لحظة عن الكد والعمل على تحقيق أهدافهم في توسيع دولتهم وإضعاف مركز الدول العربية أكثر فأكثـر وإرباك أحوالها الاقتصادية والداخلية وبث التفرقة بين الشـعوب العربيـة لكي يخلو لهم الجو للعمـل بحرية آمنين مطمئنين من ضعف العرب وعدم إجماعهم على رأي أو سـيرهم على خطة أو اتفاقهم على هـدف. فالواجب على العرب أن يتنبهوا إلـى هذه المخاطر وألا

تخدعهم الدعايات والمناورات السياسية والدسائس وألا تصرفهم عن الحرص على تكتلهم وتآزرهم والتوفيق بين مصالحهم والتربص لعدوهم المشترك.

حل قضية فلسطين

إن حل قضية فلسطين حلاً عادلًا يعيد إلى العرب حقهم المسلوب وكرامتهم المهانة، يحتم عليهم القيام بعمل سياسي واستعداد عسكري إجماعي في آن واحد، وأن يكون العملان يساند أحدهما الآخر ويتممه. والغاية من ورائهما واحدة، وهي استرداد فلسطين وضمان سلامة الوطن العربي.

العمل السياسي

يجب أن يقف العرب موقفًا حازمًا من قضية فلسطين ويشعروا دول العالم، وخاصة الدول التي لها مصالح ومنافع في البلاد العربية بأن مصالحها معرضة للخطر والانقطاع ما لم تحل القضية الفلسطينية ويسود المنطقة السلام والاستقرار. ولا جدال في أنه ما لم تحل قضية فلسطين حلًا عادلًا ويرجع الحق إلى أهله عرب فلسطين، فإن الاضطراب وعدم الاستقرار سيبقيان مخيمين على الشرق الأوسط والعالم العربي، وربما امتدا إلى العالم بأجمعه ولا يعلم ما سيؤولان إليه من نتائج وخيمة إلا الله.

الاستعداد العسكري

إن العرب ليسوا دعاة حرب، ولكنهم طلاب حق يجب أن يفدوه بالغالي والرخيص، وإنهم لا يصبرون على ضيم، وإن صبروا مرغمين فلا يطول بهم الصبر. وإن الفلسطينيين لا يطالبون بأكثر من شمولهم بمبادئ حقوق الإنسان وتطبيقها بحقهم وإرجاع بلادهم التي سلبت منهم ظلمًا وعدوانًا. وإنهم يفضلون الطرق السلمية في استرجاع حقوقهم المغصوبة، إلا أن الصهاينة المعتدين لا تنفع معهم الطرق السلمية، خاصة وأن معاونة وإسناد الحكومات المستعمرة لهم وتزويدهم بكل أنواع الأسلحة باستمرار [...] يزيد من عنادهم وغرورهم وتمسكهم بباطلهم غير مبالين حتى بقرارات هيئة الأمم المتحدة،

وعليه فإن القضية الفلسطينية لا يحلها ويعيد الحق إلى أهلها إلا السلاح الذي يستعمله العرب دفاعًا عن النفس واستردادًا لحقوقهم المغتصبة.

لقد برهنت الحركات العسكرية في فلسطين على وجود نواقص جوهرية في قيادة الحرب وإدامتها، سواء في داخل كل دولة عربية أو في جهودها المشتركة وتعاونها.

لا أشكُ أبدًا بأن الدول العربية بأجمعها تريد أن تساهم في إنقاذ فلسطين لاسترجاع حقها وكرامتها. ولكنها في هذه الحالة ستجابه خصمًا عصريًا مسلحًا بكافة الأسلحة الحديثة الفتاكة، وإنها ستواجه حربًا جماعية يرمي كل جانب في سعيرها كل ما لديه من موارد وجهود ومعنويات.

إن مثل هذه الحرب التي ستجابهها الدول العربية، أو ترغم على خوضها، لا يمكن المغامرة فيها ما لم يكن للعرب جيوش منظمة أحدث تنظيم ومدربة أحسن تدريب ومجهزة أوفر تجهيز ولديها موارد كافية لإدامة حركاتها وقدرتها على التعاون الحربي فيما بينها. وإن تحقيق هذا يستلزم:

1 – تأمين الوحدة الوطنية وتوفير الحريات السياسية والحقوق الشخصية في كل بلد عربي ليعيش أبناء البلد الواحد بأمان واستقرار آمنين على حياتهم وأموالهم قانعين بعيشهم مصانة حرياتهم، ليندفعوا مع حكوماتهم الدستورية في تنفيذ ما يطلب منهم القيام به من واجبات وتضحيات. وباعتقادي إن هذا هو أهم عامل يحب تأمينه لإحراز النصر والنجاح في كل عملٍ جماعي.

2 – إزالة الجفاء وسوء التفاهم بين بعض الحكومات العربية والنظر إلى المصالح العربية العامة بالأهمية نفسها التي ينظر بها إلى المصالح الإقليمية الخاصة. ويجب أن يتم التعاون الوثيق بين كافة الدول العربية لكي لا تحدث ثغرة تفسد الجهود وتعرقل الوصول إلى النتائج المطلوبة.

3 – يجب على الدول العربية، وفي مقدمة ما يترتب عليها من الأعمال والاستحضارات، أن تهتم الاهتمام الزائد بتسليح وتدريب الفلسطينيين قدر

اهتمامها بجيوشـــها النظامية ليؤلف من وحدات الفلسطينيين جيش قوي يكون في مقدمة الجيوش العربية، ويساهم مســاهمةً فعالةً في إنقاذ بلاده واسترجاع حقه.

4 - قيام كل دولة من الدول العربية بإعداد جيشها وتهيئة مواردها.

5 - قيام الدول العربية جميعًا بما يقتضي من الأعمال لتأمين التعاون فيما بينها ولتأليف كتلة حربية واحدة.

6 - إن قضية فلســطين لا تحتمل أي تخاذلٍ أو مخاتلةٍ، وإنها تحتاج إلى تعبئة كافة طاقات الأمة العربية لمجابهــة الخطر الصهيوني الذي تدعمه القوى الاســتعمارية وهذا يتطلب تجنيد كل القوى وجمــع الكلمة وحل الاختلافات بين الحكومات العربية بروح التســامح والإنصاف وإزالــة كل جفاء. وإن كل تضحية في سبيل إنقاذ فلسطين لها ما يبررها.

أهمية الدعاية

اســتفاد الصهاينة من الدعاية لأنفســهم اســتفادة كلية وجلبوا إلى جانب باطلهم أناسًــا كثيرين بمختلف الوســائل وطــرق الإغراء، بينمــا بقي العرب مســتندين على حقهم الصريح وطامعين في يقظة الضمير العالمي لمساندتهم، ولكن ذلك لم يجدهم نفعًا، وتغلب الباطل على الحق، ولو أن الباطل لا يدوم، وحلت الكارثة بفلسطين.

ومع أن أكثر وسائل الإعلام في أوروبا وأمريكا في أيدي الصهاينة وتحت نفوذهم، وهي تخدم مصلحتهم وتبرز باطلهم فوق حق العرب، إلا أن هذا يجب أن لا يثبط من عزائم العرب لأنهم أصحاب حق واضح لا تســتطيع الدعايات المضللة إخفاءه إلى الأبد. وما على العرب إلا أن يعلنوا إلى العالم الحر بجميع الطرق الممكنة ما أصاب أهل فلســطين العرب، مسلمين ومسيحيين، من ظلم واعتداء وتشــريد، وأن كل ما يبتغيــه العرب هو تأمين حقوقهــم التي ضمنتها الشرائع السماوية والدســاتير الدنيوية ومبادئ حقوق الإنسان المتفق عليها بين

جميع حكومات العالم. وما على العرب إلا أن يعيروا الأهمية البالغة لتأسيس إدارة عامة للدعاية وعلى مستوى الأهمية البالغة للتسلح دفاعًا عن النفس، وأن تتغلغل هذه الدعاية إلى جميع أنحاء العالم وخاصة المناطق الحساسة منه، وسيكون لها التأثير الفعال على كل حال.

الجولة الثانية

لم ييأس العرب من خسرانهم الجولة الأولى في فلسطين، ونادوا بالجولة الثانية لتصحيح الأخطاء واسترجاع الحق المغصوب. ولكن الظروف لم تكن مواتية ومرت السنون ولا تزال تمر ولم يتحقق الأمل بسبب الأوضاع السائدة في البلاد العربية من جهة، واستمرار مساندة الحكومات الاستعمارية الكبيرة للصهاينة الغاصبين من جهة أخرى.

ولا ريب في أن من جملة أسباب نكبة فلسطين عدم وجود بلد عربي مستقل عند صدور وعد بلفور، وضعف البلاد العربية التي نالت استقلالها حديثًا قبل عام 1948، وبقاء أقسام كبيرة من البلاد العربية تحت سيطرة الاستعمار، وعدم تمكنها من الاشتراك والتعاون في إنقاذ فلسطين. وكذلك الاختلافات والانقسامات بين رؤساء الدول العربية وتفرقهم إلى زمر تخشى الواحدة من الأخرى، وعدم استعمالهم ما بأيديهم من أوراق رابحة ترجح كفتهم. وهذا مما شجع المستعمرين على غمط حقوق العرب وعدم المبالاة بهم وبتصريحاتهم ومطاليبهم. ولقد اشترك المستعمرون جميعًا في جريمة فلسطين.

أما الآن وبعد أن زاد عدد الدول العربية واستقلت أكثر الشعوب العربية، وإن الباقية منها في طريقها إلى الاستقلال والتخلص من تسلط الأجانب والمستعمرين، فإن الوضع يختلف كثيرًا عما كان عليه في سنة 1948، خاصة بعد أصبح بإمكان العرب إسماع أصواتهم في الأندية العالمية والمطالبة بحقوقهم ولهم أصدقاء بين الدول الحرة التي تناصر الحق وتؤيد مطالبهم العادلة. لهذا فقد زاد الأمل في رجحان كفة العرب في مساعيهم لاسترجاع بلدهم المغصوب.

إن الموقف الجغرافي والسوقي هو في صالح العرب دائمًا وأبدًا. وما على العرب إلا أن يتهيأوا التهيؤ الكامل للجولة الثانية، ويعينوا موعدها هم أنفسهم، ولا يضطروا إلى القتال في أحوال غير ملائمة لهم، وأن تتفق آراء رؤسائهم وقادتهم وتتوحد جهودهم، ويعتمدوا بالدرجة الأولى على أنفسهم للقيام بحركة قومية مدروسة ومأمونة العواقب، في الوقت المناسب، وسيكون النصر حليفهم إن شاء الله.

وما ضاع حقٌّ وراءه مطالب.

الفصل الثاني

نبذة مختصرة عن تاريخ
ومقدمات القضية الفلسطينية

أطماع بريطانيا وفرنسا في البلاد العربية

لتفهم جوهر القضية الفلسطينية لا بد لنا من تتبعها على ضوء الأطماع الأجنبية في الشرق الأوسط.

كانت كل من بريطانيا وفرنسا تتزاحم على الشرق العربي وتطمع في سلخه عن الدولة العثمانية طمعًا في الحصول على خيراته، وبصورة خاصة بريطانيا التي يهمها كثيرًا تأمين الطرق المؤدية إلى الهند. وكانت تحرص على تأمين الاتجاهين التاليين اللذين يمر منهما أخطر الطرق إلى الهند من أوروبا.

أولهما: الطريق المار من البحر الأبيض فمصر فالبحر الأحمر فالهند.

وثانيهما: الطريق المار من البحر الأبيض المتوسط فنهر الفرات فخليج البصرة فالهند.

ولقد فكرت بريطانيا فعلًا بمد خط حديدي مباشرٍ يربط حيفا ببغداد والبصرة. وقد ثبتت ذلك في اتفاقية سايكس-بيكو حيث جاء في الفقرة السابعة منها ما يلي:

«أن يكون لبريطانية العظمى وحدها الحق بأن تنشئ وتدير وتملك سكة حديد توصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها الحق الدائم في نقل الجيوش عليها في أي وقت كان».

وبموجب نص الاتفاقية تشمل المنطقة (ب) شرق الأردن ومنطقة البادية الممتدة إلى هيت وكركوك. ومن هذا يتبين لنا مدى أهمية الشرق الأوسط للسياسة البريطانية وبصورة خاصة فلسطين التي تقع في مبدأ هذين الاتجاهين إلى الهند.

في أواسط القرن التاسع عشر وقعت سوريا في فوضى بسبب ضعف الإدارة التركية وسيطرة الإقطاع والدسائس الاستعمارية التي كان مركزها في بيروت، وبإثارة النعرات الطائفية بين المسلمين والنصارى التي أدت إلى مذابح لا ضرورة لها، فاتخذت الدول الأجنبية من هذه الحوادث ذريعة لتدخلها فيها. فتمكنت فرنسا من أن تضع أقدامها في لبنان مما أثار بريطانيا التي اتخذت من حركة عرابي باشا في مصر ذريعة للاستيلاء عليها. ولكنها لم تتمكن من الاستيلاء على فلسطين آنذاك لأن بقية الدول المسيحية كانت واقفة لها بالمرصاد بسبب بيت المقدس.

إن للتقارب بين ألمانيا وتركيا وإقرار مشروع خط سكة حديد برلين - بغداد الذي كانت تطمع فيه بريطانيا دفعها إلى التفكير بمشروع جديد في فلسطين ردًا على هذا التهديد الموجه للهند، وذلك باستيلائها على الجزء الساحلي من عكا وخليج حيفا شمالًا حتى خليج العقبة على البحر الأحمر جنوبًا وحتى حدود الجبال شرقًا دون بلدة القدس، إذ باستيلائها على هذا الجزء من سوريا تكون قد أمنت امتداد نفوذها من مصر إلى خليج البصرة من الناحية السياسية والعسكرية. إلا أن اشتعال الحرب العالمية الأولى ووقوف تركيا رسميًا على الحياد بادئ الأمر جعل بريطانيا تتوقف عن تنفيذ هذه الخطة وتتجنب التحرش بتركيا لإبقائها على الحياد، ولكن دخول تركيا الحرب في ما بعد جعل بريطانيا تفكر جديًا بتنفيذ خطتها، فجهزت الحملة واشتركت معها القوات العربية بقيادة أمير مكة الشريف حسين وأبنائه وضباط ومراتب من البلاد العربية، بعد أن أعطت بريطانيا العرب الوعود والمواثيق بتأييد حقهم باستقلال بلادهم كما سيأتي بحثه.

درست بريطانيا مطاليب روسيا وفرنسا من المملكة العثمانية، وقررت إمكان التساهل مع فرنسا بمنحها شمال سوريا فقط، وأن جنوبها يجب أن يستثنى من منطقة النفوذ الفرنسي ويجري له ترتيب خاص.

وعندما طالبت فرنسا بجميع البلاد السورية (وفلسطين منها) وتشددت في مطاليبها، اقترحت عليها بريطانيا (بخصوص الجزء الجنوبي من سورية الذي

أطلقت عليه اسم فلسطين) أن تصبح فلســطين منطقة دولية وأن تلحق مناطق غزة وبئر الســبع والجليل والنقب مع صحراء ســينا والعقبــة بمصر، وتكون تحت النفوذ البريطاني، إلا أن فرنســا عارضتها بشدة بقولها أنه بالإمكان جعل القدس وبيت لحم وما جاورها منطقة دولية وإبقاء فلســطين جزءًا لا يتجزأ من بلاد الشام، فرفضت بريطانيا ذلك، وعندما توجهت كل من بريطانيا وفرنسا في شهر آذار 1916 إلى بتروغراد لمباحثة الحكومة الروسية مقدمًا حول الأسلاب العثمانية، اتفقت روســيا معهما علــى جميع المناطق واختلفــت معهما حول فلسطين، وادعت بأن إشرافها الحالي على المدارس والأديرة والبقاع المقدسة في سائر أنحائها، لا سيما الناصرة ونابلس والقدس والخليل، سيكون مهددًا إذا وضعت تحــت نفوذ أية دولة من الدول، كما لا تكــون آمنة عليها إذا أصبحت دولية. لذلك طلبت فرض حمايتها عليها. فوقفت فرنســا وبريطانيا معًا ضدها من طلبها هذا إلى أن تراجعت بعد أن تم الاتفاق على جعل هذه المنطقة دولية حسب اقتراح بريطانيا.

جرى كل هذا والحرب لا تزال دائرة وبلاد سوريا الكبرى بأسرها لا تزال تحت ســلطة تركيا، وحليفتها ألمانيا منتصرة. وهذا دليل كافٍ على شدة تعلق بريطانيا بفلســطين وعظم أهميتهــا لديها في حماية قناة الســويس، لذلك كان بديهيًا أن تفكر بريطانيــا مليًا بالتخلص من التدويل الــذي أرغمت على قبوله والاستحواذ على فلسطين بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لذلك التقت مطامعها مع مطامع اليهود واحتضنت الفكرة الصهيونية مســتفيدة من ثروتهم ونشاطهم ومركزهم الدولي بإغراق فلسطين بهم للحيلولة دون التدويل وقبولهم حمايتها. فكلف المســتر لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا حينئذ الســير مارك سايكس بمفاوضة الصهيونية، فعقد أول مؤتمر معهم بتاريخ 7 شــباط 1917 في لندن حيث قدم الزعمــاء الصهيونيون تأكيداتهم بأنهم يعترضون بشــدة على تدويل فلسطين وأنهم سيعملون على وضع فلســطين تحت الحماية البريطانية. وبعد الانتهاء من المفاوضات توجه اليهود بإرشــاد من بعض الساسة البريطانيين إلى فرنســا لإقناعها بالفكرة الصهيونية حول فلســطين. فعارضت فرنسا في ذلك

واعتبرت سوريا بلدًا واحدًا لا يتجزأ، وحينئذ اقترحت بريطانيا على اليهود تقسيم المسألة إلى مراحل، أولها الحصول على قبول فرنسا بمبدأ إنشاء الوطن الصهيوني بفلسطين دون التعرض بصورة صريحة إلى ذكر صاحب السيادة عليها فلم تقبل فرنسا أيضًا بذلك. وأخيرًا وبعد مفاوضات طويلة قبلت فرنسا بأن يصدر منها تصريح في صالح الصهيونيين.

ثم تمكنت الصهيونية بمساعي القاضي برانديس (وهو صهيوني أمريكي بارز يستطيع أن يؤثر بشكل خاص على الرئيس ويلسون) من الحصول على موافقة أمريكا، كما نجحت مع الحكومة الإيطالية. أما روسيا فكانت قد خرجت من الحرب. وهكذا حصلت موافقة هذه الدول بتدبير من بريطانيا على فكرة إنشاء وطن قومي للصهاينة في فلسطين كما قضت بريطانيا على فكرة التدويل.

نبذة مختصرة عن تاريخ ومقدمات الوطن القومي الصهيوني

قبل الدخول بصلب الموضوع لا بد من الإشارة ولو بإيجاز إلى ماهية الصهيونية وكيفية نشوئها وأهدافها.

ما هي الصهيونية وما هي أهدافها؟

الصهيونية فكرة دينية وسياسية، وهي عبارة عن حركة عنصرية عنيفة يعمل مؤيدوها على تنفيذ الأسس الموضوعة لها حرفيًا وتسخير كل ما تصل إليه أيديهم في تحقيقها، متوسلين بشتى الأساليب والطرق التي توصلهم إلى هدفهم. وإن هذه التسمية هي نسبة إلى جبل صهيون في القدس.

أما أهدافها فهي الاستيلاء على فلسطين وجمع الشعب اليهودي فيها وتأسيس دولة يهودية في فلسطين وإعادة بناء معبدهم هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى المبارك في القدس وممارسة العبادة الدينية فيه. وأن تكون فلسطين قاعدة لهم للوثوب منها إلى البلاد العربية المجاورة والتوسع تدريجيًا بحيث تضم دولتهم المتصورة فلسطين والأردن وسورية ولبنان والعراق

وسيناء والدلتا من الأراضي المصرية والمدينة المنورة وخيبر والقسم الشمالي من الأراضي الحجازية. وذلك حسب الخارطة التي وضعوها ووجدت عند البارون روتشيلد الصهيوني في بلدة فرانكفورت، وكما هو مدون في مدخل قاعة المجلس الصهيوني في القدس: «بلادك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

لمحة تأريخية عن الشعب اليهودي

وُجد الشعب اليهودي في بعض أقسام الجزيرة العربية وأسس دولة في جزء من فلسطين مدة من الزمن، غير أنها أصيبت بالخلافات والانقسامات الداخلية مما شجع جيرانها على مهاجمتها. فهاجمها عام 586 قبل الميلاد نبوخذ نصر ملك بابل ودمر عاصمتها أورشليم ونفى أهلها إلى بابل. كما عاد الرومان ودمروها عن آخرها في عهد الإمبراطور أدريانوس عام 125 بعد الميلاد الذي أخرج اليهود منها ومنعهم من العودة إليها، ولم يبق لهم بعد هذا التدمير والتشريد سوى جزء صغير من السور الخارجي لهيكل سليمان، والذي يؤمه اليهود للتبرك والبكاء بجانبه وهو المسمى (حائط المبكى).

وهكذا هام اليهود على وجوههم في جميع أنحاء المعمورة، لا تضمهم حكومة ولا تعترف بهم أمة لانكماشهم على أنفسهم وعدم مخالطتهم للشعوب التي يساكنونها وعدم ولائهم للبلاد التي يعيشون فيها. هذه الأمور وعبادتهم للمال وسعيهم لتركيز الاقتصاد العالمي بأيديهم سبب إثارة عداء مواطنيهم ونقمتهم عليهم، لذلك كانوا دائمًا وأبدًا معرضين للاعتداء والتشريد ما عدا الموجودين منهم في البلاد العربية والإسلامية فقد عاشوا بأمان واستقرار.

مساعي الصهيونيين لدى الدولة العثمانية لاستعمار فلسطين

بعد حادثة اغتيال ألكسندر قيصر روسيا عام 1881 واضطهاد اليهود في روسيا بسببها، هاجرت جماعة كبيرة من اليهود واستقرت في بولونيا مؤقتًا فتألفت في عام 1882 جمعية صهيونية من فريق من الشباب اليهودي الجامعي في بولونيا وتبنت فكرة سكنى فلسطين وإحياء اللغة العبرية، وأخذت تعمل على

بذل المساعي لدى الباب العالي العثماني لإنشاء مستعمرات زراعية في فلسطين بأمل نيلهم من الدولة العثمانية استقلالًا ذاتيًا في فلسطين تحت سيادة تركيا يتخذونه مقدمة لتأسيس دولة يهودية مستقلة. ولما لم تثمر مساعيها ولت وجهها شطر أوروبا الغربية والأمريكتين. فأخذ اليهود ينزحون إليها، فانتبهت أمريكا إلى خطر هذه الهجرة، فتوسطت لدى الباب العالي بغية السماح لليهود بالإقامة في فلسطين. ونزولًا عند رغبة أمريكا سمحت الحكومة العثمانية لليهود بتأسيس مستعمرات زراعية في أملاكها، على شرط أن يكون ذلك في غير فلسطين. غير أنه في عام 1887 توسطت إنكلترا لهم بعد أمريكا للحصول على الامتيازات في فلسطين، فحصل رد فعل لدى الدولة العثمانية، فأصدرت في إثره في عام 1888 عدة قرارات فرضت فيها رقابة شديدة على اليهود في فلسطين.

طلب اليهود بلادًا خاصة بهم

هب بعض اليهود ينشرون المقالات الإضافية والكتب التي تهدف إلى البرهنة على أن اليهود ليسوا طائفة دينية فحسب بل هم أمة. ولا يمكن تحريرهم سياسيًا ومدنيًا إلا بخلق قومية يهودية وإعطاء اليهود بلادًا خاصة بهم. وإن أشهر كتاب نشر في هذا الصدد هو **التحرير الذاتي** الذي كتبه بنسكر، اليهودي الروسي، ونشره في برلين عام 1882. ومما هو جدير بالذكر أنه لم يطلب أبدًا أن تكون فلسطين بالذات موطنًا لهم حيث يقول (يجب على اليهود أن لا يتعلقوا بالمكان الذي زالت منه حياتهم السياسية بعنف)، ويقصد فلسطين بطبيعة الحال.

وفي سنة 1896 نشر اليهودي النمساوي تيودور هرتزل كتابه الشهير **الدولة اليهودية [دولة اليهود]** الذي كان أول كتاب يشرح الأسس التي يمكن أن تقام عليها الدولة اليهودية المقبلة، ولكنه لم يذكر أيضًا فلسطين كوطن قومي مقبل، لأن إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين - كما يقول - لا يحل المشكلة اليهودية لأن هذه المستعمرات لا تستطيع أن تسعف ملايين اليهود المشتتين في أنحاء العالم.

المؤتمر الصهيوني الأول

في عام 1897 عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال في سويسرا [و] ضم 204 من المندوبين اليهود الذين طلبت أكثريتهم بأن يكون هدف الحركة الصهيونية الجديدة هو (إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يكون ذلك بمقتضى إجراءات يؤيدها القانون العام)، وتأييدًا لهذا المبدأ فقد قرر المؤتمر اتخاذ الوسائل التالية:

أولًا - بعث روح الوعي القومي اليهودي بين يهود العالم.

ثانيًا - إنشاء مؤسسات يهودية محلية ودولية لتنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها.

ثالثًا - إيفاد عمال للصناعة والزراعة إلى فلسطين تكون نواة لحركة استعمارية واسعة النطاق في ما بعد.

وهكذا بحثت فكرة الوطن القومي اليهودي وأيدت لأول مرة في هذا المؤتمر الأول، غير أن المؤتمرين لم يتفقوا على جميع الأسس التي يمكن أن تنقل الصهيونية - أي فكرة الوطن القومي اليهودي - من طورها الخيالي النظري إلى طورها العملي الواقعي. فظهر من سير المداولات وجود اتجاهين في الموضوع:

الأكثرية - وهي التي يحلم أصحابها أن تكون فلسطين، أرض ميعادهم، مكان دولتهم المقبلة والتي أقر المؤتمر رأيها.

الأقلية - وزعيمها هرتزل نفسه التي كانت ترغب في أي قطعة أرض على سطح الكرة الأرضية التي يمكنها سد حاجات 15 مليونًا من اليهود المشتتين دون أن يصطدم مواطنو هذه الدولة المقبلة بسياسة السكان الأصليين لتلك المنطقة، ودون أن تفرض حكومة أجنبية رقابتها عليهم. وقد تزعم هذه الفكرة بعد موت هرتزل، اليهودي إسرائيل أسكويد الذي أسس سنة 1906 جمعية صهيونية باسم (المنظمة الصهيونية الباحثة عن أرض الوطن).

مقابلة هرتزل للسلطان عبد الحميد

تحت ضغط الصهيونيين بذل هرتزل مساعي خاصة لدى الدولة العثمانية وتمكن من مقابلة السلطان عبد الحميد ما بين عامي 1901 و1903 طالبًا سماحه بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وقدم له مبالغ طائلة من المال كهدية ومبالغ كبيرة جدًا كقرض بدون فائدة لمدة طويلة، ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذا العرض بإباء مما سبب أن يوجه الصهاينة سهام دعاياتهم المخربة ضد السلطان وحكمه وضد الدولة العثمانية وإداراتها لتقويض كيانها.

وإزاء تشدد السلطان عبد الحميد ولازدياد اضطهاد الروس ليهود بلادهم عرض وزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشمبرلن عام 1903 على اليهود قطعة أرض في أوغندا لتؤسس عليها الدولة اليهودية المقبلة، كما واقترحت أيضًا جزيرة قبرص وشبه جزيرة سينا ومدغشقر في مناسبات أخرى، إلا أن المؤتمر الصهيوني المنعقد عام 1905 رفض هذه العروض على إثر إصرار الصهيونيين المتطرفين بأن تكون الدولة اليهودية في فلسطين.

الصهيونيون والحرب العالمية الأولى

حار اليهود في بدء الحرب العالمية الأولى أمام الدول المتحاربة. فروسيا القيصرية كانت ألد أعدائهم بما أذاقتهم من الاضطهاد وهي حليفة لإنكلترا وفرنسا الدولتين اللتين تعطفان على الحركة الصهيونية، وألمانيا والنمسا وفيهما أكبر جاليات يهودية هما ضد الحلفاء، ولذلك قرروا نقل مكاتبهم إلى عواصم الدول المحايدة كسويسرا والدانمارك ليراقبوا الأحوال عن كثب. وأسسوا مركزًا صهيونيًا كبيرًا في نيويورك لتوحيد جهود اليهود الأمريكيين في تحقيق هدف الصهيونيين. ومن ذلك نشأت حركة جديدة عرفت باسم (الصهيونية العملية) وكان من أكبر زعمائها الدكتور حاييم وايزمن - بولوني الأصل، متجنس بالجنسية البريطانية وأستاذ في جامعة مانشستر- الذي اتخذ لندن مركزًا لنشاطه.

بذل وايزمن جهودًا جبارة لحمل الحكومة البريطانية على مساعدة القضية الصهيونية واستخدم لذلك نفوذ اليهود الإنكليز والدعاية الصحفية الواسعة وأسس كذلك جمعية صهيونية أخذت تتكلم باسم يهود العالم أجمع، وانضم إليها كثير من الشخصيات السياسية والغنية، وخاصة أفرادًا من عائلة روتشيلد الثرية. وكان لها برنامج مزدوج وهو تنظيم الدعاية الصهيونية وتحضير المنهاج العملي لاستعمار فلسطين.

وبعد عدة زيارات قام بها وايزمن إلى باريس وروما خلال الأعوام 1915-1917 وعدة مفاوضات مع السير مارك سايكس ومع المسيو جورج بيكو المفاوضين الإنكليزي والفرنسي في شؤون الشرق العربي حصل وايزمن على تصاريح ووعود من الحكومات الثلاث، إنكلترا وفرنسا وإيطاليا، على تأييد الحركة الصهيونية وجعل فلسطين مكان تأسيس الدولة اليهودية المقبلة.

ولما كانت بريطانيا تحاول كسب الرأي العام الأمريكي وتوجيهه لإعلان الحرب على ألمانيا، ولشعورها بانهيار روسيا المقبل وتهيئتها حملة لاحتلال أملاك الدولة العثمانية بما فيها العراق وفلسطين وسوريا، ولرغبتها في بث الفوضى في صفوف الأعداء بالتجسس على ألمانيا والنمسا، الذي لا يمكن أن ينجزه لها غير اليهود، لذلك ارتأت إرضاء اليهود في العالم لأنهم يحققون لها جميع هذه المشاريع لما لهم من تأثير عظيم في أمريكا ولكونهم جالية كبيرة في كل من ألمانيا والنمسا. لذلك عندما تقدم البارون روتشيلد باقتراحاته إلى الحكومة البريطانية بشأن اعتبار فلسطين وطنًا قوميًا لليهود تقبله وزير الخارجية بلفور. ولقد تابع روتشيلد ووايزمن مساعيهما لديه ولدى الحكومة البريطانية حتى حصلا في 2 تشرين الثاني سنة 1917 (أي قبل دخول الجنرال اللنبي والقوات العربية فلسطين بأسابيع قليلة) على تصريح بلفور الذي كان جوابًا لاقتراحات روتشيلد التي سبق أن قدمها للحكومة البريطانية.

نص الكتاب الموجه من المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية إلى البارون (لايونيل روتشيلد)

وزارة الخارجية

2 تشرين الثاني 1917

عزيزي البارون روتشيلد

لي السـرور العظيم أن أنقل إليكم بالنيابة عن حكومـة صاحب الجلالة تصريح العطف التالي الذي عرض على هيئة الوزارة وصادقت عليه.

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الرضى والارتياح إلى تأسـيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وإنها ستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذا الغرض، على أن يكون مفهومًا بوضوح بأنه لا يجوز القيام بأي شيء يمكن أن يتعارض مع الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة حاليًا في فلسـطين أو مع الحقوق والأوضاع السياسـية التي يتمتع بها اليهود في أي قطر آخر».

أكون ممتنًا لو تفضلت باسترعاء انتباه المنظمة الصهيونية لهذا التصريح.

المخلـص
أي. جي. بلفـور
وزير الخارجية

الفصل الثالث

العهود والمواثيق البريطانية للعرب ونكثها

الوعود والعهود البريطانية للعرب في مراسلات السر هنري مكماهون

في غضون الحرب العالمية الأولى، وبين سـنتي 1915 و1916، لم يكن الوضع العسكري في الشـرق الأدنى في مصلحة قوات الحلفاء، وخاصة بوجود القوات التركية في فلسـطين والحملة التركية على قناة السويس التي كانت تهدد باحتلال مصر، موحدة حركاتها مع ثورة شـعب مصر مـن داخل البلاد، وقطع شـريان مواصلات الجيوش البريطانيـة. لذلك فكرت الحكومـة البريطانية في الحصول علـى معاونة العرب لها ضـد القوات التركية التي كانـت تناصر آنئذ القوات الألمانية، مسـتفيدة من حماس العرب لاستقلال بلادهم، وذلك بإعطاء الوعود والمواثيق لتأييد حق العرب وحصولهم على مطاليبهم باستقلال بلادهم.

وتحت تأثير هذا العامل الخطير جرت مراسلات بين السر هنري مكماهون المندوب السـامي البريطاني في مصـر نيابة عن حكومته، وبين شـريف مكة وأميرها الحسـين بن علي، ما بين 14 تموز 1915 و20 كانون الثاني 1916، وعد فيها مكماهون باسم حكومته، الشريف باستقلال البلاد التي يقطنها العرب ضمن الإمبراطورية العثمانية. وعلى هذا الأسـاس حـارب العرب أبناء دينهم الأتراك جنبًا إلـى جنب مع القوات البريطانية، وسـاهموا مسـاهمة فعالة في احتلال فلسطين وسـوريا، وفي أدناه نص مقتطفات ما دار في المراسلات التي جرت بين الشريف حسين والسر هنري مكماهون(*).

1 – جاء في الرسـالة الأولى التي أرسلها الشريف حسين إلى السر هنري

(*) يبدو أن المؤلف اعتمد ترجمات خاصة به لهذه المراسلات ونقل مقتطفات منها عن مصادر عربية معروفة، فضلًا على أنها كما نوه مقتطفات من المراسلات، وليست اقتباسًا كاملًا لها (المحرر).

مكماهون المؤرخ في 28 رمضان سنة 1333 هـ (14 تموز 1915) ما يلي بالنص:

ولما كان العرب بأجمعهم - دون استثناء - قد قرروا في الأعوام الأخيرة أن يعيشوا وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة، وأن يتسلموا مقاليد الحكم نظريًا وعمليًا بأيديهم.

ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدهم وتعاونهم للوصول إلى أمانيهم المشروعة، وهي الأماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم.

ولما كان من مصلحة العرب أن يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة أخرى بالنظر لمركزهم الجغرافي، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا.

إنه بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربي أنه من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبها أو ممثلها على الاقتراحات الأساسية الآتية:

«أن تعترف إنكلترة باستقلال البلاد العربية من مرسين - أدنة(*) حتى الخليج الفارسي [كذا](**) شمالًا ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقًا، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبًا، ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط غربًا.

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق «والحمد لله» على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلبًا أو إيجابًا خلال ثلاثين يومًا من وصول هذا الاقتراح.

وإذا انقضت هذه المدة ولم يتلقَ جوابًا، فإنه يحتفظ لنفسه بحرية العمل

(*) الصحيح أضنة وليس أدنة، وكذا في باقي الرسائل. المرجح أنه خطأ في ترجمة Adana من نصوص الرسائل الإنكليزية (المحرر).

(**) الإشارة بـ[كذا] معناه أن العبارة وردت على هذا النحو في الأصل هنا (المحرر).

كما يشــاء، وفوق هذا فإننا نحن عائلة الشــريف نعتبر أنفســنا - إذا لم يصل الجواب - أحرارًا في القول والعمل من كل التصريحات والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي أفندي».

2 - جاء في جواب السر هنري مكماهون إلى الشريف حسين في الرسالة المؤرخة في 19 شوال سنة 1333 هـ (3 آب 1915) حرفيًا ما يلي:

«إلى الحســيب النســيب ســلالة الإشــراف وتاج الفخار، فرع الشجرة المحمدية، والدوحة القرشــية الأحمديــة، صاحب المقام الرفيــع، والمكانة السامية، السيد ابن الســيد والشريف ابن الشريف، والسيد الجليل المبجل دولة الشريف حسين باشــا، ســيد الجميع أمير مكة المكرمة، قبلة العاملين ومحط رجال المؤمنين الطائعين، عمت بركته الناس أجمعين.

أود بهذه المناســبة أن أؤكد لكم ما قاله اللورد «كشنر»(*) في الرسالة التي وصلتكم بواســطة علي أفندي، وهي الرســالة التي أوضح لكــم فيها بصراحة رغبتنا في اســتقلال البلاد العربية وســكانها، وموافقتنا على أن يكون الخليفة عربيًا، عريق العروبة.

أما ما يتعلق بالحدود فقد يكون بحثنا في مثــل هذه التفاصيل - والوقت قصير والحرب قائمة - سابقًا لأوانه، وخاصة أن تركية لا تزال تحتل قسمًا كبيرًا من الأراضي التي أشرتم إليها في اقتراحكم احتلالًا تامًا».

3 - جاء في رسالة الشريف إلى السر هنري مكماهون المؤرخة في شوال سنة 1333 هـ (9 أيلول 1915) ما يلي:

بمزيد الســرور والغبطة تلقيــت كتابكم المؤرخ في 19 شــوال، وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده في ما يتعلق بنقطتنا الأساسية، أعني نقطة الحدود.

فإن هذه الحــدود المطلوبة ليســت لرجــل واحد نتمكن مــن إرضائه،

(*) الصحيح اللورد كتشنر ، كان القائد الأعلى للجيش البريطاني ورجل دولة (المحرر).

ومفاوضته بعد الحرب، بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد، وهـذا ما جعل الشـعب يعتقد أنه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شـيء مـع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويعلقون عليها كل الآمال، وهي بريطانيا العظمى.

وإذا أجمـع هؤلاء علـى ذلك، فإنما يجمعـون عليه في سـبيل الصالح المشترك، وهم يرون أنه من الضروري جدًا أن تنضم الأراضي المجزأة، ليعرفوا على أي أساس يؤسسون حياتهم، كيلا تعارضهم إنكلترة أو إحدى حليفاتها في هذا الموضوع مما يؤدي إلى نتيجة معاكسة، الأمر الذي حرمه الله.

وفوق هذا فإن العرب لم يطلبوا - في تلك الحدود - مناطق يقطنها شعب أجنبي، بل هي عبارة عن كلمات وألقاب يطلقونها عليها.

وأنـا على ثقة يا صاحـب الفخامة، أنكم لا تشـكون قط بأني لسـت أنا شـخصيًا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره، يعتقد أنها ضرورة لتأمين حياته الاقتصادية.

4 - جاء في كتاب السر هنري مكماهون إلى الشريف حسين المؤرخ في 15 ذي الحجة سنة 1333 هـ (24 تشـرين الأول 1915) حرفيًا ما يلي: بعد ذكر الألقاب والتحية.

وإنه ليؤسفني أنكم لاحظتم في كتابي الأخير، وحديثي عن قضية الحدود، شيئًا من البرودة والتردد، مع أنني لم أكن أقصد ذلك، بل كنت أود أن أقول بأن الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثًا منتجًا.

هذا كل ما أردت قوله، وقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعلقون أهمية كبرى علـى قضية الحدود، وأنكم تعتبرونها من المسـائل الحيوية، فأرسـلت مضمون كتابكم إلى الحكومة البريطانية، وإنه ليسـرني أن أرسل إليكم البيانات التالية، التي أثق كل الثقة بأنها ستفوز برضائكم.

إن (مرسين) و(إسـكندرونة) وبعض الأقسام السـورية الواقعة في غربي

دمشـــق وحمص وحماه وحلب، لا يمكن أن يقال عنهـــا عربية محضة. فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أســـاس هذه التعديلات، على أن لا ننقض شـــيئًا من اتفاقاتنا مع زعماء العرب.

أما الأراضي التي تستطيع إنكلترة العمل فيها بملء الحرية، ودون أن توقع ضررًا بحليفتها فرنســـة، فإن لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات(*) التالية جوابًا على كتابكم.

1 - إن إنكلترة مســـتعدة - على أســـاس تلك التعديـــلات - أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة.

2 - تحمي بريطانيا الأراضي المقدســـة من كل اعتـــداء خارجي وتعترف بوحدتها.

3 - تقدم بريطانيا للعرب - عند الحاجة - كل مســـاعدة أو نصيحة تلزم وتعاونها في تشكيل أفضل شـــكل من أشـــكال الحكومات في مختلف البلاد العربية.

وإني لعلى ثقة بأن هذا التصريح يجعلكم أبعد ما تكونون عن الشـــك في عطف(**) بريطانيا على أمانـــي أصدقائها (التقليديين) العرب، ويؤدي حتمًا إلى التحالف، والعمل على طرد الأتراك من البـــلاد العربية، وإنقاذ العرب من النير التركي الذي كان وما يزال يضغط على أعناقهم منذ أعوام.

5 - جاء في كتاب الشريف حسين إلى السر هنري مكماهون المؤرخ في 24 ذي الحجة 1323هـ (5 تشرين الثاني 1915) حرفيًا ما يلي:

(*) كذا وردت في النـــص، والصحيح «التطمينات» (assurances) كما وردت في النص الإنكليزي للرسائل المتبادلة (المحرر).

(**) كـــذا وردت في النص، والصحيح «تعاطف» (sympathy) كمـــا وردت في النص الإنكليزي للرسائل المتبادلة (المحرر).

رغبةً في تسهيل الاتفاق، وخدمة الإسلام، واجتناب كل ما من شأنه تعكير صفو المسلمين واعتمادًا على صفات بريطانيا العظمى ومواقفها الحميدة، فإننا نتنازل عن إصرارنا في ضم مرسين وأدنة إلى المملكة العربية.

أما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفًا، وليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي، فكلاهما من نسل واحد.

وسنسير - نحن المسلمين - على خطة(*) سيدنا عمر بن الخطاب وسواه من الخلفاء الراشدين الذين فرضوا على المسلمين - بموجب الديانة الإسلامية - أن يعاملوا المسيحيين كما يعاملون أنفسهم، وقال سيدنا عمر في حديث له عن المسيحيين «بأن لهؤلاء ما لنا من حقوق وواجبات»(**). وعلى هذا فإن المسيحيين سيتمتعون بما نتمتع به من حقوق، بما يتفق مع مصلحة الشعب أجمع.

إذا كنتم ترغبون في الإسراع بالثورة، فإننا نرى كثيرًا من المخاوف. وأول ما نخشاه هو أن يقوم مسلمو الطرف الآخر ويلوموننا على حركتنا وثورتنا على حكومة إسلامية. ثم هناك ما نخشاه، وهو إننا إذا وقفنا في وجه الأتراك وورائهم جميع القوى الألمانية، فإننا لا نستطيع أن نعرف إذا كان من الممكن أن تضعف إحدى الدول المتحالفة وتطلب الصلح، فهل تتركنا إنكلترا وحدنا أمام الأتراك أم لا؟ فإذا تم هذا وبقي العرب وحيدين أمام الأتراك فماذا نصنع؟

هذه أمور يجب النظر إليها منذ الآن بعين الاعتبار لأن لها علاقة بقضيتنا. عندما يعرف العرب أن حكومة بريطانيا العظمى هي حليفتهم لا تدعهم وحدهم عند انتهاء الحرب وعقد معاهدة الصلح، وتمد يدها دومًا لمساعدتهم والدفاع عنهم، عندئذٍ يخوضون غمار الحرب بنفسٍ مطمئنةٍ لا يشوبها شيء من الخوف والحذر.

(*) أي خطى ونهج، في النصوص الإنكليزية للرسائل وردت بعبارة footsteps (المحرر).

(**) أضاعت ترجمة الرسالة من الإنكليزية إلى العربية نص قول عمر بن الخطاب «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» (المحرر).

إننا ننتظر وصول جوابكم النهائي الصريح على هذه الاقتراحات بأسرع ما يمكن، فقد أبدينا كل تساهلٍ في الموضوع في سبيل الوصول إلى اتفاقٍ يرضي الطرفين.

ونحن نعرف أن نصيبنا من هذه الحرب إما نجاح يؤمن للعرب حياةً تتفق وتاريخهم القديم، أو انقراض في سبيل الوصول إلى أمانيهم ومطاليبهم.

6 - جاء في كتاب مكماهون إلى الشريف حسين المؤرخ 9 صفر 1334 هـ (13 كانون الأول سنة 1915) حرفيًا ما يلي:

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ 24 ذي الحجة سنة 1333، وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأدنة من حدود البلاد العربية، وقد تلقيت أيضًا بمزيد السرور والرضاء تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» [كذا] وغيره من الخلفاء الأولين، التعاليم التي تضمن حقوق الأديان وامتيازاتها على السواء.

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة، ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسة داخلة فيها فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب. إن حكومة بريطانيا العظمى - كما سبق وأخبرتكم - مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية.

إن حكومة بريطانيا قد فوضتني أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان، إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك.

7 - جاء في كتاب الشريف حسين إلى السر هنري مكماهون المؤرخ 25 صفر سنة 1334 هـ (أول كانون الثاني سنة 1916) حرفيًا ما يلي:

تلقينا كتابيكـــم المؤرخين في 9 صفر فســرني ما جــاء فيهما، وذهب ما كان يقلقني وأظن أن فخامتكم قد أدركتم بعد وصول الشــريف محمد فاروق واجتماعه إليكم بأن أعمالنا حتى الآن لم تكن لغايات وميول شــخصية، بل إن كل شيء كان بنتيجة مطالب ورغائب شــعبنا، وإننا لسنا سوى ناقلين ومنفذين لرغائب الشعب وإلحاحه.

وهذه الحقائق هي دومًــا في فكري أهتم لها كل الاهتمام، وأرجو أن تجد في نفسكم مكانها من الانتباه والاعتبار. أما ما يتعلق بالأقسام الشمالية ومرافئها فقد أبدينا لكم في كتابنا الســابق أقصى ما يمكن أن نوافق عليه من تعديلات، ونحن لا نتســاهل هذا التســاهل إلا لتحقيق الرغائب التي يريدهــا الله العلي الأعلى أن تتحقق.

وهذا الشــعور هو الذي حدانا لأن نتجنب كل ما من شــأنه أن يســيء إلى تحالف إنكلترة وفرنســة، والاتفــاق المعقود بينهما خــلال هذه الحرب ومصائبها.

8 - جاء في كتاب الســر هنري مكماهون إلى الشــريف حسين المؤرخ في 24 ربيع الأول ســنة 1334 هـ (30 كانون الثاني ســنة 1916) حرفيًا ما يلي:

وإننا لنقدر حــق التقدير الدوافع التــي تقودكم في هــذه القضية الهامة، ونعرف جيدًا أنكــم تعملون في صالح العرب، وأنكم لا ترمون إلى شــيء في عملكم غير صالحهم وحريتهم.

أما ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شــأنه الإساءة إلى تحالف إنكلترة وفرنســة وسررت جدًا بإبداء مثل هذه الرغبة.

وأظنكم تعرفون جيــدًا أننا مقررون قرارًا نهائيًا بألا نســمح بأي تدخل - مهما قل شــأنه - في اتفاقنا المشــترك في إيصال هذه الحــرب إلى الفوز. ثم متى انتهت الحرب، فإن صداقة فرنســة وإنكلترة ستقوى وتشــتد وهما اللتان

بذلتا الدماء الإنكليزية والفرنسية جنبًا إلى جنب في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات.

والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق والحريات وتعمل معنا في سبيل هذه القضية الهامة، فإننا لنرجو الله أن تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة، وهذا التعاون الوطيد، صداقة دائمة متعددة تعود على الجميع بالسرور والغبطة.

الثورة العربية الكبرى

بعد أن دارت المخابرات بين الشريف حسين أمير مكة والسر هنري مكماهون ممثل الدولة البريطانية، أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك في الحجاز في يوم الجمعة 9 شعبان سنة 1334 هجرية، الموافق 9 حزيران 1916 ميلادية، وذلك بعد أن استعد لها سرًا وعقد المواثيق مع رؤساء القبائل.

نكث البريطانيين لعهودهم ومواثيقهم للعرب – معاهدة سايكس بيكو

جرت مراسلات ودارت مفاوضات وحيكت مؤامرات بين بريطانيا وفرنسا وروسية على اقتسام أملاك الدولة العثمانية، وأدت إلى عقد معاهدة بين هذه الدول في أيار سنة 1916، أي بعد العهود المعطاة إلى العرب. وقد قسمت البلاد العربية بموجب هذه المعاهدة إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، وبقيت طي الكتمان لا يعرف العرب عنها شيئًا إلى أن أذاعها البلاشفة في شهر شباط سنة 1918 بعد ثورتهم الكبرى. وتتجلى في هذه المعاهدة النيات السيئة لهذه الحكومات الثلاث في تقسيم أملاك الدولة العثمانية، ومن ضمنها البلاد العربية. وهذا نكث صريح من بريطانيا للعهود والمواثيق التي ارتبطت بها مع العرب في المراسلات الصريحة بين السر هنري مكماهون والشريف حسين حول إقرار حق العرب باستقلال بلادهم، كما مر ذكره، والتي لم يكن قد جف مدادها بعد.

رد فعل تصريح بلفور عند العرب

في نهاية سـنة 1917 بلغ الجيـش العربي تصريح بلفـور عندما كان قد اقترب من العقبة. وقد عم الذعر والاسـتياء بين القـوات العربية كافة وثارت ثائرتهم من جراء ذلك. وتداول القادة وتشـاوروا في الأمـر، فأعلنوا عدولهم عن الحـرب ريثما يرد إليهم ما يؤيد تنفيذ تعهدات السـر هنري مكماهون إلى الملك [الشريف] حسين. كما قدم الملك حسين بدوره احتجاجه إلى السلطات البريطانية على تصريح بلفور.

خشـيت الحكومة البريطانية من أن يؤدي ذلك إلى وقـف الثورة العربية، فأسـرعت بإرسـال الكوماندور دافيد جـورج هوغارت إلى الحجـاز لتهدئة الموقف، فوصل إلى جدة في الأسـبوع الأول من كانـون الثاني 1918 وقابل الملك حسين مرتين، وأبلغه باسـم الحكومة البريطانية تأكيدات قطعية صريحة بأن تصريح بلفور لا يتعارض وحقوق العرب السياسـية والاقتصادية حسـبما وردت في رسائل مكماهون.

وقد أكدت الحكومـة البريطانية أيضًا بواسـطة الكوماندور هوغارت بأن وعد بلفور ينطوي فقط على تحديد إيواء اليهود في فلسـطين لأسباب روحانية وثقافية، ولن يسـمح بإسكان اليهود في فلسـطين إلا بالقدر الذي يتفق وحرية سكان العرب السياسية والاقتصادية، وأنه ليس في النية إنشاء دولة يهودية.

فاطمأن الملك حسـين لذلك، وحمل هذه التأكيدات إلى القوات العربية التي شرعت عندئذٍ بمواصلة الحرب.

بريطانيا تكرر تأييدها للوعود المعطاة للعرب في كل مناسبة

كان العرب مخلصين في أعمالهـم وثابتين على تأديـة التزاماتهم، كما كان البريطانيون مسـتمرين على مجاملة العرب وكيل الوعود الجذابة لهم في كل مناسـبة. ولقد تضمن كتاب المعتمد البريطاني في جدة إلى الملك حسين

في 8 شباط سنة 1918 نص برقية وزارة الخارجية البريطانية المعنونة باسم ملك الحجاز، والتي تؤكد تصميم الحكومة البريطانية على الوقوف بجانب الشعوب العربية في جهادها لأن تبني عالمًا عربيًا يسود فيه القانون والشرع، وتكرر وعدها السالف بخصوص تحرير البلاد العربية، اقتطف منه حرفيًا ما يلي:

«إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها ما زالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي إلى تحرير الشعوب المظلومة، وهي مصممة أن تقف بجانب الشعوب العربية في جهادها لأن تبني عالمًا عربيًا يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني، ويتغلب فيه الاتحاد على التنافس المصطنع الذي أحدثه الموظفون الأتراك.

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الشعوب العربية، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك التحرير وتقصد أن تستمر فيه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا، من السقوط في هوة الدمار، وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم. وفي الختام ألتمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحترامات والتمنيات».

نائب المعتمد البريطاني بجدة:
الكولونيل باست

تصريح الحكومة البريطانية للسوريين السبعة

في 16 حزيران سنة 1918 صرحت الحكومة البريطانية للسوريين السبعة أنها ترغب في أن تعيش الشعوب العربية وعليها الحكومات التي ترغب فيها وأن يتخذ قرار بشأنها عند انتهاء الحرب يتفق مع رغبات الشعوب العربية.

نص التصريح البريطاني للسوريين السبعة(*)

1. إن حكومة جلالة الملك ترغب في أن تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغة العربية منقذة من السلطة التركية، وأن تعيش في ما بعد وعليها الحكومات التي ترغب فيها.

2. إن بعض البلاد العربية إما كانت تتمتع باستقلالها منذ مدة، أو حصلت عليه الآن وهو استقلال اعترفت به إنكلترة اعترافًا تامًا، وهذا سيكون شأنها أيضًا مع البلاد التي تحصل على استقلالها من الآن حتى نهاية الحرب.

3. إن سائر البلاد العربية ممن هي الآن إما خاضعة للأتراك أو تحتلها جيوش الحلفاء، فحكومة جلالة الملك تأمل، ولها الثقة، أن شعوب هذه البلاد تحصل أيضًا على حريتها واستقلالها وأن يتخذ بشأنها عند انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغباتها.

(*) هكذا ورد نص التصريح في الكتاب، غير أن التصريح الصحيح هو كما يلي:

نظرت حكومة جلالته في مذكرة السبعة بأعظم عناية. وحكومة جلالته تقدر تمام التقدير الأسباب التي تدفع أصحاب المذكرة إلى الاحتفاظ بتنكرهم وإخفاء أسمائهم وليس في كون المذكرة غفلاً من التواقيع ما يغض من قيمتها في نظر حكومة جلالته. وتنقسم الأراضي التي ورد ذكرها في المذكرة إلى أربعة أقسام أو طبقات: 1- العرب في الأراضي التي كانت حرة ومستقلة قبل قيام الحرب. 2- أراض حررت من السيطرة التركية بعمل العرب أنفسهم في أثناء الحرب الحاضرة. 3- أراض كانت في الماضي تحت الحكم العثماني وتحتلها قوات الحلفاء في الحرب الحاضرة. 4- أراض لا تزال تحت السيطرة التركية. ففيما يتعلق بالطبقتين الأوليتين [الأوليين] تعترف حكومة جلالته بالاستقلال التام والسيادة للعرب الذين يقطنون هذه الأراضي وتؤيدهم في جهادهم في سبيل الحرية. وفيما يتعلق بالأراضي التي تحتلها قوات الحلفاء، تلفت حكومة جلالته نظر أصحاب المذكرة إلى نصوص التصريحات الصادرة من القواد العامين، عند الاستيلاء على بغداد والقدس. وهذه التصريحات تتضمن سياسة حكومة جلالته بإزاء أهالي هذه الأقاليم. وترغب حكومة جلالته في أن تكون حكومة هذه الأقاليم قائمة على إرضاء المحكومين وهذه السياسة ستظل مؤيدة من حكومة جلالته. وأما فيما يتعلق بالأراضي المذكورة في القسم الرابع، فإن من رغبة حكومة جلالته أن تفوز الشعوب المظلومة في هذه الأراضي بالحرية والاستقلال ولا تزال حكومة جلالته تعمل على تحقيق هذه الغاية. وحكومة جلالته تعلم تمام العلم مقدار الصعوبات والأخطار التي تحيط بالذين يعملون لاسترداد حرية البلاد المذكورة. على أن حكومة جلالته على الرغم من هذه العقبات تثق وتؤمن بإمكان التغلب عليها، وهي راغبة في تأييد كل من يعملون على تذليلها. ومستعدة للنظر في أي مشروع للتعاون يتفق مع الأعمال الحربية الحالية وينطبق على المبادئ السياسية التي تسترشد بها حكومة جلالته وحلفاؤها. (ملف وثائق فلسطين، الجزء الأول، المركز العربي للأبحاث، القاهرة) (المحرر).

4. إن حكومة جلالته تعتقد أن العوائــق والصعوبات المتوقعة التي تقف في سبيل هذه الشــعوب ســيتغلب عليها تغلبًا ناجحًا، وهي تعد بكل مساعدة لمن يسعى في إزالتها ومســتعدة لأن تنظر في أي خطة لعمل مشترك يتلاءم مع الحركات العسكرية الحاضرة، ويتفق مع المبادئ السياسية لبريطانيا وحلفائها.

التصريح البريطاني - الفرنسي(*)

لقــد كان لمبادئ الرئيس ولســون رئيــس جمهورية الولايــات المتحدة الصادرة في 4 تموز سنة 1918 وللتصريح المشترك الذي أصدرته الحكومتان البريطانية والفرنسية في 7 تشرين الثاني سنة 1918 ما زاد في تطمين العرب في وعود حلفائهم حيث جاء في التصريح بالحرف الواحد:

«إن الســبب الذي مــن أجله حاربت فرنســا وإنكلترة في الشــرق، تلك الحرب التي أهاجتها مطامــع الألمان، إنما هو لتحرير الشــعوب التي رزحت أجيالًا طوالًا تحت مظالم الأتراك تحريرًا تامًا نهائيًا، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختيارا حراً».

مؤتمر الصلح وتنكر الحلفاء لشركائهم العرب

انتهت الحرب العالميــة الأولى بفوز حلفاء العرب فــي الحرب، فعمت البلاد العربية فرحة الانتصار لقرب نيل العرب استقلالهم الذي ناضلوا من أجله

(*) هكذا ورد نص التصريح في الكتاب، غير أن التصريح الصحيح هو كما يلي:
إن الغرض الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا العظمى من نهجهما في الشرق في الحرب التي أثارتها أطماع ألمانيا، هو التحرير التام النهائي للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها، وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من الاختيار الحر والإرادة المستقلة للأهالي الوطنيين. ولتحقيق هذا الغرض اتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على تشجيع إقامة الحكومات والإدارات الوطنية ومساعدتها، في سوريا والعراق اللتين حررهما الحلفاء، وفي الأراضي التي تعملان على تحريرها وســتعترفان بها بمجرد حصول ذلك. ولا رغبــة لهما في أن تفرضا على أهالي هذه البلاد أي نظام معين، وإنما تريدان بتأييدهما وبالمســاعدة الكافية أن تكفلا حســن ســير الحكومات والإدارات التي يختارها الأهالي اختيارًا حرًا. والسياسة التي تؤيدها الحكومتان المتحالفتان في البلاد المحررة، هي ضمان المســاواة والعدل النزيه للجميع، وتيسير التقدم الاقتصادي للبلاد بتشجيع النشاط المحلي ونشر التعليم والقضاء على الخلافات والمنازعات التي طالما انتفعت بها واستخدمتها السياسة التركية.

وضحوا بالأرواح في سبيل تحقيقه، وكان الأمير فيصل ممثلًا رسميًا عن والده في مؤتمر الصلح.

إلا أن البريطانيين والفرنسيين تنكروا له ونكثوا عهودهم المعطاة إلى حلفائهم العرب، شركائهم في الانتصار، إذ كُشف لأول مرة في مؤتمر الصلح أن الحكومة البريطانية كانت تستعد لإعطاء الصهاينة وطنًا قوميًا في فلسطين بشكل يختلف عما صرحت به للعرب.

فصل البلاد العربية عن تركيا

عقد الحلفاء مؤتمرًا في باريس سمي «مؤتمر الصلح»، وفي يوم 30 كانون الثاني سنة 1919 اتخذ المؤتمر قرارًا بفصل أرمينيا وبلاد العرب عن تركيا وعدم إعادتها إلى الحكم التركي واستفتاء السكان في تقرير المصير واختيار الوصي عليهم.

انتداب بريطانيا على فلسطين

بعد أن تم القرار بعدم إعادة البلاد العربية إلى الحكم التركي، أوعزت بريطانيا إلى الجمعية الصهيونية أن تبدأ بعملها. فقدمت هذه الجمعية بدورها إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في 3 شباط 1919 مشروعًا لتنفيذ تصريح بلفور ومما جاء فيه:

«إننا نلح باختيار بريطانيا العظمى دولة منتدبة على فلسطين لأن ذلك يتفق ورغبات يهود العالم، وعصبة الأمم يجب أن تعمل، في اختيارها الدولة المنتدبة، على تحقيق رغبات الأهالي ذوي الشأن».

اجتماع المؤتمر السوري وقراراته

لما رأى العرب تنكر حلفائهم لهم وشعروا بالمؤامرات التي تحاك ضدهم اجتمع المؤتمر السوري العام المؤلف من مندوبي جميع المناطق السورية الثلاث، الجنوبية والشرقية والغربية، المفوضين من جميع السكان من مسلمين

ومسيحيين وموسويين. وفي الجلسة المنعقدة في دمشق في 2 تموز سنة 1919 اتخذ القرارات المبينــة أدناه باختصار ورفعها إلى الوفــد الأمريكي من اللجنة الدولية:

1 - إننا نطلب الاستقلال السياســي التام الناجز للبلاد السورية (سورية، فلسطين، شرق الأردن، ولبنان الحالية) بدون حماية ولا وصاية.

2 - أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية مدنية نيابية تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواســعة وتحفظ فيها حقــوق الأقليات، على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل بن الحسين.

3 - إننــا نطلب المســاعدة الفنيــة والاقتصادية من الولايــات المتحدة الأمريكية، على أن لا تمس هذه المســاعدات اســتقلال البلاد السياســي التام ووحدتها، وعلى أن لا يزيد أمد هذه المساعدة على عشرين عامًا.

4 - إذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المســاعدة منها، فإننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا، على أن لا تمس استقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها، وعلى أن لا يزيد أمدها على المدة المذكورة في (3) أعلاه.

5 - إننا لا نعترف بأي حق تدعيه الدولة الفرنســية في أية بقعة كانت من بلادنا الســورية، ونرفض أن يكون لها مســاعدة ويد في بلادنــا بأي حال من الأحوال.

6 - إننــا نرفض مطاليــب الصهيونيين بجعل القســم الجنوبي من البلاد السورية (أي فلسطين) وطنًا قوميًا للإسرائيليين، ونرفض هجرتهم إلى أي قسم من بلادنا. لأنه ليس لهم فيها أدنى حق، ولأنهم خطر شديد جدًا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياســي. أما سكان البلاد الأصليون من إخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا.

7 - إننا نطلب عدم فصل القســم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين

والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان، عن القطر السوري ونطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان.

8 - إن القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ويلسون التي تقضي بإلغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية، أو كل وعد خصوصي يرمي إلى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا، ونطالب أن تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان.

مقترحات لجنة كينك-كرين

وصلت فلسطين في شهر حزيران سنة 1919 لجنة أمريكية أرسلها مجلس الحلفاء الأعلى لاستفتاء السكان في سورية وفلسطين والعراق. درست هذه اللجنة الوضع في هذه البلاد ورفعت مقترحاتها في 28 آب 1919 حول نوع الحكم في هذه البلاد وكيفية إدارتها نقتبس منه ما يلي:

«المحافظة على وحدة سورية حسب الرغبة الشديدة التي أبداها السواد الأعظم من الشعب السوري.

إن أراضي هذا القطر محدودة والسكان قليل عددهم والوحدة الاقتصادية والجغرافية والعنصرية واللغوية واضحة بينة لا تحتمل إنشاء دول مستقلة في ضمن حدودها، والسواد الأعظم من سكان البلاد عربي بلسانه وثقافته وتقاليده وعاداته.

تلح اللجنة في وضع سورية برمتها تحت انتداب واحد وذلك توخيًا لأكبر منفعة يجنيها في المستقبل جميع العناصر والأقاليم على السواء.

توصي اللجنة بأن يكون الأمير فيصل رئيس الدولة السورية الجديدة. ولقد طلب المؤتمر السوري التمثيلي هذا الطلب جزمًا بالإجماع باسم الشعب السوري، وليس ثمة ما يحمل على الشك في أن السواد الأعظم من سكان سورية يرغبون رغبة صادقة في أن يكون الأمير فيصل حاكمًا.

تسلم اللجنة بأن الحلفاء قد شجعوا الصهيونيين في تصريح المستر بلفور الذي كثر اقتباسه والاستشهاد به، وكذلك قد شجعهم تأييد ممثلي الحلفاء الآخرين لهذا التصريح. أما إذا عمل بهذا التصريح على علاته - وهو التصريح الذي يقضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين مع العلم الصريح بأنه لا يجوز القيام بعمل يمس بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية في فلسطين - إذا عمل بهذا التصريح فلا يكاد يبقى شك في أنه يجب تعديل المنهاج الصهيوني المتطرف تعديلًا كبيرًا.

وذلك أن إنشاء وطن قومي لليهود لا يعني جعل فلسطين دولة يهودية، كما أنه لا يمكن إقامة هذه الدولة اليهودية دون أفدح هضم للحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها العناصر غير اليهودية في فلسطين. والحقيقة التي وقفت عليها اللجنة مرارًا في أحاديثها مع ممثلي اليهود هي أن الصهيونيين يتوقعون أن يجلوا سكان فلسطين الحاليين من غير اليهود إجلاء تامًا عن أراضيهم بشراء تلك الأراضي منهم بأساليب مختلفة.

وقد اتضح أيضًا من المحادثات التي جرت بيننا وبين السكان أن الشعور العدائي الموجه إلى المنهج الصهيوني لم يقتصر على فلسطين وحدها، بل شمل سكان سورية بوجه عام. وقد أعرب المؤتمر السوري عن هذا الشعور العام.

ولا ينبغي لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن التحامل على الصهيونية في فلسطين وسورية بالغ أشده، وليس من السهل الاستخفاف به. فإن الموظفين الإنكليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن المنهج الصهيوني لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلحة ويجب أن لا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندي. وهذا بحد ذاته برهان واضح على ما في المنهاج الصهيوني من الإجحاف بحقوق غير اليهود.

ولا بد من الجيوش في بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة. هذا فضلًا عن أن مطاليب

الصهيونيين الأساسية في حقهم في فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفي سنة. وهذه دعوى فارغة لا تستوجب الاكتراث والاهتمام».

حاشية

لقد اطلع القارئ الكريم على الرسائل المتبادلة بين السير هنري مكماهون والشريف حسين، وهي صريحة وواضحة من حيث حدود البلاد العربية التي وعدت بريطانيا بالاعتراف باستقلالها، والتي تضم كافة الأقطار العربية الداخلة ضمن تلك الحدود، وليس في الرسائل أية إشارة أو استثناء لفلسطين.

وأثناء مناقشة القضية الفلسطينية في لندن بين الوفود العربية من جهة والحكومة البريطانية والوفد الصهيوني من جهة أخرى، بذل الصهيونيون جهودًا شرسة لدعم حججهم الباطلة. ومن جملة ما قاموا به، اتصالهم بالسير هنري مكماهون، وكان يومئذ قد بلغ أرذل العمر واستبد به الخرف، واستكتبوه رسالة نشروها في جريدة التايمس اللندنية، زعم فيها بأنه عندما تبادل الرسائل مع الشريف حسين لم يكن يقصد اعتبار فلسطين من جملة البلاد العربية الموعودة بالاستقلال (كذا!)، فيا له من تشويه للحقائق التاريخية!

فإذا كان الصهيونيون قد أفلحوا في تشويه معاني الكتب السماوية والحقائق التاريخية والدينية فيما يتعلق بجريمة اليهود بحق السيد المسيح، عندما حملوا أكثرية مجلس الكرادلة المجتمع في الفاتيكان على إصدار قرار بتبرئة اليهود من تلك الجريمة البشعة، فمن السهل عليهم أن يحاولوا تشويه معاني الرسائل المتبادلة بين السير هنري مكماهون والشريف حسين فيما يتعلق بالجريمة البريطانية-الصهيونية بحق فلسطين[1]

(1) وللاطلاع على أمثلة أخرى على الغدر والرياء السياسي البريطاني راجع كتاب الإنكليز كما عرفتهم، تأليف أمين المميز، المطبوع ببغداد عام 1944.

الفصل الرابع

فلسطين تحت الانتداب البريطاني

إنهاء الإدارة العسكرية في فلسطين

في شهر تموز سنة 1920 أبدلت الحكومة البريطانية إدارتها العسكرية في فلســطين بإدارة مدنية واتخذت الإجراءات لتنفيذ الوعد المقطوع للصهاينة في تصريح بلفور، فصدر أول مرسوم بالهجرة في السنة نفسها، وسمحت للصهاينة بامتلاك الأراضي.

صك الانتداب على فلسطين

في 24 تموز 1922 أقر مجلس عصبة الأمم صك الانتداب على فلسطين الذي وضعه الإنكليز والصهيونيون ولم يشــترك العرب في وضعه، ولم يطلعوا عليه. وكان أبرز ما يحويه صك الانتداب هذا ما يلي:

1 - وضع جميع السلطات بيد الدولة المنتدبة التي عليها جعل البلاد في وضع سياسي وإداري واقتصادي يكفل إنشاء الوطن القومي للصهاينة.

2 - جعل العبرية لغة ثالثة.

3 - فتح باب الهجرة للصهاينة.

كما اعترف الصك أيضًا بوجود وكالة يهودية تستشــار وتســاعد في إدارة فلسطين.

بعد أن أقر مجلس عصبة الأمم جعل بريطانيا منتدبة على فلسطين، أصبح مركز الحكومة البريطانية في فلسطين قانونيًا من الوجهة الدولية باعتبارها الدولة المنتدبة بموجب صك الانتداب الصــادر من مجلس عصبة الأمم. وهذا القرار يعتبر المرحلة الأولى من الكارثة لضياع فلسطين بعد تصريح بلفور.

ولتطمين الصهيونيين وتنفيذ رغباتهم فقد أوفدت بريطانيا السـر هيربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مفوضًا ساميًا إلى فلسطين.

الاضطرابات والاشتباكات بين العرب والصهاينة في فلسطين

لقد توالت موجات الهجرة الصهيونية، علنية وسـرية، في زمن الانتداب البريطاني، وذلك حسب الخطة المتفق عليها بين الحكومة البريطانية والوكالة اليهودية لتثبيت مطامع الصهاينة في فلسطين، فارتفع عدد الصهاينة وأصبحت البلاد مسـرحًا للفتـن والقلاقل. لذلـك كان من الطبيعي أن يسـتنكر العرب الفلسـطينيون أعمال الحكومة المنتدبة ويرفضوا التعـاون معها، ويثوروا على صك الانتداب هذا، وعلى كل من يعمل لصالح الصهيونية، وعلى الإجراءات التعسفية التي أخذ ينفذها المندوب السامي، مثل منعه تصدير الحبوب والزيت كي تتضخم الأسـواق المحلية بها ويعجز الفلاح عن تأديـة الضرائب ووفاء الديون، فيضطر إلـى بيع أرضه للجمعيـات الصهيونية الواقفـة له بالمرصاد لشـرائها. وكذلك أمره بتصفية البنك الزراعي العثماني وتحصيل القسم الكبير من ديونه جبـرًا من صغار الفلاحين. فتعددت الإفلاسـات ولـم يبق للفلاح مهرب من أن تحجز الحكومة أمواله وكل ما يملكه، وإلا فالسـجن والتشريد ينتظرانه.

ولقد انتقلت أراضٍ واسعة وقرى عديدة من أصحابها العرب الفلسطينيين إلى الجمعيات الصهيونية نتيجة لهذه الأعمال التعسفية.

لذلك كان لا بد من وقوع الاضطرابات منذ أن شعر العرب بهضم حقوقهم في مؤتمـر الصلح ومراعاة جانب الصهاينة فقط، والتسـاهل فـي أمر الهجرة وبيع الأراضي للصهاينة وتشجيعهم على إقامة التشـكيلات السياسية والدينية والاجتماعية وتقديم جميع أنواع المساعدات إليهم.

وفي 4 نيسـان سـنة 1920 وقع أول اشـتباك بين العرب والصهاينة في القدس، كما حدثت اضطرابات في 1 مايس/ أيار سنة 1921 في يافا استمرت

خمسة عشر يومًا، وتلتها اشتباكات واضطرابات في 2 تشرين الثاني 1921 في القدس، ثم تتابعت الاضطرابات والمصادمات في أماكن أخرى من فلسطين في أوقات مختلفة نذكر البعض منها.

اضطرابات 23 آب 1929

في سـنة 1929 حدثت أزمـة اقتصاديـة خانقة ضج العـرب منها ومن كثـرة المهاجرين الصهاينة الذين يطمعون في بلادهم ويقاسـمونهم عيشـهم، ولا تسـتطيع اقتصاديات البلاد تحملهم واسـتيعابهم، إذ كان تأسيس المصانع والشـركات التجارية وامتياز المشاريع المختلفة، ومنها مشروع كهرباء روتنبرغ ومشروع فوسفات البحر الميت، منبعا ثروة فلسطين الرئيسيان، القوة الكهربائية وموارد الصناعة الكيماوية، بيـد الصهاينة. علاوة على ذلـك حاول الصهاينة التجاوز على حائط المبكى خلافًا للاتفاقات القديمة المعقودة مع المسـلمين، هذا فضلًا عـن الدعاية المنظمة فـي الصحف اليهودية فـي الداخل والخارج مطالبـة بإعادة بناء هيكل سـليمان الذي معنـاه ضمنًا الاسـتيلاء على الحرم الشريف واغتصابه من أيدي المسـلمين، مما حدا بالعرب أن يثوروا. فتوسعت الاضطرابات وعمت جميع فلسـطين فاضطرت الحكومة إلى طلب النجدات من خارج فلسـطين. وبتاريخ 30 آب 1929 انتهت الاضطرابات بعد أن خسر الطرفان ضحايا كثيرة من قتلى وجرحى.

لجنة تحقيق السر والتر شو

بعد انتهاء الاضطرابات بأسبوعين عينت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق برئاسة السـر (والتر شـو) من كبار قضاة الإنكليز، وثلاثة من أعضاء البرلمان ممثلين لأحزاب بريطانيا الثلاثة وكانت مهمتها:

1 - التحقيق عن الأسباب المباشـرة التي أدت إلى الاضطرابات الأخيرة في فلسطين.

2 - وضع التوصيات بشأن التدابير الواجب اتخاذها لمنع تكرارها.

وصلت اللجنة إلى القدس يوم 23 أيلول 1929، وبعد بحث دقيق شامل أجرته في محل وقوع الحادث عـادت إلى إنكلترا ورفعت تقريرها في 12 آذار 1930 الذي جاء فيه:

1 - أسباب الاضطرابات

أ - إن السبب المباشر للاضطرابات هي الأعمال الاستفزازية التي قام بها اليهود والمظاهرة التي نظموها في 15 آب 1929.

ب - وإن السبب الأساسـي لها هو خيبة العرب في آمالهم التي كانوا قد عقدوها على وعود بريطانيا التي خانتهم في تعهدها لليهود بإنشـاء وطن قومي لهم في فلسـطين، وتسـهيلها لهجرتهم إليها وبيع الأراضي لهم. ولن ينتج من استمرار الهجرة وبيع الأراضي سوى أن العرب سيحرمون من وسائل المعيشة ويصبحون هم وبلادهم تحت سيطرة اليهود السياسية.

ج - إن وعـد بلفور ما هـو إلا تعهدات مزدوجة يصعـب القيام بها في وقت واحد، وإنه منافٍ لحقوق الشـعب العربي الطبيعيـة وللحقوق الدولية العامة.

د - إن الصعوبات التي تعانيها حكومة فلسطين تتفاقم بما يشعر به العرب من النفور لعدم تمتعهم بشـيء من الحكم الذاتي، وليس لهم وسـيلة مباشرة للاتصال بالحكومة بخلاف اليهود.

2 - الهجرة

وفيما يتعلق بالهجرة فـإن اللجنة ترى أن ولاة الأمـور اليهود حادوا عن التعليمات والمبـادئ التي وضعت في سـنة 1922، والتـي تعلمها الجمعية الصهيونية، وأن مزاعم الصهيونيين ودعايتهم أنشأت في نفوس العرب خوفًا من ضياع أسباب معيشتهم واستعبادهم استعبادًا سياسيًا.

وأوصت اللجنة وفقًا لذلك بتحديد الهجرة اليهودية بقولها إن مقدرة البلاد على الاستيعاب قد بلغت حدها الآن. والحقيقة الناصعة، كما قيل لنا، هي أنه لا توجد أرض أخرى ميسورة يمكن إسكان المهاجرين فيها إلا بإحلالهم محل السكان الحاليين.

3 - الأراضي

وفيما يخص الأراضي، أوصت اللجنة أن توضع قيود لانتقال الأراضي من أيدي العرب إلى أيدي اليهود.

ولفتت اللجنة النظر إلى نفر من الزراع العرب أخرجوا قسرًا وعنوة من الأراضي التي كانوا يزرعونها بعدما بيعت تلك الأراضي، ولم تدبر لهم أرض سواها لزرعها، وصارت في فلسطين طائفة مستاءة متبرمة، أفرادها من الذين لا يملكون أرضًا لزرعها. ووجود هذه الحالة قد يصبح منشأ خطر. فاللجنة تحض على إيجاد علاج لها.

4 - التوصيات

أ - أن تعيد بريطانيا نظرها في الخطة السياسية التي تتبعها في فلسطين. لأن السياسة التي سلكتها لحد الآن لا توافق إلا اليهود. أو كما يقول التقرير، بأنها لا تفسر إلا الشق الأول من وعد بلفور وهو إنشاء الوطن القومي اليهودي، وتهمل تفسير الشق الثاني وهو المحافظة على حقوق الطوائف غير اليهودية.

ب - أن تصدر الحكومة في الحال بيانًا سياسيًا في فلسطين وتجاهر بعزمها على تطبيق هذه السياسة وتنفيذها بكل ما عندها من القوى والوسائل. ويزيد في قدر تصريح كهذا وقيمته إذا حوى تفسيرًا جليًا من جانب الحكومة البريطانية لفقرات من صك الانتداب تكفل بها حقوق الطوائف غير اليهودية، وإذا نص على تعليمات واضحة لإرشاد حكومة فلسطين في سياستها في المسائل الجوهرية كمسألة الهجرة ومسألة الأراضي. وهذا الذي تشير به اللجنة

يقوم أكثره على فرض أن تحديد السياسة المقترح ينص على أن حقوق اليهود تحمى حماية وافية.

ج - وتشير اللجنة بإذاعة تصريح جلي بشأن السياسة التي تتبع في المستقبل في أمر هجرة اليهود إلى فلسطين، وإعادة النظر في الطريقة الإدارية وإصلاحها لمنع الإفراط في الهجرة كما أفرط فيها في سنة 1925 و1926.

د - ويجب إيجاد وسيلة أو أداة لاستشارة المصالح غير اليهودية في أمور الهجرة، وأن تجاهر الحكومة البريطانية مرة أخرى بأن المركز الخاص المسموح به للوكالة اليهودية لا يخوّلها الحق في أن يكون لها نصيب في حكم فلسطين.

هـ - كما أوصت اللجنة بضرورة إيفاد لجنة فنية إلى فلسطين لوضع تقرير عملي وافٍ عن إمكانيات البلاد الاقتصادية لاستيعاب الهجرة ولتحقيق مشاريع العمران والإسكان.

الكتاب الأبيض البريطاني لسنة 1930

نشرت الحكومة البريطانية تقرير لجنة تحقيق والتر شو بصورة كتاب برلماني في أوائل نيسان 1930 وأرسلت نسخة منه في الوقت نفسه إلى السكرتير العام لعصبة الأمم لتوزيعه على لجنة الانتدابات الدائمة.

وعلى ضوء التوصيات الواردة في تقرير لجنة تحقيق والتر شو ألقى رئيس الوزارة البريطاني في 3 نيسان 1930 بيانًا في مجلس العموم البريطاني ذكر فيه الخطة السياسية التي تنوي الحكومة البريطانية اتباعها في فلسطين، والتي ضمنتها في كتاب أسمته الكتاب الأبيض لسنة 1930 ومما جاء فيه:

«ستستمر حكومة جلالته على إدارة شؤون فلسطين بمقتضى صك الانتداب الذي وافق عليه مجلس عصبة الأمم، وهذا التزام دولي لا يمكن الرجوع عنه على الإطلاق.

«وتفرض شروط الانتداب على حكومة جلالته المساعدة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين مع عدم إتيان شـــيء على الإطلاق من شأنه الإضرار بما للطوائف غيــر اليهودية الموجــودة فيها من الحقوق المدنيــة والدينية، أو الإضرار بالحقوق أو بالحالة السياسية التي يتمتع بها اليهود في أي بلد كان من البلدان الأخرى.

«وهذا يتناول وعدًا مزدوجًــا. وعدًا لليهود من جهة ووعــدًا لغير اليهود في فلســطين من الجهة الأخرى. وحكومة جلالته عازمة عزمًا أكيدًا على تنفيذ كلا شقي التصريح مع معاملة طوائف الســكان كافة على السواء معاملة عادلة. وهذا هو الواجب الذي لا تحجم عنه حكومة جلالته مستخدمة جميع المصادر المتيسرة لها في سبيل القيام به.

«وإني أريــد أن يفهم الناس أن هذا البيان يشــمل إعــداد القوة المقتضاة للمحافظة على الأمن المدني في الأحوال الحاضرة.

«إن السياســة التي اتخذتها هذه الدولة وحاولت اتباعها مبنية على المبدأ القاضي بأن لا تتعدى الهجرة قابلية البلاد الاقتصادية لدمج المهاجرين الجدد.

«فإذا كان ثمة أخطاء ارتكبت في الماضي، فينبغي تحاشــي تلك الأخطاء في المســتقبل. ولهذه القضية من الخطورة والضرورة لازدهار فلســطين ما لا يجيز معالجتها بعجلة أو بلا تروٍ وافٍ. وقد شــعرت حكومــة جلالته بأنها لا تســتطيع وضع مقترحات جازمة دون الإمعان في درس القضية برمتها من قبل خبير من جميــع وجوهها. لذلك قد عينــت خبيرًا قديرًا جــدًا في اختصاصه، وأوعزت إليه بالتوجه إلى فلســطين في مهمة موقتة ليفاوض المعتمد الســامي ويرفع إلى حكومة جلالته تقريرًا في تسوية الأراضي والهجرة واستثمار البلاد. وقد وقع اختيارها على الســر جون هوب سمبســون المستخدم من قبل عصبة الأمم، نائب الرئيس لبعثة الســكان المهاجرين للقيام بهــذه المهمة. وهو الآن في طريقه إلى فلســطين. وســتنظر حكومة جلالته في قضية السياسة التي تسير عليها في المســتقبل وتسوية الأراضي واســتثمار البلاد برمتها والبت فيها عند

تلقيها تقرير السـر جون هوب سمبسـون. وفي هذا الوقت عينه يجري اتخاذ التدابير الموقتة لصيانة بعض العناصر من السكان الفلسطينيين. وقضية التوقف عن الهجرة توقفًا موقتًا هي قيد الدرس الآن، وسيسن قانون بغية السيطرة على توزيع الأراضي الزراعية توزيعًا يمنع انتزاعها من أيدي سكان البلاد الأصليين. وسـتحل محل هذه التدابير الموقتة في كل حالة قوانين ثابتة تقررها الحكومة البريطانية حين البت في السياسة التي تتبعها في المستقبل على ضوء تقرير السر جون هوب سمبسون».

رد فعل الكتاب الأبيض لسنة 1930 عند الصهاينة وتمكنهم من تعديله

سـببت تحديدات الهجرة الصهيونية ومراقبة انتقـال الأراضي من العرب إلى الصهاينة الواردة في الكتاب الأبيض هيـاج اليهود في جميع أنحاء العالم، فجندوا لذلك صحافتهم ودعايتهم الواسعة طالبين إلغاء هذا الكتاب وجروا إلى جانبهم قسمًا من الزعماء البريطانيين.

وقد صرح وايزمن أن الكتاب الأبيض يقلب السياسة التي كانت الحكومة البريطانيـة قد اتبعتها حتى ذلك الوقت عن الوطن القومي اليهودي رأسًـا على عقب، فاحتجاجًا على ذلك قدم استقالته من رئاسة المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية.

تعديل نصوص الكتاب الأبيض

وفي تشـرين الثاني دعت الحكومة البريطانية أعضاء الوكالة اليهودية إلى عقد مؤتمر لبحث الأمر، وقـد كانت نتيجة المؤتمر إرسـال كتاب من رئيس الوزراء البريطاني إلى وايزمن في 13 شباط 1931. وقد قال رئيس الوزراء إن هذا الكتاب لن يكون تفسيرًا رسـميًا للكتاب الأبيض في الأمور التي عالجها. وقد احتوى في موضوع التزامات الدولـة المنتدبة عن الوطن القومي اليهودي عددًا من البيانات الإيجابية لم تكن موجودة في الكتاب الأبيض، ومن بينها ما يلي:

«يبقى الالتـــزام بتســـهيل الهجرة اليهودية وتشـــجيع اســـتقرار اليهود في الأراضي التزامًا إيجابيًا من التزامات الانتداب، ويمكن تنفيذه من دون الإضرار بمركز الطوائف الأخرى من سكان فلسطين».

«إن بيان سياســـة الحكومة البريطانية لا يتضمن منعًا لحصول اليهود على أراضٍ إضافية».

«إن الحكومة البريطانية لم تقرر ولا تفكر في إيقاف أو منع الهجرة بجميع أنواعها».

فلما فسر الكتاب الأبيض بهذا الشكل صار مقبولًا عند الصهيونيين. وفي الحقيقـــة إن كتاب رئيس الوزراء البريطاني لم يكن تفســـيرًا، بل تعديلًا، وذلك بســـبب ضغط الصهيونية الذي فرضته على لندن. ولقد أزال الكتاب ثقة العرب بالحكومة المنتدبة، فسموه «الكتاب الأسود».

وهكذا تمكن الصهيونيون بمـــا لديهم من نفوذ من تحوير الكتاب الأبيض بتعطيل أحكام كل نص يؤيد حق العرب ومطاليبهم المشروعة، وبتحقيق كل ما هو في صالح الصهيونيين.

تقرير السر جون هوب - سمبسون

وصل سمبسون القدس في 20 أيار 1930 وبعد تجوله في فلسطين، سافر إلى اليونان حيث وضع تقريره في أثينا، ورفعه في شهر آب سنة 1930، والذي أوضح فيه ما يلي:

1 - أثبت أن الأراضي التي بيد العرب لا تكفي لسد حاجاتهم.

2 - أثبـــت أنه ليس عند الحكومة الفلســـطينية أراضٍ أميريـــة تعطـــى للصهاينـة.

3 - أثبت أن الأراضي التي بيد الصهاينة تزيد عن حاجتهم زيادة كبيرة، وقال إنهم يحتاجون إلى مدة طويلة لاستثمار الأراضي التي بأيديهم.

4 - أثبت أن طريقة الاستعمار الصهيوني مخالفة بأساليبها وكيفيتها لمبادئ العدل، وقال إن الأراضي التي تنقل من عربي إلى صهيوني لا تعود إلى العرب بحال من الأحوال.

5 - أثبت فساد الأساليب التي تسير عليها الحكومة والوكالة اليهودية في فتح أبواب الهجرة للصهيونيين وألقى مسؤولية الحوادث المخالفة للقوانين على الوكالة اليهودية.

6 - أوصى الحكومة بأن تنهض بمشروع عمراني كبير تكون الغاية منه تحسين الأساليب الزراعية وتحويلها إلى شكل تتحسن به الزراعة.

تقرير المستر لويس فرنش

عهدت الحكومة البريطانية إلى المستر لويس فرنش مهمة درس الحالة الزراعية في فلسطين، ووعدته بوضع مليون ونصف المليون جنيه كاعتمادات تصرف على المشاريع التي سيقترحها. وقد وضع تقريرين في 23 كانون الثاني سنة 1931 و20 آب سنة 1932 على التوالي، وأوصى فيهما بمنع بيع الأراضي العربية، لأن إباحة بيعها ستجعل العربي بدون أرض ولا مأوى، وبيّن أن المنظمات الصهيونية وحدها تملك أراضٍ احتياطية صالحة للإسكان.

وقد كان هذا التقرير في صالح العرب أيضًا كالتقارير السابقة، إلا أن سقوط حكومة العمال ومجيء وزارة ائتلافية أوقف إجراءات نافعة، إذ إن الوزير الجديد (السر هيربرت كليف لستر) أبلغ المستر فرنش بأن الحكومة ألغت الاعتمادات، فبقي تقريره، كسواه من التقارير، حبرًا على ورق.

حوادث عام 1933

كان فوز النازية في ألمانيا عـام 1933 واضطهادها لليهود عاملًا قويًا في تدفق الهجرة اليهودية بعشرات الآلاف، وسـببًا لإحياء آمال الصهيونيين بزيادة عددهم في فلسطين، ليتسنى لهم تشكيل الدولة التي يحلمون بها.

ولما رأى العرب بـأن الحكومة البريطانية لم تلتفت إلـى تقارير لجانها العديدة التـي أوصت بتوقيف الهجـرة ومنع انتقال الأراضـي، ولكنها تقوم رغمًا عن ذلك بتوزيع تذاكر الهجرة بسـخاء وتغـض الطرف عن المخالفات والتهريب، وتمنح كل من يلقـى عليه القبض منهم صفة المهاجر الرسـمي، وأنهـا تجاهلت أن المعـارض اليهوديـة والحفلات الرياضيـة الكبرى التي تقام، إنما هي مناسبات لتسـرب اليهود إلى فلسطين كتجار وسياح ورياضيين ومتفرجين، وبذلك كشـفت بريطانيـا القناع عن وجههـا ووقفت إلى جانب الصهاينـة ضد العـرب بصراحـة، فتيقن العرب بـأن عدوهـم الحقيقي هم الإنكليز. لذلك قرروا ألا يعتمدوا إلا على أنفسـهم. فأذاعت اللجنة التنفيذية العربية في آذار سـنة 1933 بيانًا على العرب أعلنت فيه أن الحكومة المنتدبة هي العـدو الأول الذي تجب محاربته بجميع الوسـائل المشـروعة، ودعت العرب إلى مؤتمر عام يعقد في يافا فـي 26 آذار 1933 وتألفت فرق عديدة من الشباب لحراسة الشواطئ والحدود.

وفي الموعد المضـروب عقد المؤتمـر في يافا وحضره سـتمائة عربي يمثلون جميع المناطق والطوائف والطبقات والأحـزاب، وتقرر فيه مبدأ عدم التعاون مـع الحكومة البريطانية ومقاطعة المصنوعـات الإنكليزية والصهيونية وتأليف لجنة للسهر على تنفيذ هذا القرار.

وعلـى ذلك اتجه الإنكليز كليًـا إلى الصهاينة يمالئونهم ويسـدون إليهم المساعدة الكبرى ليسـتندوا عليهم في بقائهم في فلسطين وتحطيم كل مصالح العرب. فاسـتغل اليهود هذا العطف من الإنكليز وأخذوا يستعدون ويتسلحون

ويتأهبون للمطالبة في الوقت الملائم بالدولة الصهيونية باعتمادهم على عددهم وقوتهم وحقهم المكتسب المزعوم من جراء استحواذهم على معظم أراضي فلسطين الصالحة للسكنى والزراعة.

وفي الأشهر التالية زاد القلق والهياج عندما اعترفت الحكومة بأن عشرة آلاف مهاجر صهيوني دخلوا البلاد بطريقة غير مشروعة ولا يزالون مقيمين فيها. لذلك اجتمعت اللجنة العربية التنفيذية في 8 تشرين الأول سنة 1933، وقررت بناء على اقتراح ورد إليها من مكتب مؤتمر الشباب، الدعوة إلى الإضراب العام والتظاهر يوم 13 تشرين الأول في القدس والإضراب والتظاهر دوريًا في جميع المدن الفلسطينية الكبرى، سواء سمحت الحكومة بالتظاهر أم لم تسمح إلى أن تتبدل السياسة المتبعة من قبل الحكومة المنتدبة.

وقامت المظاهرات فعلًا في القدس في 13 تشرين الأول، وفي يافا في 27 تشرين الأول وفي نابلس في 10 تشرين الثاني، رغم إنذار الحكومة ومقاومتها بالقوة، مما سبب الخسائر الكبيرة للعرب وسجن وتشريد الكثيرين منهم.

ثورة عام 1936

استمرت بريطانيا في سياستها السابقة على شكل يهدد كيان العرب كأكثرية، وأخذ عدد المهاجرين الصهيونيين بالتصاعد حتى بلغ 30 ألفًا عام 1933 و42 ألفًا عام 1934 و62 ألفًا عام 1935، عدا الذين كانوا يدخلون فلسطين تهريبًا ثم يحسبون فلسطينيين، حتى أصبح عددهم نحو نصف مليون بعد أن كان أقل من 70 ألفًا عام 1920. كما انتقل إلى الصهاينة من الأراضي في هذه السنوات الثلاث أكثر مما انتقل في غضون الاثنتي عشرة سنة السابقة.

بدأ العرب يعتمدون على أنفسهم ويعملون على المقاومة بكل ما أوتوا من قوة، وزاد مقابل ذلك تعنت الإنكليز ومكافحتهم لهم بقسوة وإرخاء الحبل للصهاينة في الوقت ذاته. فزادت الهجرة وبيعت الأراضي قسرًا إلى حد مخيف.

ورأى العـــرب مصيرهم المهدد ومقدار الخطر الـــذي يداهمهم وهول المصيبة التي تنتظرهم، وعلى الأخص بعد ما لاحظوه من تســـلح الصهاينة وانكشـــاف بعض الأســـلحة ضمن براميل الإســـمنت الواردة إليهم مـــن أوروبا. لذلك لم يجدوا وسيلة ســـوى الإضراب الذي عم جميع مرافق الحياة منذ نيسان 1936 واستمر ستة أشـــهر متوالية حيث جرى في أثنائه تأليف الهيئة العربية العليا من رؤساء الأحزاب وكبار رجالات البلد لمتابعة النضال.

وفي 7 أيار ســـنة 1936 عقد مؤتمر عام للجان القوميـــة وقرر بالإجماع الامتناع عن دفع الضرائب اعتبارًا من 15 أيار إذا لـــم تغير الحكومة البريطانية سياستها تغييرًا أساســـيًا تظهر بوادره بوقف الهجرة الصهيونية. فكان هذا القرار إعلانًا للعصيان المدني وخطوة جديدة نحو الثورة المباشرة.

ولما عرضت مطاليب العرب الفلســـطينيين على المندوب الســـامي التي تتلخص في وجوب منع الهجرة ومنع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود وإنشاء حكومة وطنية قام هذا، بدلًا من أن يستمع إلى هذه المطاليب أو على الأقل يعد بدرســـها، بإعلان قانون الطوارئ وأمر بالقبض على الزعماء وبالتنكيل الشنيع بالجملة وبنســـف الدور والقرى بكاملها. فاشـــتدت الثـــورة وهوجمت مراكز الشـــرطة والجيش واشـــترك جميع الناس بها بكل ما أوتوا من قوة وشـــاركهم العرب من جميـــع الأقطـــار بتوافدهم على فلســـطين للاشـــتراك في صفوف المجاهدين.

ولما اشـــتدت الثورة قررت الحكومة المنتدبة أن تشير على ملك بريطانيا بأن يعيـــن لجنة ملكية تبحث أســـباب القلق وشـــكاوى العـــرب واليهود دون التعرض لنصوص الانتداب تمهيدًا لتهدئة الحالة وتوقف الثورة. إلا أن العرب لم يوقفوا ثورتهم لاعتقادهم بأن نتيجة اللجنة ســـتكون كاللجان التي ســـبقتها. ولقد ورد نـــداء إلى الهيئة العربية العليا من الملك عبد العزيز آل ســـعود في 8 تشـــرين الأول موجه إلى عرب فلســـطين ونداء آخر من كل مـــن ملك العراق غازي وأمير شـــرق الأردن عبد اللـــه طالبين منهم الإخلاد إلى الســـكينة ريثما

يتم التفاوض بينهم وبيـــن الحكومة البريطانية، فلبت الهيئـــة العربية العليا هذه النداءات وقررت إنهاء الإضراب والثورة اعتبارًا من 12 تشرين الأول.

لجنة تحقيق اللورد بيل

أوفدت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق ملكية برئاسة اللورد بيل، فوصلت القدس في 11 تشرين الثاني 1936 وكانت الوصايا الموجهة إلى اللجنة هي:

1 – التثبت من الأسباب الأساسية للاضطرابات التي نشبت في فلسطين.

2 – التحقق من كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بالنسبة لالتزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود.

3 – التثبت بعد تفسير نصوص صك الانتداب تفسيرًا صحيحًا مما إذا كان لدى العرب أو لدى اليهود أية ظلامات مشروعة ناجمة عن الطريقة التي اتبعت فيما مضى، أو المتبعة الآن في تنفيذ صك الانتداب.

4 – القيـــام بوضع التوصيات لإزالـــة تلك الظلامات ومنـــع تكرارها إذا اقتنعت بأن هذه الظلامات تستند إلى أساس صحيح.

وحدث في يوم إبحار اللجنة من إنكلترا أن ألقى وزير المســـتعمرات بيانًا في مجلس العموم أعلن فيه أن الحكومة لن تدخل أي تعديل على سياستها قبل أن تستلم تقرير اللجنة، وأنها لن توقف الهجرة مؤقتًا، بل تحدد جدول الهجرة للعمال بألف وستمئة شهادة للأشهر الستة القادمة.

فكان لهذا البيان أســـوأ الأثر في فلســـطين والأقطار العربية فقررت الهيئة العربية العليـــا مقاطعة لجنة التحقيـــق مقاطعة تامة تيقنًا منهـــا من أن الحكومة البريطانية لن تعالج القضية الفلسطينية معالجة صحيحة وفي جو تسوده النزاهة وحسن النية.

إلا أنها رجعت عن قرارها في 6 كانون الثاني 1937 بعد أن طلب كل من

الملك غازي ملك العراق والملك عبد العزيز آل سعود من عرب فلسطين في أول كانون الثاني أن يعدلوا عن قرار المقاطعة.

لذلك فإن الهيئة العليا حضرت بكامل هيئتها أمام لجنة التحقيق في 12 كانون الثاني 1937.

وبعد ستة أشهر من إنهاء لجنة التحقيق عملها ومغادرتها فلسطين إلى لندن أصدرت تقريرها في 7 تموز 1937.

تقرير لجنة تحقيق اللورد بيل

إن أبرز ما ورد في تقرير اللجنة إعلانها أن الانتداب غير ممكن التنفيذ بشكله الحالي لذلك توصي بإنهائه وتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول- ويمتد على الساحل من حدود لبنان إلى جنوب يافا ويشمل عكا وحيفا وتل أبيب وتقوم فيه دولة يهودية على أن ترتبط مع إنكلترا بمعاهدة صداقة وتحالف.

القسم الثاني- وهي الأماكن المقدسة وتشمل منطقة القدس وبيت لحم والناصرة وتتصل بالبحر بممر ينتهي في يافا ويمر باللد والرملة على أن توضع تحت الانتداب البريطاني بواسطة عصبة الأمم.

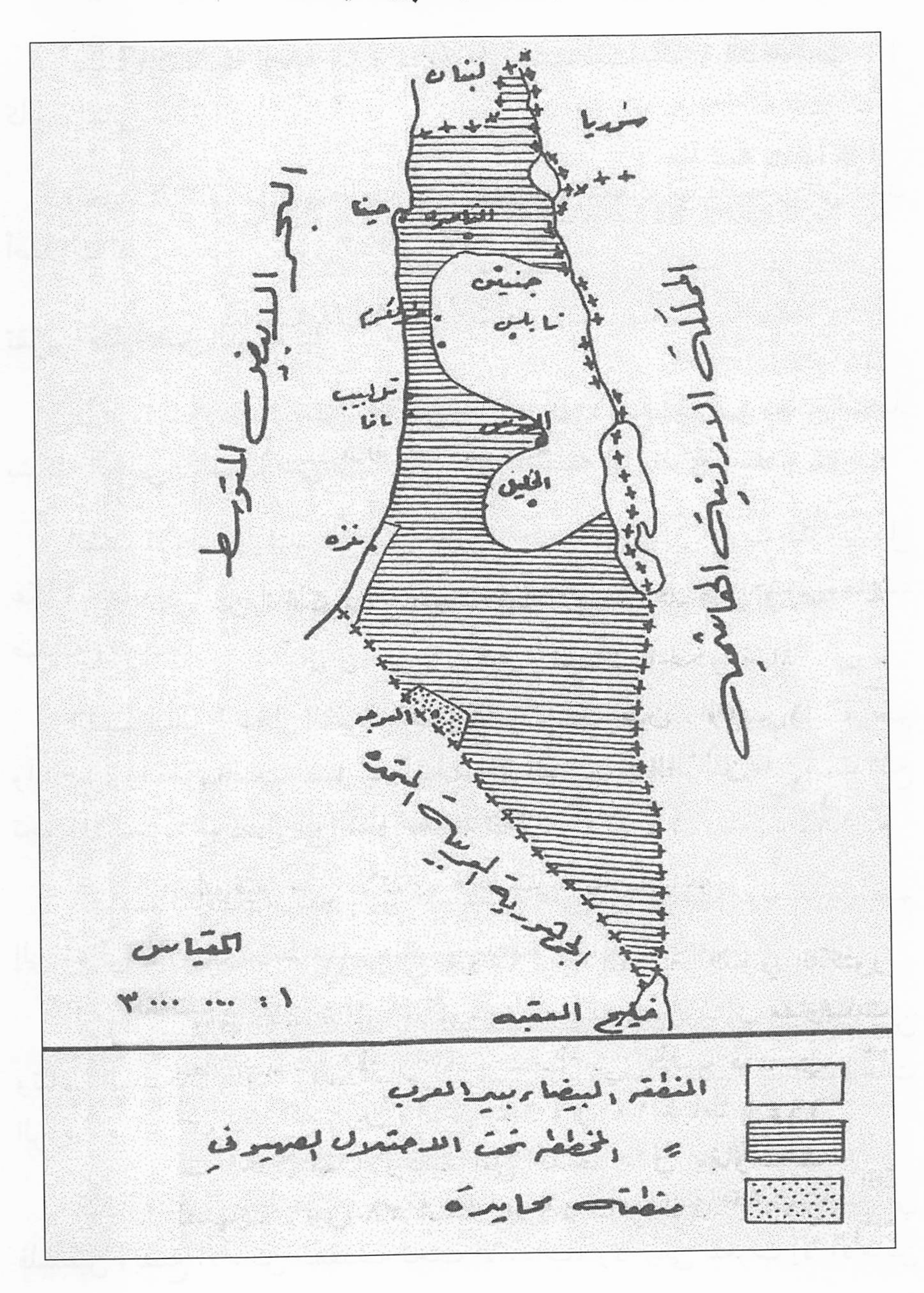
القسم الثالث- ويشمل بقية فلسطين على أن تقام فيها دولة عربية تضم إلى شرقي الأردن وترتبط مع بريطانيا بمعاهدة صداقة وتحالف.

كما أوصى التقرير كذلك بإعطاء ضمانات للأقليات في كلتا الدولتين وتبادل السكان بينهما وإعطاء العرب مساعدات مالية للقيام بمشروعات الري.

كان المشروع المقترح تطبيقه يهدي إلى الصهاينة أخصب أرض في فلسطين ويضع الأماكن المقدسة تحت الانتداب، ولا يبقى للعرب إلا الأماكن الجبلية ومدينة يافا.

الخريطة (4 - 1)

مقترحات اللجنة الملكية البريطانية سنة 1937



وبعد إذاعة التقرير بيوم واحـــد أعلنت اللجنة التنفيذيـــة للوكالة اليهودية اعتراضها عليه حيث قالت إن اقتراحات اللجنـــة الملكية تنحرف انحرافًا كبيرًا عن الالتزامات الدولية التي تعهدت الحكومة المنتدبة بتنفيذها.

كما نشـــرت الهيئة العربية العليـــا بيانًا في اليوم ذاتـــه أعربت فيه عن عدم ارتياحها إلـــى توصيات لجنة التحقيـــق. ولما كانت فلســـطين لا تخص عرب فلسطين فحسب، بل العالمين العربي والإســـلامي، ولما كانت سياسة التقسيم تناقض مطاليب العرب وحقوقهم، فاللجنة ترى في هذا الموقف العصيب الذي تواجهه البلاد أن تبادر حالًا للاتصال بأصحاب الجلالة والســـمو ملوك العرب ورؤسائهم وزعماء الحكومات الإسلامية وهيئاتها.

فكان جواب العراق عدم تأييد التقسيم واحتجاجه رسميًا، أما الحكومات العربية الأخرى فقد اكتفت بالقول بأنها تدرس القضية باهتمام وتبحث عن حل عاجل لها يؤمن سلامة العرب وفوز قضيتهم.

وأما الشـــعوب العربية فقد أبدت سخطها على التقرير وقامت المظاهرات وطيرت برقيات الاحتجاج.

وفي الوقت الذي عقد العرب مؤتمرًا في بلودان في 18 أيلول سنة 1937، حضرته وفود من جميع البلاد العربية رفضت فيه فكرة التقســـيم وطالبت بإلغاء الانتـــداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلســـطين على غـــرار المعاهدة العراقية البريطانية، عرضت إنكلترا فكرة التقسيم على لجنة الانتداب الدائمة في عصبة الأمم، فأقرته وطلبت من إنكلترا عرض البيانات التفصيلية لذلك.

ثورة عام 1938

عندما لاحظ العرب عزم بريطانيا على تنفيذ التقســـيم قاموا بثورة جديدة عارمة في شـــهر تموز عام 1938 قتل فيها نفوس كثيرة. فحلت الحكومة على إثرها الهيئة العليا واللجان القومية الأخرى وعزلت المفتي الحاج أمين الحسيني

من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، ولاحقته حتى اضطر لمغادرة البلاد، ثم نفت بعض أعضاء الهيئة العربية العليا إلى سيشـــل ومنعت الآخرين الذين كانوا خارج فلســـطين من دخولها وامتلأت السجون بالوطنيين وأرسلت بريطانيا قوة كبيرة لقمع الثورة مستعملة أشد أنواع القسوة.

وبالرغم من قســـوة الحكومة المنتدبة وإجراءاتها الشديدة الانتقامية تجاه المواطنين العرب فقد اســـتمرت الثـــورة، وكان العرب الثوار مســـيطرين على الموقف سيطرة تامة.

لجنة وودهيد الفنية

أرســـلت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق فنية برئاســـة المســـتر وودهيد، فوصلت حيفا في 27 نيسان 1938 لدرس مشـــروع التقسيم، فقاطعها العرب ورحب بها الصهاينة، ولكنها أعلنت في تشرين الثاني 1938 تعذر قيام مشروع ناجح للتقسيم، ووصفته بأنه غير عملي.

مؤتمر المائدة المستديرة بلندن

اســـتمرت مؤازرة البلاد العربية لفلســـطين في ثورتها الداميـــة، وتعزيزًا للنشاط الحربي هذا تقرر إسناده بنشاط سياسي. فعقد في القاهرة في 7 تشرين الأول عام 1938 مؤتمر برلماني عربي عام حضره عدد كبير من المندوبين من الهند والصين والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية، وقرر بطلان وعد بلفور، وإلغاء مشروع التقسيم، ووقف الهجرة وبيع الأراضي، وإنشاء حكومة دستورية ومجلس نيابي ينتخب بالتمثيل النســـبي، وعقد معاهـــدة تحالف وصداقة مع بريطانيا.

كما عقد في الوقت ذاته مؤتمر نسائي عربي لتأييد عرب فلسطين.

وقد ازداد الضغط العربي في ميداني الكفاح والسياســـة. ومن جهة أخرى تفاقمت الحالة الدولية، فانقسمت الدول الكبرى إلى معسكرين متنافسين وصار

التوتر الدولي يزداد يومًا فيومًا، وينذر بالخطر الشديد وأصبح شبح الحرب يطل على العالم. فلم يسع الحكومة البريطانية أن تترك الحالة في البلاد العربية على ما هي عليه من غليان بسبب القضية الفلسطينية وتستمر في محاباتها الصهيونيين وإسنادهم على حساب العرب وخسرانها صداقة وعون العرب في الحرب الوشيكة. فدعت لهذه الأسباب وغيرها إلى عقد مؤتمر المائدة المستديرة في قصر سانت جيمس في لندن في 7 شباط 1939 للمداولة في أمر فلسطين، واشتركت في مباحثاته وفود من الدول العربية، ووفد عرب فلسطين، ووفد الوكالة اليهودية، حيث قام الإنكليز بدور الوسيط بين العرب والصهاينة بناءً على رفض العرب الاعتراف للصهاينة بحق المفاوض.

قدم الوفد الفلسطيني مطاليبه التي تتلخص في ثلاث نقاط هي:

1 - الاعترا ف باستقلال فلسطين وإيجاد حكومة مستقلة فيها وإنهاء الانتداب البريطاني بأقرب وقت.

2 - منع الهجرة الصهيونية إلى فلسطين حتى لا تحصل أكثرية صهيونية وتقوم دولة صهيونية.

3 - منع بيع الأراضي للصهيونيين.

أما الوفد الصهيوني فقد أبدى عدم موافقته على أي حل يمس حقوقهم المنطوي عليها وعد بلفور ونتائجه، كما لا يرى مكانًا للبحث في استقلال فلسطين، أو إيجاد دولة فيها ما لم يكونوا بعدد متساوٍ مع العرب، أو بأكثرية تفوقهم. كما أعلنوا انسحابهم من المفاوضات.

أما الإنكليز فقد وافقوا على تشكيل دولة فلسطينية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن مصالحها التجارية والعسكرية. ولم يعينوا مدة لإكمال التنظيمات المقتضية للدولة الفلسطينية، بل حاولوا وضع تحديدها تحت رحمة السياسة البريطانية أو موافقة اليهود. وأخيرًا وافقوا على أن تكون مدة

عشر سنوات اعتبارًا من تأسيس الحكومة الفلسطينية المؤقتة. ولم يصرحوا بأنها المدة العظمى لانتقال السلطات الكاملة من يد الحكومة المنتدبة إلى الحكومة الفلسطينية. وذلك لأن حسن النية لم يكن متوفرًا على أي حال.

كان الوفد البريطاني يحاول عبثًا التوفيق بين مطالب العرب ومطالب الصهيونيين والمصلحة البريطانية. وقد بذلت الوفود العربية جهدها لإقناع ممثلي بريطانيا بعدم إمكان الوصول إلى حل يرضي جميع تلك الجهات، وخصوصًا العرب والصهاينة لتناقض الأسس التي يسير كل منهما بمقتضاها تحقيقًا لأهدافه.

ولقد استمرت المفاوضات بين الوفد البريطاني، وبين الوفود العربية ولكن من دون جدوى ولم يتوصلوا إلى نتيجة مرضية.

الكتاب الأبيض البريطاني عام 1939

بالنظر لظهور بوادر الحرب العالمية الثانية، وفشل جميع المحاولات التي نوهنا عنها آنفًا، أرادت بريطانيا أن تجرب حل القضية الفلسطينية بإنشاء دولة فلسطينية لإحلال الاستقرار في ربوع فلسطين، إذ كانت الحرب على الأبواب. لذلك أصدرت كتابًا أبيض ادعت فيه بأنها مصممة على تنفيذه بغض النظر عن رأي العرب واليهود، وقد أدرجت آراء ومقترحات الحكومة البريطانية فيما يخص الدستور الذي تعترف فيه بريطانيا باستقلال فلسطين بعد فترة انتقال، وتحديد الهجرة، وتقسيم الأراضي إلى ثلاث مناطق من حيث السماح بشرائها من قبل الصهاينة، الأولى ممنوعة، والثانية مباحة، والثالثة بتصريح من الحكومة.

لم تلتفت الحكومة البريطانية إلى رفض العرب والصهاينة الكتاب الأبيض، بل قدمته إلى مجلس العموم في شهر أيار عام 1939 الذي وافق عليه بأكثرية ساحقة بعد جدال صاخب. ثم عرض الكتاب على لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف التي بعد أن سمعت وجهة النظر البريطانية رفعت تقريرها

إلى مجلس العصبة، [و] أوصت فيه بأكثرية أربعة أصوات (وهي بلجيكا وسويسرا وهولندا والنرويج) بأن الكتاب الأبيض منافٍ لصك الانتداب. ورجت اللجنة من الدولة المنتدبة أن تعيد النظر في الحلول التي تضمنها الكتاب الأبيض وتدرس من جديد إمكانية تنفيذها. فجاء تقريرها دليلًا جديدًا على قوة نفوذ الصهيونيين في المحافل السياسية العليا، لذلك لم يحظَ الكتاب الأبيض بقرارٍ دولي، غير أن بريطانيا لم تتراجع عنه، بل ظلت تعتبره أساسًا لسياستها في البلاد.

الفصل الخامس

القضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية

خطة بريطانيا وموقف العرب والصهاينة

حرصت بريطانيا خلال فترة الحرب العالمية الثانية على إرضاء العرب لنيل ودهم، وذلك بعد أن تم لألمانيا اجتياح بولونيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا، وأخذت تبث عيونها في الشرق العربي. والواقع أن الحكومة البريطانية حاولت التمسك ولو ظاهرًا بنصوص الكتاب الأبيض لسنة 1939 لأنها كانت تعتقد بأن مصلحة الإمبراطورية تقتضي الإبقاء على صداقة العرب خلال الحرب على الأقل. وقد صرح رئيسها مستر تشرشل في مجلس العموم بأنه لم يطرأ أي تغيير على السياسة البريطانية تجاه فلسطين. أما في فلسطين فإن بريطانيا قامت بنفي أعضاء الهيئة العربية العليا، الممثلة فيها جميع الأحزاب الفلسطينية، إلى خارج البلاد - واقتصر نشاط عرب فلسطين في هذه الفترة على المقاومة السلمية بنشر المقالات وإلقاء الخطب في المؤتمرات فقط، لئلا يعرقلوا مجهود الحلفاء الحربي.

أما الصهاينة فكانت فترة الحرب فرصةً ثمينةً لهم لبناء قوتهم العسكرية، والاستمرار في جهودهم لبلوغ هدفهم بالحصول على وطن قومي في فلسطين. لقد استغلت الوكالة اليهودية هذه الفترة فشجعت الشباب على الانخراط في الخدمة العسكرية في جيوش الحلفاء المختلفة لاكتساب الخبرة العسكرية، وليكونوا نواة المنظمات العسكرية الصهيونية في فلسطين. وقد جند الإنكليز آلاف المتطوعين الصهيونيين ودربوهم على القتال مع قطعاتهم، كما ألفوا قطعات مستقلة منهم. وهكذا تمكنت الوكالة اليهودية من تدريب الشباب الصهيوني للقتال علاوة على من كان مستخدمًا منهم فعلًا في الجيوش الأوروبية والأمريكية، وحصلت بواسطتهم على أسلحة وأعتدة وصلتها بطرق التهريب والسرقة وغيرها.

أما فيما يخص الهجرة فإن غير المشروعة منها ازدادت زيادة كبيرة.

امتداد النشاط الصهيوني إلى أمريكا

في شـــهر تموز عام 1941 راجع الدكتـــور وايزمن الحكومـــة البريطانية وعرض عليها مساعدة الرأسماليين اليهود الدائمة إذا أطلقت يدهم في فلسطين وجنوبي لبنان وشـــرقي الأردن، إلا أن وضع بريطانيـــا الخاص والموقف العام آنذاك لم يســـاعد على قبول العرض وتلبية الطلب. بل نصح مســـتر تشرشـــل وبعض الساسة المســـؤولين اليهود بالالتجاء إلى أمريكا لمتابعة قضيتهم، وكان الغرض من ذلك إثارة شعور الأمريكيين وتهيئتهم لقبول الحرب ضد الألمان. وهكذا انتقل النشاط الصهيوني إلى أمريكا.

نفوذ الصهيونيين في الولايات المتحدة الأمريكية

إن للصهيونيين نفوذًا كبيرًا في الجهاز الحكومي الأمريكي ولهم السيطرة الكبرى على البيوتات المالية والصحافة ووســـائل الدعاية وغيرها كما أن لهم تأثيرًا في الانتخابات التـــي ترجح كفة أحد الحزبين الكبيرين في أمريكا، فضلًا عن الدعاية الواســـعة النطاق التي يقـــوم بها الصهيونيون لنيل عطف الشـــعب الأمريكي وكســـبه إلى جانبهم مســـتغلين جهلـــه بحقيقة القضية الفلســـطينية ومستفزين شـــعوره ضد العدوان النازي الذي سبب تشـــريد اليهود من ألمانيا. ونتيجةً للدعايـــة الصهيونية وجهودهـــا، قدم في 2 تشـــرين الثاني عام 1942 (بمناســـبة الذكرى الخامسة والعشـــرين لتصريح بلفور) 62 عضوًا من أعضاء مجلس النواب، بينهـــم 16 عضوًا من أعضاء لجنة الشـــؤون الخارجية مذكرة جاء فيها:

(يجب اعتبار وعد بلفور عمـــلًا تاريخيًا للتعويض على اليهود ودســـتور تحرير للشـــعب اليهودي والغاية منه فتح أبواب فلسطين للجموع اليهودية التي لا مأوى لها والتمهيد لإقامة (كومنولث) يهودية في فلســـطين. إن الأســـباب التي دعت الشـــعب الأمريكي والحكومة الأمريكية إلى تشجيع الوطن القومي

اليهودي في فلسطين منذ 25 سنة لا تزال قائمة، والواقع أن الحاجة إلى تأسيس الوطن القومي في فلسـطين هي اليوم أقوى منها منـذ 25 عامًا. إن ملايين من اليهود المطاردين الذين لا مأوى لهم في أوروبا على استعداد للعمل المتواصل من أجل إعادة حياتهم من جديد في وطن أسلافهم حين تحين ساعة الخلاص. وعلى هذا فإننا نتخذ من ذكرى وعد بلفور الخامسـة والعشرين سببًا للإعراب عن اسـتمرار اهتمامنا وتعضيدنا هذا الوعد وللغاية والمبـادئ التي أُعطي من أجلها. وتجاه سياسـة النازي الراميـة إلى إفناء اليهود كشـعب فنحن نعلم أنه حين تنتهي الحرب فسـوف يكون هدف العالم المتمدن أن يصحح هذا الخطأ القاسـي، وأن يمهد للجماهير اليهودية التي سـتظل على قيد الحياة في أوروبا سبل إعادة بناء حياتهم في فلسطين حيث يتمكن الشعب اليهودي أن يقيم لنفسه من جديد مكانة تتساوى في الكرامة مع مكانة أي شعب آخر في العالم).

ولقد تمكـن الصهيونيون بأسـاليبهم الخاصـة من تضليل الـرأي العام الأمريكي واكتسـاب عطفه لمسـاعدتهم على النزوح إلى فلسطين. ويظهر أن الأمريكيين لم يدركوا مغبة عطفهم هذا الذي يسـيء من جهة أخرى إلى عرب فلسـطين ويحمل معنى العدوان والاضطهاد إلى شعب آمن ليس له يد أو ذنب في مشكلة يهود ألمانيا وغيرهم.

وفي شهر آذار عام 1944 عرض اقتراح على لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي يطلب إقامة دولة يهودية في فلسطين، إلا أن اللجنة لم تأخذ به نظرًا لاحتجاجات الـدول العربية، ولطلب وزير الحربية ورئيس أركان الحرب أن يوقف البحث في هذا الاقتراح فأوقف. ثم ما لبث وزير الحربية بعد أن رجحت كفة الحلفاء في ميادين القتال أن كتب إلى الشيخ [السيناتور] واغنر يقول (أشعر بأن الاعتبارات العسكرية التي حملتني فيما مضى على المعارضة في إقرار مجلس الكونغرس للاقتراح الخاص بالحملة على الكتاب الأبيض لم تعـد الآن عاملًا قويًا كما كانت في ذلك الوقـت). إلا أن الدول العربية عادت واحتجت بقوة وهددت بإلغاء بعض الامتيازات المعطاة لشركات أمريكية. فلم يتخذ مجلس الكونغرس قرارًا بهذا الشأن.

رسالة الأمير عبد الإله إلى المستر روزفلت

إن الحكومة الأميركية وإن لم تجاهر حتى الآن برأي قاطع في قضية فلسطين ولم تعلن سياسة عدوانية تجاه حقوق عرب فلسطين والبلاد العربية، إلا أن تأثير الصهاينة على الحكومة والمجلس وطغيان شعور الشعب الأمريكي الموالي للصهيونيين بسبب الدعايات المضللة، أخذ يقلق العرب ورؤساءهم على مصير فلسطين فأرسل الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله رسالته المؤرخة في 10 آذار 1945 إلى رئيس الولايات المتحدة المستر روزفلت (نص الرسالة في الملحق رقم1).

رسالة المستر روزفلت إلى الأمير عبد الإله

ونظرًا إلى قرار الأمير عبد الإله السفر إلى أمريكا لمقابلة المستر روزفلت وتحديد موعد قريب للزيارة أرسل المستر روزفلت جوابًا مقتضبًا تاركًا التفصيلات إلى وقت الملاقاة.

(نص رسالة المستر روزفلت في الملحق رقم 2).

إلا أن المنية عاجلت روزفلت قبل سفر الأمير عبد الإله من بغداد بيوم واحد، ولم تتم الزيارة والمقابلة التي كانت مقررة.

الإرهاب الصهيوني والسماح بالهجرة

لاحظ الصهيونيون بأن قضيتهم لم تتقدم التقدم الذي كانوا يتوقعونه، وأن الكتاب الأبيض لعام 1939، الذي يعتبر الضربة القاضية على فكرة الوطن القومي الصهيوني حيث يقر استقلال البلاد في ظل أكثرية عربية ويوقف الهجرة ويمنع بيع الأراضي في بعض نواحي فلسطين، ما زال قائمًا ومعمولًا به. فعليه قرر الصهاينة اللجوء إلى الإرهاب. وتمهيدًا لذلك وجهوا بعض صناعاتهم لإنتاج الأسلحة الخفيفة وأعتدتها وقنابل الهاون.

وبعد أن تيسر لهم العدد الكافي من الشباب المدربين، مع الجيوش

البريطانية وغيرها، شــكلوا الجمعيات الإرهابية [مثل] شــتيرن وأرغون زفاي ليومي(*)، وذلك عــلاوة على ما كان عندهم من قــوات الهاغاناه، وزعموا بأن الإرهاب موجه ضد الإنكليز وحدهم، فاغتالوا اللورد موين في القاهرة، وحاولوا اغتيال المفوض الســامي في القدس، كمــا أغاروا على الثكنــات والمطارات ومستودعات السلاح لنهبها. وخطفوا ضباطًا ومراتب إنكليزيــة قاموا بتعذيبهم وقتل بعضهم وتعليقهم على جذوع الأشجار.

والغريب أن الإنكليز وقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذه التعديات بينما سبق لهم أن أعدموا وسجنوا العشرات، بل المئات من العرب بتهمة حمل السلاح أو الاشتباه بقيامهم بأعمال تخريبية، وحرقوا ودمروا عدة بيوت وقرى عربية لأتفه الأسباب. فتشجع الصهاينة على الاســتمرار في طغيانهم، ومن ورائهم أمريكا، لإرغام الحكومة البريطانية على التســليم بمطاليبهم. فأعلن المســتر بيفن في 14 تشرين الثاني ســنة 1945، بصفته وزيرًا للخارجية البريطانية قائلاً: «سوف لن تتوقف الهجرة اليهودية الحالية عن المعدل الشــهري الحالي، وهو 1500 مهاجر في الشــهر، وهذا معناه إلغاء الكتاب الأبيض، وهــذا ما كان يصبو إليه الصهيونيون ويهللون له».

ردت الجامعة العربية علــى خطاب بيفن، كما ردت الهيئــة العربية العليا عليه بتفنيدها جميع ما ورد فيه، وأعلنت أن أهل فلسطين يصرون على أن يكون لهم القول الفصل في أي موضوع يتعلق بفلسطين وسياستها.

تضييع العرب فرصة الحرب العالمية الثانية

لقد أســفرت الســلطات الإنكليزية والأمريكية عن حقيقتها بغمط حقوق العرب ومحابــاة الصهيونية، بعد أن انتهت الحــرب وخرجوا منها منتصرين لا يخشــون عداء العرب وتصلبهم بمطاليبهم. وهكذا ضيع العرب فرصة الحرب

(*) الصحيح «إرغون تسفاني لئومي» (المنظمة العســكرية القومية) تأسست في عام 1931 بعد انشقاقها عن عصابة الهاغاناه، الجناح العسكري للوكالة اليهودية (المحرر).

العالمية الثانية التي كان عليهم أن يستفيدوا منها وينهوا قضية فلسطين لصالحهم بأية وسيلة كانت قبل انتهاء الحرب.

ترومان والقضية الفلسطينية

بعد وفاة روزفلت وانتقال مقاليد الأمور إلى نائبه ترومان في عام 1945، فوجئ العرب بتطورٍ خطيرٍ في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاههم، إذ طلب الرئيس ترومان إلى بريطانيا في آب سنة 1945 إدخال مئة ألف صهيوني إلى فلسطين في تلك السنة، وكرر طلبه هذا وألح على تنفيذه.

بالرغم من أن بريطانيا التي دام انتدابها على فلسطين ربع قرن من الزمن ليست بحاجة إلى من ينورها عن أحوال فلسطين، فإنها اتفقت مع الحكومة الأمريكية على تأليف لجنة سميت (لجنة التحقيق الإنكليزية - الأمريكية في مشاكل يهود أوروبا وقضية فلسطين) وأودعت إليها دراسة الموضوع للاستنارة بالنتائج التي تتوصل إليها تلك اللجنة في اتخاذ سياسة قطعية في حل القضية الفلسطينية.

لجنة التحقيق الأنكلو أمريكية

تشكلت اللجنة من البريطانيين والأمريكيين. إلا أن الحكومات العربية أوجست خفية من تأليف هذه اللجنة وشعرت مقدمًا بأنها لن تلتزم جانب الحق بالنظر إلى النفوذ المسيطر عليها والتوجيهات الموحاة لها. وعليه اعترضت على تأليف اللجنة وعلى تدخل الحكومة الأمريكية في قضية فلسطين.

رغبت الحكومات العربية في مقاطعة اللجنة، ولكنها استجابة للأمر الواقع وأملًا بتنوير اللجنة والرأي العام العالمي الذي سيطلع على تقرير اللجنة أدلت إلى اللجنة بشهاداتها وآرائها.

وبعد أن قامت اللجنة بمهمتها واتصلت بعدد من رجال وزعماء العرب والصهيونيين أصدرت، في لوزان في شهر نيسان عام 1946، تقريرها الذي

كشف عن حقيقتها وأثبت تحيزها السافر إلى الصهاينة. وقد احتوى التقرير:

أ – التوصية بالسماح فورًا بمنح مئة ألف شهادة لدخول مائة ألف صهيوني إلى فلسطين، وأن تمنح هذه الشهادات في عام 1946.

ب – وتوصية باستمرار الوضع في فلسطين على النمط الحالي تحت الانتداب البريطاني حتى تنطفئ جذوة العداء بين العرب والصهيونيين، وإلى أن يتم تنفيذ اتفاقية وصاية في ظل هيئة الأمم المتحدة.

ج – كما احتوى اقتراحًا بإلغاء التقييد الموضوع على انتقال ملكية الأراضي من الفلسطينيين إلى الصهيونيين الصادر سنة 1940 وأمورًا أخرى كلها لصالح الصهيونيين.

رسالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى مستر ترومان

طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية في جدة من وزارة الخارجية السعودية نشر بيان في جريدة أم القرى أدلى به البيت الأبيض بتاريخ 16 آب 1946 جاء فيه أن حكومة الولايات المتحدة لن تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين. وفي 4 تشرين الأول 1946 أذيع تصريح لمستر ترومان يؤيد فيه الصهاينة في فلسطين وهجرتهم إليها. ولما رأى الملك عبد العزيز آل سعود اندفاع ترومان في تأييد الصهاينة وإسنادهم ضد العرب وتكاتفه مع بريطانيا على السير بالقضية الفلسطينية في غير صالح أهل فلسطين العرب، أصحابها الشرعيين، أرسل رسالة إلى ترومان في 15 تشرين الأول سنة 1946 نصها في الملحق رقم 3.

الفصل السادس

اجتماعات الرؤساء العرب

اجتماع أنشاص

استنكر العرب تقرير لجنة التحقيق، واهتمت به حكوماتهم، فاجتمع ملوك ورؤساء العرب في أنشاص بمصر في شهر مايس 1946 وكان من جملة مقرراتهم الإجماعية:

إن فلسطين قطر عربي مصيره مرتبط بمصير دول الجامعة العربية وقضيته جزءٌ لا يتجزأ من قضايا العرب القومية الأساسية.

وإن الصهيونية خطرٌ داهمٌ ليس لفلسطين وحدها، بل للبلاد العربية والشعوب الإسلامية. إن أقل المطاليب في سبيل حماية عروبة فلسطين هي:

1 - إيقاف الهجرة الصهيونية تمامًا.

2 - منع تسرب الأراضي العربية إلى الأيادي الصهيونية بصورةٍ باتة.

3 - العمل على تحقيق استقلال فلسطين وتشكيل حكومة تضمن فيها حقوق جميع سكانها الشرعيين بدون تفريق بين عنصرٍ أو مذهبٍ.

وإن أي سياسة تأخذ بها أية حكومة أجنبية تناقض هذه المطاليب سياسة عدوانية موجهة ضد فلسطين وضد دول الجامعة العربية كافة.

وإذا استمر الغزو الصهيوني لفلسطين واضطر عرب فلسطين للدفاع عن أنفسهم، تدعم البلاد العربية عرب فلسطين وتساعدهم بكل الوسائل الممكنة.

اجتماع مجلس الجامعة العربية في بلودان

اجتمع مجلس الجامعة العربية في بلودان بسورية في شهر حزيران 1946، وانتهت اجتماعات المجلس باتخاذ قرارات علنية وســرية، احتوت المقررات العلنية منها على ما يلي:

1 - إعداد مذكرة تدعو فيها كل دولة من دول الجامعة العربية بريطانيا إلى الدخول في مفاوضات حول إنهاء الوضع الراهن في فلسطين.

2 - تأليف هيئة تمثل دول الجامعــة العربية مركزها القاهرة تكون مهمتها معالجة قضية فلسطين.

3 - إحكام مقاطعة البضائع الصهيونية.

4 - قيام دول الجامعة العربية بإرصاد مبلغ لغرض الدعاية وإنقاذ الأراضي وتنشــيط عرب فلسطين وتشكيل جمعيات شــعبية للدفاع عن فلسطين في كل قطر من الأقطار العربية.

5 - وضع طوابع بريديــة ومالية في كل دولة عربيــة يرصد ريعها لعرب فلسطين.

وأما المقررات السرية، فأهمها إلغاء امتيازات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مع البلاد العربية، ويقصد بذلك امتيازات النفط.

لقد أعلنت المقــررات العلنية في حينــه، وأما المقررات الســرية فبقيت مكتومة لم تبلغ ولم تنفذ مع الأسف مع أنها رافقت أكثر مباحثات الاجتماعات التي تلت ذلك الاجتماع. ولقد أصبح واضحًا بــأن الدول العربية على تفاوت عظيم في قبول مبدأ التضحية لإنقاذ فلسطين، وأنها تختلف في تفاصيل الوسائل الناجعة لإنقاذ فلســطين، كما أنها تختلف في حقيقة موقفها من القضية ودرجة استعدادها لتحمل الخســارة وتقبل التضحية. وكان محور الخلاف بين الدول العربية العلاقات السياســية والاقتصادية بينها وبين بريطانيا وأمريكا، وهما سند الصهيونية الأكبر.

مؤتمر لندن

بناءً على قرار مجلس الجامعة العربية في بلودان، دعت الحكومات العربية الحكومة البريطانية إلى مباحثات مباشرة لإنهاء مشكلة فلسطين، فقبلت الحكومة البريطانية ذلك، ووجهت الدعوة إلى الحكومات العربية لإرسال ممثليها إلى لندن للاشتراك في المباحثات.

وفي الوقت نفسه كانت تدور محادثات بريطانية أمريكية حول تقرير لجنة التحقيق الإنكليزية الأميركية أُعلن عنها ببيانٍ ألقاه وكيل رئيس الوزارة البريطانية في مجلس العموم البريطاني في 31/ 7/ 1946 وكشف فيه الاقتراحات المتفق عليها. وأهمها أن فلسطين بكليتها يجب ألا تكون دولةً عربيةً ولا دولةً يهوديةً، وأنه من المستحيل التوفيق بين الأماني السياسية للعرب واليهود، ولذلك فلا يمكن تأسيس دولة موحدة بينهم، وأن الحل الوحيد هو وضع نظام يكفل حكمًا ذاتيًا لكل من العرب واليهود تحت إدارة حكومة مركزية. وعليه يجب تقسيم فلسطين إلى منطقة عربية ومنطقة صهيونية ومنطقة تشمل القدس وما جاورها ومنطقة حرة. وبالرغم من ذلك فقد أجابت الحكومات العربية دعوة الحكومة البريطانية، وبينت احتفاظها برأيها حول المنطقة الحرة على أساس المطالب العربية التي أعربت عنها في مناسباتٍ عديدةٍ.

انعقد مؤتمر فلسطين في لندن في شهر أيلول 1946، فتمسكت الحكومة البريطانية بمشروعها الذي لا يختلف عن تقرير لجنة التحقيق الإنكليزية-الأمريكية، ولكن الوفود العربية رفضته وقدمت اقتراحًا بمشروع عربي على أساس استقلال فلسطين وإنهاء الانتداب وتشكيل دولة عربية ترتبط بمعاهدة صداقة مع بريطانيا. فاقترح الوفد البريطاني تأجيل المؤتمر ليتسنى لبريطانيا دراسة الاقتراح العربي ومشاورة الصهيونيين، لتتمكن من إبداء الرأي في ذلك. فتأجل المؤتمر إلى كانون الأول 1946، ثم عاد إلى الانعقاد في لندن في 27 كانون الثاني عام 1947، وعقدت اجتماعات عديدة بين الوفود العربية والوفد البريطاني استعرضت فيها مشاريع كثيرة لم تجد فيها الوفود العربية ما يطمئن مصلحة عرب فلسطين، وكان يبدو على الجانب البريطاني ميلٌ واضحٌ إلى

مراعاة الصهيونيين. وفي 7 شـباط 1947 قدم البريطانيون مشـروعًا جديدًا لا يختلف عن المشاريع السـابقة، وبالطبع لم يرضَ به العرب، وظلوا متمسكين بحقوقهم.

وفي 14 شـباط 1947 اجتمعت الوفود العربية مع الوفد البريطاني الذي أعرب عن أسـفه لعدم التوصل إلى حل يرضي الطرفين، العرب والصهيونيين، وأعلن أن الحكومة البريطانية قررت فـي صباح ذلك اليوم عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة في اجتماعها القادم مع بسـط تاريخ القضية الفلسطينية من أولها إلى اليوم، بدون اقتراح أي حل.

وهكذا انفـرط عقد المؤتمر بـدون الوصول إلى نتيجةٍ حاسـمةٍ، ويظهر أن الحكومة البريطانية كانت ترمي من وراء المؤتمرات كسـب الوقت وإيداع القضية إلى هيئـة الأمم المتحدة، وهي خير مجالٍ للنشـاط والنفوذ الصهيوني يدعمه الإسناد البريطاني والأمريكي.

اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في صوفر بلبنان

بناءً علـى اتصالات رئيس الوزارة العراقية السـيد صالـح جبر مع بعض رؤسـاء الحكومات العربية وممثلي بعضها الآخر السياسـيين في بغداد، تقرر أن يعقد اجتماع في صوفر بلبنان في 16 أيلول 1947، وتم الاجتماع فعلًا في المحل والتاريخ المتفق عليه. وقد عرض رئيس الوزارة العراقية اقتراحين:

الأول – تنفيذ مقررات بلودان السرية فورًا عندما تقرر هيئة الأمم المتحدة قرارًا في غيـر صالح العرب، وأن يبلـغ ذلك منذ الآن إلـى كل من حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لتكونا على بينةٍ من الأمر.

الثاني – أن يتخذ قرار يحتم على دول الجامعة العربية أن تساهم مساهمةً فعالةً في تهيئة المال الذي يسـاعد عرب فلسطين وغيرهم من العرب في تهيئة وسائل الكفاح ومعداته وما يقتضي من بذلٍ وتحضيرٍ، توطئةً للقيام بعملٍ حازمٍ

وسريع يجب أن لا يتقاعس عنه العرب في حالة عدم إنصافهم في قضيتهم في هيئة الأمم المتحدة.

اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في عاليه بلبنان

لقد وافقت وفود الدول العربية في بادئ الأمر على كلا الاقتراحين، ثم تراجع بعضها في الجلسات التي تلت الجلسة الأولى، واستمر النقاش بين الأخذ والرد والمماطلة والتسويف إلى أن أعلن رئيس الجلسة السيد رياض الصلح، رئيس وزراء لبنان، في الجلسة الختامية في 19 أيلول 1947 قائلاً: (إن اتصالاته بالوفود العربية انتهت به إلى أن يفسح لها المجال لمراجعة حكوماتها في أمر تبليغ هذه المقررات إلى كل من الحكومتين البريطانية والأمريكية، ولذلك فقد تم الاتفاق على أن يُعرض على مجلس الجامعة في اجتماعه المقبل للنظر في تبليغ هذه المقررات).

اجتمع مجلس جامعة الدول العربية مساء يوم 7 تشرين الأول 1947 في عاليه بلبنان، وبعد المداولة قرر تأليف لجنة فرعية من رؤساء الوفود لبحث جميع المقررات السابقة وما يتصل بموضوع القضية الفلسطينية من جميع نواحيها. وقد اجتمعت اللجنة الفرعية وقامت بالمهمة الموكلة إليها وقدمت تقريرها الذي وافق عليه مجلس الجامعة بالإجماع، وأقر ما يلي:

1 - يرى المجلس أن مقررات بلودان السرية التي كانت واجبة التنفيذ في حالة قبول تقرير لجنة التحقيق الإنكليزية الأمريكية والشروع في تنفيذ ذلك التقرير، لا تزال قائمةً وواجبة التنفيذ في حالة تطبيق أي حل من شأنه أن يمس بحقوق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة.

2 - وبالنسبة لقرار الحكومة البريطانية المعلن أخيرًا، بعزمها على التخلي عن انتدابها على فلسطين وانسحابها منها بقواتها العسكرية وجهازها الإداري، ونظرًا لوجود القوات الصهيونية ومنظماتها الإرهابية التي تهدد سلامة العرب في فلسطين، يرى المجلس أن الحالة تستلزم من جانب دول الجامعة العربية

اتخاذ احتياطاتٍ عســكرية على حدود فلســطين. ولهذه الغاية يقترح المجلس أن يوصي حكومات الدول العربية بأن تبادر لاتخاذ هذه الاحتياطات العسكرية على أن تيسر الدول المتاخمة لفلســطين للدول غير المتاخمة سبيل الاشتراك والتعاون في هذا الواجب بالاتفاق بينها..

3 - يوصـــي المجلس، تنفيذًا للمقررات الســابقة بــأداء المعاونة الفعلية لعرب فلسطين، حكومات دول الجامعة بالمبادرة إلى أداء المساعدات المادية والمعنوية لعرب فلســطين لتقويتهم وتعضيدهم في الدفاع عن أنفســهم وعن كيانهم، وأن ترصــد دول الجامعة فورًا الأموال اللازمــة لذلك، على أن تتولى هذه الأموال لجنة خاصة.

الفصل السابع

بحث قضية فلسطين في الأمم المتحدة

محاولة الحكومة البريطانية التملص من المشكلة الفلسطينية

طلبت الحكومة البريطانية إلى الأمم المتحدة تأليف لجنة تحقيق تدرس المشكلة الفلسطينية وتجمع كافة عناصرها وتقترح الحل الذي تراه ملائمًا لها. وقد استجابت الجمعية العامة للأمم المتحدة لذلك، وعقدت دورةً خاصةً في أوائل سنة 1947 ألفت فيها لجنة التحقيق من أحد عشر عضوًا وحددت المهمة الموكلة إليها حسب طلب الحكومة البريطانية.

بيانات ممثلي الدول العربية

تكلم ممثلو الدول العربية بالتتابع أمام اللجنة، وأجمعوا على أن الحل الوحيد لقضية فلسطين المتفق والعهود المقطوعة للعرب والمتمشي مع مبادئ ميثاق عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة هو إنهاء الانتداب وإنجاز استقلال فلسطين في ظل دولةٍ واحدةٍ تقوم على أساسٍ ديمقراطي وتعترف بجميع حقوق المواطن للحاصلين على جنسيتها وتمنح الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات وفق الأنظمة المعمول بها في البلاد الديمقراطية عمومًا.

ثم تكلم ممثل باكستان محمد ظفر الله خان، وهو خطيب ممتاز، فدافع عن عروبة فلسطين دفاعًا مجيدًا قائمًا على أساس الحقائق التاريخية والمبادئ الديمقراطية واستعراض تاريخ فلسطين السياسي منذ الحرب العالمية الأولى وخداع السياسة البريطانية، وحلل مكاتبات الشريف حسين ومكماهون ووعد بلفور، وأشار إلى إيفاد الكوماندور هوغارت إلى الملك حسين من قبل الإنكليز توكيدًا للوعود المقطوعة للعرب وإزالة كل مخاوف قد تساورهم حول

عزم الإنكليز على إنجاز هذه الوعود. وتكلم عن اتفاق سايكس-بيكو، وكيف بقي طي الكتمان بين إنكلترا وفرنسا إلى أن وقع الانقلاب الروسي، فانكشف في محفوظات الحكومة القيصرية، فاحتج الملك حسين على الإنكليز، فأعادوا توكيد وعودهم المقطوعة. ثم ذكر التصريح إلى السوريين السبعة الذي أيدت فيه بريطانيا تحديد البلاد الموعود باستقلالها، ومنها فلسطين، على أن تكون حكومتها وليدة الإرادة الحرة لسكان البلاد، وقد أذاع الجنرال اللنبي منشورًا بذلك على سكان فلسطين عندما فتحها [كذا]. وذكر المتحدث أن فلسطين كانت على مدى الدهر جزءًا من سوريا من الناحية الجغرافية، ومن الناحية الإدارية، ولم يكن لها كيان مستقل. ثم ذكر إيفاد الرئيس الأمريكي ويلسون اللجنة الأمريكية المعروفة باسم لجنة كينك-كراين التي استنكرت إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وقال إن منشأ المشكلة الفلسطينية هو أن اليهود والإنكليز فسروا وعد بلفور ونفذوه بطريقةٍ منافيةٍ للوعود المقطوعة للعرب. ثم شرح الكتاب الأبيض الصادر في عام 1939 وقال إن العرب لا يطلبون الآن أكثر مما جاء في ذلك الكتاب.

وقال المتحدث «إن البلاد تجتاحها الآن موجة من الإرهاب الصهيوني لم يُعرف لها مثيلٌ في التاريخ، وسيل المهاجرين غير الشرعيين لا يزال مستمراً».

وقال: «كان الواجب أن يبر الحلفاء بوعدهم للعرب بعد أن هزموا الألمان في الشرق الأوسط بمساعدة العرب. يقول الإنكليز إن أهم جزء في وعدهم قد أنجز، إذ قامت بفضلها دول عربية مستقلة. وإن تنفيذ الوعد في ما يتعلق بفلسطين راجع إلى اعتبارات خاصة باليهود. فإذا فرضنا أن تركيا لم تكن قد دخلت الحرب ضد بريطانيا في عام 1915 فماذا كان يحدث؟»

وقال: «إن وعد بلفور منافٍ للعهود المقطوعة للعرب. وبريطانيا لم تكن تملك فلسطين عند صدوره.»

وأضاف: «إن من واجبنا البحث عن حل لقضية فلسطين، وتحديد المبادئ

التي نسترشد بها، والعوامل التي تأخذ أنفسنا بها؛ هناك ميثاق الأطلنطي الذي قرر مبدأ عدم إحداث تغيرات إقليمية، وأعلن حق تقرير المصير. وقد أدمجت هذه المبادئ في ميثاق الأمم المتحدة. وهناك التصريح الصادر في 27/ 10/ 1945 من الرئيس ترومان بشأن السياسة الخارجية الأمريكية، واحترام هذه المبادئ لا يسمح لنا بأن نرضخ لقوى الشر. لقد اعترفنا جميعًا واعترف من قبلنا ميثاق عصبة الأمم بأن فلسطين أهلٌ للاستقلال. فيجب منحها الاستقلال على أساس رغبة سكانها المعبر عنها بحرية، ولكن الدول الكبرى ترفض تطبيق هذه المبادئ لحل قضية فلسطين. إن الأمم المتحدة تجتاز امتحانًا صعبًا في هذه المشكلة إزاء التيارات التي تتنازع اليوم النفوذ والغلبة. فإذا صمدت الأمم المتحدة وأخذت نفسها بمبادئها في حل هذه المشكلة لنالت ثقة العالم ولازدادت قوةً وتمكينًا. إن فلسطين ستكون مصدر الخطر وهي الآن على حافة بركان. وواجبنا أن نمنع وقوع الشر».

وأضاف قائلاً: «كان في فلسطين قبل الانتداب 93٪ من السكان عربًا و7٪ يهودًا، وإن إنشاء دولة يهودية يقلب ميزان القوى، فتصير الأغلبية أقليةً والأقلية أغلبيةً، وإن تقسيم فلسطين حل ظالمٌ يجعل العرب أقليةً في أوطانهم».

وبعد أن شرح ظفر الله خان أمورًا كلها في صالح العرب، ختم كلامه بقوله إن واجب الأمم المتحدة هو أن تبحث عن الحل المتفق مع المبادئ التي أُنشئت للعمل على احترامها.

وفيما يلي التوصيات التي أبدتها اللجنة بعد استعراض مختلف الحلول الممكنة التنفيذ عمليًا:

القسم (أ): توصيات أيدتها اللجنة بإجماع آراء أعضائها

التوصية الأولى: إنهاء الانتداب على فلسطين في أقرب وقت ممكن عمليًا.

التوصية الثانية: منح فلسطين الاستقلال في أقرب وقت ممكن عمليًا.

التوصية الثالثة: تكون هناك فترة انتقال تسبق منح الاستقلال لفلسطين. وتكون مدتها قصيرة ما أمكن وتُهيأ الظروف والأجهزة اللازمة للاستقلال.

التوصية الرابعة: تكون السلطة التي تدير فلسطين أثناء فترة الانتقال وتُهيئ البلاد للاستقلال، مسؤولةً أمام الأمم المتحدة، وفي رأي اللجنة أن الحل الذي سيُعمل به لن يقبله الفريقان، ولذلك يجب فرضه. وترى اللجنة أن فرض الحل شرط لكل حلٍ.

التوصية الخامسة: ترى اللجنة أيًا كان الحل الذي يتقرر:

أ - المحافظة على الأماكن المقدسة وضمان حرية الوصول إليها للعبادة والحج طبقًا للنظام المقرر في الوقت الحاضر.

ب - عدم المساس بالحقوق المعترف بها في الوقت الحاضر لمختلف الطوائف الدينية.

ج - يُوضع نظام للفصل في المنازعات المنطوية على حقوق.

التوصية السادسة: ترى اللجنة أن تقوم الجمعية العامة فورًا بالمساعي اللازمة لعقد وتنفيذ اتفاقٍ خاص تعالج به مشكلة يهود أوروبا المشردين على وجه السرعة بقصد تحسين حالتهم والتخفيف من حدة مشكلة فلسطين.

التوصية السابعة: نظرًا لأن الاستقلال سيُمنح لفلسطين بناءً على توصية الأمم المتحدة، وتحت رعايتها، فإنه من الأمور التي تحرص عليها الأمم المتحدة أن يقوم دستور فلسطين أو قوانينها الأساسية ونظامها السياسي على أساسٍ ديمقراطي؛ أي على أساسٍ تمثيلي يكفل احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية بما فيها حرية العبادة والعقيدة وحرية التعبير والصحافة والاجتماع. وكذلك حماية حقوق ومصالح الأقليات.

التوصية الثامنة: يجب كشرط سابق على منح الاستقلال أن يتضمن دستور فلسطين أهم مبادئ ميثاق الأمم المتحدة الخاصة بتسوية المنازعات بالطرق السلمية وبعدم التهديد باستعمال القوة -أو استعمالها- ضد سلامة أراضي أي دولة.

التوصية التاسعة: رغبةً في المحافظة على وحدة فلسطين الاقتصادية توصي اللجنة بالاحتفاظ بهذه الوحدة في ظل أي نظام يتقرر لمستقبل فلسطين، لأن هذه الوحدة لا غنى عنها لتقدم البلاد. وتتناول هذه الوحدة الاقتصادية شؤون الجمارك والعملة والنقل والمواصلات ومشروعات الري والمحافظة على خصوبة الأراضي.

التوصية العاشرة: توصي اللجنة الدول التي كانت تتمتع في فلسطين قبل وضعها تحت الانتداب بنظام الامتيازات بالتنازل عن هذه المزايا وعدم المطالبة بإحيائها في ظل التنظيم الجديد لفلسطين.

التوصية الحادية عشرة: ترى اللجنة أن توصي الجمعية العامة شعبي فلسطين بأن يتعاونوا مع الأمم المتحدة على أوسع نطاقٍ في الجهود المبذولة لاستنباط وتنفيذ حل عادلٍ، وممكن التنفيذ للمشكلة الفلسطينية والامتناع عن أعمال العنف والعدوان التي أضرت بالبلاد حتى الآن.

القسم (ب) توصية وافقت عليها اللجنة بأغلبية الآراء

توصي اللجنة بأنه عند النظر في أي حل لقضية فلسطين يجب أن يكون مسلمًا به أن حل هذه القضية لا يمكن اعتباره حلًا لمشكلة اليهود بصفة عامة.

(لم يوافق على هذه التوصية ممثلا غواتيمالا وأوروغواي، بينما امتنع ممثل أستراليا عن إبداء رأيه فيها.)

الحلول التي توصلت إليها اللجنة

الحل الأول: تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية.

(وقد وافق على هذا الحل ممثلو كندا، تشيكوسلوفاكيا، غواتيمالا، هولندا، بيرو، السويد، وأوروغواي).

وذكرت اللجنة مشـــروع التقســـيم مع الوحدة الاقتصادية مع بيان مبررات هذا المشروع وهي عدم إمكان تعاون عنصري السكان، وإصرار كل منهما على مطاليبه. وقد أوصت اللجنة بقبـــول 150.000 مهاجر يهودي في المنطقة التي اقترحت تخصيصها للدولة اليهودية. وذلك أثناء فترة الانتقال بمعدل 30.000 مهاجر كل شهر.

وطبقًا لهذا المشروع تقسم فلسطين إلى ثلاثة أقسام:

1 - **الدولة العربية**: وتدخل فيها منطقة الجليل الغربية ومنطقة ســـحاريا الجبلية، (مع اســـتثناء القدس)، والمنطقة الســـاحلية من أســـدود حتى حدود مصر.

2 - **الدولة اليهودية**: تدخل فيها منطقة الجليل الشـــرقية والسهل الساحلي وجميع منطقة بئر السبع التي يدخل فيها إقليم النقب المجاور لشبه جزيرة سيناء مباشرة.

3 - **مدينة القدس**: وتوضع تحـــت نظام الوصاية الدوليـــة نظرًا لصبغتها الدينية بالنسبة للأديان الثلاثة.

الحل الثاني: إنشاء النظام التعاقدي (الفدرالي) في فلسطين.

(قد وافق عليه ثلاثـــة من أعضاء اللجنـــة فقط وهم ممثلـــو الهند وإيران ويوغوســـلافيا). ويقضي هذا المشـــروع بتقسيم فلســـطين إلى قسمين الأول عربي والآخر يهودي يجمعهما نظامٌ تعاقدي في الحكومة المركزية والســـلطة التشـــريعية والســـلطة القضائية والجمـــارك والجيش ويكون لكل قســـم كامل السلطان في شؤون الحكم الذاتي في التعليم والضرائب المحلية وحق الإقامة

وشراء الأراضي والمرعى والهجرة بين القسمين والشرطة والصحة والمرافق العامة وما إلى ذلك. أما مسألة الهجرة فيكون الفصل فيها من اختصاص الحكومة المركزية ويشترك عنصرا السكان في أجهزة الحكم المركزية، ويكون هناك نائب لرئيس الدولة من العنصر الآخر. وتكون شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية والهجرة والنقد والضرائب العامة والمواصلات من اختصاص الحكومة المركزية.

عرض مشكلة فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة

عرضت مشكلة فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة في مستهل دور اجتماعها العادي الثاني الذي بدأ في 16 أيلول 1947، ولما كانت قضية فلسطين قضية سياسية كان النظر فيها من اختصاص اللجنة السياسية في هيئة الأمم المتحدة، ولكن تقرر إيداعها في 23 أيلول سنة 1947 إلى لجنة خاصة برئاسة وزير خارجية أستراليا. وفي الحقيقة كان لسعي الصهاينة فيها ضلعٌ كبيرٌ، ولم تفد معارضة الوفود العربية في ذلك. ولقد أنيطت باللجنة دراسة المسائل الآتية:

1 - طلب الحكومة البريطانية الحصول على توصيات الجمعية العامة بشأن مستقبل فلسطين.

2 - تقرير لجنة التحقيق التي عينتها الجمعية العامة في دور اجتماعها الخاص الذي عقد في مستهل سنة 1947.

3 - اقتراح المملكة العربية السعودية والعراق إنهاء الانتداب على فلسطين والاعتراف باستقلالها دولة واحدة.

باشرت اللجنة الخاصة عملها بتقسيمه إلى أجزاء عهدت بها إلى عدة لجانٍ فرعيةٍ، ثم ناقشت أعمال اللجنة الفرعية، وأهمها مشروع الدولة الواحدة ومشروع التقسيم، ومع أن الوفود العربية لم تدخر وسعًا وحجة في دحض

مشروع التقسيم وإظهار مساوئه للاعتبارات القانونية والعملية والتنفيذية، إلا أن الضغط الصهيوني المسند بنفوذ الدول الكبرى استطاع خذلان مشروع الدولة الواحدة وتقديم مشروع التقسيم إلى الجمعية العمومية. وهنا دخلت القضية في دورها الحاد الذي لعبت فيه سياسات الدول الكبرى، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية دورًا فعالًا وحاسمًا.

بدأ النقاش والمناورات في الجمعية العمومية، وبدأت حملة أمريكية صهيونية عنيفة للتأثير على الدول الصغرى وكسب أصواتها إلى جانب التقسيم، فكانت اتصالات مع بعض العواصم لإرسال التعليمات إلى وفودها، وكان فيها وعد وكان فيها وعيد[1].

أما روسيا فإنها تعتبر كل اضطرابٍ يقع في الشرق الأوسط، وكل تأزمٍ بين العرب من جهة والإنكليز والأمريكان من الجهة الأخرى، هو كسب للشيوعية. لذلك كانت دعوتها صريحة إلى مشروع التقسيم وتأييد الصهيونية تأييدًا تامًا. ويتبع روسيا كل الدول السلافية، باستثناء يوغوسلافيا التي وقفت موقف المستنكف.

وهكذا نجد أن القضية الفلسطينية أوجدتها إنكلترا فتبنتها الولايات المتحدة الأمريكية وساندتها روسيا وفرنسا، هذه الدول الكبرى التي اتفقت على هضم حقوق العرب والغدر بهم بالرغم من الاختلافات الواسعة في سياستها ومبادئها واتجاهاتها في الأمور الأخرى.

وبعد التصويت كانت النتيجة أن صوت (13) ضد التقسيم، و(33) معه، واستنكف (10)، وغاب (1).

وهكذا تقرر تقسيم فلسطين رغم أنف الحكومات العربية وخلافًا للعدل

---

(1) لمزيد من تفاصيل ما جرى في تلك الجلسة، راجع كتاب أمريكا كما رأيتها، تأليف أمين المميز المطبوع ببغداد سنة 1952.

والإنصاف، وتجاوزًا لصلاحيات وواجبات هيئة الأمم المتحدة التي ليس من حقها إخراج شعبٍ آمنٍ من بلاده التي عاش واستقر بها آلاف السنين، وتقديمها هديةً إلى مغتصبٍ طارئٍ على البلاد.

الدول التي عارضت التقسيم

مصر، أفغانستان، كوبا، اليونان، الهند، إيران، العراق، لبنان، باكستان، المملكة العربية السعودية، سورية، تركيا، اليمن.

الدول التي أيدت التقسيم

أستراليا، بلجيكا، بوليفيا، البرازيل، روسيا البيضاء، كندا، كوستاريكا، تشيكوسلوفاكيا، الدانمارك، جمهورية الدومنيك [الدومينيكان]، أكوادور، فرنسا، غواتيمالا، هايتي، أيسلندا، ليبيريا، لوكسمبورغ، هولندا، نيوزيلندا، نيكارغوا، النرويج، بناما، بيرو، الفيليبين، بولندا، السويد، أوكرانيا، جنوب أفريقيا، الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة الأمريكية، أوروغواي، فنزويلا.

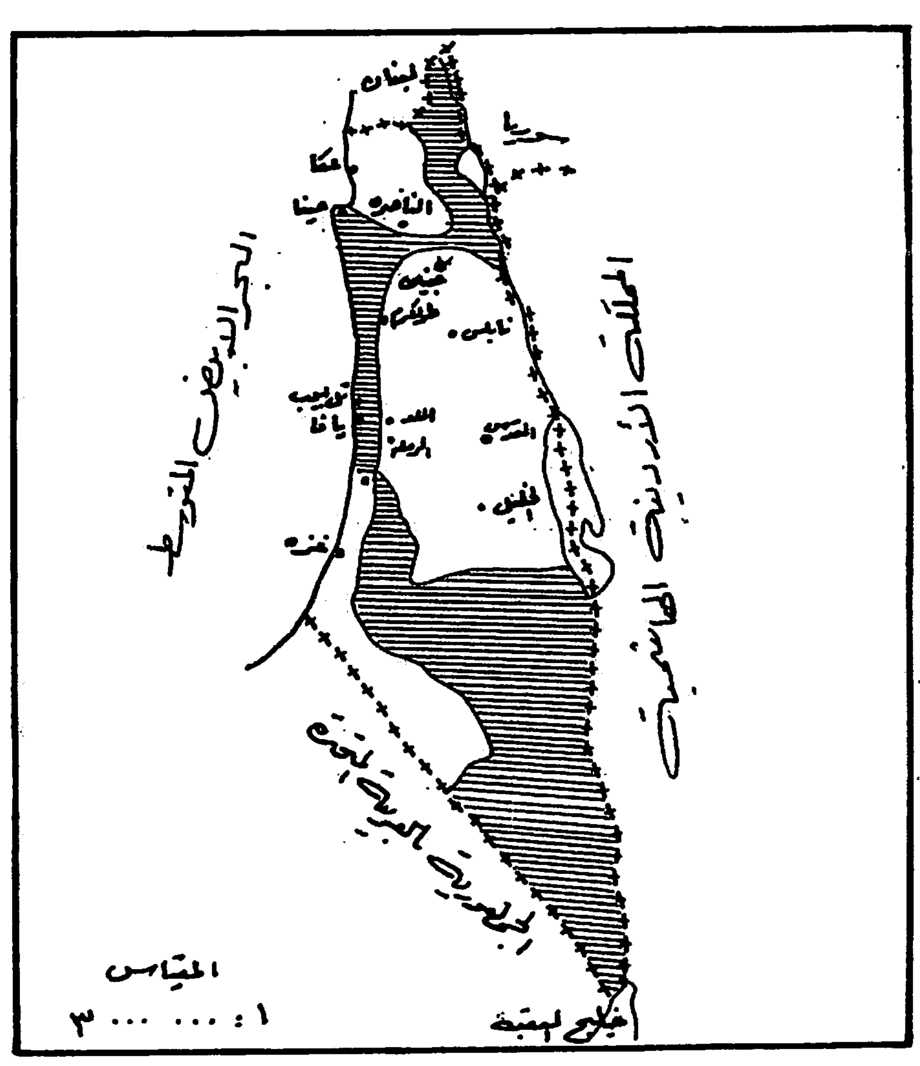
الدول التي امتنعت عن التصويت

الأرجنتين، شيلي، الصين، كولومبيا، السلفادور، إثيوبيا، هندوراس، المكسيك، بريطانيا، يوغوسلافيا.

وتخلف مندوب سيام (تايلاند) عن الحضور. وبعد انتهاء التصويت ألقى كلٌّ من ممثلي المملكة العربية السعودية وباكستان والعراق وسورية كلماتٍ شجبوا فيها مشروعية التقسيم، وذكروا أن الأمم المتحدة خيبت الآمال، وأن الدول العربية في حل من هذا القرار المجحف بحقوق العرب. وغادرت الوفود العربية قاعة الجمعية محتجةً على القرار الذي اتخذ ظلمًا وعدوانًا.

الخريطة (7 - 1)

مشروع التقسيم حسب قرار الأمم المتحدة في 29/ 11/ 1947



الفصل الثامن

اللجنة العسكرية الدائمة

توصيات عسكرية

في شـــهر أيلول ســـنة 1947 كلمني رئيس الـــوزراء الســـيد صالح جبر شخصيًا، وذلك قبل ســـفره لحضور اجتماع مجلس الجامعة العربية في لبنان، وطلب مني تزويده ببعض الملحوظات العســـكرية التمهيديـــة فيما إذا اقتضى الأمر القيام بحركات حربية في فلسطين تشترك فيها الجيوش العربية لتخليصها من الصهاينة. فأبديت له خطيًـــا وباختصار ما يلي، تاركًا التفصيلات إلى ما بعد إعطاء القرار القطعي بالحركات والوقوف علـــى المعلومات اللازمة التي لا بدّ من الحصول عليها قبل إجراء الحركات:

1 - الإسراع بتشكيل لجنة عســـكرية من ممثّلي الجيوش العربية المنوي اشـــتراكها في الحركات الحربية، وذلك لدرس الحالة في فلســـطين وإحضار المعلومات اللازمة عن مراكز الصهاينة وعدد محاربيهم وتشـــكيلاتهم، وأنواع الأســـلحة المتيســـرة لديهم وحالة البلاد وما أشـــبه، لتنوير القيادة العامة التي سيعهد إليها القيام بإدارة الحركات العسكرية لجميع الجيوش العربية المشتركة بالقتال.

2 - بالنظر لما هو متوقع من القرارات السيئة في ما يتعلق بفلسطين يتحتم القيام بعمل جدي وســـريع تكون له نتائج مثمرة. فإذا كانت الدول العربية جادة في قراراتها، فيجب أن تقوم جميعها بالأعمال التالية:

أ - إشراك قواتها النظامية بالقتال.

ب - عقد مؤتمر عسكري من رؤساء أركان الجيوش العربية للمداولة في الأمر وتثبيت القوات الواجب تحشيدها واشتراكها بالقتال.

ج – لتأمين نجاح الحركات المنوي القيام بها وتنسيق الأعمال واستخدام القوات المقاتلة استخدامًا صحيحًا يجب البت فورًا في توحيد القيادة العامة وتعيين قائد عام للقوات النظامية وغير النظامية لتتمكن القيادة المذكورة من درس وتقدير الموقف ووضع خطة التحشد والحركات على ضوء المعلومات المتيسرة.

د – استعداد الحكومات العربية لتقديم المساعدات الممكنة إلى الجيوش العربية التي ستكون في أراضيها، وذلك في ما يتعلق بالإعاشة والإسكان ووسائط النقل وغيرها.

3 – السرعة والكتمان: من المفيد أن تكون الاستحضارات والحركات سرية وسريعة، وللمباغتة في هذه الحالة شأن مهم وتأثير بليغ. ولكن مع الأسف أشك في إمكان تأمين ذلك نظرًا إلى تطلب الأمر مشاورة حكومات عديدة وإجراء حركات تمهيدية لمسافات طويلة.

4 – قوة الجيش العراقي الممكن إشراكها في الحركات.

يتمكّن الجيش العراقي من إرسال فرقة عراقية كاملة مع مدفعيتها والقطعات المعاونة الملحقة بها، على أن يكمل نقص الجيش من وسائط النقل الآلية وأن لا يكلف الجيش بأية حركة أخرى داخل العراق.

5 – الأسلحة الممكن إعطائها [إعطاؤها] إلى القوات العربية غير النظامية في فلسطين:

يتمكّن الجيش العراقي من تجهيز المتطوعين العرب للاشتراك في حركات فلسطين بالأسلحة التالية:

عدد:

100 رشاشة فرنسية سيدارم بقاعدة.

2000 بندقية فرنسية نوع حديث.

2000 بندقية جيكوسلوفاكية [تشيكوسلوفاكية].

وسينظر في أمر صرف كمية من العتاد مع هذه الأسلحة.

تشكيل لجنة عسكرية دائمة

قرر رؤساء وفود الدول العربية إلى جامعة الدول العربية في إحدى جلساتهم المنعقدة في عاليه بلبنان في أوائل شهر تشرين الأول 1947 تأليف لجنة عسكرية من ممثّلي الدول العربية لدرس القضية الفلسطينية من الناحية العسكرية ومعاونة أهل فلسطين في الدفاع عن أنفسهم وكيانهم، وذلك بالإشراف على إدارة العمل وتنظيمه وصرف الأموال التي تخصصها الدول العربية لمعاونة أهل فلسطين. وقد تم تأليفها على الوجه الآتي:

اللواء الركن إسماعيل صفوت عن العراق (وكان حاضرًا حيث أرسل مسبقًا لهذا الواجب حسب اقتراحي إلى رئيس الوزراء).

العقيد محمود الهندي عن سورية

المقدم الركن شوكت شقير عن لبنان

السيد صبحي الخضراء عن فلسطين

ولم يحضر ممثّلون عسكريون عن الحكومات المصرية والسعودية والأردنية واليمنية، الأمر الذي يدل على عدم اهتمام هذه الحكومات بالناحية العسكرية، أو على حذرها من أن تتقيد بالتزامات عسكرية لا ترغب في التقيد بها.

تقرير اللجنة العسكرية إلى مجلس جامعة الدول العربية

درست اللجنة العسكرية الحالة في فلسطين على ضوء المعلومات المتيسرة لديها، والتي تمكنت من جمعها بسرعة ورفعت تقريرها المرقم (1) والمؤرخ في 9-10-1947 إلى مجلس جامعة الدول العربية.

نص تقرير اللجنة العسكرية الدائمة في الملحق رقم (4)

تقرير اللجنة العسكرية الثاني المؤرخ في 27-11-1947

حصلت اللجنة العسكرية على معلومات أوسع مما كان لديها عن الصهاينة وقواتهم وتسليحهم وما لديهم من منظمات ومؤسسات ومناعة مستعمراتهم، وما فيها من تحكيمات وتحصينات، الأمر الذي جعل اللجنة تعتقد اعتقادًا جازمًا بضرورة اشتراك الجيوش العربية النظامية بالقتال. وبدافع هذه القناعة رفع العضو الأقدم باللجنة اللواء الركن إسماعيل صفوت في 27-11-1947 تقريرًا أوضح فيه الحالة الراهنة في فلسطين، وقد دعي المومأ إليه لحضور اجتماعات اللجنة السياسية المنعقدة في القاهرة خلال شهر تشرين الثاني سنة 1947 فتلا على اللجنة المشار إليها التقرير المذكور، وأوضح ما جاء فيه إيضاحًا وافيًا وطلب بإصرار وجوب تطبيقه وتنفيذه منذرًا بسوء العاقبة من الوجهة العسكرية إذا لم يؤخذ به. وفي أدناه بعض ما ورد في التقرير حرفياً:

وجوب القيام بحرب نظامية

إن مقاومة اليهود في فلسطين والتغلب عليهم وهم على هذه الحالة من القوة والمناعة والتنظيم الدقيق بعصابات وبقوات غير نظامية أمر أشبه بالمستحيل، ولا بد من مجابهتهم بقوات نظامية مدربة ومسلحة تسليحًا عصريًا مع تأمين أقصى ما يمكن من الانتفاع من القوات الفلسطينية غير النظامية ومن العصابات التي يتم تأليفها وتسليحها في المناطق المجاورة للحدود كجبل الدروز وجبل عامل وغيرهما.

ولتقصير أمد الحركات وإنهائها بأقصى ما يمكن من السرعة، لا بد من تأمين التفوق في العدد والعدة، إذ من الصعب على الدول العربية المحدودة الموارد والسلاح أن تتحمل حربًا طويلة الأجل يكون فيها الزمن لصالح العدو.

الإسراع في سوق وتحشيد الجيوش العربية

إن الموقف السياسي في هيئة الأمم المتحدة وعزم بريطانيا على سحب قواتها ينذر بوقوع أحداث خطيرة في فلسطين لا يفيد منها إلا الجانب اليهودي،

ما لم تبادر الدول العربية وتسرع بتحشيد جيوشها وقواتها في مناطق قريبة من الحدود الفلسطينية للشروع بحركات سريعة وموحّدة.

القيادات

من المسلم به أنه لا يمكن إنجاز أي عمل عسكري مهما كان نوعه، ما لم تكن هناك قيادات تتولى تلك الأعمال وتكون مسؤولة عنها؛ وعليه يتحتم تعيين القيادات التالية فورًا وبدون تأخير:

أولًا - القيادة العربية العامة: على أن ترتبط بها جميع القيادات الخاصة والمحلية، وتخضع لأوامرها وسيطرتها جميع القوات التي يتم تحشدها في مناطق الحركات أو في فلسطين نفسها، سواء كانت تلك القوات نظامية أو غير نظامية، على أن يعين مرجع أعلى لهذه القيادة تتمثل فيه جميع الدول العربية.

ثانيًا - القيادات الخاصة لكل من القوات العربية التي يتم تحشدها، على أن تكون جميع هذه القيادات خاضعة لسيطرة القيادة العامة ومرتبطة بها من كل الوجوه.

ثالثًا - القيادة الفلسطينية، ونعني بها القيادة التي يعهد إليها تنظيم القوات الفلسطينية، وقيادتها تكون خاضعة لسيطرة القيادة العربية كباقي القيادات.

القيادة الفلسطينية

منذ مباشرة اللجنة العسكرية بأعمالها فكرت بتعيين قائد للمتطوعين والقوات غير النظامية التي ستشترك في حركات فلسطين، إلا أنها جوبهت بمعارضة سماحة مفتي فلسطين بتعيين الشخص المرشح للتعيين. ولم تتمكن اللجنة من التفاهم مع المفتي للاتفاق على شخص يحوز رضاء الطرفين، كما أنها لم تستعمل صلاحياتها وتصدر القرار بتعيين من تراه أهلًا لممارسة هذه القيادة، بل عرضت الأمر على أمانة الجامعة العربية التي هي الأخرى لم تقف موقفًا حازمًا للبت في الأمر. وأخيرًا وبعد نشوب القتال بين الفلسطينيين العرب

والصهاينة على إثر صدور قرار التقسيم وتطور الحوادث بسرعة، اضطرت اللجنة العسكرية أن تبت بأمر القيادة الفلسطينية. وفي كانون الأول سنة 1947 عينت السيد فوزي القاوقجي. وباشر المومأ إليه أعماله بعد مرور شهرين من تأليف اللجنة العسكرية، بينما كان الأمر يتطلب الاستعجال وعدم ضياع الوقت الثمين.

تقرير اللجنة العسكرية الدائمة المؤرخ في 7/ 12/ 1947

بعد صدور قرار التقسيم وحدوث مناوشات موضعية بين العرب والصهاينة، رفعت اللجنة العسكرية الدائمة إلى أمين الجامعة للدول العربية تقريرها المؤرخ في 7/ 12/ 1947، أوضحت فيه الوضع في فلسطين بإيجاز وبينت الضرورة الملحة في تسليح وتقوية الفلسطينيين، وطلبت تخصيص المال والسلاح والعتاد لتزويد الفلسطينيين والمتطوعين به، وذكرت حول وجوب استعداد الجيوش العربية ما يلي:

وجوب استعداد الجيوش العربية للاشتراك في حركات إنقاذ فلسطين

«لا نزال عند رأينا السابق من وجوب اشتراك جيوش الدول العربية بحركات إنقاذ فلسطين نظرًا لما للصهيونيين من قوات مسلحة وتشكيلات منظمة، وما يحتمل أن يردهم من وراء البحار من الإمدادات والتقويات الكبيرة».

اجتماع اللجنة السياسية في القاهرة

بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وتشكيل دولتين عربية وصهيونية، عقد رؤساء الحكومات العربية وممثّلوها اجتماعات في القاهرة يوم 8 كانون الأول 1947 للمداولة في النتائج المترتبة على ذلك وتوحيد خطة العمل لتنفيذ قرارات مجلس الجامعة العربية، واستمرت الاجتماعات حتى يوم 17 كانون الأول 1947. وكان المنتظر أن تتخذ قرارات هامة في هذه الاجتماعات وتنفذ القرارات السابقة التي أقرها مجلس الجامعة العربية

والوقوف صفًا واحـدًا لإحباط التقسـيم وتهديد البريطانييـن والأمريكان في مصالحهم وامتيازاتهم في البلاد العربية، سيما وأن القضية الفلسطينية ما زالت معروضة على مجلس الأمن، ولكن واقع الأمر لم يكن كذلك.

قدم رئيس وزراء العراق السيد صالح جبر مذكرة تحريرية إلى المجتمعين بيّن فيها موقف العراق واستعداده للتضحية في سبيل إبقاء فلسطين عربية واقترح اقتراحين:

الأول - تنفيـذ مقرّرات مجلـس الجامعة العربيـة الإجماعية في توقيف أعمال شـركات النفط في العراق والمملكة العربية السـعودية ودول الجامعة العربية التي فيها مثل هذه الشركات، وإلغاء الامتيازات عملًا بهذه المقرّرات.

الثاني - اتخاذ قـرار صريح في الجامعة العربية بإشـراك القوات النظامية لدول الجامعة العربية لمجابهة الصهاينة إضافة إلى القوات الفلسـطينية وغيرها من القوات غير النظامية، وأن تبين كل دولة مدى اسـتعدادها لاستخدام قواتها النظامية في حملة إنقاذ فلسطين والحيلولة دون تأسيس دولة صهيونية.

كما اطلع رؤساء الحكومات العربية وممثّلوها على تقرير اللجنة العسكرية الدائمة المؤرخ في 7-12-1947 واتخذوا القرارات الآتية:

1 - العمل على إحباط مشروع التقسـيم والحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين والاحتفاظ بفلسطين عربية مستقلة موحّدة.

2 - السـلاح: تزويد اللجنة المركزية العسـكرية الدائمة للجامعة العربية بعشرة آلاف بندقية، يكون نصيب كل بلد من بلاد الجامعة منها ما يأتي: العراق 2000، المملكة السـعودية 2000، سـورية 2000، لبنـان 1000، المملكة الأردنية 1000.

على أن تكون هذه البنادق مصحوبة بما يلزمها من عتاد، بحيث لا يقل عن 500 خرطوشة لكل بندقية.

3 - الرجال: عمل جميع التسـهيلات اللازمة لإرسال ثلاثة آلاف متطوع

على الأقل إلى سورية حالًا، على أن يكون عدد المتطوعين من كل بلد من بلاد الجامعة بالأقل ما يأتي:

العراق 500، مصر 500، المملكة السعودية 500، سورية 500، فلسطين 500، لبنان 300، المملكة الأردنية 200.

على أن يكون المتطوعون كاملي العدة من التسليح والمهمات وأن يتكفل كل بلد بجميع لوازم متطوعيه إلى حين وصولهم إلى المعسكرات التي تعينها لهم اللجنة العسكرية الدائمة للجامعة، وعلى أن يتم وصول جميع المتطوعين إلى هذه المعسكرات قبل منتصف كانون الثاني سنة 1948.

4 - المال: اعتماد مبلغ مليون جنيه آخر لصرفه في شؤون الدفاع عن فلسطين، على أن تدفع دول الجامعة إلى الأمانة العامة حصصها من هذا المبلغ حسب النسب المقرّرة.

ملحوظة: لم تكلف اليمن بإرسال متطوعين، وقد حول ملك اليمن نصف مليون ريال يمني لمساعدة فلسطين تدفع منه حصة اليمن من مبلغ المليون جنيه الذي تقرّر جمعه من دول الجامعة العربية، ويشتري مندوب اليمن بالفضلة المتبقية أسلحة تقدم إلى أهالي فلسطين.

5 - تنشأ في الأمانة العامة لجنة فنية عسكرية تكون تحت إشراف الأمين العام (ويقصد بها اللجنة العسكرية الموجودة في دمشق)، ويدخل في اختصاص هذه اللجنة الإشراف على تنظيم وتدريب المتطوعين وتسليحهم، وكذلك الحصول على الأسلحة والأعتدة اللازمة، ويدخل في اختصاصها أيضًا تأمين الاتصال بين الأمانة العامة والمتطوعين في مختلف البلاد العربية.

6 - أن يتولى اللواء الركن إسماعيل صفوت قيادة القوات الوطنية المؤلفة من عرب فلسطين ومن المتطوعين من البلاد الأخرى، في أعمالها المتعلقة بالدفاع عن فلسطين.

ويظهر من هذه المقرّرات أن المجتمعين لم يرغبوا في التحرش بمصالح الإنكليز والأمريكان وامتيازاتهم في البلاد العربية، كما أنهم لم يتطرقوا إلى

إشـــراك الجيوش العربيـــة النظامية في تخليص فلســطين كما جــاء في اقتراح رئيس الوزارة العراقية المســـتند على توصية الخبراء العسكريين وتقرير اللجنة العســكرية. ولـم تتّخذ قرارات حازمة تؤمن إحباط مشـــروع التقسيم والحيلولة دون قيام دولة صهيونية والاحتفاظ بفلســطين عربيــة، كما جاء في قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية.

وهكذا اســتبعد اشـــتراك الجيوش العربية بالقتال وبقيت القيــادة العامة مقتصرة على إدارة حـــركات وحدات المتطوعين فقــط. وإن الدول العربية لم تكن حتى مطلع شـــهر مايس 1948 قد قرّرت مدى رغبتها في الاشـــتراك في حرب فلســطين والإمكانيات التي تقدمها، كما لم تقـــرّر جامعة الدول العربية تنفيذ قراراتها السابقة باستخدام الجيوش النظامية في حركات فلسطين.

ما نفذ من القرارات بخصوص الأسلحة والرجال

الأسلحة: إن ما ســـددته الحكومات العربية من نصيبها من السلاح والعتاد كان كما يأتي:

العراق: ســـلم 3860 بندقية أي بزيادة مقدارها 1860 بندقية و560000 طلقة إنكليزية و3.726.378 طلقة فرنسية.

وعلاوة على ذلك سلم العراق:

30 رشاشة سيدارم فرنسية.

450 مخزن رشاشة فرنسية.

30 رشاشة برثية.

30 سبطانة احتياطية.

450 مخزن رشاشة برثية

30 جهاز زوائد.

4 مدافع فرنسية عيار 7.5 سنتيمترًا.

مصر: سلمت الحكومة المصرية 800 بندقية وبقي معها 1200 بندقية لم تستلمها اللجنة، باعتبار أن الحكومة المصرية سلمتها إلى مفتي فلسطين. وهو ما يخالف قرار اللجنة السياسية، وإن اللجنة العسكرية لم تعتبر هذا التسليم ولم تعترف به.

المملكة السعودية: سلمت الحكومة السعودية نحو 1600 بندقية غير أن أكثر من نصفها كانت غير صالحة للاستعمال بالمرة، فأعادتها اللجنة العسكرية إلى ممثل السعودية الشيخ يوسف ياسين ولم تستلم عوضها.

سورية: سلمت الحكومة السورية جميع ما هو مفروض عليها من الأسلحة، كما أنها سلمت علاوة على نصيبها من الأسلحة 59 رشيشًا فرنسيًا و4 رشاشات برن و15 استن و8 مدافع هاون و560 بندقية.

المملكة الأردنية: سلمت الحكومة الأردنية ما يقارب نصف ما فرض عليها من البنادق والعتاد وبعض الرشاشات.

الرجال: لقد جاء في تقرير اللجنة العسكرية المؤرخ في 8/ 2/ 1948 المرفوع إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ما يلي:

تسليح المتطوعين الواجب إرسالهم من البلاد العربية

«لقد سبق وقرّر مجلس الجامعة للدول العربية أن تقوم الحكومات العربية بتسليح وتجهيز المتطوعين الذين تعهدت بتقديمهم وألا ترسلهم إلى دمشق إلا وهم كاملو التسليح والتجهيز وقد نفذت الحكومات العراقية والسورية واللبنانية هذا القرار غير أن الحكومات المصرية والسعودية والأردنية لم تقم بتنفيذ هذا القرار حتى اليوم».

اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في القاهرة في شهر شباط 1948

بعد صدور قرار التقسيم أخذت الحالة في فلسطين تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وحوادث اعتداء الصهاينة على العرب تزداد عددًا وعنفًا. ولقد ظهر تفوق

الصهاينة في العدة والتنظيم والتدريب وتحصين القرى والمستعمرات الصهيونية التي أصبحت كل منها بمثابــة قلعة حصينة. وكانت الحكومات العربية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية على علم بتلك الأمور والتقارير المرفوعة إليها من اللجنة العسكرية الدائمة وغيرها، وبالرغم من خطورة الموقف وتجسم الخطر الماثل أمام أعيــن ذوي البصيرة اتّخذت قرارات لا تتناســب وخطورة المهمة الملقاة على عاتق المجتمعين في الظروف القائمة.

إن أهم القرارات المتّخذة هي:

1 – يعهد المجلس إلى اللجنة السياسية المؤلفة من رؤساء الوفود بتنظيم شؤون الدفاع عن فلسطين والإشراف عليها.

2 – تؤلف اللجنة السياسية لجنة تسمى (لجنة فلسطين) تباشر بالنيابة عنها تنظيم شؤون الدفاع عن فلسطين والإشــراف عليها. وتعمل هذه اللجنة تحت رقابة اللجنة السياسية وفي الحدود التي ترسمها لها.

3 – تؤلف لجنة فلسطين برئاسة الأمين العام لجامعة الدول العربية، أو من يقوم مقامه، ومن أعضاء ترشحهم الدول العربية، ومن ممثل من عرب فلسطين، وتعينهم جميعًا اللجنة السياسية.

4 – تختص هذه اللجنة بإعداد جميع مقومات الدفاع عن فلسطين وبتوجيه السياسة العليا لهذا الدفاع وتكون مرجع القيادة العامة.

وقد تألفت لجنة فلسطين من:

الرئيس: السيد عبد الرحمن عزام، أو من ينوب عنه.

ممثل العراق: اللواء الركن المتقاعد نظيف الشاوي.

ممثل سوريا: السيد جميل مردم، رئيس الوزراء.

ممثل لبنان: السيد رياض الصلح، رئيس الوزراء.

ممثل مصر: لم يحضر ممثل عنها.

ممثل شـــرقي الأردن: اللواء عبد القادر الجندي، حضر جلسة أو جلستين فقط.

ممثل المملكة العربية الســعودية: السيد خير الدين الزركلي، حضر جلسة أو جلستين فقط.

اليمن: لم يحضر ممثل عنها.

ممثل عرب فلسطين: سماحة محمد أمين الحسيني.

خبير عسكري: العميد الركن المتقاعد طه الهاشمي.

1 - يعهـــد بالقيادة العامة لحركات الدفاع عن فلســـطين إلى اللواء الركن إســـماعيل صفوت، وللقائد العام للسلطة في توجيه وإدارة الحركات العسكرية في فلســـطين، وله أن يتّخذ من التدابير مـــا يراه كفيلًا بإنجـــاح هذه الحركات وتكون جميع القوات المقاتلة في فلسطين تابعة له.

2 - توصي اللجنة السياســـية المبادرة إلى إنشـــاء مصانع للعتاد، وأناطت اللجنة بالأمين العام لجامعة الدول العربية الســـعي لتنفيذ هذه التوصية. ويظهر أن التوصية الأخيرة كانت بدوافع دعائية لا غيـــر، لأنها من حيث التنفيذ كانت أقرب إلى الخيال بالنسبة إلى الموقف وعامل الوقت.

قرار اجتماع رؤساء أركان جيوش البلاد العربية وإلغاؤه قبل الاجتماع

بناء على ما يتطلبه الوضع وإلحاح بعض الرجال المسؤولين الذين يقدرون الأمور حق قدرها، أُثير في اجتماعات اللجنة السياســـية في القاهرة في شـــهر شباط 1948 موضوع اشـــتراك الجيوش النظامية مع المتطوعين في الدفاع عن فلسطين تحقيقًا للخطة التي رســـمتها الدول العربية بالعمل على الحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين، والاســـتمرار بالكفاح إلى النهاية. أكدوا ضرورة اتّخاذ العدة المقتضية لذلك فيما إذا بقيت الدول العربية مصممة على اتباع هذه الخطة بالنظر إلى الخطر الجســـيم الذي تجابهه البلاد العربية من خطر تشكيل الدولة الصهيونية في فلســـطين، فاتفـــق جميع الأعضاء علـــى التزامهم بالقرار

المتخذ في جلسة مجلس الجامعة العربية المنعقد في عاليه بلبنان في 9 تشرين الأول 1947 باتخاذ الاحتياطات العسكرية على حدود فلسطين وضرورة اشتراك تلك القوات النظامية فعلاً في الدفاع عن فلسطين. وبناء على ذلك اقترح الوفد العراقي اجتماع رؤساء أركان جيوش البلاد العربية لغرض الوقوف على إمكانيات كل جيش من الجيوش العربية في اشتراكها في الدفاع عن فلسطين، ولتعيين الخطة الواجب السير عليها. فقررت اللجنة السياسية قبول هذا الاقتراح وعينت يوم 15 آذار موعدًا لاجتماع هؤلاء الرؤساء في القاهرة لدرس هذه الأمور وتزويد حكوماتهم بالمقررات التي تتّخذ في هذا الشأن، ومن ثم عرض رأي الحكومات على اللجنة السياسية.

كان يجب أن يتم الاجتماع بأسرع ما يمكن، ولكن حدد له موعد متأخر، أي شهر ونيف من تاريخ القرار، وأخيرًا ألغي بحجة واهية ولم يتم الاجتماع، ودارت حوله المخابرات التالية:

البرقية المؤرخة في 9 آذار 1948 الواردة من السفارة العراقية في القاهرة إلى وزارة الخارجية في بغداد

«لا توافق الحكومة المصرية على اجتماع رؤساء أركان جيوش البلاد العربية في الوقت الحاضر لأن ذلك يعني مظاهرة عسكرية قد يظهر أثرها سيئًا في قضية فلسطين التي تبحث الآن في مجلس الأمن حيث سيعتبر ذلك الاجتماع تهديدًا للأمن الدولي، وترى الحكومة المصرية أن تقف البلاد العربية الآن موقف السكون والانتظار حتى ينجلي موقف مجلس الأمن من قرار التقسيم».

استفسار الحكومة العراقية

طلبت وزارة الخارجية العراقية من ممثليها في البلاد العربية الاتصال بالحكومات وموافاتها بأسباب التأجيل والموعد الذي أجل إليه الاجتماع. فوردت الأجوبة التالية:

من المفوضية العراقية في دمشق

«قابلت وزير الخارجية السورية فأخبرني أن الحكومة المصرية موافقة على تأجيل الاجتماع كما أنه متفق مع رياض الصلح على التأجيل».

من المفوضية العراقية في عمان

«لقد باحثت رئيس الوزارة الأردنية حول الموضــوع، فأفاد بأن الحكومة الأردنية بالرغم من عدم وصول أي خبر إليهــا من مصر حتى الآن، فإنها تحبذ تأجيل اجتماع رؤساء أركان الحرب في الوقت الحاضر».

من المفوضية العراقية في جدة

«قررت الحكومة الســعودية تأجيل اجتماع رؤســاء أركان الجيش للدول العربية. جاء هذا القرار في الرياض بحضور عزام باشا أثناء وجوده هناك. أبرق الأخير للجامعة العربية لتبليغ وزراء خارجية الدول العربية».

وفيما يلي برقية الســيد عبد الرحمن عزام إلى الأمانــة العامة لتبليغها إلى وزراء خارجية الدول العربية:

«كانت اللجنة السياسية قد قرّرت اجتماع رؤساء أركان حرب دول الجامعة قبل يوم 15 ونظرًا لمــا هو جارٍ في مجلس الأمن مــن المباحثات ومذاكرات الأعضاء الدائرة في المجلــس بحيث قدم تقريرهم له في الأســبوع الماضي، فيحسن تأجيل هذا الاجتماع منعًا للقيل والقال، ولكي لا يستغل الخصوم هذا المعنى. سأغتنم أول فرصة فيما بعد لتنفيذ رغبة اللجنة السياسية».

يســتبان مما ورد في أعلاه بأن بعض الحكومات العربيــة والأمانة العامة لجامعة الدول العربية تخشــى من اعتبار اجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ومداولتهم في أمر فلســطين تهديدًا للأمن الدولــي وتؤجل، أو بعبارة أصح تلغي الاجتماع، بينمــا الصهاينة ماضون في تعدياتهــم وقيامهم بأعمال وحشية ضد عرب فلسطين متحدين بذلك السلطات الدولية والشرائع الإنسانية.

لا أدري أي إنصــاف وعدل كان العرب يأملون مــن مجلس الأمن وهيئة

الأمم، وهما اللذان لم ينصفا العرب في جميع قراراتهما السابقة، وساندا باطل الصهاينة ضد حقوق عرب فلسطين المشروعة.

يستدل من هذا التصرف وغيره بأن نية بعض الرجال المسؤولين في الحكومات العربية كانت متجهة إلى عدم إشراك الجيوش العربية النظامية في حركات فلسطين خلافًا لما قرروا وجاهروا به. وليت الأمر وقف عند هذا الحد وبذلت الجهود والمساعي لتقوية وتسليح عرب فلسطين والمتطوعين من البلاد المختلفة لمعالجة الموقف على أحسن ما يمكن معالجته، ولكن حتى في هذا المجال كانت الأعمال تختلف عن الأقوال.

اختلاف القيادة العامة لقوات فلسطين مع سماحة مفتي فلسطين

كان الموقف الحرج المؤلم في فلسطين يتطلب توحيد الجهود والمساعي واتفاق كلمة جميع الفلسطينيين والمشتغلين بمعاونتهم من أبناء البلاد العربية وغيرها، وخاصّة الرجال المسؤولين منهم الموكل إليهم معالجة الأمور، إلّا أن الأمر لم يكن كذلك مع الأسف، وقد حصلت بعض الاختلافات بين القائد العام لقوات فلسطين المعين من قبل الجامعة العربية اللواء الركن إسماعيل صفوت، وبين سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني وأتباعه، الأمر الذي فرّق الجهود وشتّت القوات غير النظامية لانقسامها إلى قيادات مختلفة وقيامها بأعمال غير منسقة وموحّدة.

وقد رفع اللواء الركن إسماعيل صفوت بصفته القائد العام لقوات فلسطين تقريره المؤرخ في 11/ 3/ 1948 إلى وكيل رئيس لجنة فلسطين (نص التقرير في الملحق رقم 5).

تقرير القيادة العامة لقوات فلسطين
إلى رئيس لجنة فلسطين المؤرخ في 23/ 3/ 1948

يقارن التقرير بين قوات العرب وقوات الصهاينة وأسلحة الطرفين وتدريبهم وموقف حاميات الفلسطينيين وحالة المستعمرات الصهيونية ورصانة

تحكيمها ويبحث عن الحالة الداخلية في فلسطين والموقف الحربي فيها ويذكر نقاطًا مهمة من الضروري إعارتها الاهتمام اللازم والمبادرة الفورية لمعالجتها. ويختم التقرير بالخاتمة التالية:

«الخاتمة»

1 - إن قواتنا في فلسطين، سواء المؤلفة من متطوعين ومدربين أو من الفلسطينيين المسلحين، لا يمكن أن تحقّق نصرًا عسكريًا حاسمًا، وكل ما تستطيع أن تعمله هو إدامة القتال إلى أمد معين يتناسب وما تناله من تقويات وما يتوفر لديها من سلاح.

2 - إن الحيلولة دون تشكيل حكومة يهودية وإرغام اليهود على الرضوخ إلى المطاليب العربية يتطلب قوة تعادل قوتهم على الأقل، وهذا ما لا سبيل إلى الوصول إليه في هذا النطاق الذي لا زلنا نعمل فيه.

3 - لا زلنا عند رأينا السابق من وجوب تدخل جيوش الدول العربية واشتراكها بالقتال بكل ما تملك من أسلحة ومعدات فيما إذا أردنا تحقيق نصر عسكري حاسم.

4 - إن الجيوش العربية ينقصها الكثير من اللوازم السفرية، فإذا لم تشرع بإكمال هذا النقص والتحشد من الآن لا تستطيع أن تكون مستعدة للعمل عند حلول موعد انتهاء الانتداب، وسيسبقنا الزمن كما سبقنا قبلاً».

الفصل التاسع

تحرج الموقف في فلسطين
والقرار باشتراك القوات النظامية

تبني الجامعة العربية إنقاذ فلسطين

لعدم صدور قرار باشتراك الجيوش العربية في صد العدوان الصهيوني عن فلسطين وشعبها العربي حصلت قناعة لدى الكثيرين بأن جامعة الدول العربية اتّخذت التدابير الكفيلة بالمحافظة على فلسطين عربية وحماية شعبها من تعديات الصهاينة. وكانت تدور بعض الإشاعات التي فحواها أن الحكومات العربية المحيطة بفلسطين ستقوم بتحشيد جيوشها على الحدود تعزيزًا للقوات الفلسطينية والمتطوعين من البلاد العربية التي يلقى على عاتقها واجب منازلة الصهيونيين وتصفية الحساب معهم وأن الجيوش العربية لا تتدخل بالقتال إلا إذا عجزت القوات الفلسطينية والمتطوعون من البلاد العربية في جيش الإنقاذ من مقارعة الصهاينة.

وقد كان الشائع أن للفلسطينيين قوات يعتمد عليها، وأن تبني الجامعة العربية لهذه القوات وإنفاقها عليها لتجهيزها وإدامتها مما كان يدعو إلى الاعتقاد بأهمية تلك القوات والتعويل عليها.

ومر على قضية فلسطين دور من الهدوء والسكينة ولم نعد نسمع عنها شيئًا حتى منتصف شهر نيسان 1948.

اجتماع قصر الرحاب

في الساعة 14:00 من يوم 12 نيسان 1948 استدعيت إلى قصر الرحاب فذهبت حالًا. وجدت هناك جميع الوزراء ما عدا وزير الدفاع السيد أرشد العمري. وقد جرى البحث حول الموقف في فلسطين واشتداد المعارك وازدياد تعديات الصهاينة وأعمالهم الإجرامية فيها. وبعد المداولة تقرر تهيئة

القوة الآلية لتكون جاهزة للسفر إلى شرق الأردن عند الطلب لتبقى احتياطًا هناك. وأن يؤخذ بنظر الاعتبار سلامة الأمن الداخلي في العراق.

الاجتماع الثاني في قصر الرحاب

في عصر يوم 19 نيسان 1948 أخبرت بلزوم حضوري في قصر الرحاب في الساعة 19:00 حيث سيجتمع مجلس الوزراء هناك. حضرت في الموعد المعين كما حضر القائد العام لقوات فلسطين اللواء الركن إسماعيل صفوت الذي وصل جوًا من دمشق بعد ظهر ذلك اليوم. دار البحث حول سوء الحالة في فلسطين وورود برقية من الملك عبد الله في الموضوع.

أكدت بشدة ضرورة تزويد السياسيين لنا بالمعلومات واطلاعنا على الموقف باستمرار لكي لا نفاجأ بأخبار سيئة محرجة في آخر لحظة.

خرجت أنا واللواء إسماعيل صفوت، بينما بقي الوزراء مجتمعين مع الأمير عبد الإله.

إرسال بنادق وعتاد لبلدة يافا بصورة خاصة

بتاريخ 21 نيسان 1948 فهمت من رئيس بلدية يافا السيد يوسف هيكل الموجود في بغداد عن حاجة أهالي يافا إلى الأسلحة للدفاع عن بلدتهم. ومع وجود قوة من جيش الإنقاذ في البلدة المذكورة وإرسالنا الأسلحة والأعتدة التي تعهد العراق بإرسالها إلى اللجنة العسكرية في دمشق، سلمته مئة بندقية وعشرة آلاف طلقة لإيصالها إلى يافا وتوزيعها على من يستعملها من اليافيين للدفاع عن البلدة بصورة خاصة.

السفر إلى عمان

بسبب تحرج الموقف في فلسطين وللمداولة مع رجال البلاد العربية تقرر السفر إلى عمان. وبتاريخ 24 نيسان 1948 تحركت ثلاث طائرات دوف عسكرية من المطار المدني في بغداد تحمل الذوات التالية إلى عمان:

الوصي الأمير عبد الإله، وزير الدفاع السيد أرشـد العمري، وزير المالية السيد صادق البصام، رئيس الديوان الملكي السـيد أحمد مختار بابان، رئيس أركان الجيش الفريـق الركن صالح صائب الجبوري، اللواء الركن إسـماعيل صفوت بصفته القائد العام لقوات فلسطين.

عند وصولنا إلى عمان ذهبنا فورًا إلى قصر رغدان الملكي لمقابلة الملك عبد الله، فوجدنا هناك رئيس وزراء لبنان السيد رياض الصلح.

جرى البحث في قضية فلسـطين فكانت خلاصة مطاليب الملك عبد الله ما يلي:

1 - إسناد القيادة العامة للحركات في فلسطين إليه.

2 - إبداء المعاونة للأردن ماليًا وعسكريًا من قبل البلاد العربية.

عقد عصرًا اجتماع ثانٍ في القصر الملكـي، فأكد الملك عبد الله مطاليبه المذكورة آنفًا.

السفر إلى القاهرة

لأجل الوقوف علـى رأي ملك مصـر والحكومة المصرية فـي القضية الفلسـطينية ومدى اسـتعدادهم للاشـتراك في الحـركات ومـا يتّخذونه من إجراءات، «طرنا» حوالى الساعة 10:30 من يوم 25 نيسان 1948 إلى القاهرة، فنزلنا في قصر الزعفران ضيوفًا على الحكومة المصرية.

في الساعة 17:00 ذهب الأمير عبد الإله لزيارة الملك فاروق، وبعد ذلك أعاد الملك الزيارة إلى الأمير في قصر الزعفران في اليوم نفسه.

لم نحضر المقابلات لمعرفة ما دار من حديث فـي الزيارتين المتقابلين، ولكننا فهمنا بـأن المقابلات كانت ودية، وأن الجيش المصري على اسـتعداد للاشتراك في نجدة عرب فلسطين ومقاتلة الصهيونيين.

بعد المســاء أرســل الأمير عبد الإله برقية جفرية(*) إلى رئيس الوزراء في بغداد لتحريك القوة الآلية إلى المفرق في شرق الأردن.

وفي 26 نيسان 1948 أخذ رجال السياســة وغيرهم يتواردون على قصر الزعفران للسلام على الأمير عبد الإله وحاشيته والمداولة حول قضية فلسطين. والجميع يأملون خيــرًا من اهتمــام الحكومات العربية بالأمــر، وإن كان هذا الاهتمام جاء متأخرًا.

في الســاعة 12:00 زارني وزير الدفــاع المصري الفريــق محمد حيدر وأخبرنــي بموافقة الملك فاروق على اشــتراك الجيــش المصري في حركات فلســطين وإصدارهم الأوامر بذلك. وعنــد البحث عن مقــدار القوة المنوي إرسالها، تملص من ذكر الحقيقة، وقال إنها قوة ذات أسلحة مؤثرة وقوية وفيها مدافع 25 رطلًا التي كسبت الحرب العامة الأخيرة.

في الســاعة 11:15 من يوم 27 نيســان 1948 ذهبت إلى وزارة الدفاع المصرية حســب الموعد، وذلك لإعادة الزيارة إلى وزير الدفاع الفريق محمد حيدر، وأرسل هذا بطلب اللواء عثمان المهدي المرشح لمنصب رئاسة أركان الجيش المصــري فتعارفنا. فهمت منهما أنهما أصــدرا الأوامر اللازمة لحركة القطعات العسكرية إلى الحدود الفلسطينية.

العودة إلى عمان

في 28 نيسان 1948 «طرنا» إلى عمان فوصلنا إليها بعد الساعة 17:00، كما وصلها من القاهــرة بعدنا بقليل أمين الجامعة العربية الســيد عبد الرحمن عزام، ووزير خارجية شرق الأردن السيد فوزي الملقي.

كان بعــض الحكومات العربيــة قد اعترض علــى إيداع القيــادة العامة للجيوش العربية في فلســطين إلى الملك عبد الله لأنه ملك غير مسؤول، وأن القائد العام يجب أن يكون من العســكريين الذين يتحملــون تبعات أعمالهم،

(*) برقية رمزية/ مشفرة (المحرر).

وعندما أفهم الملك عبد الله بذلك احتدّ، وقال إنه لن يشـــرك جيشه في القتال، وتأجل البحث إلى اليوم الثاني للبت فيه.

ولإزالة الجفاء والاختلافــات ولتأمين التقارب والتعاون الأكيد بين بعض رؤساء الدول العربية في هذا الوقت الدقيق الذي يتطلب صفاء القلوب وتوحيد الجهود، كان قــد اتفق في القاهرة على أن يوجه رئيس جمهورية لبنان الشـــيخ بشـــارة الخوري دعوة إلى الملك عبد الله وإلى الأمير عبد الإله لتناول الغداء يوم 29/ 4/ 1948 في بيـــروت، وأن يحضر الدعوة رئيس جمهورية ســـورية الســـيد شـــكري القوتلي أيضًا، على أن ينتقل الجميع إلى دمشق لتناول العشاء على مائدة السيد شكري القوتلي والمبيت هناك.

ولما لم توجه الدعوة، ولـــم يصل خبر من بيروت، اتصلوا تلفونيًا برئيس وزراء لبنان الســـيد رياض الصلح للاستفســـار، فأجابهم بأنه سيأتي غدًا إلى عمان ومعه رئيس وزراء سورية السيد جميل مردم، مما دل على عدم تمكنهم من التغلب علـــى العقبات لتصفية القلـــوب والآراء المتباينة في هذه الظروف الحرجة.

ذهبت الســـاعة التاســـعة من صباح يـــوم 29 نيســـان 1948 إلى القصر الملكي فـــي عمان، فوجدتهم منتهيـــن من الاجتماع، وأن حالـــة الملك عبد الله أهدأ من الليلة البارحـــة. وفهمت بأنهم اتفقوا على إيـــداع القيادة العامة الفخرية إلى الملك عبد الله، على أن يُعين قائد عام عســـكري يضطلع بمهام القيادة الفعلية.

وصل عمان بعـــد العصر كل من رئيس وزراء لبنان الســـيد رياض الصلح ووزير الدفـــاع الأمير مجيد أرســـلان ورئيس هيئة أركان الجيـــش الزعيم فؤاد شهاب، كما وصل رئيس وزراء سورية الســـيد جميل مردم ووزير الدفاع السيد أحمد الشرباتي ورئيس هيئة أركان الجيش الزعيم عبد الله عطفه، وحضر معهم من دمشق القائد العام لقوات فلسطين اللواء الركن إسماعيل صفوت.

تقدير الموقف وتثبيت القوات المطلوبة لحركات فلسطين والقوات المتيسِّرة منها

بتاريخ 30 نيسان 1948 اجتمعنا في قصر رغدان وطلب منا، نحن العسكريين، المذاكرة في ما بيننا وتقدير الموقف وتثبيت القوات المتيسرة من الجيوش العربية للعمل في فلسطين وتقديم النتائج إلى السياسيين الذين بقوا في القصر قريبين منا مع الملك عبد الله والأمير عبد الإله.

قرر الأمير العودة إلى بغداد مع الحاشية وإبقائي في عمان إلى اليوم التالي لإكمال البحث مع المجتمعين وسافر فعلًا، كما سافر وزير الدفاع أرشد العمري إلى لبنان، وبقيت وحيدًا في تمثيل الجانب العراقي، بينما كانت تنتظرني في بغداد أعمال كثيرة تخص القوة المرسلة إلى الأردن وغيرها.

اجتمعنا في اليوم الثاني في قصر رغدان لإكمال البحث، ومع الأسف لم تكن النتائج مطمئنة، وظهر بأن القوات الجاهزة في الجيوش العربية للعمل يوم 15 أيار كما ذكرها ممثِّلو الجيوش لا تكفي للقيام بالواجب المطلوب. لقد كان من رأي العسكريين أن تكون القوات العربية خمس أو ست فرق كاملة مع قوة جوية لا يقل عدد أسرابها المقاتلة والقاصفة عن هذا العدد، وذلك لإمكان القيام بحركات سريعة ناجحة والحصول على نتائج حاسمة، بينما كان مجموع القوات المتيسرة كما ذكرها ممثِّلو الجيوش العربية أقل من فرقتين. وذلك على فرض اشتراك جميع قوات الجيش الأردني بالقتال.

اجتمعنا مع السياسيين وبينا لهم القوات الجاهزة للعمل في كل جيش كما ذكرها ممثِّلو الجيوش، وكذلك ذكرنا القوات المطلوبة للقيام بالواجب كما يتطلبه الوضع القائم.

استكثر السياسيون هذه القوات ولم ترق لهم النتائج التي توصل إليها العسكريون، وقال بعضهم بأن العسكريين يعطون أهمية زائدة إلى قوة الصهاينة ويبالغون في تقدير القوات المطلوبة.

أوضح العسكريون بأن الموقف من الوجهة العسكرية يجعل القوات التي اتفق عليها العسكريون ضرورية إذا ما أريد تطهير فلسطين حقيقة والوصول إلى نتائج إيجابية مرضية. ومن الواجب أيضًا بيان الحقائق العسكرية وتنوير المسؤولين تجنبًا للفشل وتوخيًا للنجاح، وبيّن العسكريون بأنه لا أمل في القيام بحركات سريعة وناجحة بدون وجود هذه القوات، وأن الزمن ليس في جانب العرب، وأن العدو يزداد قوة وشدة بمرور الزمن. وكلما عجل العرب بإنزال ضربتهم كان الأمل أقوى بالحصول على نتائج حسنة ومثمرة.

صرح أحد المسؤولين عن السياسة العربية العامة بأن علينا أن نقاتل بضعة أيام، ثم لا بد وأن تتدخل بعدها هيئة الأمم في الموضوع، وهكذا لن يستمر القتال طويلًا وتحل القضية سياسيًا. وقد رد عليه أحد العسكريين بأن من يقدم على القتال يجب أن يحسب الحسابات المقتضية كافة لبلوغ الغاية التي أقدم من أجلها على القتال، وأن لا يعلق مصير الحركات العسكرية ونتائجها على الاحتمالات السياسية، وخاصة في مثل هذه الاحتمالات التي هي خارج نطاق السياسة العربية وإمكانياتها. فماذا تكون النتيجة لو دخلنا القتال غير متخذين له الأهبة الكافية، معتمدين على هيئة الأمم، ولم يتحقّق تدخل هيئة الأمم المنتظر هذا بصرف النظر عن القول بأن مثل هذا التدخل لا يكون لصالح العرب. وعليه يجب أخذ أسوأ الاحتمالات بنظر الاعتبار وإشراك جميع قوات الجيوش العربية بالقتال يوم 15 مايس، وكذلك إحضار قوات أخرى إلى ما بعد ذلك التاريخ إذا وجب الأمر.

وقد انتهى الاجتماع على أساس أن تباشر قوات الجيوش العربية المتيسرة بالقتال ونستمر فيه، وأن هذه القوات ستزداد تدريجيًا بعد ذلك.

كان الرأي الشائع قبلًا، هو أن تزود الحكومات العربية أهالي فلسطين بالأسلحة والأعتدة وتمدهم بكل ما يحتاجون إليه لمقاتلة الصهاينة يسندهم جيش الإنقاذ الذي يؤلف قوة ضاربة فيها شيء من التنظيم، على أن تتحشد الجيوش العربية المتاخمة لفلسطين في داخل أراضيها وبالقرب من الحدود

متهيئة للعمل والاشتراك الفعلي في القتال عندما تتطلب الحاجة ذلك، وقبل أن يتغلب الصهاينة على الفلسطينيين وجيش الإنقاذ في معركة كبيرة.

وأما القوة العراقية المؤلفة من اللواء الآلي (القوة الآلية)، فتبقى في شرق الأردن كاحتياط، وذلك بالاستفادة من الاتفاقية المعقودة بين العراق وشرق الأردن التي تجيز بقاء قوات أحد الجيشين في أراضي البلد الآخر.

فبعد أن قررت الحكومات العربية اشتراك جيوشها الفعلي في تخليص فلسطين من الصهاينة وإبقاءها عربية بيد أبنائها الأصليين، زاد الأمل في النجاح والحصول على نتائج مرضية، ولكن مع الأسف لم تكن القوات المخصصة كافية للقيام بهذا الواجب الخطير، ولم تكن قوات بعض الحكومات متناسبة مع قوات جيشها وإمكانياتها.

بالنظر إلى حداثة تأليف الجيش السوري واللبناني وقلة قواتهما وتدريبهما، وإلى النفوذ البريطاني المسيطر على الجيش الأردني والشكوك حول قيادته الأجنبية ونواياها الخفية، فإن الجيش المصري كان المعول عليه من بين جيوش البلاد العربية المحيطة بفلسطين.

تقرير عن الجيش المصري

في النصف الثاني من سنة 1946 كان قد مر بالقاهرة ضابطان من الجيش العراقي، هما المقدم الركن عادل أحمد راغب والمقدم الركن عبد الوهاب شاكر، في طريقهما إلى إنكلترا، وقد حضرا استعراض الجيش المصري برفقة وزير العراق المفوض، ومن جملة ما شاهداه تجهيزات حديثة لفرقتين كاملتين. وأرسلا تقريرًا بذلك إلى رئاسة أركان الجيش في بغداد، ومما لا شك فيه أن الجيش المصري الذي هو أكبر الجيوش العربية، كان يملك قوات وأسلحة إضافية في محلات أخرى من البلاد. إلا أن تخصيص الحكومة المصرية لواء واحدًا من مجموع الجيش المصري فتّ في عضد المجتمعين، وظهر للعيان عدم كفاية القوات المخصصة من الدول العربية للقتال والحصول على نتيجة موفقة.

تعهدي بإرسال لواء عراقي آخر

بالنظر إلى الموقف الحرج الــذي ظهر بنتيجة هذا الاجتماع الأخير، بينت ضرورة زيادة الجيوش العربية قواتها التي ستشترك في الحركات اعتبارًا من 15 مايس 1948، ورجوت إحضار قوات أخرى حســب الإمكان لتقوية الجيوش بها ما دام القتال مســتمرًا. وتعهدت باستحصال موافقة السلطات العراقية العليا لإحضار وإرســال لواء عراقي آخر، علاوة على القوة الآلية العراقية التي كانت بطريقها مــن العراق إلى شــرق الأردن، وذلك بالرغم من جميــع الاعتبارات والصعوبات التي كانت تكتنف موقف الجيش العراقي وضرورة محافظة الأمن الداخلي، خاصة في شمال العراق.

العودة إلى بغداد

عدت جوًا إلى بغداد في عصر يوم 1 مايس 1948 فعرضت الأمر، وما دار في الاجتماع على المقامات العليا، وبينت ضرورة زيادة القوة العراقية وإرســال لواء عراقي آخر إلى فلســطين ليشــترك في الحركات المنــوي إجراؤها اعتبارًا من 15 مايس 1948 مع القوة الآلية العراقيــة الموجودة في المفرق، فحصلت الموافقة على ذلك.

تهيئة القوات المقرر إرسالها إلى شرق الأردن

صدرت الأوامر الإنذارية إلى القطعات التي تقرر إرسالها إلى شرق الأردن لإكمال نواقصها والتهيؤ للحركة بأســرع ما يمكن. ولقد أكمل نقص الوحدات من ضباط ومراتب وأســلحة ومهمات بنقلها من بقية قطعات الجيش. وكانت المقرات والقطعات في حالة عمل متواصل ليلًا ونهارًا، وقد تم تنقل القطعات وتحشدها على الوجه التالي:

تشــكيل قيادة عراقية: بالنظر إلى تعهد العراق بإرســال قوة جديدة علاوة على القوة الآلية التي تحركت إلى شــرق الأردن، أصبح مــن الضروري تعيين قائد إلى القوات العراقية المرســلة إلى شــرق الأردن والتي سترسل فيما بعد.

وعليه صدرت الأوامر بتعيين قائد الفرقة الأولى اللواء الركن نوري [نور] الدين محمود لهذا المنصب وحضر إلى بغداد بتاريخ 3/ 5/ 1948، فشرع بتشكيل مقر القيادة وانتخاب ضباط الركن اللازمين له. وأنجز أعماله في يوم 5/ 5/ 1948، وتحرك يوم 6/ 5/ 1948 ومعه ضابط الركن الأول إلى المفرق في شرق الأردن فوصله في اليوم الثاني. ونظرًا لوجـود بعض الضباط المعينين لمقر هذه القيادة خارج بغداد، تحركت القـوة الثانية في يوم 7/ 5/ 1948، ووصلت المفرق يوم 8/ 5/ 1948، وبذلك تم اجتماع مقر القيادة في المفرق ومزاولة أعماله اعتبارًا من ذلك التاريخ.

تشكيل خط المواصلات: بالنظر إلى تحشـد بعض القطعات في المفرق ووجود قطعات أخرى في طريقها إليه، وأن القوات بازدياد مسـتمر، أصبح من الضروري أن ينظر في تشـكيل خط مواصلات لتسيير الأمور الإدارية وتشكيل قاعدة أمامية لهـذه القطعات. ولذا تقرّر تشـكيله، وصدر الأمـر بذلك، وهو يتضمن الأمرية ومقرها في المفرق، والمعاونية ومقرها في الرطبة. ولقد تحرك آمر خط المواصلات الزعيم الركن أمين عبد الحميد مع قسم من منتسبي مقره يوم 6/ 5/ 1948 إلى المفـرق، ووصله اليوم الثاني مـع وصول قائد القوات العراقية، وباشر بمزاولة أعماله في تكديس الأرزاق والمهمات لكافة القطعات التي وصلت، والتي ستصل. كما قام بعد ذلك بتأسيس مذاخر لجميع حاجات القوات العراقية المرابطة في شرق الأردن وفلسطين.

مخابرة القيادة العراقية: بعد أن تم تشـكيل مقر القيادة العراقية وسـفره، تقرر إرسال سرية مخابرة لإنجاز واجبات المخابرة لمقر القيادة مع القطعات، ومع مقر الجيش في بغداد. ولقد جلبت سرية مخابرة من الديوانية إلى بغداد، وبعد إكمال نواقصها تحركت يـوم 9 مايس 1948 ووصلت إلى المفرق يوم 12 منه.

اللواء الأول والقطعـات الملحقة بـه: جلب اللواء الأول من معسـكره الدائمي في المسـيب إلى بغداد، وبما أنه مؤلف من فوجي مشـاة فقط كسائر

ألوية الفرقة الأولى، ألحق بـه الفوج الأول للواء الخامس عشـر، وجلب من البصرة إلى بغداد، كما ألحقت باللواء من الديوانية حضيرة مخابرة اللواء وسرية هندسـة مع وحدة الميدان الطبية الثانية للفرقة الأولى. وألحقت باللواء بطارية مقاومة الطائرات الخفيفة الثانية التي جلبت من كركوك.

كتيبـة المدفعية 3.7 الآليـة: ألحقت كتيبـة المدفعية 3.7 عقـدة الآلية بجحفل اللـواء الأول. ولما كانت هذه الكتيبة تتألـف من بطاريتين، فقد صدر الأمر بتشـكيل بطارية ثالثة لتأمين التجانس مع عدد أفواج اللواء، وتم تشكيلها وحركتها فعلًا.

القوة الجوية: تقرر إرسال سرب من القوة الجوية لمساندة القوات العراقية. وبعد إكمال نواقص السـرب من الطيارين وإجراء الفحوص اللازمة للطائرات تحركت الجماعة الأرضية للسرب يوم 10 مايس 1948، وبعد وصولها المفرق يوم 12 مايس تحركت الجماعة الجويـة، أي الطائرات بنفس اليوم، وبذلك تم وجود سـرب من المفرق مؤلف من طائرات أنسـن وملحق به رف من ثلاث طائرات من نوع كلاديتر، وهذا كل ما أمكن تداركه وإرساله.

مدفعية ضد الجو: نظرًا لأهمية منطقة المفرق لما تجمع فيها وما سـيصل إليها من قطعات، ولكونها مطارًا مهمًا يجب حمايته ضد الجو، صدرت الأوامر إلى بطارية مقاومـة الطائرات الثالثـة بالتهيؤ للحركة، وبعـد إكمال نواقصها، تحركت يوم 11 مايـس 1948 إلى المفرق، فوصلته يـوم 12 منه، ووضعت تحت إمرة السرب وكلفت بحماية المطار.

حركة جحفل اللواء الأول: تم تنقل اللواء إلى المفرق بقدمتين (بجماعتين)، فوصلت القدمة الأولى في السـاعة 13:00 من يوم 12 مايس 1948 ووصلت كتيبة المدفعية 3.7 الآلية في الساعة 1:00 من يوم 13 مايس والقدمة الثانية من اللواء في السـاعة 14:00 من يوم 14 مايس، وبذلك تـم تجمع جحفل اللواء الأول بالمفرق في ذلك اليوم، بينما سبقته القوة الآلية بمدة حوالى أسبوعين.

حركة المعمل السيار الأول ومقر سرية النقلية الآلية الأولى وسرية النقلية الآلية الثالثة

كان تجمع القطعات في المفرق وهي بملاكات آلية مدعاة لضرورة وجود وحدة آلية تقوم بخدمات الخط الثاني لهذه القطعات وتيسر قدمة تصليح للآليات الكثيرة الموجودة لدى تلك القطعات. ولهذا أرسل المعمل السيار وسرية النقلية الآلية الثالثة إلى المفرق، ووضعت بإمرة خط المواصلات، كما أرسل مقر سرية النقلية الآلية الأولى إلى القيادة العراقية لغرض السيطرة على سيارات السرية الموزعة على القطعات.

محطة إخلاء الخسائر

بعد أن أرسلت القطعات إلى الأردن، وهي على وشك خوض معارك دامية، أصبح لزامًا أن تهيأ القدمات الطبية اللازمة لها، وقد كانت القطعات مكتفية بوحدات الميدان الطبية الملحقة بها، ولكن ظهرت حاجة إلى وجود مستشفى ثابت في شرق الأردن يتقبل الخسائر المخلاة من هذه القطعات. ولا توجد عادة محطات إخلاء خسائر في ملاكات الجيش بالنظر إلى اعتماده على قلب المستشفيات الثابتة في بعض المواقع في العراق إلى محطات إخلاء خسائر عند الحاجة. وعليه صدرت الأوامر بقلب مستشفى الموصل العسكري إلى محطة إخلاء خسائر ونقله إلى بغداد، وبعد إكمال نواقصه من الأطباء والمواد والسيارات تحرك إلى المفرق ووضع بإمرة خط المواصلات وباشر أعماله في مدينة إربد.

إن القوات العربية التي اشتركت في حركات فلسطين يوم 15 مايس سنة 1948 كانت كما يلي:

القوة المصرية

1 - لواء مؤلف من ثلاثة أفواج.

2 - كتيبة مدرعات 35 مصفحة بأحجام مختلفة.

3 - لواء مدفعية، ثلاث بطاريات كل بطارية ثمانية مدافع.

4 – سرية هندسة.

5 – مستشفى ميدان.

6 – ثلاثة أسراب تعاون الجيش، في كل سرب 12 طائرة.

القوة الأردنية

1 – لواءان آليان مؤلفان من أربع كتائب وكل كتيبة مؤلفة من:

أ – سرية مدرعات 12 مصفحة.

ب – أربع سرايا مشاة، في كل سرية مئة مسلح تقريبًا.

2 – لواء مشاة مؤلف من فوجين.

3 – كتيبة مدفعية مؤلفة من:

أ – بطارية 2، ثمانية مدافع هاون 4.2 عقدة.

ب – بطارية 1، 16 مدفعًا 25 رطلًا.

4 – فئة هندسة مع حضيرة جسّارة.

5 – مستشفى ميدان.

ملحوظة: هذا مجموع قوات الجيش الأردني، ولكنها لم تشـــترك بالقتال، خاصة في الأيام الأولى المهمة، ولم تطبق القيادة الأردنية الخطة المتفق عليها، ولم تقم بالواجب المطلوب.

القوة السورية

1 – لواء مشاة مؤلف من فوجين.

2 – كتيبة مدرعات.

3 – فوج مدفعية من ثلاث بطاريات 12 مدفعًا عيار 75 ملم.

4 – مفرزة هندسة. لا توجد معدات تجسير.

5 – القوة الجوية: 10 طائرات هارفرد تعاون الجيش.

القوة اللبنانية

جحفل فوج واحد.

ملحوظة: – بيّن رئيس أركان الجيش اللبناني بأنه يستطيع إرسال أكثر من فوج، ولكن قلة الذخيرة تجعله يرجح إرسال فوج واحد فقط.

القطعات العراقية التي تم تحشدها في المفرق وجاهزة للعمل يوم 14 مايس 1948

تحركت القطعات العراقية من بغداد بالموجود التالي:

1 – القوة الآلية

مقر القوة الآلية.

سرية مخابرة القوة الآلية.

الفوج الآلي.

كتيبة مدرعات خالد.

كتيبة الصحراء الآلية الثالثة.

سرية الهندسة الآلية.

وحدة الميدان الطبية للقوة الآلية.

فصيل معمل السيار للقوة الآلية.

وإن موجود الحركة لهذه القــوة 106 ضباط، 1837 مراتب، 47 مدرعة، 18 مدفعًا، 285 سيارة، 50 دراجة آلية.

2 - اللواء الأول

	ضباط	مراتب
مقر اللواء	5	15
الفوج الأول	29	658
الفوج الثاني	24	616
الفوج الأول للواء 15	24	643
سرية الهندسة	6	166
حضيرة مخابرة اللواء	2	65
وحدة الميدان الطبية	7	94
المجموع	97	2257

3 - قطعات أخرى

مقر القيادة العامة والقيادة العراقية.

سرية مخابرة القيادة.

مقر ومعاونيات خط المواصلات.

4 - القوة الجوية

كتيبة المدفعية 3.7 عقدة.

بطارية مقاومة الطائرات الثانية.

بطارية مقاومة الطائرات الثالثة.

سرية النقلية الآلية الأولى.

سرية النقلية الآلية الثالثة.

المعمل السيار الأول.

محطة إخلاء الخسائر.

يظهر من الإيضاحات المدونة في 1 و2 أن مجموع القوة الآلية وجحفل اللواء الأول 203 ضبـــاط و4094 مراتب أخرى. وإذا أضيـــف إليه موجود القطعات المدونـــة في 3 أعلاه، فيكون مجموع القوة العراقية التي تحشـــدت في شـــرق الأردن قبل 15 مايس 1948 وكانت متهيئة للاشتراك في حركات فلســـطين بحدود ثلاثمائة ضابط وستة آلاف مراتب أخرى حسب التسجيلات الرسمية في وزارة الدفاع، وهو بلا شـــكّ أكبر الجيوش العربية التي اشتركت في حركات فلسطين يوم 15 أيار ســـنة 1948 وحتى انتهاء الحركات بتوقف القتال.

الفصل العاشر

موقف الجيش العراقي العام

قوة الجيش العراقي وتسليحه عند بدء حركات فلسطين

عند استلامي رئاسة أركان الجيش في أول سنة 1945 كان الجيش العراقي مؤلفًا من فرقتي مشاة، الأولى في الجنوب ومقرها الديوانية، والثانية في الشمال ومقرها كركوك، وفرقة ثالثة غير محاربة مؤلفة من أفواج التدريب موزعة شمالًا وجنوبًا في مختلف أنحاء العراق.

إن الفرقة الأولى بحكم طبيعة أرضها معدة للقتال في السهول مؤلفة من ثلاثة ألوية واللواء من فوجين، والفرقة الثانية بحكم طبيعة أرضها معدة للقتال في الأراضي الجبلية ونقليتها من الحيوانات، وكل من الفرقتين مسمرة في منطقتها، ويختلف تدريب وتجهيز الواحدة عن الأخرى. وإن موجود جميع القطعات من الأشخاص ينقص كثيرًا عن الموجود الذي يجب أن تكون عليه حسب الملاكات. وأما الأسلحة والمهمات فهي ناقصة والجيش بحاجة إلى أنواع كثيرة منها. ولهذه الأسباب كلها، فإن قابلية الجيش الحربية تعتبر واطئة يجب تقويتها.

بتاريخ 7 نيسان 1945 رفعت تقريرًا بينت فيه الحالة وضرورة تقوية الجيش، وأرفقت به مشروعًا لثلاث سنوات استهدفت فيه إبلاغ قوة الجيش إلى ثلاث فرق مشاة كاملة في موجودها، وتجهيزها وتسليحها بأحدث الأسلحة والحصول على لواء مدرع وقوة جوية لا يقل عدد أسرابها عن خمسة أسراب، مع التأسيسات المتممة لمثل هذا التشكيل، وتأمين وسائط النقل الآلية المقتضبة للخطين الأول والثاني لهذه التشكيلات حسب الملاكات. ولقد بلغ مجموع كلفة التشكيلات الحديثة للجيش 5.578.429 دينارًا يوزع على ثلاث سنوات.

لم يخصص مجلس الوزراء المبالغ اللازمة لهذه التوسعات بسبب الضيق

المالي. وفــي أواخر الحرب العالميــة الثانية اقترحت إكمــال نواقص الجيش وحاجاته حسب تنظيمه في القسم المتبقي من سنة 1945، وأن يجري التوسع المطلوب خلال ثلاث سنوات يبدأ في سنة 1946 ويكمل في سنة 1948.

وبالنظر إلــى بقاء الحالة كما كانت عليه، ولضرورة إعادة تنظيم وتســليح الجيش وتوســيعه لكي يكون مطَمئنًــا لحاجة البلاد، قدمت في ســنة 1946 اقتراحًا بإكمال نواقص الجيش وإحداث بعض التوسعات الضرورية بكلفة أقل، وطلبت الموافقــة على تخصيص مبلغ 3.150.026 دينــارًا، فلم تردنا موافقة مجلس الوزراء عليه. وبالرّغم من الإلحــاح والتأكيد على طلباتنا، فقد ظهرت المســاومة بتخفيض مجلس الوزراء المبلغ اللازم من جهــة وامتناع ومماطلة مصادر التجهيــز البريطانية عن تزويدنا بما نطلبه مــن جهة أخرى. وهكذا بقي الجيش محرومًا من كثير من المواد الضرورية التي كان بحاجة ماسة إليها.

وفي سنة 1947 رافقت وزير الدفاع وحضرت اجتماع مجلس الوزراء الذي كان منهاج جلسته المذاكرة حول احتياجات الجيش وتخصيص المبالغ اللازمة لها. أبديت الإيضاحات اللازمة حول ضرورة التســليح، ومما قلته باختصار إن مصلحة الجيش والبلاد تقضــي بإيجاد المال اللازم بأيــة طريقة كانت لإكمال تسليح الجيش بأســرع ما يمكن، وأخشى إن تأخرنا وضيعنا الوقت أن لا نتمكن من الحصول على ما نريد من الأســلحة والمهمات عند الحاجة، وإن تيسر لدينا المال الكافي عند ذلك. وبنتيجــة الاجتماع وافق مجلس الوزراء على تخصيص بعض المال. ولضرورة الإسراع باستكمال احتياجات الجيش أرسل في خريف عام 1947 وفد برئاســة وزير الدفاع إلــى إنكلترا لمباحثة الجهــات البريطانية المختصة من جهة والتشبث بصورة شخصية ومباشرة مع الشركات من جهة ثانية، بشــأن تزويد الجيش باحتياجاته من الأسلحة والأعتدة والمواد الحربية، وكذلك طلبات القوة الجوية من الطيارات وأعتدتها والطلبات الســنوية الاعتيادية، وقد تكلّلت جهود هذا الوفد ببعض النجــاح، غير أن الجهات البريطانية ماطلت بعد ذلك في تجهيز منها سوى قسم ضئيل وهذا القسم الذي جهز بقي بعضه عاطلًا لعدم تجهيز هذه الطلبات، ولـم يجهز متمماته كالمدرعات التي لم يجهز عتادها،

وكالطائرات التي جهز قسم منها، ولكن لم يجهز عتادها وصواريخها أيضًا. وماطلت الجهات البريطانية في التجهيز حتى جاء فرض الحظر وسيلة للامتناع عن التجهيز نهائيًا، وحرمنا من كثير من الطلبات التي كان المعوّل عليها ونحن بأشد الحاجة إليها.

الأمن الداخلي في العراق

كان الأمن الداخلي، وخاصّة الوضع في شمال العراق في المنطقة الكردية، يستدعي الانتباه والحذر لأن البارزانيين لا يفتأون يحاولون انتهاز الفرص للعودة إلى العراق بمعاضدة الروس الذين تبنوهم منذ لجوئهم إليهم بعد فشل حركتهم الأخيرة. كما أن الوضع الداخلي في الشمال لم يكن مستقرًا تمامًا لوجود بعض الخلافات بين بعض رؤساء العشائر والاضطرابات التي وقعت في بعض المواقع. ولهذه الأسباب كان قائد الفرقة الثانية اللواء مصطفى راغب في مراجعاته الشخصية وفي تقاريره المرسلة يلح باستمرار على اتّخاذ الحيطة في شمال العراق خشية عودة البارزانيين واضطراب المنطقة وتجدد القتال فيها. وفي تقريره المفصل وتقديره الموقف ذكر أنباء تسرب مامند مسيح إلى العراق مع 300 بارزاني مسلح كوجبة أولى والحركة غير الاعتيادية التي يبديها الأكراد في مختلف المناطق ومطالبتهم الحكومة العراقية بالعفو عن البارزانيين ووجود الجواسيس الروس واليهود لمراقبة الأوضاع الداخلية في العراق وعمل الشيوعية المتواصل في بث مبادئها في شمال العراق بصورة سرّية، خاصّة بين الأكراد وتحريضهم على الانفصال، وتسليح البارزانيين وتهريب الأسلحة إلى الشمال من قبل جماعات البارزانيين والأسلحة التي وجدت في دار أحد المهربين في قرية (كورين) حسب اعتراف متصرف أربيل بكتابه المرقم 89 والمؤرخ 6/ 3/ 1948، علاوة على الأسلحة الموجودة لدى قسم كبير من العشائر الكردية والأسلحة التي يشتريها الأفراد ويحتفظون بها، والتي يجلبها البارزانيون معهم أثناء تسربهم. ويستنتج من الأمور السالفة الذكر وجود احتمال قوي بعودة البارزانيين إلى العراق، خاصّة إذا تقلصت الفرقة الثانية وضعفت أو انشغلت بقمع اضطرابات أخرى خارج منطقتها حيث تشل أيديها عن مقاومته.

ويعتقد قائد الفرقة بأن البارزانيين سيسلكون الطريق الذي سلكوه عند فرارهم من العراق سنة 1947 لقصره ووعورته وعدم تسلط القوات التركية والإيرانية عليه، ويطلب أمورًا كثيرة أهمها:

1 - وضع قوة لا تقل عن ثلاثة أفواج شرطة في المنطقة.

2 - مكافحة تهريب الأسلحة، خاصّة في منطقة راوندوز.

3 - تهيئة شبكة خاصّة للاستخبارات للاطلاع على سير حركة البارزانيين.

4 - إجراء التدريب الإجمالي لقطعات الفرقة في أقرب مسافة ممكنة من المنطقة المحتمل قيام الحركات فيها، خاصّة من البارزانيين.

ويرجو رجاءً خاصًا إفهام المقامات المختصة بالخطر المحدق إذا لم تتّخذ الحيطة قبل انكشاف الأحوال ويذكر المثل المشهور (درهم وقاية خير من قنطار علاج).

إن الحكومة والجهات العليا كانت على علم بالحالة في شمال العراق من تقارير السلطات الإدارية في المنطقة ومن تقارير قائد الفرقة الثانية حولها، الأمر الذي جعل مجلس الوزراء يشدد على سلامة الأمن الداخلي في العراق.

دعوة مواليد 1922 لسد نقص الوحدات المقاتلة وتقوية تدريبهم

إن القوة العسكرية الحقيقية التي تتمكن من القتال يجب أن تستند إلى دعامات ثلاث تعتمد بعضها على بعض، وإذا فقدت إحداها فقدت الأخريات مفعولها وهي:

1 - العنصر البشري من الضباط والمراتب.

2 - السلاح والذخيرة على اختلافها.

3 - التدريب التام على استعمال مختلف الأسلحة.

وعلى ذلك فإن تيسر الأشخاص لا فائدة فيه ما لم تتيسر الأسلحة اللازمة

لهم ويتم التدريب عليها ويتقن اســتعمالها. وعليه استدعينا إلى الخدمة مواليد 1922 فقط من الاحتياط ودربنا عــددًا كبيرًا منهم ومــن الجنود الآخرين في دورات متتابعة في مدارس ومراكز تدريب جميع الصنوف من مدفعية وهندسة ومخابرة ونقليــات آلية ومختلــف أنواع الأســلحة الخفيفــة وغيرها، وذلك للمحافظة على كفاءة القطعات المقاتلة ولســد النقص الحاصل في الأشخاص الفنيين وغيرهم بســبب القتال، وللاحتفاظ بعدد مناسب منهم احتياطًا. وكانت الأعمال سائرة بانتظام وعلى قدم وساق.

سوق القطعات العسكرية إلى فلسطين

اســتمر مقر الجيش بإكمال نواقص القطعات العســكرية وتسفير من تم تهيئته منها. وقد تحركت القطعات حســب القائمــة المدوّنة في الملحق رقم 6، وفي التواريخ المؤشرة إزاء كل منها بحيث أُرسلت جميع قطعات الجيش المحاربة، ولم يبقَ منها شــيء في العراق. كما أُرسل فوجان من الشرطة أيضًا إلى فلسطين.

وكنا على وشــك تأليف لواء آثوري [أشــوري] مــن الآثوريين العراقيين المتطوعيــن للقتال في فلســطين، لــولا دخول بعــض الحكومــات العربية بمفاوضات هدنة دائمة مع الصهاينة، الأمر الذي سبب انحلال الوضع وتوقف القتال.

مشكلة النقل بين العراق وفلسطين

كان الجيش العراقي بحاجة ماسة إلى وســائط نقلية آلية لإكمال تشكيلاته الاعتيادية. وبالطبع لم يكن منظمًا على أســاس العمل في خارج العراق، وعلى بعد حوالى ألف وخمســمئة كيلومتر من مراكزه الدائمية في العراق (الموصل، كركوك، البصرة)، وإن قسمًا كبيرًا من قطعاته منظم على أساس القتال في مناطق جبلية، ووســائط نقليته من الحيوانات. ولهذه الأسباب مجتمعة جابهنا صعوبة في إرسال القوات إلى فلسطين، واضطررنا إلى كراء سيارات أجرة وباصات من

مختلف الأنواع لتأمين وصول القوة إلى شرق الأردن وإكمال تحشيدها وتموينها قبل بدء الحركات في يوم 15 مايس 1948. ولقد تمكنا من إنجاز ذلك.

بصرف النظر عن كل هذه العوامل الكبيرة، فإن المسافات الشاسعة التي كان على القوافل أن تقطعها في عدّة أيام بين العراق وفلسطين عقّدت مشكلة النقل كثيرًا، فلو لم تكن المسافة كذلك لأمكن مضاعفة عدد السفرات بالسيارات المتيسرة، غير أن كل وجبة من السيارات كانت تستغرق حوالى عشرة أيام في سفرتها الواحدة ذهابًا وإيابًا، الأمر الذي استلزم الحصول على أعداد كبيرة من السيارات لتسيير القوافل باستمرار، سواء لنقل الوحدات المقاتلة إلى فلسطين أو لإدامة الجيش وتموينه هناك. وقد تطلب ذلك شراء جميع سيارات النقل المستوردة حال وصولها إلى العراق، بالرغم من اختلاف أنواعها، وما يترتّب على ذلك من صعوبات في إدارتها وإدامتها.

وبالرغم من كل الصعوبات الآنفة الذكر بخصوص وسائط النقل، فقد تمكنا من تحريك القوافل باستمرار، فبلغ عدد السيارات العسكرية والأهلية التي استخدمت عدّة آلاف لإيصال القطعات والمواد بدون انقطاع.

امتناع الحكومة البريطانية من تجهيز الجيش العراقي

كنا في ضيق وتألم من تأخير الحكومة البريطانية تجهيز طلباتنا من الأسلحة والمهمات التي طلبناها قبل حركات فلسطين بمدة طويلة. ونظرًا إلى إلحاحنا الزائد بالطلب وردتنا برقية من ملحقنا العسكري في لندن، بتاريخ 20 أيار سنة 1948، بموافقة الجهات البريطانية على تجهيز قسم من طلباتنا وقراره إرسال قسم منها بطيارات وزارة الطيران البريطانية، وذلك لتأمين سرعة وصولها بالرغم من أنها تتقاضى عن كل طائرة ثمانمائة دينار أكثر من أجور شركات الطيران، وإرسال الباقي بطيارات الشركات. وفي برقيته بتاريخ 24 أيار 1948 أخبرنا بامتناع وزارة الطيران، وفي برقية لاحقة أخرى أخبرنا بامتناع شركات الطيران من النقل، لأسباب سياسية.

عقد اجتماع في وزارة الخارجية

كنا نشـعر من مماطلة الإنكليز بأنهم لا ينوون تجهيزنا بشيء من طلباتنا، وأن ذلك مـن موجبات خطتهم العامـة في قضية فلسـطين. ومع ذلك طلبت عقد اجتماع مع السـفير البريطاني في بغداد للمداولة في الموضوع والتشـديد على صرف الطلبات، فتم الاجتماع في وزارة الخارجية ظهر يوم 29 أيار سـنة 1948.

حضر الاجتماع من الجانب العراقي:

السيد أرشد العمري، وزير الدفاع ووكيل وزير الخارجية

الفريق الركن صالح صائب الجبوري، رئيس أركان الجيش

العقيد الركن عباس علي غالب، مدير شعبة الحركات

السيد يوسف الكيلاني، مدير الأمور الغربية في وزارة الخارجية

وحضر من الجانب البريطاني:

السير هنري ماك برادشو، السفير البريطاني في العراق

مستر آرثر، سكرتير في السفارة البريطانية

جرى البحث في الاجتماع حول الأمور التالية:

1 - صرف طلباتنا الرئيسـية لعـام 1947-1948، والطلبات السـنوية للإدامة وطلباتنا الرئيسـية لعام 1948-1949، والطلبات السـنوية للإدامة مع العلم أن الطلبات قد قدمت وحصلـت الموافقة على تجهيزها قبل بحث قضية فلسطين.

2 - موافقة وزارة الحربية على تجهيزنا بقسم من طلباتنا من مصر، فطلبنا من السفير الاتصال بقيادة الشرق الأوسط للتعجيل بالتسليم.

3 – امتناع مستودعات «الحبانية» من تجهيز طلبات القوة الجوية العراقية، بينما العادة الجارية منذ تشــكيل القوة الجوية العراقية هي سحب حاجاتها من المســتودعات البريطانية في «الحبانية»، ســواء في وقت السلم للتدريب أو في الحركات الفعلية داخل العراق، ولم يســبق أن تقدمت بمثل هذه الطلبات إلى وزارة الطيران في إنكلترا.

4 – موافقــة وزارة الطيــران علــى نقل كميات مــن عتــاد 20 مليمترًا والصواريخ العائــدة لطيارات «فيــوري» بطياراتهم الخاصّــة مقابل أجور، ثم عدلوها هي والشركات المدنية عن النقل لأسباب سياسية.

5 – من جملة طلباتنا الرئيســية كمية من عتاد 15 ملم بيزة، وافقت وزارة الحربية على تجهيزنا بها، إلا أنها عادت مؤخرًا وبينت عدم وجود هذا النوع من العتاد لديها.

6 – وعدتنا وزارة الحربية بتجهيزنا بعدد مــن الناقلات العامة التي كانت ضمن طلباتنا، وأخيرًا امتنعت عن إرسالها لأسباب سياسية.

7 – سبق أن أرسلت السفارة البريطانية في بغداد برقية حول تجهيزنا بعتاد مدافع 17 رطلًا و6 أرطال، وحتى الآن لم نستلم الجواب.

ذكرنا تأثير هذه المعاملات الســيء على صلاتنا بســبب إحــراج موقفنا في ظروفنا الحاضــرة ومخالفته لروح المواثيق والعهود بيــن الجانبين العراقي والبريطاني، وبينا ضرورة تدارك الأمر وفتح باب التموين كالمعتاد.

دوّن السفير والسكرتير التفصيلات اللازمة، ووعد السفير بإخبار حكومته بها وبمــا دار في الاجتماع. وبالرغم من كل التشــبثات، صــدر قرار الحكومة البريطانية بفرض الحظر وإيقاف تجهيزنا اعتبارًا من يوم 2 حزيران 1948 ولم نستلم أي شيء من طلباتنا. ومما لا شكّ فيه أن هذه الخطة كانت مقررة ومبيتة من قبل الإنكليز.

التشبثات الخارجية لتأمين احتياجات الجيش

بُذلت جهــود كبيرة لرفع الحظر ولــو جزئيًا، والســماح بتصدير طلباتنا التي كانت جاهزة للشحن، ولكنها موقوفة بســبب الحظر، وتأمين احتياجات الجيش الســنوية التي توقّف تجهيزها أيضًا خلافًا لأحكام المعاهدة المعقودة بين الطرفيــن، فلم توافق الجهــات البريطانية على ذلك، ورفضت التســاهل رفضًا باتًا.

بعد أن سُــدَّت جميع أبواب التجهيز الرســمية لتأمين احتياجات الجيش، تقرّر إرسال وفد إلى أوروبا للبحث عن أســلحة وأعتدة يمكن الحصول عليها من تجار ووكلاء شــركات الأسلحة. وقد ســافر الوفد برئاســة الزعيم الركن ســامي فتاح آمر القوة الجوية في شــهر أيلول عام 1948 إلى أوروبا، وتمكن من الاتصال بمصادر مختلفة في سويســرا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وقام بشتى المحاولات للحصول على الاحتياجات المطلوبــة، إلا أنه لم يوفق في مهمته للأسباب التالية:

1 - عدم ملاءمة الشــروط التي تقدم بها البائعــون، وخاصّة في ما يتعلق بضمان إيصال المواد وأســلوب دفع الأثمان ومسؤولية التعويضات عن المواد غير الصالحة، مما كان يتطلب المغامرة في عقد الصفقات، الأمر الذي لم يوافق عليه مجلس الوزراء.

2 - تعذر الحصول على شــركات تأمين معروفة توافق على التأمين. لقد تعهدت شركة تأمين إنكليزية بالتأمين على صفقة عقدت لشراء بعض الأعتدة، ولكنها انسحبت أخيرًا بتأثيرات خارجية عليها وعلى غيرها من شركات التأمين، وهكذا فشلت الصفقة.

3 - تشدد الدول التي تتيسر الأسلحة في أســواقها في عدم تصديرها إلا إلى الدول التي لا يشــملها قرار الحظر، وفشلت المحاولات التي بذلت لإقناع إحدى الدول الصديقة لشراء المواد المطلوبة لنا باسمها.

4 – عجز بعض البائعين عن تدارك المواد التي كانوا يعرضونها على الوفد لعدم تيسر الكميات المطلوبة لديهم عند طلبها منهم.

5 – وأهم كل الأسباب عدم مساعدة الموقف المالي على الشراء، وذلك كما أخبرتنا به وزارة المالية بكتابهـــا المرقم 1085 والمؤرخ 10/ 11/ 1948 الذي بينت فيه أن الوضع النقدي أصبح معروفًا لدى مجلس الوزراء، وليس في الإمكان تلبيـــة طلبات وزارة الدفاع ما لم يؤمن النقـــد اللازم لأن فتح الاعتماد معناه دفع المبالغ، وهي غير موجودة في الوقت الحاضر.

الفصل الحادي عشر

انسحاب الإنكليز من فلسطين وفسح المجال للصهاينة

انسحاب البريطانيين من أكثر أقسام فلسطين قبل الموعد المقرّر

أعلن الإنكليز بأنهم سينسحبون من فلسطين في 15 أيار عام 1948 حيث تنتهي مدة انتدابهم، وأنهم مسؤولون عن حفظ الأمن والنظام في البلاد حتى ذلك التاريخ، ولكنهم انسحبوا فجأة من أماكن كثيرة قبل الموعد المحدد، الأمر الذي مكّن الصهاينة من الاستيلاء على تلك الأماكن بالقوة، لأنهم كانوا على علم بوقت الانسحاب ومتهيئين لمهاجمة الأماكن وتهجير سكانها العرب والفتك بهم. ويظهر أن ذلك جرى بالاتفاق بين الإنكليز والصهاينة وحسب خطة مدبرة.

أعمال الصهاينة الإجرامية

كان للصهاينة قيادة وخطة وهدف معين، ويسيرون حركاتهم بموجب منهج مدروس ومثبت يستهدفون من تطبيقه الوصول إلى غايتهم المنشودة. وقبل أن يحل موعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين قام الصهاينة بهجمات قوية وسريعة، فاحتلوا المدن والأماكن المخصصة لهم حسب قرار التقسيم واجتازوها إلى المناطق العربية متخذين القسوة والوحشية شعارًا لهم ليلقوا الرعب في نفوس العرب ويوهنوا عزيمتهم ويكسروا قوة مقاومتهم ويشغلوهم بالمهاجرين الذين اضطروا إلى ترك مدنهم وقراهم.

ولقد سهل الإنكليز أعمال الصهاينة وحركاتهم، كما أعانوا على احتلال الأماكن وانسحبوا من أكثرها قبل انتهاء مدة الانتداب، بينما هم المسؤولون عن حفظ الأمن والنظام في البلاد حتى آخر يوم انسحابهم الذي تقرّر أن يكون في نهاية يوم 14 أيار 1948.

في أدناه نبذة مختصرة عن بعض الهجمات والأعمال الوحشية التي قام بها الصهاينة في شهري نيسان وأيار سنة 1948 قبل وأثناء انسحاب الإنكليز من فلسطين.

القسطل

كان في مدينة القدس نحو مئة ألف من سكانها الصهيونيين مهدَّدين بالموت جوعًا، إذ قطع عنهم التموين مدة من الزمن. وكان الصهاينة يستهدفون السيطرة على طريق تل أبيب – القدس لتأمين استمرار التموين.

وفي يوم 3 نيسان 1948 هاجم الصهاينة بقوة كبيرة قرية القسطل العربية الواقعة على بعد حوالى سبعة كيلومترات غرب القدس في محل مرتفع ومشرف على الطريق العام وعلى عدد من القرى والمستعمرات. لم تكن القرية محصنة، وليس فيها من القوة ما يكفي للدفاع عنها، ولم يستطع أبناؤها المسلحون بالبنادق الاعتيادية من الصمود طويلًا أمام قوات العدو المتفوقة، فاضطروا إلى الانسحاب منها بعد أن كادت ذخيرتهم تنفد، فاحتلها الصهاينة وكسبوا موقعًا مهمًا في المنطقة.

انتشر خبر سقوط القسطل بيد الصهاينة، فتواردت إليها نجدات عربية من المناطق القريبة ومن القدس، بقصد استرجاعها. فبدأ الهجوم المقابل(*) في اليوم الثاني، واستمر القتال في الأيام 4 و5 و6 و7 نيسان بين الطرفين. ولقد عزز العدو قوته في القسطل بقصد الاحتفاظ بها مهما كلفه ذلك، وكان القتال يتحول بين كر وفر. وبعد أن زاد عدد العرب الذين خفوا لنجدة إخوانهم قاموا بهجومهم الأخير في يوم 8 نيسان فانقضوا على العدو ودخلوا قرية القسطل فاسترجعوها من الصهاينة. وبعد استرجاع القسطل تفرق أكثر المناضلين الذين اشتركوا بالقتال وكأن واجبهم قد انتهى، وعادوا من حيث أتوا. فشعر الصهاينة بقلة القوات العربية الباقية في القرية وجمعوا قوات كبيرة معززة بالمصفحات

(*) يقصد الهجوم المضاد (المحرر).

فهاجموا القسطل هجومًا شديدًا ليلة 8-9 نيسان 1948. وفي صباح يوم 9 نيسان سقطت القسطل مرة أخرى بيد الصهاينة، فدمروا جميع منازلها ومسجدها.

إن سقوط القسطل في يد الصهيونيين جعلهم مسيطرين على قسم من طريق تل أبيب - القدس، وأثر ذلك تأثيرًا سيئًا في الموقف في بلدة القدس.

دير ياسين

دير ياسين قرية عربية من قرى القدس، وتقع إلى الغرب من بلدة القدس وقريبة منها. وكان بينها وبين الصهاينة عهد بألا يعتدي أحد الفريقين على الآخر، وإنها القرية العربية الوحيدة التي لم تقاتل الصهاينة. وكانت مطمئنة بأنهم لن يعتدوا عليها. ولكن الصهاينة لم يحترموا العهود والوعود فقرروا الاستيلاء على هذه القرية، فهاجموها في صباح 9 نيسان 1948 بعد أن احتلوا قرية القسطل، فدافع أبناؤها عنها دفاع المستميت بالرّغم من قلة عددهم ونقص أسلحتهم وذخيرتهم، وعدم ورود نجدات عربية لتقويتهم. وفي عصر ذلك اليوم اضطر أبناؤها إلى الانسحاب، فانسحب من انسحب وبقي من بقي. فدخل الصهاينة القرية وقتلوا جميع الأشخاص الذين وجدوهم فيها وعددهم 254 رجلًا وامرأة وطفلًا وهدموا بعض منازلها. ومن الفظائع التي قام بها الصهاينة في دير ياسين أنهم قتلوا الشيوخ العاجزين ورموا جثث بعضهم من شرفات المنازل إلى الشارع. ورموا النساء الحوامل بالرصاص أو بقروا بطونهن. وبعد أن قتلوا النساء ألقوا بجثثهن على الطريق العام، وذبحوا الأطفال وسلبوا جميع ما وصلت إليه أيديهم من حلي ونقود وغيرها. وانتشرت أخبار الفظائع الصهيونية في دير ياسين التي اقشعرت لها الأبدان، فاستولى الرعب على قلوب الناس، وهذا مما أفاد العدو منه في محاصرته ومقاتلته القرى الأخرى، إذ أثرت أخبار تلك الفظائع في معنويات الأهلين وعلى الثبات في قتالهم.

طبرية

يســكن بلدة طبرية نحو اثني عشــر ألف نســمة، نصفهم صهاينة والقسم الباقي عرب مســلمون، وقليل منهم من المســيحيين. ولم يكــن عند العرب ســلاح يمكنهم من منازلة أعدائهم وذلك لفــرض الحكومة الحظر على حمله واســتعماله، ولقد تمكنوا من الحصول على بعض البنادق وقليل من العتاد كما وصلهم بعــض المناضلين لمعاونتهم في صد العدوان الصهيوني. وقد نشــب القتال بين العرب والصهاينة في أواســط شهر آذار عام 1948 لمدة بضعة أيام، ثم حلت بينهما هدنة.

ثم جمع الصهاينة قوة كبيرة من طبرية وســكان المســتعمرات المجاورة، علاوة على قوة الهاغانا، فقاموا ليلة 15-16 نيســان 1948 بهجومهم الغادر. وفي يوم 16 نيســان تدخل الإنكليز فمنعوا التجول، وفرضوا هدنة ثلاثة أيام، وعندما اســتؤنف القتال في يــوم 19 نيســان 1948، كان الصهاينة أكثر عددًا وأوفر ســلاحًا. وبعد ساعة أو ســاعتين من القتال تغلبوا على المقاومة العربية وتمكنوا من احتلال البلدة.

ولقد دبّ الرعب فــي نفوس الأهلين العرب خشــية أن يحلّ بهم ما حلّ بأهالي قرية دير ياســين وغيرها من الأعمال المنكرة والوحشية، فرحلوا مولين وجوههم شطر مدينة الناصرة والأردن.

إن الإنكليز كانــوا على علم بقرب وقوع هجمات صهيونية واســعة على طبرية، فأمروا رعاياهــم المدنيين بالرحيل وأغلقوا المستشــفى فيها قبل وقوع الهجوم. ودلت الظواهر علــى أن القائد الإنكليزي في طبريــة كان على اتفاق مع الصهاينة لتســليم البلدة إليهم، وأنه لم يمنع تعديات الصهاينة على العرب ويوقف القتال بالنظر إلى مســؤولية حكومته في محافظــة الأمن في البلاد، بل على العكس من ذلك حبذ رحيل العرب عن البلدة وتسليمها هدية إلى الصهاينة وحكومته ما زالت منتدبة على فلسطين.

حيفا

يسكن مدينة حيفا حوالى مئة وأربعين ألف نسمة، وإن عدد الصهاينة يزيد قليلًا على نصف السكان، والباقون عرب يؤلف المسلمون منهم ربع السكان والمسيحيون أقل من الربع.

يسكن الصهاينة في المرتفعات وعلى جبل الكرمل بينما يسكن العرب في السهول والمنخفضات، وهذا مما يجعل الأحياء الصهيونية مسيطرة على الأحياء العربية. وعلاوة على كثرة عدد الصهاينة في مدينة حيفا وسيطرة أماكنهم عليها، فإن البلدة محاطة من كل جانب بعدد من المستعمرات الصهيونية المسيطرة على طرق المواصلات التي تربط المدينة بالمدن القريبة الأخرى.

كان للصهاينة قوة كبيرة من الهاغانا في حيفا تعد بالآلاف، ولها قيادتها الخاصّة وأسلحتها الكافية. بينما يوجد عند العرب مناضلون يأتمر بعضهم بأوامر اللجنة القومية في حيفا، والبعض الآخر بأوامر الهيئة العربية العليا، عدا المستقلين الذين لا ينتمون إلى أي من الجهتين. وإن رواتب فريق المناضلين تدفعها الهيئة العربية العليا، ورواتب الفريق الآخر تدفعها اللجنة العسكرية الدائمة في دمشق. ولم يكن بينهم توافق وانسجام في خططهم وحركاتهم. وكان عددهم قليلًا لا يتناسب مع قوات الهاغانا الصهيونية وأسلحتها الكثيرة.

إن ما حدث في المدن والقرى الفلسطينية الأخرى حدث في مدينة حيفا أيضًا، إذ ما كاد يصدر قرار التقسيم حتى نشب القتال بين العرب والصهاينة، واستمر لفترات، وكان بعض الجنود البريطانيين يزيدون في إضرام نار العداء بين الفريقين، ويتحيزون للصهاينة علنًا.

وفي النصف الثاني من شهر نيسان سنة 1948، اشتدت وطأة القتال بين الفريقين. وفي 19 نيسان 1948 حدث تصادم قوي استمر بضعة أيام استخدم فيه الصهاينة عددًا كبيرًا من مقاتليهم يقدر بعدة آلاف. فاقتحموا المنازل وفتكوا بالسكان ولم يتوانوا عن اقتراف جميع المنكرات.

لم يقم الإنكليز بأي عمل لردع الصهاينة عن أعمالهم الوحشـية وإيقافهم عند حدهم، بل على خلاف ذلك تصدوا للمناضليـن العرب الذين جاءوا من القرى المجاورة لنجدة إخوانهم في حيفا ومنعوهم من الوصول إلى المدينة.

وبينمـا كان الإنكليز يؤكدون في بياناتهم الرسـمية والخصوصية أنهم لن يتخلوا عن حيفا قبل انتهاء مدة الانتداب، وأنهم مسؤولون عن حفظ الأمن في مدينة حيفا حتى خروج آخر جندي بريطاني منها، فـإن القوات البريطانية التي كانت في المدينة تخلت عن جميع مراكزها وانسـحبت يوم 23 نيسان 1948 إلى منطقة الميناء ضمن المنطقة المسـيجة بالأسلاك الشـائكة، ولقد صادروا أسلحة من عثروا عليه من المناضلين العرب قبل انسحابهم.

فوجئ العرب بانسـحاب البريطانييـن من مدينة حيفا إلـى الميناء. وبعد هذا الانسحاب، الذي يستبان من الدلائل أنه قد تم الاتفاق عليه بين السلطات البريطانية والصهيونية، شـن الصهاينة هجومًا كبيـرًا، فتمكنوا من احتلال حيفا واقترفوا من الآثام ما تقشـعر له الأبـدان، فقتلوا الأشـخاص ونهبوا الأموال وأحالوا المسـاجد والكنائس إلى إصطبلات، وهدموا المنازل، وقلعوا الرخام من القبور واستعملوه في بناء منازلهم.

وغادر سـكان حيفا المدينة عن طريق البحر بمختلف الوسائط المتيسرة، فهبط فريـق منهم عكا، وفريق آخـر هبط صيدا وصور، وبعضهـم هبط مدينة بيروت.

مذكرات المارشال مونتغومري

جاء في مذكرات المارشـال مونتغومري، رئيـس الأركان البريطانية، عن ورود سيل من التقارير الصحافية إلى لندن في 22 نيسان 1948 تصف حدوث معركة شديدة في حيفا، فقيل إن مذبحة ضدّ العرب كانت قائمة. وأنه استدعي مساء ذلك اليوم إلى دار رئيس الوزراء المسـتر أتلي، وكان حاضرًا هناك وزير الدفاع ألكسـندر ووزير الخارجية بيفن. وافتتح رئيس الوزراء الكلام بالسؤال عما إذا كان مونتغومري قد اطلع على التقارير الصحافية حول القتال في حيفا،

فأجاب بالإيجاب، وأنه لا يصدق كل ما قــرأه في الصحف، بل إنه يعتمد على تقارير القادة التي لم تصله بعد. وعند ذلك اغتاظ بيفن وقال (إن 23000 عربي قد قتلوا وأن الموقف ليس إلا كارثة).

ذهــب مونتغومري إلــى وزارة الحــرب، فاتخذ ما يلــزم للحصول على التقارير، وذهب في صباح اليوم الثانــي إلى دار رئيس الوزراء، وكان بيفن أكثر تهيجًا مما كان في الليلة السابقة، وقال إن الجيش كان يجب أن يوقف الفظائع في حيفا، وإن المذبحة العربيــة وضعته في موقف لا يطــاق مع جميع الدول العربية. وحصلت بعد ذلك مشادة كلامية بين مونتغومري وبيفن على إثر انفجار الأخير بقوله إن الجيش قد خذله.

صفد

يســكن بلدة صفد أكثر من عشــرة آلاف نســمة معظمهم عرب مسلمون وبضع مئات من المســيحيين العرب، وأما الصهاينة فيؤلفون خمس الســكان. كانت في صفد قوة عربيــة من المناضلين ومن جيش الإنقــاذ مجموعها بضع مئات من المقاتلين. وأما الصهاينة فلم يكن لديهم قوة كبيرة في صفد في بادئ الأمر، على أن هذه المدينة كانت مطوقة بمستعمرات يهودية.

يظهر أن العرب علموا بموعد انســحاب الإنكليز من صفد قبل انسحابهم منها ببضعــة أيام، ولكنهم لــم يتمكّنوا مــن الحصول على الأســلحة والقوة الكافيتين للاحتفاظ بصفد، بالرّغم من مراجعة وفودهم عمان ودمشق وعرض خطورة موقفهم على السلطات فيهما.

وبعد انسحاب الإنكليز من صفد يوم 16 نيسان 1948، حصلت مناوشات ومصادمات عديدة بين الفريقين، كان العرب فيها أســياد الموقف. وبعد ورود أنباء سقوط حيفا يوم 24 نيسان، واحتلال الصهاينة بعض القرى المحيطة ببلدة صفد، ساء الموقف واشتدت وطأة القتال، خاصّة بعد يوم 1 أيار 1948.

وفي يومي 5 و6 أيار وردت نجدات كبيرة إلى الصهاينة، فازدادت قوتهم

زيادة جسيمة وصلت إلى بضعة آلاف مقاتل، الأمر الذي أثر على معنويات الأهلين والمقاتلين، فتأزم الموقف وأخذ السكان العرب يرحلون عن البلدة لقلة النجدة والذخيرة. وفي ليلة 9-10 أيار 1948 قام الصهاينة بهجومهم الأخير على صفد بقوة كبيرة وأسلحة وفيرة، فانسحبت حاميتها العربية. وفي اليوم التالي استولى الصهاينة على صفد. ولقد نزح عن صفد جميع سكانها العرب الذين كانوا يؤلفون الأكثرية المطلقة فيها.

يافا

تعتبر يافا أغنى مدن فلسطين لكثرة بياراتها وتجارة الحمضيات فيها ويبلغ سكانها العرب خمسة وستين ألف نسمة لم يكونوا مستعدين للقتال، وليس عندهم فيها سلاح. وأما تل أبيب البلدة الصهيونية المجاورة إلى يافا فيبلغ سكانها مئتي ألف صهيوني وعدد المقاتلين فيها لم يقل عن بضعة آلاف مقاتل في أي وقت من الأوقات.

إن تل أبيب محاطة بعدد من المستعمرات الصهيونية، كما أن هناك حوالى يافا مستعمرات صهيونية أيضًا. ويفهم من ذلك أن مدينة يافا محاطة بالأعداء من كل جهة وأن الصهاينة مسيطرين على طرق الاتصال بين يافا والقرى العربية الشرقية وبينها وبين القدس ومطار اللد.

وبعد قرار التقسيم بأيام وقعت أول مصادمة بين العرب والصهاينة، شعر العرب على إثرها بضرورة حصولهم على الأسلحة والاستعداد لمقاتلة الأعداء المعتدين، فتألفت فيها لجنة قومية لجمع المال والحصول على الرجال المقاتلين والسلاح. فجندت الشباب وابتاعت السلاح كما وصلها كمية من البنادق والعتاد وعدد من الرجال من اللجنة العسكرية الدائمة في دمشق. وهكذا تجمع بضع مئات من المقاتلين في يافا ألقي على عاتقهم واجب الدفاع عن البلدة. ولقد اشتبك المناضلون في مصادمات كثيرة مع الصهاينة انتصروا فيها على أعدائهم، وذلك بالرّغم من قلة عددهم وضعف أسلحتهم. وبمرور

الزمن وتطلب الوضع ازداد عدد المناضلين فبلغ حوالى ألفٍ وخمسمئة مقاتل في أواخر شهر آذار عام 1948.

كانت الاختلافات على أشـدها بين اليافايين أنفسهم، وبينهم وبين الذين أتوا لنجدتهم، إذ اختلفوا في بادئ الأمر على تسـمية أعضـاء اللجنة القومية، كما اختلف رئيس البلدية مع اللجنة القوميـة، واختلف أيضًا مع آمر حامية يافا الذي انتدبته اللجنة العسكرية الدائمة بدمشق، كما كانت المشاحنات قائمة بين رئيـس البلدية وأتباع المفتي. ولقد حصل اختلاف بين الضباط المرسـلين من اللجنة العسكرية الدائمة وبين المجلس البلدي واللجنة القومية بسبب الفوضى والتدخل في شـؤون القيادة وضعف بعضهم. أضف إلـى ذلك انخراط بعض الصهاينة المنتمين إلى مصلحة التجسّس الصهيونية بالقوات العربية واشتغالهم مع جيش الإنقاذ وغيره بصفة عرب متطوعين بسبب إتقانهم اللغة العربية ونقلهم الأخبار والخطط إلى الصهاينة ونشـرهم الأخبار الملفقة والمبالغ فيها عن قوة الصهاينة والتأثيـر على معنويات المجاهدين. هذا وغيره مـن الأمور أثر تأثيرًا سـيئًا في الموقف وفي إخلاص وتفانـي الآخرين الذين لم يقصـروا في أداء واجباتهم الوطنية. فدبّ الرعب في القلوب، خاصّة بعد سـقوط حيفا ووصول أخبارها المحزنة.

وفي ليلة 25 نيسـان 1948 قصف الصهاينة مدينة يافا بمدافعهم، واستمر القصف ثلاث ليالٍ، فتعطل العمل وبدأ الأهلون يرحلون. وفي 28 نيسـان قام الصهاينة بهجومهم من جميع الجهات وحصلت معارك دامية بين الطرفين.

وعلى إثر القصف المسـتمر والمصادمات الأخيرة وتحرج الموقف في يافا، أمرت اللجنة العسكرية بدمشـق جيش الإنقاذ بإنجاد يافا وجعلها ضمن منطقة عمله. فأرسـل هذا فوجًا مع بعض المدفعية إلـى يافا فوصلها وقصف تل أبيب في 28 نيسـان 1948 بنار المدفعية فرجحت كفة العرب. وبناء على طلب الصهاينة تدخل الإنكليز، وافـق الطرفان على الهدنة. وكانت هذه حيلة صهيونية لاكتساب الوقت والاسـتعداد الزائد بينما كانت الحالة في يافا تسير من سيء إلى أسـوأ ورحل عنها معظم سـكانها أي نحو سـتين ألف نسمة،

رحلوا إلى غزة ورام الله ونابلس وعمــان وغيرها. وفي 13 أيار 1948 وقع بين ممثّلي العرب الباقين في يافا وقائد الهاغانــا الصهيوني اتفاق بإعلان يافا بلدة غير محصنة، وأن الهاغانــا تحترم ميثاق جنيف وجميع شــرائع وتقاليد الحرب الدولية... إلخ.

ولكن الصهاينة لم يأبهــوا بهذا الاتفاق إذ ما كاد الإنكليز ينســحبون من المدينة يوم 14 مايس حتى اقتحموها ورفعــوا الأعلام الصهيونية على مبانيها، وأباحوا النهب والسلب والقتل والاعتقال والإبعاد خلافًا لشروط الاتفاقية.

وهكذا ســقطت مدينة يافا بيــد الصهاينة، وكان ســقوطها خســارة لا تعوض للعرب. وكان الموقــف يتطلب تخصيص قوات كافيــة ليس لحماية يافا والاحتفاظ بها مهما كلف الأمر فحســب، بل للهجوم منها، خاصّة وأنها ملاصقة إلى رأس الأفعــى تل أبيب، ويمكن نجدتها مــن البحر ومن جنوب فلســطين ومصر، حتى إذا انقطع اتصالها مع ســائر المدن الفلسطينية، لتبقى مصدر قلــق وتهديد إلى الصهاينــة وبلدتهم الكبيرة تل أبيــب التي باحتلالها يقضى على آمال الصهاينة في فلســطين. ولكن مع الأسف فإن ما حدث كان خلاف ذلك تمامًا.

بيسان

يسكن بيسان حوالى خمسة آلاف نسمة، جميعهم عرب مسلمون وحوالى عشــرهم عرب مســيحيون، ولا يوجد فيها صهيوني واحد. كانت حاميتها من المناضلين الفلســطينيين والأردنيــن الذين يتألف مــن مجموعهم حوالى مئة وخمسين شخصًا مسلّحين بالبنادق الاعتيادية.

في يوم 12 مايس 1948 هاجم الصهاينة بيســان، وبعــد أن تغلبوا على المناضلين فيها استولوا عليها ورحلوا سكانها بالقوة والجبر، فأمروا المسلمين بالتوجه إلى شــرق الأردن عن طريق جســر الشيخ حســين، وأما المسيحيون فنقلوهم إلى قطاع الناصرة.

انسحاب القوات الأردنية من فلسطين

كانت القوات الأردنية موزعة في فلسطين وقائمة بمعاونة القوات الإنكليزية. وقبل انتهاء مدة الانتداب البريطاني على فلسطين يوم 15 مايس سنة 1948 وعند انسحاب القوات الإنكليزية، سحبت القوات الأردنية أيضًا من فلسطين وبقيت المقرات والقطعات التالية في بعض المناطق التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم.

في رام الله	مقر لواء ومقر كتيبة وبعض السرايا
في نابلس	سرية
في أريحا	مقر كتيبة وبعض السرايا
في الخليل	سرية

إن انسحاب القوات الإنكليزية، وخاصّة القوات الأردنية من مراكزها في فلسطين، هيأ للصهاينة فرصة ثمينة للاستيلاء على معظم الأماكن المهمة، والتجاوز على القسم العربي، وخاصّة الأحياء العربية في القدس، وإن الأيام الأولى من القتال كانت أكثر الأيام هولًا وأعظمها أثرًا في مصير القدس، بينما كانت القوات الأردنية على أبواب القدس ومحيطة بها، وكان قسم منها في أريحا وفي خان الأحمر وفي رام الله، ولكن القيادة الأردنية لم تقم بأي عمل، كما لم تنفذ واجبها حسب الخطة والأوامر الصادرة إليها من القيادة العامة، ومن الملك عبد الله نفسه.

لو أرادت القيادة الأردنية إنقاذ الموقف في القدس واشتركت قواتها في القدس في أيامها الأولى لتغير الموقف العام تغيرًا كاملًا وأصبحت القدس بأكملها بيد العرب، ولاضطر الصهاينة إلى التشتت، ولهاجر قسم كبير منهم وحل بهم ما حلّ بالمهاجرين العرب، ولانقلب الموقف رأسًا على عقب ولصالح العرب.

مذكرات المارشال مونتغومري (وشهد شاهد من أهلها)

أرى مـن المفيد أن أثبـت هنا بعض الفقـرات من مذكرات المارشـال مونتغومري، رئيـس الأركان البريطانية، حول فلسـطين لأهميتها وإلقاء بعض الضـوء على تخاذل الحكومـة البريطانية تجـاه الصهاينة وتحيزهـا لجانبهم، ولصدورها خاصّة عن شـخصية مرموقة أشـغلت أعلى منصب عسـكري في الحكومة البريطانية. وقد قام المارشـال مونتغومري في شـهر حزيران 1946 بجولة زار خلالها القاهـرة والقدس وعمان والهند. وجاء فـي مذكراته حول فلسطين بالحرف الواحد ما يلي:

«ثم ركبت الطائرة إلى فلسـطين حيث كانت الحالة على أسـوأ ما يمكن من الاضطراب والإرهاب بسـبب المنظمتين الإرهابيتيـن اليهوديتين، أرغون وشتيرن. والذي زاد في الاضطراب تقرير اللجنة الأمريكية-الإنكليزية بالسماح لـ 100.000 يهودي لدخول فلسـطين، وعلم الناس بذلك التقرير وعيل صبر اليهود في انتظاره. هذا مع العلم أن المفوض البريطاني لم يكن رجل حزم وعزم وكان التـردد في الطبقات باديًا ابتداءً من (وايتهـول). لا يعرف أحد ما العمل. أما أنا فالذي كان يهمني هو حالة الجيش، فأريـده متمتعًا بمعنوياته كلها حتى يستطيع أن يفرض على الناس هيبة السلطة المدنية، لا سيما وأن الشرطة كانت عاجزة عن القيام بمهماتها وذلك بغير ذنب منها. ولا شكّ في أن ضعف موقف السلطة البريطانية هذا كان من شـأنه أن يجعل السلطة الفعلية بين أيدي اليهود، يتصرفون كما يشاءون وهم يتحدون كل من يحاول مقاومتهم. فصارحت القائد الأعلى في فلسـطين بأن تلك الحالـة لا يمكن أن تدوم، فلا بـد له من اتّخاذ الاحتياطات اللازمة لإعادة الأمن والطمأنينة إلى القلوب مهما كلف الأمر. ولا بد من أن يقودنا ذلك إلى حرب ضدّ اليهود وهم منبثون في كل مكان، متنكرون فلا نعود نـدري أين العدو لنقاتله. فعلى كل حال يجـب أن تعطى التوجيهات السديدة لقمع الفتن أينما كانت وسـأكون أنا إلى جانب الجيش دومًا لأساعده على مهمته الشاقة».

«أما رجوعي فكان مبدئيًا عن طريق أثينا ونابولي، إلا أنني قرّرت أن أقف

ساعة في اللد، في فلسطين، حيث استقدمت الجنرال باجيت وباركر (القائد الأعلى في فلسطين)، وهناك قلت لباركر للمرة الثانية إنه من الواجب عليه ألا يتظاهر بالضعف أمام الإرهاب، فلا يتردد في تطبيق حكم المحكمة على اليهود الإرهابيين خوفًا مما سينزلون بالضباط الخمسة الذين كانوا قد اختطفوهم لأيام خلت. وشد كلامي هذا في عضد باركر وهو يكابد الأمرين من تخاذل السلطة الحكومية. ودعته ووعدته بأنني سأكون إلى جانبه دومًا في عمله الشاقّ».

ويذكر المارشال مونتغومري في الفصل الرابع والعشرين من مذكراته تحت عنوان «غيوم سوداء فوق فلسطين» أقتطف منها نصًا الفقرات التالية:

«لن أتناول المشكلة إلا من الناحية العسكرية، وهي ناحية استخدام الجيش لمساعدة السلطة المدنية. كان لا بد من تحديد موقف بالنسبة لفلسطين، ولا يعنيني ما عسى أن يكون ذلك الموقف. إلا أن الترددات المستمرة في (وايتهول)، وعدم التقيد بسياسة واضحة سديدة، ذلك كله أدى إلى هلاك الكثيرين من الجنود البريطانيين الشباب، وهذا هو الذي جاهدت ضده».

«فاستشطت غضبًا لتلك الحالة وقرّرت السفر إلى فلسطين بالطائرة في 28 تشرين الثاني 1946 وقبل سفري اجتمعت برئيس الوزراء وصارحته بالموضوع وفحوى ما قلته له هو أن عدد أفراد الجيش في فلسطين لا يربو على 100.000 وهو قادر على ضبط الأمور، ومع ذلك فإنه لا تترك له الحرية اللازمة في تصرفاته. فهو الذي يجب أن يباشر بالعمل، وألا يدع ذلك لليهود».

«فاجتمعت بكوننغام و(دمرس) في 29 تشرين ثاني واستعرضنا الحالة. فأقر كوننغام أن الجيش لا يمكنه أن يقوم بالمهمات المتعلقة به بسبب التضييقات المفروضة عليه».

«وصرت أزداد استياءً للحالة في فلسطين على قدر ما كنت أزداد عليها اطلاعًا، فإن المفوض السامي البريطاني كان لديه كل ما يلزم لتوطيد الأمن؛ الجيش والشرطة، وكلاهما لم يستخدما بفطنة وحكمة».

«وأخــذت الحالة تتفاقــم منذ كانــون الأول 1947 وإن اليهــود أخذوا يحاولون جهدهــم أن يؤمنوا لهم كل المواقع المهمة مــن الناحية الحربية قبل انتهاء الانتداب».

«وفي 15 مايس 1948 ســلمنا انتدابنا في فلســطين إلــى منظمة الأمم المتحدة وسحبنا جيوشنا ولم يمسها ضرر قط».

«إن نتيجــة عملنا هذا هو أننا جعلنا موقفنا ضعيفًا في الشــرق الأوســط، وليس فقط موقفنا، بل موقف العالم الغربــي كله بصورة عامة، في الصراع بين الشرق والغرب»[1].

(1) راجع كتاب مذكرات الفيلدمارشال لورد مونتغومري المطبوع في لندن.

الفصل الثاني عشر

تعيين قائد عام ووضع خطة الحركات وتبديلها قبل التنفيذ

ترشيح قائد عام

في ظهر يوم 9 مايس 1948 طُلبت إلى البلاط الملكي، فوجدت الوزراء مجتمعين في صالون العــرش ومعهم الوصي الأمير عبــد الإله ورئيس وزراء سورية الســيد جميل مردم ورئيس وزراء لبنان السيد رياض الصلح، يتذاكرون حول من يتولــى القيادة العامة للجيوش العربية في فلســطين من العســكريين العراقيين. وبعد أخذ بعض الاعتبارات وعامل القدم بين ضباط الجيش الواحد بنظر الاعتبار اتفق مبدئيًا على تعيين قائد القوة العراقية في شــرق الأردن اللواء الركن نوري الدين محمود قائدًا عامًا، على أن يكون القائد العام لقوات فلسطين اللواء الركن إســماعيل صفوت الموجود آنذاك في دمشق، رئيسًا لهيئة الأركان في القيادة العامة، وأن تكــون القيادة العامة مرتبطة باللجنة السياســية لجامعة الدول العربية مباشرة. ولذا تقرّر سفري إلى دمشق لتبليغ ذلك إلى اللواء الركن نوري الدين، واللواء الركن إسماعيل صفوت وتأمين اشتغالهما معًا.

السفر إلى دمشق

بتاريخ 10 مايس 1948 ســافر جوًا إلى دمشق السيد جميل مردم والسيد رياض الصلح، فسافرت بعدهما بطائرة عسكرية. عند وصولي مطار دمشق كان بانتظاري القائم بأعمال المفوضية العراقية السيد عبد الكريم محمود، فأخبرني باجتماع السياســيين والعســكريين في القصر الجمهوري. ذهبنا توًا إلى القصر الجمهــوري، فوجدت هناك من العراقيين وزير الدفاع العراقي الســيد أرشــد العمري الذي وصل من بيــروت، واللواء الركن نوري الديــن، واللواء الركن إســماعيل صفوت. فبلغتهم بما تم الاتفاق عليه في بغــداد حول القيادة العامة ورئاسة هيئة الأركان.

وضع خطة الحركات

بعد الغداء في القصر الجمهوري، طلب من العسكريين الممثّلين للجيوش العربية وضع الخطة للحركات المقبلة في فلسطين ومناقشتها.

لم يكن لي سابق علم بهذا الاجتماع، ولم أحضر دمشق للاشتراك بهذا العمل، ولكن طلب إلي الاشتراك مع الآخرين، فلبيت الطلب بصفتي الشخصية. وقد أوضحت ضرورة كتم الخطة، وجعلها سرية لا يطلع عليها أشخاص كثيرون، ولزوم فسح المجال للقائد العام لإكمال معلوماته واستطلاعاته لوضع الخطة التي سيقوم بتنفيذها. وبالرّغم من ذلك كله بدأت المداولات بإصرار من السياسيين.

الحاضرون:

من لبنان المقدم شوكت شقير.

من سورية العقيد محمود الهندي.

من الأردن اللواء عبد القادر الجندي.

من مصر العقيد الركن عبد الحميد غالب والعقيد حافظ.

من العراق اللواء الركن نوري الدين محمود، واللواء الركن إسماعيل صفوت

الخطة باختصار

بعد نقاش طويل اتفق الحاضرون على ملخص الخطة التالية:

1 - يتحرك الجيش اللبناني من رأس الناقورة على الحدود اللبنانية-الفلسطينية معقبًا الساحل باتجاه نهاريا وعكا.

2 - يتحرك الجيش السوري نحو صفد والناصرة.

3 - يتحـــرك الجيش العراقي من جســـر المجامع على نهـــر الأردن نحو كيشر، وكوكب الهوى، والمرتفعات المؤدية إلى العفولة.

4 - يتحرك قســـم من الجيش الأردني من جسر الشـــيخ حسين على نهر الأردن نحو بيســـان والعفولة موحـــدًا حركاته مع الجيـــش العراقي. على أن يقوم القســـم الأكبر من الجيش الأردني بنفس الوقت بالحركة من جنين باتجاه العفولة.

5 - يتحرك الجيش المصري من حدوده نحو الشمال باتجاه تل أبيب.

إن العوامل التي أثرت في اتّخاذ هذه الخطة هي:

أ - قلة القوات المتيسرة التي تقرّر اشتراكها في الحركات.

ب - ضرورة اســـتخدام هذه القوات وفق خطة مأمونة العواقب بعيدة عن المجازفة بحركات لا يعلم مصيرها.

ج - تشـــتيت قوات العدو وعدم تمكينه من جمع قواته الاحتياطية باتجاه واحد.

مع هذا فإن الخطة كانت تســـتهدف شـــطر القرى الصهيونية إلى شطرين. وقطع الاتصال بين القرى الممتدة في منطقة الحولة وطبرية، وغور بيسان وبين القرى والبلدات الممتدة على طول ســـاحل البحـــر الأبيض. وإن الوصول إلى منطقة الناصرة-العفولة- جنين يؤمن عزل القرى الكائنة في شرق هذه المنطقة واستســـلامها بالتدريج. كما أنه يهيـــئ موقفًا ملائمًا للقيـــام بحركات الصفحة الثانية، وهي الاســـتيلاء على حيفا أو تـــل أبيب، وذلك بالنســـبة إلى ما يكون الموقف عليه وحالة الجيوش العربية في ذلك الوقت.

قرار خاص بالقيادة

قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في جلستها المنعقدة بدمشق في 11 مايس ســـنة 1948 أن يقوم اللواء الركن نـــوري الدين محمود بأعمال القيادة العامة للقوات النظامية وغيرها، لإنقاذ فلسطين.

وعليه أسندت قيادة القوات العراقية إلى الزعيم طاهر محمد الزبيدي آمر القوة الآلية بدلًا من نوري الدين.

الحركة إلى شرق الأردن

تحركت بعد ظهر يوم 13 مايس 1948 إلى شرق الأردن ومعي اللواء الركن إسماعيل صفوت ليلتحق بمقر القيادة العامة في الزرقاء.

انتظرنا في مطار المفرق وصول الأمير عبد الإله من بغداد فوصلت طائرته مساء. ولعدم مساعدة الوقت على زيارة القوات العراقية بسبب حلول الظلام، أجّل الزيارة إلى اليوم التالي وتحركنا إلى عمان.

تبديل خطة الحركات

في 14 مايس 1948 ذهبنا برفقة الأمير عبد الإله إلى المفرق، فوجدنا القوة العراقية جاهزة للحركة حسب الأوامر الصادرة إليها من مقر القيادة العامة وتحركت فعلًا.

فهمت هناك من اللواء الركن نوري الدين حصول تبدل في الخطة المقررة في القصر الجمهوري بدمشق قبل أربعة أيام. وبموجب الخطة الجديدة جلب اللواء السوري إلى منطقة سمخ، ولم ترسل قوة إلى بيسان لعدم موافقة القيادة الأردنية على تخصيص هذه القوة. كما أن الجيش الأردني لا يقوم بالواجب المطلوب منه، وهو الحركة من جنين نحو العفولة.

لا ينكر أحدٌ حقَّ القائد العام في تغيير الخطط بالنسبة إلى الظروف والأحوال وانكشاف الموقف إذا تطلب الأمر ذلك. إلا أن هذا التغيير في الخطة جرى بسبب إحجام القيادة الأردنية عن إشراك القوات الأردنية في القتال، وعدم اكتراثها بأوامر القيادة العامة.

إن تبديل الخطة المقررة قبيل البدء بالحركات، وترك القوة اللبنانية الصغيرة وحدها في الشمال، وترك منطقة بيسان المهمة بدون قوة، وترك الجيش الأردني

لحاله حسب رغبة الفريق غلوب وعدم الاستفادة منه، أمر أقلقني وأفزعني أشد الفزع، وذلك لاعتقادي بعدم إمكان نجاح الحركات وبفشـلها الأكيد في هذه الحالة. وبما أن القيادة العامة مرتبطة باللجنة السياسـية لجامعة الدول العربية، وليس من حقي المداخلة بأمرها، ولا بأمر القيـادة الأردنية، أخبرت في الحال الأمير عبد الإله والحاضرين، ومن جملتهم أمين الجامعة العربية، بالأمر وبينت آرائي في الموضـوع بكل وضوح. اقتنعوا من ملاحظاتـي واتفقوا معي بالرأي وتقرر مفاتحة الملك عبد الله وإقناعه بقبول تطبيق الخطة المتفق عليها سـابقًا في ما يخص الجيش الأردني على الأقل.

عدنا إلى عمان واجتمعنا ليـلًا في القصر الملكي بحضور الملك عبد الله والأمير عبد الإله. كان الحاضرون وزير الدفاع العراقي السـيد أرشد العمري، أمين الجامعة العربية السـيد عبد الرحمن عزام، الفريـق الركن صالح صائب الجبوري، اللواء الركن نـوري الدين محمود، والزعيم الركن المصري سـعد الدين صبور.

فتحنا الموضوع وأقنعنا الملك عبد الله بإرسـال قوة من الجيش الأردني إلى جسر الشيخ حسين في منطقة بيسان وقيام قوة أخرى بحركة من جنين نحو العفولة حسب الخطة المتفق عليها.

اتصل الملك تلفونيًا بقيادة الجيش الأردني وأبلغهـا أوامره، لكن القيادة الأردنية لم تنفِّذها.

الفصل الثالث عشر

حركات القوات النظامية في فلسطين

وصايا الحركات حسب الخطة الجديدة للقيادة العامة

في يوم 14 مايس 1948 أصدرت القيـادة العامة للجيوش العربية وصايا الحركات للجيوش المشـتركة في حرب فلسـطين، وحـددت واجبات تلك الجيوش بما يلي:

1 - الجيش اللبناني

يتحشد في منطقة رأس الناقورة - هدفه نهاريا وتطهير المنطقة الكائنة بين الحدود والهدف.

2 - الجيش السوري

يتحشد في منطقة فيق-هدفه التقدم على محور ألحمه-سمخ وإنشاء رأس جسر عبر نهر الأردن.

3 - الجيش العراقي

يتحشـد في المنطقة الكائنة بين إربد والحدود - هدفه التقدم على محور إربد - جسر المجامع وتطهير المنطقة واحتلال رأس جسر عبر الأردن في جسر المجامع.

4 - الجيش الأردني

قوم بتقوية مفرزته المرابطة في جسـر الشيخ حسين لـتأمين الدفاع عنه ويوجه أرتاله كما يلي:

أ - لواء المشاة: الهدف نابلس.

ب – لواء آلي: الهدف رام الله.

ج – لواء آلي: في الاحتياط في منطقة خان الأحمر.

تتوجه الأرتال إلى أهدافها بأسرع ما يمكن تمهيدًا للأوامر المقبلة.

5 – الجيش المصري

يتحشد على حدوده في منطقة العريش–هدفه المجدل.

يناط بالبحرية المصرية واجب مراقبة السواحل الفلسطينية وفرض الحصار عليها بالتعاون مع القوة الجوية المصرية وإسداء المساعدة اللازمة للجيش المصري عند تقدمه.

يشرع بالحركات والتقدم نحو الأهداف المخصصة في الساعة 1.00 من يوم 15 مايس 1948.

برقية وزير الدفاع السوري وجواب القيادة العامة

على إثر استلام وصايا حركات القيادة العامة، وردت في 14 مايس برقية من وزير الدفاع السوري إلى ضابط الارتباط السوري في مقر القيادة العامة يخبره فيها أن يعرض المقدم شوكت شقير ضابط الارتباط اللبناني المعلومات التي لديه على القيادة العامة، وطلب اللبنانيون أن لا يعملوا للوصول إلى أهدافهم، وأن يكتفوا بالدفاع حتى يتغير الوضع، وطلبوا كذلك قوات إضافية لمساعدتهم وطيارات لنجدتهم.

أرسلت القيادة العامة إلى وزير الدفاع السوري بتاريخ 15 مايس البرقية التالية:

«بلغوا وزير الدفاع اللبناني أن اتّخاذ الدفاع المستكن يجعل العدو حرًا في عمله. نترك لقائد الجيش اللبناني حرية العمل وفقًا لما يتطلبه الموقف مع لفت نظره إلى وجوب قصف المستعمرات القريبة واتّخاذ مراكز دفاعية ضدّ هجوم

العدو المحتمل. وننظر غدًا في أمر إلحاق قوة المتطوعين في المنطقة الشمالية بكم».

طلب لبنان من القيادة العامة إيضاح أوامرها بعد انسحاب القوة النظامية السورية من المناطق اللبنانية، وذكر بأن الصهيونيين يتحشدون في نهاريا وأنهم احتلوا البصة والزيب، وبدأوا ينزلون قوات من البحر في نهاريا. وطلبوا من القيادة العامة حشد قوات من المشاة والمدفعية ضدّ الدبابات في بنت جبيل.

وافقت القيادة العامة على اتّخاذ لبنان خطة الدفاع، وأصدرت الأوامر إلى قوة أديب للالتحاق بهم مع مدافعهم ومصفحاتهم لتقوية بنت جبيل، واحتلال سعسع. ويفهم من هذا أن القوات اللبنانية عدا أنها لم تقم بحركة تقدم، فإنها طلبت قوات عربية لحماية حدودها من تحرشات الصهاينة، وبقيت في حالة الدفاع حتى انتهاء الحركات في فلسطين.

بدء الحركات العسكرية في فلسطين

في الساعة 1.00 من يوم 15 مايس 1948 بوشرت الحركات العسكرية، وتقدمت قوات الجيوش العربية مجتازة الحدود الفلسطينية حسب وصايا الحركات الصادرة لها.

ذهبت صباحًا إلى القصر الملكي في عمان للوقوف على أخبار الحركات، ولأكون بالقرب من الأمير عبد الإله. فهمت أن الجيش الأردني لم يرسل أي قوة إلى جسر الشيخ حسين في منطقة بيسان، ولا إلى جنين والعفولة، وأن القيادة الأردنية عدا عن أنها لم تنصع لخطة القيادة العامة، فإنها لم تنفذ الأوامر الصادرة إليها من الملك عبد الله. وهكذا مع الأسف لم تثمر المساعي التي بذلناها قبل يوم في الموضوع. وكانت هذه أول انتكاسة منيت بها الحركات، وضربة قوية في الصميم.

إن عدم إرسال قوة أردنية من جنين باتجاه العفولة لإشغال قوات الصهيونيين في تلك المنطقة فسح للصهاينة مجال حرية العمل لنجدة منطقة كيشر، وصد القوات العراقية عن التقدم. كما أن عدم تحرك قوة أردنية من جسر الشيخ حسين باتجاه بيسان - العفولة، جعل جناح القوة العراقية مفتوحًا ومعرضًا لخطر الالتفاف من كلا الجانبين.

تحرج الموقف في القدس

وردت رسالة تلفونية من القدس من الرئيس المتقاعد العراقي فاضل رشيد الذي يعمل مع المجاهدين العرب، إلى الأمير عبد الإله يطلب فيها نجدته. كلمه الأمير تلفونيًا وكلمته أنا أيضًا، فعلمت منه بأن الحالة سيئة في القدس، وأن الصهاينة هاجموا الحي القديم ولم تستطع الربايا [الطلائع] العربية الصمود أمام الهجمات الشديدة. تألمت لهذه الأخبار فاتصلت بالجهات المعنية، وأمنت إرسال مقدار من العتاد إليهم والإيعاز إلى جيش الإنقاذ لإسنادهم بالمدفعية. مساءً اتصلت ثانية بالرئيس فاضل رشيد تلفونيًا وتأكدت منه تحسن موقفهم. ولم يكن أحد يدري أين هي قطعات الجيش الأردني، ولماذا لم تدخل القدس وتجند المقاتلين العرب فيها، كما لم يكن أحد يعرف نوايا القيادة الأردنية وأعمالها.

16 مايس 1948

ذهبت برفقة الأمير عبد الإله إلى مطار المفرق لزيارة السرب العراقي هناك.

أرسلت القيادة العامة برقيتها رقم 20 تاريخ 16/ 5 إلى القوة السورية تحذرها وتعتبر تقدمها إلى سمخ دون تطهير المنطقة الحليفة مجازفة، وتنبهها إلى وجوب التقدم بحيطة وحذر، وعدم إبقاء أي مستعمرة وراءها من دون الاستيلاء عليها. كما أرسلت القيادة العامة برقيتها رقم 21 تاريخ 16/ 5 التالية إلى الجيش الأردني:

«تبين أن موقف الجيشين العراقي والسوري يستوجب إرسال قوة من الجيش الأردني لاحتلال جنين ومهاجمة العفولة من ذلك الاتجاه، فأرجو إرسال كتيبة على أقل تقدير إلى جنين لإنجاز هذا الواجب بكل سرعة».

ولقد ورد إلى القيادة العامة الجواب التالي: «سندرس ذلك ونخبركم بالسرعة». وفي الحقيقة لم يرسل الجيش الأردني أية قوة، ولم يقم بأي عمل، ولم ينفذ طلب القيادة العامة، ولم يخبر القيادة العامة بأي شيء.

17 مايس 1948

تحركنا برفقة الأمير عبد الإله إلى القوة العراقية في منطقة جسر المجامع وقضينا النهار هناك في مراقبة الهجوم على قرية وحصن كيشر. أبدى الضباط والجنود بسالة فائقة في مهاجمة الحصن المحكم في القرية. وبالرغم من رمي الصهاينة لعددٍ كبيرٍ من قنابل الهاون وعتاد ضدّ الدرع علاوة على نار الأسلحة الخفيفة الجارفة، وصلت المدرعات إلى باب الحصن إلا أن المتحصنين كانوا مستميتين بالدفاع ومعتمدين على قوة الحصن الذي لم تؤثر فيه إصابات قنابل مدفعية 25 رطلًا المباشرة. لم يسقط الحصن لأنه من حصون خط إيدن الذي أسسه الإنكليز في الحرب العالمية الثانية تجاه تقدم الجيوش الألمانية المحتمل. بقي الحصن محاصرًا وتقدمت سرية إلى مرتفع كوكب الهوى المسلط على كيشر من الغرب لمنع وصول النجدات الصهيونية من منطقة العفولة إلى كيشر.

في الساعة 16.00 حضر الملك عبد الله ومعه السيد عبد الرحمن عزام والمرافقون. راقبوا الحركات من مسافة بعيدة، ثم عادوا من حيث أتوا.

18 مايس 1948

ذهبنا إلى القصر الملكي في عمان. كنا نشعر بحراجة الموقف وعدم نجاح الحركات إذا استمرّت على حالتها الحاضرة، وهذا ما كنت أخشاه ونبهت عليه.

تحرك اللواء الركن نوري الدين إلى رام الله لمواجهة الفريق غلوب والوقوف على نواياه وأسباب عدم تطبيقه الخطة المقررة وتنفيذه الأوامر الصادرة إليه من القيادة العامة.

برفقة الأمير عبد الإله تحركنا إلى منطقة قتال الجيش العراقي. زرنا الجرحى في مستشفى إربد وتابعنا السير إلى منطقة جسر المجامع، فقضينا النهار هناك مع القطعات. في العودة ليلًا زرنا الضباط المجروحين بجراح خطيرة، والماكثين في مستشفى عجلون. ومع أن حالتهم كانت خطرة إلا أن معنوياتهم كانت عالية جدًا.

منشآت البوتاس في فلسطين

في فلسطين موقعان لاستخراج البوتاس. أحدهما في شمال البحر الميت والآخر في جنوبه، وكان الاتصال بين الموقعين يتم بواسطة زوارق بخارية. وقد أسست معامل شركة البوتاس في شمال البحر الميت، وأسست حولها مستعمرة كاليه. وكانت قوافل البوتاس تسير من كاليه إلى خارج البلاد. وعلى إثر اشتداد المعارك بين العرب والصهاينة انقطع مرور القوافل وأصبحت منطقة كاليه معزولة عن المناطق الصهيونية وبعيدة عنها. كان الوضع يقضي باستيلاء القوات الأردنية على منشآت البوتاس في كاليه لقربها من بلدة أريحا وإلى الطريق العام المؤدي إلى القدس قبل أن يهرب القائمون بالعمل فيها، وقبل أن تمتد إليها يد النهب والتخريب، وتحتفظ بها في حالة الإنتاج للانتفاع بمواردها، خاصّة وأنها بعيدة عن ميادين القتال. إلا أن الصهاينة تركوا أحرارًا فيها حتى بعد 15 مايس 1948 ومباشرة القوات النظامية بالقتال، ومنحوا الفرصة المناسبة لهروبهم ونقل ما تمكنوا من نقله معهم إلى جنوب البحر الميت.

في 18 مايس 1948 انتشرت أخبار هروب الصهاينة الموجودين في كاليه في شمال البحر الميت إلى الموقع الثاني في الجنوب، مع أسلحتهم ووسائط النقل المائية التي كانت بحوزتهم، وبدلًا من أن يحتفظ بالمشروع ومنشآته

صالحة للعمل، فإن يد التخريب امتدت إليه ولـــم تترك أي أثر للأثاث، وحتى المكائن الكبيرة، وقضي على المشروع الشمالي بأكمله.

ولو أرادت القيادة الأردنية الاستيلاء على المشروع الجنوبي لتم لها ذلك، مع أســـر الموجودين فيه لانعزال المنطقة وعدم تمكن الصهاينة من معاونتها أو مدها بقوة أخرى حينذاك. ولكن ترك الصهاينة أحرارًا في جنوب البحر الميت، فانضم إليهم الذين كانوا في الشمال في كاليه أيضًا، وبقوا مستمرين في إنتاجهم.

الاجتماع في القصر الملكي في عمان

كان الموقف يتطلب اجتماع ممثِّلي الحكومات العربية وجيوشها للمداولة والوصول إلى قـــرار وخطة عمل تنقذ الموقف وتوجه قـــوات الجيوش العربية إلى العمل المثمر بقدر الإمكان.

ولقد دعينا للاجتماع في القصر الملكي في عمان في الساعة 16:00 من يوم 19 أيار 1948 فحضرنا الاجتماع.

الحاضرون: الملك عبد الله، الأمير عبد الإله، السيد عبد الرحمن عزام، الفريـــق الركن صالح صائب الجبـــوري، اللواء الركن نـــوري الدين محمود، الفريق غلوب، اللواء عبد القادر الجندي، الزعيم الركن المصري سعد الدين صبور، العقيد السوري محمود الهندي، والمقدم اللبناني شوكت شقير.

تكلـــم الملك عبد اللـــه عن الوضع بصـــورة عامة ومـــدح الفريق غلوب وأطرى على همته. تكلم بعده السيد عبد الرحمن عزام وأشاد بخدمات الفريق غلوب الطويلة مع العرب وتحسســـه بأحاسيســـهم واعتقاد الجميع بأنه يسعى لمصلحتهم، وما أشـــبه ذلك من العبارات التي يفهم منها أنهم يريدون تحريك عواطفه ليعمل مع العرب بصدق ولا يعرقل مساعيهم في هذه القضية الكبرى. مع العلم أن رجلًا مثل الفريق غلوب لا تؤثر فيه هذه الكلمات المعســـولة، ولا يمكن أن يعمل بغيـــر الخطة المبلغة إليه من حكومتـــه البريطانية التي لا يخفى على أحد رأيها الصريح في قضية فلسطين.

ولقد فهمنا أخيرًا وبعد انتهاء الحركات في فلسطين بأن الفريق غلوب كان يتصرف في تسيير حركات الجيش الأردني حسب الاتفاق الذي تم بين الجهات البريطانية، وأعني وزير خارجية بريطانيا مستر بيفن، وبين رئيس وزراء الأردن السيد توفيق أبو الهدى قبل بدء الحركات.

جرى البحث في الاجتماع حول موقف الجيوش العربية وعدم اشتراك بعضها في تطبيق الخطة المقررة وتنفيذ الأوامر الصادرة إليها. فاقترح الأردن نقل قوات الجيش العراقي إلى منطقة نابلس في وسط فلسطين. كما طلب الأردن إبقاء قسم من القوة العراقية في منطقة جسر المجامع لحماية الحدود الأردنية. اعترضت على هذا الطلب الأخير بشدة وبينت أضرار تجزئة القوة العراقية إلى جزأين يعملان في منطقتين متباعدتين، وأن هذا الموقف لا يُعدُّ في مصلحتها من الوجهتين التعبوية والإدارية. وطلبت أن تعمل القوات العراقية مجتمعة في منطقة واحدة كقوة هجومية ضاربة، وأن لا تفرق وتلزم بحماية محلات وأماكن متباعدة تجعلها غير قادرة على القيام بعمل مثمر. وقد أيدني الزعيم الركن المصري صبور في رأيي وطلبي هذا[1].

وبغية تأمين اشتراك الجيش الأردني في الحركات المقبلة وتوحيد الآراء وعدم إبقاء حجة بيد الفريق غلوب، اقترح بعض السياسيين الحاضرين ترك أمر وضع الخطة الجديدة إلى القائد العام الركن نوري الدين محمود والفريق غلوب.

دعوة رئيس جمهورية سورية في درعا

بناءً على دعوة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي الموجهة إلى الملك عبد الله والأمير عبد الإله ورئيس جمهورية لبنان السيد بشارة الخوري وحاشيتهم. تناولنا طعام الغداء ليوم 20 مايس 1948 في مخيم

(1) لا بأس من الاطلاع على وجهة نظر الفريق غلوب المشروحة بكتابه المسمى جندي مع العرب المطبوع في لندن.

بالقرب من بلدة درعا واستبشـــرنا خيرًا بتقارب الرؤســـاء، وغادرنا عصر ذلك اليوم إلى مطار المفرق وعدنا في اليوم التالي إلى بغداد.

معركة كيشر بإيجاز

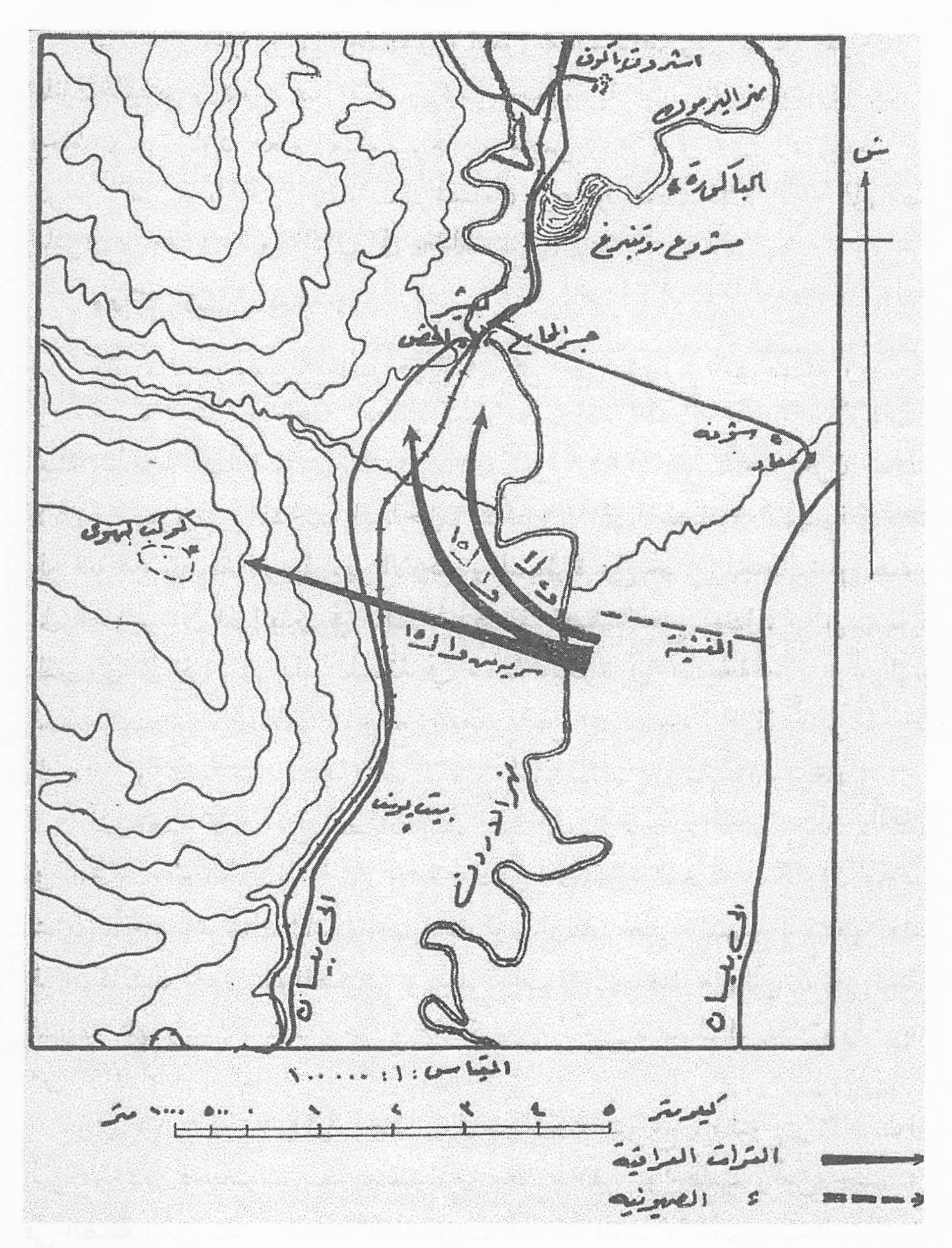
كانــت للصهيونييـــن حامية قويـــة في كل من مشـــروع كهربـــاء روتنبرغ ومستعمرة كيشـــر، وخاصّة حصن كيشـــر. وبعد إنذار الحكومة الأردنية لهيئة مشـــروع كهرباء روتنبرغ في 11 مايس 1948 أبقي فيه أربعون شـــخصًا لإدارة المشـــروع، وانسحب المســـلحون الآخرون إلى المســـتعمرة الصهيونية كيشر الواقعة علـــى الضفة الغربيـــة لنهر الأردن والمســـيطرة على جســـر المجامع، وانضموا إلى الصهيونييـــن المرابطين في تلك المســـتعمرة بقصد الدفاع عنها، وقبل وصـــول القوات العراقية إلـــى هذه المنطقة في ســـاعة مبكرة في صبيحة يوم 15 مايس نسف الصهيونيون جســـر المجامع وقطعوا كل اتصال مع الضفة الشرقية لنهر الأردن. وأكثروا من استعداداتهم للدفاع المستميت عن المستعمرة وحصنها المنيع.

إن حصن كيشـــر من حصون خـــط إيدن القويـــة التحكيم الذي أسســـه الإنكليز، لصد تقدم الجيوش الألمانية المحتمل. كما أن الحصن محاط بألغام وأســـلاك شـــائكة، وزيادة في الحيطة احتل الصهيونيون مرتفعات قرية كوكب الهوى الواقعة غرب كيشـــر باتجـــاه العفولة، والتي تعتبر مفتـــاح المنطقة كلها وذلك للسيطرة على منطقة كيشر ولتأمين وصول النجدات والتقويات من اتجاه العفولة إليها.

وفي 15 مايـــس 1948 احتلت القوة العراقية مشـــروع روتنبرغ وتقدمت إلى نهر الأردن، فعبرت ســـرية مســـتفيدة من ظلام الليل واحتلت رأس جســـر في الضفة الغربيـــة. وقصفت الطائـــرات العراقية القـــرى الصهيونية المجاورة واستطلعت الطرق المؤدية إلى مستعمرة كيشر.

الخريطة (13 - 1)

مخطط معركة كيشر وكوكب الهوى



وفي 16 مايس تم عبور فوج بالرغم من نسـف الصهيونيين بعض السدود على نهر الأردن في شمال كيشر، مما أدى إلى ارتفاع منسوب المياه لعرقلة العبور.

انفتح الفـوج وتقدم نحو قلعة كيشـر فاحتـل محطة قطار كيشـر وقرية المجامع المجاورة للمحطة، وأخذ يضيق الخناق على كيشـر، إلا أن المقاومة كانت شديدة.

وفي 17 مايس تم عبـور فوج آخر ووحد حركاته مع الفوج الذي سـبقه بالهجوم على قلعة كيشر. ولوقوع القلعة بين نهر الأردن وسفوح كوكب الهوى، فإن إمكان المناورة للقطعات الهاجمة محدود. اسـتمر التضييق على الحصن بالرمي على جميـع المزاغل والتقرب بالمدرعات والمشـاة حتى الظلام. كما أرسلت سرية لمراقبة مرتفعات كوكب الهوى المشرفة على كيشر فتصادمت مع القوة المعادية الموجودة فيها واحتلتها.

في ليلة 17-18 مايس اسـتمر زحف المشـاة حتى وصلـت القطعات الأمامية إلى أبنية كيشـر ودخلت بعض المفارز مدرستها. وقد تطلب الموقف سحق الأسلاك الشـائكة المحيطة بباب الحصن لمسافة 50 يارد تمهيدًا لنسف باب الحصن. فتقدمت مدرعتان وفتحتا النار على المنطقة المحيطة بالأسـلاك فتفجرت بعض الألغام. ثم وصلتا بـاب الحصن، بالرغم من أن الصهاينة كانوا يرمون المواد والقنابل المحرقة عليهما، فأزيلت الأسـلاك، وكانت المدرعتان مسـندتين بنار مدرعتين أخريين تصوبان نيرانهما علـى مزاغل البرج، وكذلك نيران المشاة المحتلين لمدرسة كيشـر. وبهذا تم التمهيد لتقدم مفرزة الهندسة لنسـف باب الحصن، وقد تقدمت هذه المفرزة تحت سـيل جارف من نيران العدو ووصلت بإحدى المدرعـات إلى باب الحصـن ووضعت المتفجرات تحت البـاب وأوقدتها ثم ابتعدت عنها. وقد انفجرت المتفجرات وتم نسـف باب الحصن، ولكن الحصن بقي محاصـرًا من قبل القوات العراقية إذ لم يكن بالإمكان اقتحام الحصن.

في فجر 18 مايس ظهر أن قناصي العدو ما زالوا مختفين في أبنية كوكب

الهوى، وأنهم صبوا نيرانًا شـــديدة على الســـرية العراقية التي كانت في بساتين الموز. وبدأت نجدات العدو تتكاثر من اتجاه العفولة لبقاء الصهيونيين أحرارًا في أعمالهم بالنظر إلى عدم وجود قوات أردنية تقاتلهم في تلك المنطقة.

وبينما أعدت القيادة خطة لإرسال فوج مع بطارية مدفعية وسرية مدرعات لتقوية الســـرية وإنقاذ الموقف باحتـــلال كوكب الهوى، أصرت الســـرية على الانسحاب لكثرة ما أصابها من الخسائر التي كان بينها آمر السرية نفسه. وعليه تأجلت الخطة.

كان القتال لا يزال مســـتمرًا في منطقة كيشـــر وعلى أشـــده، وقد وصلت نجدات قويـــة وكثيرة إلـــى المدافعين من كل صوب وباســـتمرار. كما قصفت طائرة معادية القوات العراقية المهاجمة.

قررت القيـــادة العراقية القيام بهجـــوم على قمة كوكب الهـــوى وقلعتها. وتمهيدًا لذلك أصدرت أوامرها بتنقل الوحدات وتقســـيم الواجبات من جديد وأنيط واجب الهجوم بجحفل الفوج الأول للِواء الأول، وعين موعده فجر يوم 21 مايس.

في 20 مايـــس اتصلت القيـــادة العامة تلفونيًـــا بالقيـــادة العراقية وأيدت المكالمة التلفونية ببرقيـــة لتأجيل الهجوم على كوكب الهـــوى فتأجل، وذلك بسبب الخطة الجديدة بتبديل منطقة عمل القوات العراقية، وانتقالها إلى منطقة نابلس.

وهكذا توقفت الحركات في منطقة كيشر وما جاورها.

انتقال القوات العراقية إلى منطقة نابلس

في 20 مايس أصدرت القيـــادة العامة أوامرها إلى القوات العراقية بالتهيؤ للحركة، وفي برقيتها بتاريـــخ 21 مايس أصدرت أمرها الإنذاري لتهيؤ القوات العراقية بالتحشد في منطقة نابلس، وأن تبقي فوجًا وبطارية لحماية رأس جسر كيشر.

وفي برقية أخرى في 21 مايس طلبت القيادة العامة حركة القوة الآلية (ناقص سرية مدرعات وبطارية 25 رطلاً) وأكدت ضرورة وصولها إلى نابلس في يوم 22 مايس وبأسرع ما يمكن وبوقفات قصيرة. وإن الواجب حسب ما ذكرته القوة الآلية في أمرها هو القيام برصد قطعات العدو، وسد الطرق المؤدية إلى نابلس من كافة الاتجاهات ومنع العدو من التقدم على هذه الطرق.

كان قاطع القوة الآلية من السعة بحيث لا تكفي القطعات المرسلة لإشغاله وأصبحت بحاجة إلى عنصر المشاة، فطلبت القوة الآلية تعزيزها بفوج واحد.

ولهذا فقد صدر أمر القيادة العامة يوم 24 مايس بإرسال الفوج الأول للواء الخامس عشر إلى نابلس، وأن يكون الفوج بإمرة القوة الآلية بعد وصوله نابلس.

أرسلت القيادة العراقية إلى القيادة العامة برقيتها رقم 240/ح وتاريخ 23 مايس التالية: «بعد سحب القوة الآلية إلى نابلس أصبحت القوة العراقية ضعيفة في القاطعين وغير قادرة على التعاون فيما بينها أو الوصول إلى أهدافها. نرجو الإسراع في إرسال من قرّرتموه لاستلام قاطع جسر المجامع لتتمكن القوات العراقية من العمل مجتمعًا [مجتمعة] في قاطع نابلس وتعيين أهدافنا الجديدة لتتمكن قواتنا من القيام بواجبها المقدس الذي أتت من أجله وترفع اسم الجيش العراقي عاليًا في هذه الربوع».

كما أيدت القيادة العراقية ببرقيتها رقم 249 تاريخ 24 مايس إلى القيادة العامة تقوية القوة الآلية وأيدت أنها لا توافق على إلحاق فوج واحد بها، واقترحت إلحاق كافة وحدات الجحفل الأول، وبينت أن تجزئة القوة تؤدي إلى الضعف في كل مكان.

كما أن المقر العام في بغداد أرسل برقيته رقم 458/ح وتاريخ 25 مايس إلى القيادة العامة والقيادة العراقية إشارة إلى برقيتي القيادة العراقية رقم 240 تاريخ 23 مايس ورقم 249 تاريخ 24 مايس تضمنت ما يلي:

«نؤكد مـا جاء فـي البرقيتين المشـار إليهما. يود سـعادة رئيس أركان الجيش تذكيركم بما أبداه مـن ملحوظات حول اسـتخدام القوات العراقية، وما اتفق عليه في اجتماع عصر الأربعاء 19 مايس بعدم تجزئة القوة وضرورة اسـتخدامها في منطقة واحدة. تجزئة القوة لا يخفاكم يؤدي إلى الضعف في كل مكان».

إرسال مدفعية متوسطة إلى فلسطين

لوحظ خلال حركات الأيام الأولى في فلسطين أن الموقف يتطلب وجود مدفعية ثقيلة لاسـتخدامها في رمي ودك حصون العدو ومنعاته، وعليه قرّرت الاسـتفادة من أربعة مدافع ذات 6 عقدة أُلغي اسـتعمالها، وكانت معطلة في المخازن ولا توجد لها مرتبات ولا وسـائل نقل. وكذلك الاستفادة من مدافع 4.5 عقدة التي سـبق أن ألغي اسـتعمالها في الجيش بعد تجهيـز البطاريات بمدافع 25 رطلًا. وفـي اليوم الثاني من عودتي إلى بغداد في 22 أيار، صدرت الأوامر بتشكيل:

1 - بطارية متوسطة 6 عقدة.

2 - بطارية 4.5 عقدة.

وبعـد أن تمكنا من الحصول على تريلرات (ناقـلات) من خارج الجيش أرسل فصيل 6 عقدة إلى فلسطين في 25 مايس وبعده شكل الفصيل الثاني مع مقر البطارية وأرسل إلى فلسطين أيضًا، كما أرسلت بطارية 4.5 عقدة وألحقوا جميعًا بالقيادة العراقية.

انسحاب القوة الأردنية من لواء السامرة

في الوقت الذي أخـذت فيه القوات العراقية بالانتقال إلى منطقتها الجديدة في لواء السامرة - نابلس وتوابعها، سحبت جميع القوات الأردنية وقوات جيش الإنقاذ من جنين وطولكرم وقلقيلية ونابلس وغيرها، فأصبح على القوة الآلية أن

تمسك المواقع والحاميات وأن توزع القوات المتيسرة لديها على منطقة واسعة، وهذا الموقف حال دون بقاء قوة تستطيع القيام بأعمال تعرضية في تلك الجبهة، بل كانت هذه القوات غير كافية حتى للدفاع عن هذا القاطع الواسع والخطير.

سألت مديرية الحركات في بغداد من القيادة العامة ببرقيتها المؤرخة 26 مايس عن واجب القوة الآلية والأوامر الصادرة إليها، ووقت التحاق الباقي من القوة العراقيــة بها لتكون جميعها في منطقة واحــدة. فأجابت القيادة العامة أن من واجب القوة الآلية هو ما ورد في برقية القيــادة العامة تاريخ 26 مايس. إن من واجب القوة الآلية بعد تعزيزها بفوج هو مســك النقاط المهمة واستلامها من جيــش الإنقاذ والجيش الأردني وبعد إنجاز ذلــك تقوم بغارات باتجاهات مختلفة على المستعمرات القريبة في المنطقة المذكورة.

لقد تم تحشد القوات العراقية في منطقة نابلس في أواخر شهر مايس بعد أن تركت في منطقة جســر المجامع فوج مشاة وبطارية مدفعية وسرية مدرعات لمراقبة المنطقة وحماية الحدود الأردنية، وذلك حسب رغبة السلطات الأردنية، وخلافًا لجميع التنبيهات والتحذيرات في تجزئة القوات.

أرســلت القيادة العراقية إلى القيــادة العامة برقيتهــا المؤرخة 30 مايس، ذكرت فيها أنــه يعتقد أن الواجب المعطى في برقية القيــادة العامة إلى الجيش العراقي هو عام وغير محــدود، ورجت توضيح القاطــع والهدف ليتمكّن من القيام بعمل يناسب الجيش العراقي مع بيان الخطة والواجبات المحتملة للنظر في أمر تحشــد القطعات التي وصلــت حديثًا وتنقلها. فأجابــت القيادة العامة ببرقيتها المؤرخة 30 مايس بما يلي:

«تتحشد القوات العراقية في منطقة نابلس وتتحرك على محورين. المحور نابلس - طولكرم، ويشــتغل عليه الجحفل الأول والمحــور الثاني الهوارة - قلقيلية، ويشــتغل عليه الجحفل الرابع. يكون مقر الفرقة حســب تنسيبكم ولا نرجــح أن يكون داخل المدن وفــي منطقة مركزية بين المحورين بالاســتفادة من البســاتين للاختفاء. واجب الرتلين تأســيس قواعد ثابتة في منطقتي نابلس

والهوارة لإسناد حركات الأرتال التعرضية في طولكرم وقلقيلية وتقتصر الحركات على إجراء غارات بأرتال سيارة قوية ضدّ المستعمرات وتخريبها وإبادتها وعلى النقاط الأخرى كالجسور وتقاطع الطرق المجاورة لتلك المنطقة حسب ما ترتئيه قيادة القوات. أما الأهداف النهائية للقوات العراقية فستبلغ إليكم بعدئذٍ ضمن الخطة العامة».

القتال في باب الواد واللطرون وتخفيف الضغط عن القوة الأردنية

كان الصهاينة يهاجمون منطقة باب الواد واللطرون لفتح الطريق المؤدي إلى بلدة القدس، وكان قتال شديد يجري بينهم وبين القوات الأردنية والمجاهدين العرب باستمرار.

وفي 27 مايس 1948 أصدرت القيادة العامة وصايا الحركات الرقم 2 التي تضمنت ما يلي:

1 - موقف الجيش الأردني الموجود في باب الواد واللطرون حرج جدًا.

2 - الغرض: قيام الجيشين العراقي والمصري بحركات تعرضية لسحب بعض القوات الصهيونية وتخفيف الضغط عن الجيش الأردني.

3 - واجب الجيش العراقي القيام بحركات تعرضية حالًا على محور طولكرم - ناتانيا واستهداف منطقة بيت ليد وتخريب تقاطع الطرق 141192 ومفرق الطريق 139192

4 - واجب الجيش المصري التقدم فورًا إلى خط يبنا - عاقر.

5 - تنفيذ هذه الخطة مهم جدًا لسلامة القوات الأردنية وإمكان تنفيذ الخطة العامة في المستقبل، وكل مماطلة وتجاهل في تنفيذها سيؤدي إلى نتائج وخيمة تسبب فشل حركات جميع الجيوش العربية.

6 - تبدأ الجيوش بحركاتها اعتبارًا من الغد الباكر 28/ 5.

واجب الجيش السوري وجيش الإنقاذ

في يـوم 28 مايس أرسـلت القيادة العامـة برقية إلى الجيش السـوري وجيش الإنقـاذ تضمنت ما يلي: «يقوم هذا الصبـاح الجيش العراقي بمهاجمة المستعمرات باتجاه ناثانيا، كما يقوم الجيش المصري بالتقرب من يبنا والرملة لتخفيف الضغط عن القوات الأردنية في باب الـواد واللطرون. تطلب القيادة العامة من القوات السورية القيام بأعمال تعرضية من المنطقة الشمالية بالاشتراك مع قوات فوزي القاوقجي، ومن المهم جدًا أن يتم تحشد قوة فوزي في منطقة أعمالها بأسرع ما يمكن للقيام بالحركة المطلوبة حالًا».

تنفيذ الخطة

بناءً علـى الوصايا والتوجيهـات الآنفة الذكـر قامت القـوات العراقية بالأعمال المطلوبة منها، فتقدم رتل طولكرم بغارة على مسـتعمرة كولم شرقي ناتانيا فاحتلها، وقام رتل جنين بغارة على قرية زرعين.

كما أشغل رتل طولكرم قرية قلقيلية وكفر قاسم واحتل رأس العين ومجدل يابا. وهاجم مسـتعمرة كفاريونا وكاكون. وقام رتل جنين بغارة استطلاعية نحو اللجون.

هذا ما قام به الجيـش العراقي، أما في منطقة الجيش السـوري والجيش اللبناني وجيش الإنقاذ فلم يتم أي عمل. وبعـد بضعة أيام وردت برقيات تفيد بعدم اسـتطاعتهم القيام بعمل ما، كما لا نعلم ما قام بـه الجيش المصري من أعمال.

وضع القوات العراقية في لواء السامرة

بعد وصول القطعات العراقية إلى لواء السامرة توزعت على منطقة واسعة جدًا تمتد على الخط التالي:

منطقة جنيـن - منطقة طولكـرم - منطقة قلقيلية - منطقـة رأس العين. فأصبحت ضعيفة في كل مكان.

الأعمال التي قامت بها القوات العراقية بعد وصولها لواء السامرة

أ - قوة جنين

1 - في ظهر يوم 27 مايس 1948 وصلت القوة إلى بلدة جنين فأرسلت رعيلًا من المدرعات علـــى طريق جنين - العفولة - ورعيـــلاً آخر على طريق جنين - اللجون لغرض الاستطلاع، وقد عاد الرعيلان مساءً بدون حادث.

2 - الغارة على زرعين: في 28 مايس أرسلت قوة على زرعين فشاهدت أعمال نســف وتدمير في قرية زرعين كما شـــاهدت حوالى 20 ســيارة لوري وســيارات جيب وحوالى 300 صهيوني مشـــغولين بحفر الخنـــادق فباغتتهم المدفعية بالنار واســتمر تبادل النيران حتى بعد الظهر حيث اقتربت المدرعات أكثر، وبنتيجة الغارة ترك العدو سيارتي باص وثلاث سيارات جيب.

3 - الغارة الثانية على زرعين: في صباح يوم 29 مايس أرسلت قوة الغارة على زرعين كما أرسل رعيل مدرعات للترصد على خط اللجون. شاهدت قوة الغارة نجدات قوية يتوالى تواردها إلى زرعين، فبقيت على خط جلمة - مقيبلة، والمدرعات على خط صندلة بوضع التصدي.

4 - الغارة على اللجون: في يوم 20 مايس أرســلت قوة غارة بقصد طرد العدو من اللجون، وقد استمر القتال حتى الساعة 13.00 فلم تستطع قوة الغارة طرد العدو وبقيت على خط - زيوبة - رمانة بوضع الترصد.

ب - قوة طولكرم

1 - الغـــارة على كولم: أرســلت قوة طولكـــرم رتلًا للقيـــام بغارة على مســـتعمرة كولم في 28 مايس 1948 فاقتحمها وتغلب علـــى مقاومة حاميتها المؤلفة من الصهاينة اليمانيين، فدخل المســـتعمرة ونسف أبنيتها وحرق قسمًا منها وضرب منابع الماء فيها، ثم عاد الرتل حسب الخطة المرسومة.

2 - الغارة على كفاريونا: نظمت خطة غارة على مستعمرة كفريونا في يوم 30 مايس، فتمت وفق الأسلوب المرسوم لها بنجاح.

3 – الاصطدام في باقــة الغربية: اصطدمت الدوريــات المدرعة بدورية معادية في باقة الغربية يوم 4 حزيران فهزمتها بعد أن أسرت منها سيارة.

4 – القتال في الطيــرة: هاجم الصهاينة موقع الطيــرة ليلة 4-5 حزيران، ولكنهم ردوا على أعقابهم وقد تركوا جثث قتلاهم في ساحة المعركة.

5 – القتال في كاكون: أرســلت مفرزة مؤلفة من فصيل مشاة وجماعة من المناضلين إلى مســتعمرة كاكون يوم 4 حزيران وتحكمت فيها. هجم الصهاينة عليها بقوات كبيرة واســتعادوها، فأرســلت التقويات من الجانبين واستمرّت معركة عنيفة بين الطرفين حتى مساء يوم 6 حزيران.

عدم انصياع القيادات لأوامر القيادة العامة

كانت القيادة العامة للجيوش العربية في فلســطين اسمية فقط، ولم تثبت وجودها وسيطرتها على القوات المشــتركة في الحركات، وذلك لعدم انصياع بعض القيادات لها وتنفيذ أوامرها. وبما أن اســتمرار الحال يخشى من نتائجه ولا يصح السكوت عنه خوفًا من الوقوع في مأزق لا تفيد معه الندامة والملامة بعد فوات الوقت، قدمت تقريري الآتي إلى وزير الدفاع:

الرقم: 60/ د
التاريخ: 27/ 5/ 1948

سري للغاية وشخصي

فخامة وزير الدفاع

الموضوع – موقف القيادة العامة في فلسطين

1 – منذ ابتداء الحركات في فلســطين حتى الآن تبين لنــا أنه قد وقعت بعض الحركات [التــي] كانت لا تنطبق والخطة المقــررة والمتفق عليها، وقد قامت بعــض قيادات الجيوش العربية بحركات من تلقاء نفســها دون أن تكون لتلك الحركات صلة بالخطة أو بتوجيه من القيادة العامة المســؤولة من توحيد

وتوفيق الأعمال، بل إن الأمر علـــى العكس من ذلك، إذ إنه على ما يظهر ليس للقيادة العامة الســـيطرة المطلوبة على الجيوش باستثناء القوات العراقية العاملة في الميدان وإن مقرات الجيوش الأخرى لا تنصـــاع إلى أوامرها وتجعلها من حين إلى آخر بأمر واقع.

2 – لما كان لمثل هذا الموقـــف الخطورة العظمى على مجرى الحركات ومصيرها وســـلامة الجيوش العربية، وبالأخير ســـلامة البلاد العربية، أرى أن تقوم الحكومة بالتدخـــل لإعطاء الحد إلى مثل هـــذا الموقف، وأن تطلب من الحكومات العربية الأخرى إصدار أوامرها إلى جيوشـــها بإطاعة أوامر القيادة العامة وعدم القيام بأية حركة من تلقاء نفســـها، أو بدون علم من القيادة العامة، وعلى الأخص حـــركات الوحدات التي تؤثـــر على موقف الجيـــوش العاملة بجوارها أو فـــي منطقة واحدة معها. وفـــي حالة عدم تمكننا مـــن إنجاز ذلك تقضي الضرورة والمصلحة العامة أدبيًا وماديًا وعسكريًا وسياسيًا الاعتذار عن الاستمرار على تحمل مسؤوليات القيادة العامة ونتائجها الوخيمة لا سمح الله، ورفع هذا الواجب عن القيادة العراقية وإسناده إلى أي دولة عربية أخرى.

أرجو التفضل بما تنسبونه.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
رئيس أركان الجيش

إرسال جحفل اللواء الرابع إلى فلسطين

إن دقة موقف الجيش العراقي في فلســـطين وســـعة منطقة عمله أوجبت تقويته، وذلك لتأمين ســـلامته ولتمكينه من أداء الواجبـــات الملقاة على عاتقه، وعليه تقرّر سحب مقر اللواء الرابع مع فوجين من كركوك والفوج الثاني للواء الخامس وســـرية هندســـة من الموصل إلى بغداد تمهيـــدًا لتأليف جحفل لواء

مختلط منهم وإرسالهم إلى فلسطين. وبتاريخ 24 مايس 1948 أصدرت دائرة الأركان العامة الأوامر اللازمة لذلك.

وفي صباح يوم 27 مايس 1948 تم تجمع اللواء في بغداد بأفواجه الثلاثة مع مخابرته وهندســته ووحدة الميدان الطبية، وذلك بعد أن ترك ســرية نقلية حيوانات الخط الثاني ومدفعيته الجبلية في كركوك.

باشــر اللواء بإكمال نواقصه واستلام السـيارات المخصصة لنقلية الخط الأول، كما قامت الأفواج بترمية الجنود الذين لم يســبق لهم الرمي بأسلحتهم، ولا ســيما إعداد الهاون، ووزعت الســيارات الأهلية اللازمــة لنقل اللواء إلى فلسطين. وكانت الأعمال سائرة بكل سرعة وانتظام نهارًا وليلًا.

وبعد أن استعد اللواء للســفر أُصدرت الأوامر إليه بالحركة إلى فلسطين بثلاث مجموعات، وقد وصلت المجموعات إلى نابلس على الوجه التالي:

وصلت المجموعة الأولى المؤلفة من الفــوج الثاني للواء الخامس يوم 1 حزيران 1948 ووصلت المجموعة الثانية صبــاح يوم 3 حزيران، كما وصلت المجموعة الثالثة مساء يوم 3 حزيران. وهكذا تم تحشد جحفل اللواء الرابع في منطقة نابلس. وكانت القيادة العراقية تنوي اســتخدام هــذا اللواء بالهجوم على الصهاينة في منطقة طولكرم.

أخبار معركة جنين وسفري إلى فلسطين

في 4 حزيــران 1948 وردت إلى المقر العام في بغــداد برقية من القيادة العراقية في فلســطين عن معركة جنين. وفي صباح اليوم التالي ســافرت جوًا، فوصلت مطار المفرق في شرق الأردن. مررت بمقر القيادة العامة في الزرقاء، فعلمت بســفر اللواء الركن نوري الدين إلى مصر قبل يوم. وعلمت في عمان عن قرار الهدنة بين العرب والصهاينة التي ســيعين موعدها في ما بعد. تابعت

السفر إلى نابلس، فعلمت باجتماع الآمرين في دير شرف. اغتنمت هذه الفرصة، فذهبت توًا إلى محل الاجتماع، وكلمت الآمرين، واطلعت على أحوالهم وآرائهم.

معركة جنين

تمهيد

عند انتقال القوات العراقية من منطقة جسر المجامع إلى منطقة المثلث الخطر كما يسمونه، جنين - طولكرم - نابلس، كنت قد بينت ضرورة بقاء هذه القوات كقوة ضاربة تقوم بالهجمات اللازمة في الاتجاهات المطلوبة، وأن لا تشتت وترغم على الدفاع عن أماكن ثابتة ومتباعدة، بل تترك حماية هذه الأماكن إلى حاميتها من الجيش الأردني والقوات غير النظامية. إلا أن هذه الفكرة لم يعمل بها، وليس لي السلطة للإصرار على تنفيذها. وقد انسحبت المفارز الأردنية من أماكنها عند وصول القوات العراقية إلى هذه المنطقة. ولقد احتلت القوات العراقية أماكن متباعدة من الصعب تأمين التعاون بينها، ولم تبقَ كقوة ضاربة يعتمد عليها في أداء الواجبات التي تطلب منها كقوة هجوم. ونظرًا إلى سعة المنطقة العراقية وإحاطة القوات المعادية بها من أكثر من جهة واحدة، أصبح وضعها يوجب التأمل خوفًا على سلامتها. وعليه تقرّر سحب اللواء الرابع من الفرقة الثانية التي كانت تتوقع قيام بعض الجماعات البارزانية بحركة تمرد في منطقتها في شمال العراق، وإرساله إلى فلسطين لتعزيز القوات العراقية على وجه السرعة. ولقد تم ذلك فعلًا.

قوات الطرفين

كان الصهاينة يخشون كثيرًا من القوات العراقية التي حلت في لواء السامرة، ويخططون للغدر بها والتخلص منها قبل أن تتمكن من توجيه ضربة قوية إليهم، ولذلك قرروا القيام بهجوم واسع على القوات العراقية بقوات كبيرة ومتفوقة تستهدف إمحاء حامية جنين والتقدم نحو قباطية ونابلس.

أما القوة العراقية التي كانت في قاطع جنين فهـــي عبارة عن الفوج الآلي (ناقص سرية) تسنده بطارية مدافع 3.7 عقدة.

أمر حركات الصهاينة في معركة جنين

لقد وُجد أمر حـــركات الصهاينة لدى القتلى منهـــم، واتضح منه بأن قوة الهجوم على جنين كانت تحت قيادة المســـمى (كرميلي قائد الحملة رقم 2)، وكانت قوته الفرقة 2، المؤلفة من الكتائب الآلية 13، 21، 22، والقوة الضاربة وفوج الاحتياط وأسلحة وإمدادات ومخابرة وجنود ألغام.

وكان القصـــد من الحركات كمـــا دُوِّن في أمر الحـــركات (الهجوم على جنين واحتلالها بقصد قتل العدو وإبادته مع أسلحته وصنوفه حتى لا يتحصن في مواضعه).

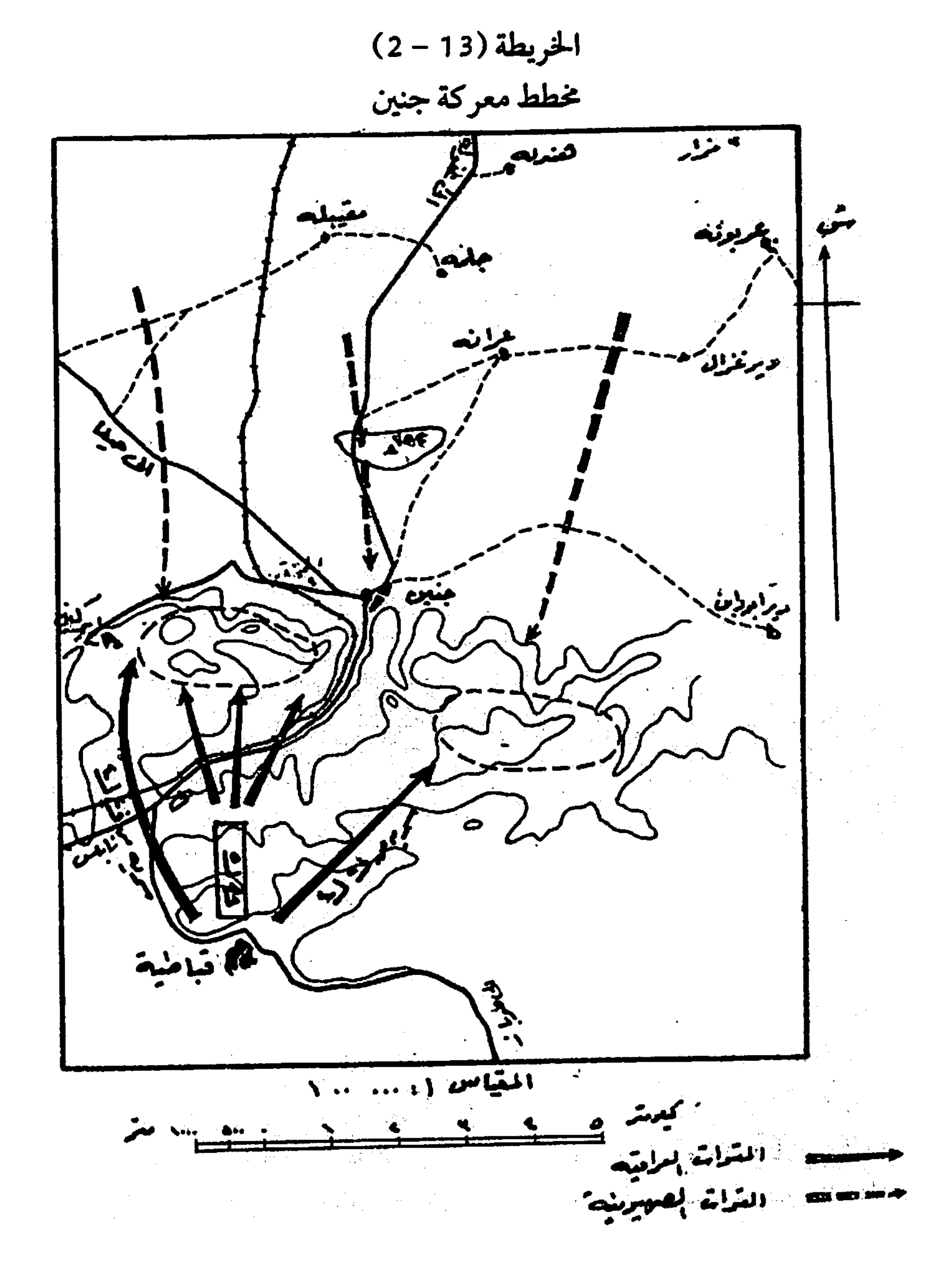
وقد جـــرى الهجـــوم بصفحتيـــن، ذكر فـــي كل صفحة جـــدول توقيت الأعمال التي تقوم بها الوحدات المختلفة، كما ذكـــر لزوم إجراء التحضيرات والاستعدادات لهجوم مفاجئ ولزوم إحضار الحاخام بتاريخ 1 حزيران 1948 لكي يعطي التعليمات الدينية، وغيرها من الأمور الإدارية.

الحركات باختصار

في 1 حزيران 1948 احتل الصهاينة قرية صندلة قبل الظهر وقريتي جلمة ومقيبلة عصر ذلك اليـــوم، كما أغارت ثلاث طائرات معاديـــة على بلدة جنين ومخفرها منذ الساعة 19:00 حتى الساعة 19:40، وتسببت بحدوث حريق في المخفر، تمكنت القوة العراقية من إخماده. وفي الســـاعة 22:00 هاجم العدو الربيئة الثابتة في الرقم 152 واســـتمر هجومه حتى الساعة 23:55، وانسحب بعد ذلك تاركًا وراءه عتاد أسلحة خفيفة، ورمانات يدوية.

الخريطة (13 - 2)

مخطط معركة جنين



وفي 2 حزيران قامـت القوة العراقيـة بالهجوم على مواضـع العدو في المعسكر البريطاني بالسـاعة 6:00، ودام الاشتباك حتى الساعة 16:00. وفي السـاعة 2:00 قام الصهاينة بقوات كبيرة بالهجوم علـى قاطع جنين، فتمكنوا

من التقدم ليلًا حول الأجنحة واحتلال سلسلة التلال في جنوب بلدة جنين، والمسيطرة على المخفر الموجود فيه الفوج الآلي العراقي. كما هاجم العدو مواضع السرية في الرقم 152 في الوقت الذي كانت فيه قواته تهاجم مرتفعات بلدة جنين.

وفي 3 حزيران في الساعة 4:00 فجرًا رمى العدو المخفر بنيران مدافعه ورشاشاته من المرتفعات، وأصبح الفوج العراقي في وضع حرج، حيث أحيط من كل الجهات، وقطع طريق مواصلاته مع مقر القيادة في نابلس، ولكنه استمر في مقاتلتهم. ومن حسن الحظ أن قدمات جحفل اللواء الرابع، لواء العقيد الركن صالح زكي توفيق، كانت قد وصلت من العراق إلى فلسطين. وقد وصلت القدمة الأولى المؤلفة من الفوج الثاني للواء الخامس (فوج المقدم الركن عمر علي) إلى نابلس في 1 حزيران كما مر ذكره، وكان وصول اللواء الرابع في الوقت الملائم مفاجأة للصهيونيين ولغيرهم من الذين لا يعلمون شيئًا عن مجيئه، ونظرًا إلى ما يقتضيه الموقف في منطقة جنين والخطر المحدق بها، أرسلت القيادة العراقية الفوج الثاني للواء الخامس ومعه بطارية مدفعية 25 رطلًا إلى جنين فجر يوم 3 حزيران وأعقبته بمقر اللواء الرابع والفوج الثاني للواء الرابع (فوج المقدم شليمون) عند وصولهم نابلس صباح يوم 3 حزيران، كما أخبرت القيادة حامية جنين لاسلكيًا بذلك وبقرب وصول التقويات والإمدادات لنجدتهم.

وصل الفوج الثاني للواء الخامس إلى مفرق قباطية في الساعة 7:00، وحصل التماس مع العدو، كما وصل مقر اللواء في الساعة 9:40 إلى منطقة الفوج الثاني للواء الخامس الذي كان منفتحًا ومشتبكًا مع العدو لاحتلال التلال المشرفة على مدخل المضيق إلى جنين، وبعد وصول الفوج الثاني للواء الرابع اشترك بالقتال موحدًا أعماله وتقدمه مع الفوج الثاني للواء الخامس. وهكذا تمكن الفوجان من طرد العدو من بعض الأماكن، وقاما بهجوم على مواضع العدو الأخرى في شمال المواضع التي تم احتلالها. استمر القتال بشدة حتى الساعة 12:00، وخلال ذلك التقطت رسالة للعدو علم منها أن خسائره حتى هذه الساعة بلغت 42 قتيلًا و48 جريحًا.

وفي الساعة 14:30 قام الفوجان بهجوم جديد على مواضع العدو استمر ســاعتين جرى فيهما قتال شــديد، وإن العدو دفع بقطعات جديدة إلى القتال، حيث شــاهد ذلك الفوج الآلي من المخفر، كما التقطت الأوامر الصادرة إلى العدو بالمقاومة إلى آخر طلقة وآخر جندي.

في الساعة 15:30 التقطت رسالة أخرى للعدو تبين منها أن خسائره تزيد على 100 قتيل وأكثر من 65 جريحًا حتى ذلك الوقت.

واستمر القتال بشدة حتى الســاعة 16:15، احتلت بعده القوات العراقية القمم والوادي المســيطر على جنين، ولم يبقَ مــن العدو أحد في تلك التلال، واستمر القتال حتى الساعة 23:00 بنيران الهاون والأسلحة الخفيفة.

وفي 4 حزيران اســتؤنف القتال في الســاعة 2:30 بهجــوم ليلي قامت به القوات العراقية أرغمت فيه العدو على الانســحاب تاركًا أســلحته وقتلاه. فانقلب انسحابه إلى هزيمة شنعاء ومني بخسائر فادحة. وفي الساعة 3:00 من صباح ذلك اليوم تم الاستيلاء على الهدف، وفك الحصار عن الفوج الآلي في مخفر جنين.

وهكذا تم تطهير المنطقة من القوات الصهيونية بتلقينهم درسًــا لا ينسونه أبدًا.

5 حزيران: يظهــر أن الصهيونيين كبر عليهم فشــلهم واندحارهم، فأرادوا إعادة الكرة للانتقام ولرفع معنويات قواتهم التي تضعضعت نتيجة هذه المعركة، فقاموا بهجوم ليلــي عنيف في الســاعة 20:15 على طريق جنيــن - اللجون وجنين - العفولة، اســتخدموا فيه قوات كبيرة من المشــاة تسندهم نيران مدافع الهاون والرشاشــات، محاولين الوصول إلى خلف أجنحة القوات العراقية من الشــرق والغرب واســتمر القتال طوال الليل، فصد الهجــوم وارتد العدو على أعقابه بعد أن تكبد خسائر كبيرة، فباءت محاولاته بالفشل، ومني باندحار فظيع. وهكذا انتهت معركة جنين بانتصار الجيش العراقي وتكبد الصهيونيين خســائر فادحة في الأنفس والمعدات قدرت بنصف قواتهم المقاتلة. وقد ضعضعت هذه

المعركة معنويات الصهيونيين وأفسدت خططهم وبقي كابوسها المخيف ماثلًا أمام أبصارهم منذ ذلك الحين.

طلب معونة القوات العربية

كان موقف القوات العراقية في منطقة جنين دقيقًا جدًا، مما اضطر القيادة العامة إلى أن ترسل في 3 حزيران إلى الجيش السوري وقوات فوزي القاوقجي البرقية التالية:

«من المهم جدًا أن تقوم القوات السورية بالتعاون مع قوات فوزي القاوقجي بحركات تعرضية خلال اليومين المقبلين في منطقة بنت جبيل نحو الجنوب باتجاهات تختارها بالنظر إلى موقفها هناك لتخفيف الضغط عن القوات العراقية في منطقة جنين».

ولكن لم تقم تلك القوات بأية حركة لهذا الغرض.

أهمية معركة جنين

كانت معركة جنين من أهم المعارك التي حدثت في معركة فلسطين عام 1948، وكان يتوقف على نتيجتها مصير لواء السامرة وحتى لواء القدس إن لم أقل القسم العربي من فلسطين بأجمعه. إذ لو تم للصهيونيين الاستيلاء على جنين وأسر، أو إمحاء حاميتها، لا سمح الله، كما كان ذلك قصدهم في أوامر الحركات، وإرسالهم قوات فائقة لهذا الغرض، لتمكنوا من التقدم نحو نابلس ومضايقة القوات العراقية، بل التغلب عليها فيما إذا قاموا بحركة موحّدة أخرى من اتجاه طولكرم نحو نابلس، مستفيدين من تشتت القوات وتباعد مناطق الجيوش العربية، وعدم توحيد حركاتها وتنسيقها. وكان ذلك محتملًا لو لم نعزز قواتنا في فلسطين بسرعة، ولو لم نقم بتجهيز جحفل اللواء الرابع ونقله من العراق وتحشيده في فلسطين بمدة قصيرة جدًا، الأمر الذي مكن القيادة العراقية من معالجة الموقف الخطير الذي كانت عليه حامية جنين بإرسال أفواج جحفل اللواء الرابع تباعًا حال وصولها نابلس.

لا بد من ذكـــر الحقيقة، وهي أن حامية جنين كانـــت معرضة لخطر كبير لولا وصول النجـــدات إليها في الوقـــت الملائم. فقد كان غـــرض الصهاينة مـــن انتخاب جنين هدفًـــا لهم وقيامهـــم بحركتهم هذه في الوقـــت الذي أقر فيه مجلس الأمن الهدنة بين المقاتلين في فلســـطين، هـــو جعل البلاد العربية ووسيط الأمم المتحدة ومجلس الأمن تجاه الأمر الواقع، وتكون بيدهم حجة للاحتفـــاظ بالأماكن التي تصلهـــا قواتهم، كما احتفظـــوا بمحلات أخرى في مناطق غير هذه المنطقة. ولكن الجيش العراقـــي والمجاهدين من أبناء جنين فوتوا هـــذه الفرصة على الصهاينة وســـجلوا بمداد الفخـــر والاعتزاز صفحة ناصعة في تاريخ البطولة والجهاد.

عودة اللواء الركن نوري الدين من القاهرة وإعفاء نفسه من القيادة العامة

في يوم 4 حزيران ســـافر اللواء الركن نوري الدين إلـــى القاهرة لمفاتحة الجهات البريطانية هناك بشأن طلبات الأســـلحة والعتاد. وعاد بعد ظهر يوم 7 حزيران، ولم يحصل على شيء. وقد أخبرته السلطات البريطانية بإيقاف تجهيز الحكومات العربية بالأسلحة والمهمات اعتبارًا من تاريخ 2 حزيران 1948.

وفي 8 حزيران قدم تقريره المدون أدناه أعفى فيه نفسه من واجب القيادة العامة.

سرّي للغاية

الرقم: ح/ 2/ ص/ 44

التاريخ: 8/ 6/ 1948

إلـى: سعادة رئيس أركان الجيش

من: اللواء الركن نوري الدين محمود

تبين لي من جريان الحركات منذ 15 أيار 1948 أنه من الصعب السيطرة على الجيوش العربيـــة المقاتلة في فلســـطين بالنظر إلـــى أن كل جيش يتلقى

أوامره من مقره الأعلى المختص به وهو الذي يدير حركاته كالجيش المصري والجيش العربي الأردني، وقد أوضحت ذلك إلى أمين الجامعة العربية سـعادة عبد الرحمن عزام باشـا بحضور وزير العراق المفوض في عمان بدار سـعادة البلبيسي باشـا وبينت له أني أعتبر نفسي كرئيس هيئة ركن عراقية تمثل الجيش العراقي كسائر هيئات ركن الجيوش الأخرى في عمان.

فأرجو اطلاعكم على القضية لتكونوا على بينـة من الأمر ولكي لا أكون مسؤولًا عن تنسيق أعمال بقية الجيوش.

(التوقيع)
نوري الدين محمود

صورة منه إلى:

فخامة وزير الدفاع.

سعادة أمين الجامعة العربية.

ضابط الارتباط السوري.

ضابط الارتباط اللبناني.

ضابط الارتباط الأردني.

ضابط الارتباط المصري.

تقرير حول سير حركات الجيوش العربية في فلسطين

قدم اللواء الركن نـوري الدين تقريره المرقـم ح/ 2/ ص/ 45 والمؤرخ في 8/ 6/ 1948 بين فيه ملحوظاته حول سـير حـركات الجيوش العربية في فلسطين وانتقالها إلى وضع الدفاع.

صورة التقرير

سري

الرقم: ح/ 2/ ص/ 45

التاريخ: 8/ 6/ 1948

إلى: سعادة رئيس أركان الجيش

من: اللواء الركن نوري الدين محمود

بنتيجة المذاكرات التي أجريتها مع رئاسة أركان الجيش المصري في القاهرة واطلاعي على موقف الجيوش العربية في فلسطين أدرج أدناه ملحوظاتي حول سير حركات الجيوش العربية في فلسطين في الوقت الحاضر:

1 - الجيش السوري واللبناني

مرابطان على حدودهما وهما في حالة دفاعية ولا يؤمل قيامهما بأية حركة تعرضية.

2 - الجيش العراقي

أولًا: جحفل فوج من ل1 مرابط في جسر المجامع في حالة دفاعية.

ثانيًا: القوة الباقية مرابطة في منطقة جنين - طولكرم - قلقيلية وفي حالة دفاعية.

3 - الجيش العربي

متوغل في منطقة القدس ومحتل موضعًا في منطقة باب الواد - اللطرون، وقائم بمحاصرة بلدة القدس وله بعض المتطوعين في اللد والرملة. وهو في حالة دفاعية بحتة، ولا يتمكّن من القيام بأية حركة أخرى قبل سقوط أو استسلام مدينة القدس. وهو يحتج بعدم إمكانه التقدم أكثر من ذلك بالنظر لتأخر الجيش المصري.

4 - الجيش المصري

وصل الجيش المصري إلى منطقة أسدود والمنطقة الواقعة جنوب كاستينيا، وهو في حالة دفاعية أيضًا لا يؤمل أن يقوم بأي تقدم آخر نحو الشمال خلال الأيام القادمة محتجًا بوجود مستعمرات كثيرة على خطوط تقدمه يتطلب وقت طويل لتطهيرها.

الخلاصة

يظهر مما تقدم في أعلاه أن الجيوش العربية في الحال الحاضر قد انتقلت من خطة الهجوم إلى خطة الدفاع وأن القوات العراقية بدورها لا تتمكن من القيام بأي عمل تعرضي بمفردها ما لم تتعاون معها الجيوش الأخرى، لا سيما الجيشين الأردني والمصري لذلك أقترح احتفاظها بمواضعها الحالية والبقاء في حالة دفاعية في الوقت الحاضر، وأعتقد أن قوتها تكفي للقيام بهذا الواجب الدفاعي، لا سيما وأن مناعة المنطقة المرابطة فيها تجعلها قادرة على إنجاز ذلك. ولا يؤمل انتقال الجيوش العربية إلى حركات هجومية خلال الأيام القليلة القادمة ما لم تضاعف قوات الجيشين المصري والأردني.

التوقيع
نوري الدين محمود

صورة منه إلى: فخامة وزير الدفاع.

سعادة أمين الجامعة العربية.

ضابط الارتباط السوري.

ضابط الارتباط اللبناني.

ضابط الارتباط الأردني.

ضابط الارتباط المصري.

اقتراح اجتماع لجنة عسكرية واللجنة السياسية

في الحقيقة لم يكن لي واجب مباشر في حركات فلسطين، وإن الجيوش العربية مرتبطة بالقيادة العامة التي كانت بدورها مرتبطة باللجنة السياسية لجامعة الدول العربية. ولكن بحكم منصبي كنت على اتصـــال دائم مع القيادة العراقية ومطلع على ســـير الحركات. ولقد ســـاءني ما وصلت إليه الحالة في فلسطين، بينما الجيوش العربية ما زالت في بدء الحركات، ولهذا أرسلت الكتاب التالي إلى وزير الدفاع اقترحت فيه إنشـــاء لجنة عســـكرية تمثل الجيوش العربية مع اللجنة السياســـية لجامعة الدول العربية لبحث الموقف ومعالجته بشكلٍ جدي يؤمن توحيد الجهود والنجاح.

سري للغاية وعلى الفور

الرقم: 1 ص

التاريخ: 9/ 6/ 1948

إلى: فخامة وزير الدفاع

من: رئيس أركان الجيش العراقي في الزرقاء

الموضوع/ الموقف في فلسطين

بنتيجة زيارتي للقوات العراقية العاملة في فلســـطين واطلاعي على موقف الجيوش العربية الأخرى، لمست فتورًا في حركات أكثر الجيوش العربية، وإن الاستمرار على هذا المنوال لا يؤمن نتائج مرضية.

لقد سبق لي أن بينت في الاجتماعات التي عقدت قبل الشروع بالحركات وبعدها قلة القوات التـــي تعهدت الحكومات العربية إشـــراكها في الحركات. ومع أن الجيش العراقي ضاعف قواته، بحيـــث أصبحت تفوق قوات الجيوش المشتركة، وذلك بالرغم من كل الصعوبات التي جابهته، وما تزال تجابهه، فإن

الجيوش الأخرى بالرغم من تطلبات الموقف واعتقادها بضرورة تزييد [زيادة] القوات، فإنها إما غير قادرة، أو إنها غير راغبة في عمل ذلك.

ولمـــا كان بقاء الحال على مـــا هو عليه الآن، فيه محاذيـــره وأخطاره وما يؤدي إليه من نتائج غير مرضية لها عواقبهـــا الوخيمة، أقترح عقد اجتماع لجنة عسكرية تمثّل الجيوش العربية، واللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لبحث الموقف ومعالجته بشـــكلٍ جدي يؤمن توحيد الجهود والنجاح. أرجو توسّـــط فخامتكم لتأمين ذلك وإنبائنا رجاء.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
رئيس أركان الجيش

وقد أرســـل وزير الدفاع تقريري هذا مـــع تقريري اللواء نـــوري الدين المرقميـــن 44 و45 إلـــى رئيس الـــوزراء بكتابه المرقـــم 192 والمؤرخ في 16/ 6/ 1948.

الفصل الرابع عشر

الهدنة الأولى

الهدنة الأولى وشرح الموقف في فلسطين

في الساعة الثامنة من يوم 11 حزيران 1948 أوقف إطلاق النار من الجانبين لهدنة أمدها أربعة أسابيع. ولقد شعرت بدقة الموقف وخطورة الوضع بإعطاء الصهيونيين فرصة كافية لإكمال نواقصهم وتهيئة قواتهم، فقدمت بتاريخ 15 حزيران 1948 تقريرًا إلى وزير الدفاع بينت فيه باختصار ملاحظاتي وانطباعاتي حول الهدنة وبعض أغلاط الجانب العربي خلال المدة من 15 مايس 1948 حتى توقف القتال، وخشيتي من استفادة الصهيونيين من هذه الفترة لحصولهم على أسلحة ومهمات جديدة. وذكرت ضرورة التهيؤ لاستئناف القتال والوسائل الواجب اتباعها في تهيئة الرجال والسلاح، وحذرت من التقاعس الذي سيكون في غير مصلحة الحكومات العربية وقواتها المقاتلة في الميدان، ونوهت بالعواقب الوخيمة التي ستنتج من خسران القتال، وما ستجلبه من وبال على البلاد العربية بأجمعها - لا سمح الله. ولقد حدث فعلًا ما كنت قد توقعته. وفي أدناه صورة التقرير:

الرقم: 67/ و

التاريخ: 15/ 6/ 1948

سري للغاية وشخصي

فخامة وزير الدفاع

الموضوع: شرح الموقف في فلسطين

بمناسبة انتهاء جولتي الأخيرة وانطواء الصفحة الأولى من الحركات في فلسطين من جراء عقد الهدنة لمدة أربعة أسابيع أعرض على فخامتكم الموقف بصورة عامة مع ملحوظاتي وانطباعاتي في الموضوع:

1 - إن القوات العربية التي اشتركت حتى الآن في القتال في فلسطين، بالرغم من قلتها، كان في وسعها الحصول على نتائج أكثر مما حصلت عليها [عليه] في ما لو أمكن تحقيق ما يلي:

أ - الاعتراف بالقيادة العامة عمليًا واحترام أوامرها ووصاياها من قبل الجيوش العربية.

ب - قيام قيادات الجيوش بتنفيذ الواجبات التي أسندت إليها حسب الخطة المقررة وعدم تردد بعضها في بعض النواحي.

ج - عدم تغيير الخطة المقررة والمتفق عليها في اللحظة الأخيرة لاعتبارات وعوامل مجهولة لدينا.

د - تخصيص مناطق وجبهات متناسبة مع قوات بعض الجيوش، وبصورة خاصة الجيش العراقي حيث يعمل الآن في منطقة واسعة على اتجاهات مختلفة.

هـ - إبقاء القوات غير النظامية (قوات فوزي القاوقجي وغيره) في مناطقها التي اشتغلت فيها شهورًا عديدة وعدم سحبها إلى سوريا في وقت الحاجة إليها، وعند مباشرة حركات الجيوش النظامية.

إن الاعتبارات الآنفة الذكر أدت عمليًا إلى عدم إمكان الحصول على أكثر مما حصل حتى الآن.

2 - إن الموقف من الوجهة العسكرية كان في مصلحة القوات العربية منذ إعلان الهدنة التي تمت، ولا شك من جراء تأثيرات سياسية. وأعتقد بأنه لو بُذلت جهود أخرى من الحكومات العربية لكان في الإمكان تضييق الخناق على الصهاينة ومراكزهم الحيوية. ولربما كان في الإمكان إنهاء الحركات بعد فترة غير طويلة. وهنا لا بد من التنويه بناحية مهمة، وهي أن الصهيونيين إذا أكملوا استحضاراتهم خلال فترة الهدنة، وهذا أمر غير عسير عليهم، فلا يستبعد أن يباغتوا الجيوش العربية كلها أو قسم [قسمًا] منها على انفراد بحركة قوية

قبل انقضاء مدة الهدنة أو حال انتهائها مباشـــرة، خاصة ولدينا المعلومات التي تبين أنهم لم يحترموا شروط الهدنة وقد عملوا خلافًا لتحديداتها.

هذا وقد اســتمات الصهاينة في القتال منذ بدء الحركات. ومما لا شــك فيه أنهم سيعملون المســتحيل لحصولهم على الأسلحة والطيارات والمهمات العســكرية على اختلاف أنواعها من الحكومات المشــجعة لهم، والتي تسند قضيتهم، وســيبذلون قصارى جهدهم لتكثير عددهم وإصــلاح وضعيتهم من حيث نقاط الضعف وغيرها وسيستفيدون من الدروس التي حصلوا عليها.

3 - لا أعتقد أن الحكومات العربية ســتتراجع بعد الآن وتنســحب من الميدان في فلســطين عســكريًا، كما لا أعتقد بإنهاء المعضلة الفلســطينية في مصلحة العــرب بمجــرد المباحثات والمؤتمــرات، لذا فــإن الموقف يحتم علــى دول الجامعة العربية اســتئناف القتال حال انتهاء الهدنــة أو عند توقف المذاكرات أو عند مباشــرة الصهاينة بالحركات التعرضيــة قبل موعد انتهائها وهذا يتطلب ما يلي:

أ - إحضار قوات كبيرة ومتفوقة لمعالجة الموقف والتغلب على الخصم.

ب - تهيئة أسلحة ومهمات وعتاد تكفي لحرب طويلة الأمد.

ففي ما يتعلق بالفقرة (أ) في أعلاه فإن الأمر يستوجب اتخاذ ما يلي:

أولًا: إشراك الجيوش العربية بالقتال بكامل عددها ومعداتها.

ثانيًا: تهيئة تشكيلات غير نظامية من الفلسطينيين وغيرهم من البلاد العربية المجاورة.

ثالثًا: طلب وتهيئة متطوعين من البلاد الإسلامية الراغبة في المعاونة.

رابعًا: قبول المتطوعين الأجانب بعد التأكد من هُوياتهم ونزعاتهم وحسن نواياهم من قبل هيئة يعتمد عليها.

وفي ما يتعلق بالفقرة (ب) في أعلاه فإن الأمر يستوجب إنجاز ما يلي:

أولًا: تهيئة المتيسر منها لدى كل حكومة عربية للاستخدام فورًا في القتال.

ثانيًا: التأكد والإلحاح على الحكومة البريطانية لصرف طلباتنا التي سبق لنا أن تقدمنا بها إلى وزارتي الحربية والتموين والموقوفة الآن، لاعتبارات سياسية، مع العلم بأنها طلبت في وقت لم تكن الحركات الفلسطينية موضوعة بحث.

ثالثًا: تدارك الأسلحة والمهمات والعتاد من الحكومات الإسلامية والحكومة المحايدة بأية طريقة كانت.

رابعًا: تدارك الأسلحة والمهمات بواسطة الوكالات الخاصة وتجار هذه المواد ومهربيها.

4 - إن كل يوم يمضي من أيام الهدنة من دون أن ننجز عملًا ما، أو نهيئ ما يقتضي لاستئناف القتال، أمر في غير صالح الحكومات العربية وقواتها المقاتلة في فلسطين. ولا أريد في هذا المجال أن أتطرق إلى العواقب الوخيمة التي ستأتي من جراء خسراننا القتال في الميدان، لأن ذلك أمر واضح لا يحتاج إلى دليل وبيان، ولا شك أنه سيجلب وبالًا على البلاد العربية بأجمعها - لا سمح الله تعالى.

5 - أرجو الاطلاع، والتفضل بعرض هذا الموقف على المراجع ذات العلاقة، وإنباءنا بما تنسبونه.

الفريق الركن
صالح صائب الجبوري
رئيس أركان الجيش

القيادة العامة في فلسطين

نظرًا لسكوت المقامات المختصة على كتاب اللواء الركن نوري الدين محمود المرقم 44، والمؤرخ في 8/ 6/ 1948 الذي أعفى فيه نفسه من واجبات القيادة العامة ومسؤولياتها، وعدم تعليقهم عليه بالرفض أو القبول واتخاذ التدابير اللازمة لعدم إبقاء القيادة العامة شاغرة في مثل هذه الأوضاع، قدمت كتابي الآتي إلى وزير الدفاع.

الرقم: 70/ و
التاريخ: 20/ 6/ 1948

سري للغاية وعلى الفور

فخامة وزير الدفاع

الموضوع: القيادة العامة في فلسطين

إشارة إلى كتاب أمير اللواء الركن نوري الدين محمود السري للغاية المرقم ح/ 3/ ص/ 44 والمؤرخ 8/ 6/ 1948 المعطاة صورة منه إلى فخامتكم أبدي ما يلي:

لقد سبق لي أن بينت لفخامتكم الصعوبات التي تجابهها القيادة العامة في فلسطين من حيث عدم امتثال قيادات الجيوش لوصاياها وأوامرها في توحيد وتنسيق الحركات وغير ذلك من الأمور. إن اللواء الركن نوري الدين بكتابه هذا يؤيد ما أوضحته في بياناتي السابقة.

إن الموقف الراهن يتطلب الحل السريع لهذه القضية الحيوية، خاصة وأن اللواء الركن نوري الدين كان قد تعين في بادئ الأمر لواجب قيادة القوات العراقية العامة في فلسطين وأن الوضع الحالي يتطلب وجوده في القيادة المذكورة.

فأرجو التوسط لدى الجهات المختصة لإيداع القيادة العامة إلى أحد قادة

الجيوش العربية بصورة عاجلة ورفعها عن عاتق المومأ إليه وعن عاتق الجيش العراقي وإنباءنا ما يتم بهذا الصدد رجاءً.

الفريق الركن
صالح صائب الجبوري
رئيس أركان الجيش

وقد أعيد إلي الكتاب بتاريخ 22/ 6/ 1948 وعليه التعليق التالي من قبل سكرتير وزير الدفاع:

(إلى سعادة رئيس أركان الجيش

لقد اطلع فخامة الوزير وبين فخامته أن مجلس الجامعة العربية قد أصدر قرارًا له علاقة بالموضوع وقد رغب فخامته اطلاع سعادتكم).

لا أدري ما هو القرار الذي أصدره مجلس الجامعة العربية في الموضوع، ولكن اهتمام مجلس الجامعة العربية بالأمر وإصداره قرارًا أوجب ارتياحي.

اقتراحان حول القيادة العامة

في 24 حزيران 1948 وردني تقرير اللواء الركن نوري الدين محمود المرقم 60، والمؤرخ في 20/ 6/ 1948، المدون أدناه، يذكر فيه زيارته للقاهرة وقيامه بمباحثات وتقديمه اقتراحين حول القيادة العامة.

الرقم: 60
التاريخ: 20/ 6/ 1948

إلى سعادة رئيس أركان الجيش
من اللواء الركن نوري الدين محمود

الموضوع: مباحثات اللجنة العسكرية في مصر

خلال زيارتي الأخيرة للقاهرة قمت بالمباحثات التالية:

1 - إيضاح الموقف العام

تألفت لجنة فرعية من اللجنة السياسية للجامعة العربية برئاسة عبد الرحمن عزام باشا، وكان أحد أعضائها مدير الخارجية العام أحمد باشا الراوي، واجتمعت اللجنة في الجامعة العربية حوالى الساعة (13.00) من يوم الخميس الموافق 17/ 6/ 1948، وأدليت لها بإيضاح يتضمن بيان موقف الجيوش العربية في الوقت الحاضر، وكان بياني لذلك واضحًا وصريحًا بأن المرحلة التي اجتازتها الجيوش العربية حتى الآن تعتبر مرحلة تحشد ومسير اقتراب وأنها في تقدمها وعملها هذا لم تلاقِ مقاومة تذكر، أو بالأحرى لم تصطدم بحصون العدو القوية ما عدا وحدات الجيش الأردني العاملة في منطقة القدس، وأن المرحلة الثانية سوف لا تكون بهذه السهولة وسوف تتطلب تضحيات بالمال والرجال ويحتمل أن تكون صعبة ووعرة جدًا، كما أنها يحتمل أن تكون طويلة الأمد. وطلبت من اللجنة بإلحاح تفهيم ممثلي الدول العربية هذه الحقيقة. كما بينت أنه بالرغم من ذلك فإن الجيوش العربية قد انتقلت في الوقت الحاضر من وضع المهاجم إلى وضع المدافع لعدم وجود قوات احتياطية كافية تمكنها من استئناف الهجوم أو التقدم. وشددت على لزوم مضاعفة القوات الحالية وإيجاد القوات الاحتياطية اللازمة لذلك. كما أني أوضحت موقف الأعتدة في الجيوش العربية المختلفة وبينت ضرورة العمل الجدي لتأمين الأعتدة المطلوبة لقتال طويل الأمد.

2 - القيادة العامة

وقد طلبت خلال مباحثاتي هذه توحيد القيادة العامة وبينت بصورة مفصلة الأضرار الناجمة في حالة استمرارنا على الوضع الحالي. وقد اقتنعت اللجنة بضرورة إجراء تعديل يمكن من تسيير الحركات الحربية على وجه أتم والسيطرة على حركات مختلف الجيوش فيما إذا استؤنف القتال بعد الهدنة. وطلبوا مني تقديم بعض المقترحات حول القضية، فقدمت اقتراحين أولهما

يشـــمل تعيين قائد عام وهيئة ركـــن عامة تكون تحت إمرتـــه لتدوير [لإدارة] الشـــؤون الحربية في مختلف المناطق، وثانيهما يتضمن تشكيل مجلس حربي أعلى يؤلف من رؤســـاء أركان الجيوش العربيـــة المختلفة أو من ينوب عنهم لتدوير وتنســـيق حركات الجيـــوش العربية في مختلـــف الميادين. وقد جرى بحث هذين الاقتراحين في اللجنة السياســـية في اجتماعها المنعقد في الساعة (18.30) من يوم الخميس الموافق 17/ 6/ 1948، وحســـب ما فهمت من مدير الخارجية العام أنه قد تمت موافقة اللجنة السياسية على الاقتراح الثاني، وهكذا أصبحنا في حِلٍ من المســـؤولية المترتبة علينا مـــن جراء قبولنا تحمل أعباء القيادة العامة خطأً.

اللواء الركن
نوري الدين محمود

تأكيد ضرورة تعيين قائد عام

استغربت جدًا من الاقتراح الثاني الوارد في التقرير حول القيادة العامة في فلسطين، والذي يتضمن تشـــكيل مجلس قيادة لإدارة وتنسيق حركات الجيوش العربية في مختلف الميـــادين، بدلًا من القائد العام، الأمـــر الذي يزيد الموقف تعقيدًا، ولا يمكن قبوله والتعويل عليه في الحركات الحربية التي تتطلب سرعة القرار والتنفيذ من قبل قائد عام واحد تساعده هيئة أركان من الجيوش المختلفة.

ولا أعرف الأســـباب التي أوجبت موافقة اللجنة السياســـية على الاقتراح الثاني، وتركها الاقتراح الأول المنطقي بتعيين قائد عام تعاونه هيئة ركن، والذي لا يمكن الاســـتعاضة عنه بأي ترتيـــبٍ آخر. وعليه قدمت تقريـــري الآتي إلى وزير الدفاع مبينًا فيه وجهة نظري ومحـــذرًا من النتائج الوخيمة في ما إذا عُمل بموجب الاقتراح الثاني.

الرقم: 74/ و
التاريخ: 24/ 6/ 1948

سري وشخصي

فخامة وزير الدفاع

الموضوع: القيادة العامة للجيوش العربية العاملة في فلسطين

أرفق طيه صورة كتاب اللواء الركن نوري الدين محمود حول مباحثاته في مصر لاطلاع فخامتكم. أما في ما يتعلق بالمـادة الثانية المتعلقة بالقيادة العامة فأبدي ما يلي:

1 - اقترح اللواء الركن نوري الدين محمود اقتراحين أولهما يشمل تعيين قائد عـام وهيئة ركن عامة تحت إمرتـه لتدوير [لإدارة] الشـؤون الحربية في مختلف المناطق وهذا ما نؤيده كل التأييد، على أن يرفع هذا الواجب عن عاتق الجيش العراقي ويسند هذا المنصب إلى شخص يختار من باقي الدول العربية لإمكان إعادة أمير اللواء الركن نوري الديـن محمود إلى قيادة القوات العراقية في فلسطين، خاصة وأنه كان قد عين في بادئ الأمر لهذا الواجب. وأن الوضع الحالي يتطلب وجوده في القيادة العراقية أكثر من أي وقت آخر.

2 - إننا لا نؤيد الاقتراح الثاني بالمرة لأنه غير عملي وغير مثمر ونستغرب جدًا تقديم هذا الاقتراح كما نسـتغرب موافقة اللجنة السياسـية عليه، لأن مثل هذا المجلس الحربي الأعلى لا يمكنه إعطاء قراراتٍ حاسـمة وفورية حسـب تطلبات موقف القتال، وإصدار الأوامر والوصايا بموجبها. وبهذا الصدد نحذر من النتائج الوخيمة وتأثيرها على مجرى الحركات فيما إذا عُمل بهذا الاقتراح.

3 - وأخيـرًا أرجو أن أؤكد مـرة ثانية بأنه ليس في صالـح البلاد العربية ومجهودها الحربي بقاء وضع القيـادة العامة الحالي على ما هو عليه من حيث عدم امتثـال قيادات الجيوش العربيـة لوصاياها وأوامرها من توحيد وتنسـيق الحركات وغير ذلك من الأمور وضرورة البـت في هذه الناحية بصورة عاجلة

بالنظـر للموقف الراهن في فلسـطين، ورفعها عن عاتق الجيـش العراقي بأية وسيلة كانت. يرجى مفاتحة الجهات المختصة بالأمر وإنباؤنا بما يتم الوصول إليه.

الفريق الركن
صالح صائب الجبوري
رئيس أركان الجيش

تأييد وزير الدفاع وجهة نظري

أيد وزيـر الدفاع وجهة نظـري والنقاط الواردة في تقريـري بكتابه الذي أرسـله إلى رئيس الوزراء مع صورة من تقريري ومن تقرير اللواء الركن نوري الدين محمود.

صورة كتاب وزير الدفاع

الرقم: د/ 202/ 4أ/ 226

التاريخ: 29 حزيران 1948

سري للغاية وشخصي

إلى فخامة رئيس الوزراء

الموضوع – القيادة العامة للجيوش العربية العاملة في فلسطين

1 – نرفع لفخامتكم في طيه صورة تقرير رئيس أركان الجيش الفريق الركن صالح صائب الجبوري وبرفقته صورة كتـاب اللواء الركن نوري الدين محمود للتفضل بالاطلاع عليهما، وإننا بدورنا نؤيد النقاط الواردة في تقرير رئيس أركان الجيش ونرجو التفضل بالنظر فيها بالطريقة التي تنسبونها فخامتكم.

2 – وبالنظر للمرحلة الخطيرة التي وصلت إليها قضية فلسطين نرتئي أن يتفضل فخامتكم باتخاذ ما ترونه مناسبًا من التدابير لدعم التمثيل العراقي في البلاد العربية، خاصة في جامعة الدول العربية وذلك لتمكين الحكومة ومن ضمنها وزارة الدفاع من تثبيت وجهة نظرها من الناحيتين السياسية والعسكرية لديها ولدى مجلس الجامعة بواسطة الممثلين الدائمين لديها بكيفية تحقق الهدف المنشود من سياستها العامة حول هذه القضية الحيوية.

صادق البصام
وزير الدفاع

صورة منه إلى:

رئيس أركان الجيش

استيزار وزارة السيد مزاحم الباجه جي

بتاريخ 26 حزيران 1948 جرت حفلة استيزار وزارة السيد مزاحم الباجه جي التي خلفت وزارة السيد محمد الصدر، وأصبح السيد صادق البصام وزيرًا للدفاع.

إطلاع الوزراء الجدد على الموقف في فلسطين

بسبب تبدل الوزارة العراقية وتأليف وزارة جديدة، وبمناسبة قرب انتهاء الهدنة واستئناف القتال وعدم اتخاذ الإجراءات اللازمة حول التقارير التي قدمتها لتحسين الوضع في فلسطين، كلمت الأمير عبد الإله لعقد اجتماع وإيضاح الموقف بالتفصيل إلى الرجال المسؤولين الجدد ليكونوا على بينة من الأمر ويهتموا بهذه القضية كما تقتضيه الحالة. وبتاريخ 1 تموز 1948 طلب حضورنا إلى البلاط الملكي واجتمعنا في مكتب الأمير.

الحاضرون:

الأمير عبد الإله، رئيس الوزراء السيد مزاحم الباجه جي، وزير الدفاع السيد صادق البصام، وزير المالية السيد علي ممتاز الدفتري، رئيس الديوان الملكي السيد أحمد مختار بابان، رئيس أركان الجيش الفريق الركن صالح صائب الجبوري، اللواء الركن نوري الدين محمود. كما حضر الاجتماع الملحق العسكري في لندن المقدم الركن حسن مصطفى.

بينت بالتفصيل ولمدة ساعة ونصف الساعة الوضع في فلسطين منذ البداية حتى الموقف الأخير، وذكرت التقارير التي قدمتها وخشيتي من النتائج السيئة إذا استمرت الحالة على ما هي عليه الآن، وبصورة خاصة عدم ارتباط الجيوش العربية بقيادة عامة فعلية لتوحيد الحركات وتوجيهها الوجهة الصحيحة وعدم تنفيذ الجيوش الأوامر والوصايا الصادرة إليها من القيادة العامة.

تقرر الحركة [السفر] إلى القاهرة لمفاتحة ممثلي الحكومات العربية بالأمر وإيداع القيادة العامة إلى أحد القادة المصريين على كل حال.

السفر إلى القاهرة

بتاريخ 3 تموز 1948 طار إلى القاهرة الأشخاص التالية أسماؤهم:

رئيس الوزراء السيد مزاحم الباجه جي، وزير الدفاع السيد صادق البصام، رئيس أركان الجيش الفريق الركن صالح صائب الجبوري، اللواء الركن نوري الدين محمود.

عند وصولنا إلى القاهرة علمنا باجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في وزارة الخارجية المصرية، فذهب السيد مزاحم الباجه جي والسيد صادق البصام إلى هناك للاشتراك في الاجتماع.

الحضور في اجتماع اللجنة السياسية

في الساعة 12:00 من يوم 4 تموز 1948 حضرنا أنا واللواء نوري الدين

اجتماع اللجنة السياسـية لجامعة الدول العربية. تكلم أمين الجامعة السيد عبد الرحمن عزام وبين ضرورة القيـادة العامة لإدارة الحركات. وتكلم بعده رئيس وزراء سـورية ووزير خارجيتها السيد جميل مردم وقال إن على مصر أن تختار القائد العام بناءً على وعدها السـابق. وعندما طلـب مني الكلام وزير خارجية مصر السيد أحمد خشـبة بوصفه رئيس الجلسـة أكدت ضرورة القيادة العامة وتعيين قائد عام، وقلـت «أعتقد بأن الجميع متفقون علـى ذلك بالنظر إلى ما سمعته من أمين الجامعة ومن رئيس وزراء سـورية اللذين تكلما قبلي». تركنا محل الاجتماع أنا ونوري الدين وبقي أعضاء اللجنة مسـتمرين في مداولاتهم، وأعتقد بأن الموضوع الرئيس كان تمديد الهدنة أو استئناف القتال.

الاجتماع في مقر الجامعة العربية

في السـاعة 11:00 من يوم 5 تموز 1948 دعينا إلى الاجتماع، فاجتمعنا في مقر الجامعة العربية. كان الحاضرون عن العراق السـيد مزاحم الباجه جي، السيد صادق البصام، الفريق الركن صالح صائب الجبوري، اللواء الركن نوري الدين محمود، [و] عن لبنان السيد رياض الصلح، [و] عن سورية السيد جميل مردم، [و] عن الأردن السـيد توفيـق أبو الهدى، [و] عن مصـر الفريق محمد حيدر، [و] عن اليمن سيف الإسلام عبد الله، [و] عن المملكة العربية السعودية السيد يوسف ياسين، وأمين الجامعة العربية السيد عبد الرحمن عزام.

وفي أدناه مجمل ما دار في الاجتماع:

تكلم السـيد عبد الرحمن عـزام على القيـادة العامة وذكـر الاقتراحين المقدمين في اجتماع سـابق عقد في القاهرة بتاريـخ 17/ 6/ 1948 وحضره اللـواء الركن نوري الدين، وبيّن إمكان الأخذ بالاقتـراح الثاني منه الذي يجيز إيداع القيادة العامة إلى هيئة تمارس واجب القائد العام ومسؤولياته.

اعترضت على ذلك وبينت إيضاحات كافية بضرورة وجود قائد عام، وأنه لا يمكن إهمال هـذه الناحية بأي وجه من الوجوه. ولـم أؤيد الاقتراح القائل بإيداع القيادة العامة إلى هيئة لعـدم وجود أي فائدة فيه، إذ ما قيمة الهيئة إذا لم

تهيمن عليها سلطة تنفيذية واحدة بصورة قيادة عامة، وكيف يمكن التوفيق بين وجهات النظر المختلفة لهذه الهيئة وتوحيد أعمالها إن لم تسيطر عليها إرادة واحدة تستوي لديها مصلحة جميع الجيوش لتحقيق غرض مشترك واحد، وإذا لم يتم الاتفاق على رأي في معالجة موقف طارئ خطير فكيف سيكون الوضع والنتيجة؟ بل كيف يمكن التعاون مع الجيوش إن لم تسَيِّر حركاتها خطة موحدة تتطور تبعًا لتطورات الموقف في كافة الجبهات. وكيف تنصاع قيادات الجيوش العربية لتنفيذ ما هو مطلوب منها إذا لم تصدر إليها بصفة أوامر من قيادة محترمة مطاعة، خاصة وأن التعاون الحقيقي قد يستوجب التضحية من بعض الجيوش في سبيل تحسين موقف بعضها الآخر عند الحرج.

أجاب السيد عبد الرحمن عزام بأنه يتفق معي، وأنه إذا تعذر تعيين قائد عام، يعمل بالاقتراح الثاني بصورة مؤقتة.

تكلم الفريق محمد حيدر ومما قاله: رأي صائب باشا ورأي عزام باشا له وجاهته. أكدت إصراري على ضرورة تعيين قائد عام وخطورة إهمال هذه الناحية.

تكلم اللواء الركن نوري الدين وبين لزوم منح صلاحيات إلى القائد العام وتنفيذ أوامره.

عندما أراد السيد عبد الرحمن عزام تدوين الاقتراحين أي تعيين قائد عام، أو هيئة قيادة وإمكان العمل بالاقتراح الثاني، لم أوافق وبينت أضرار الاقتراح الثاني وحسنات الاقتراح الأول، و[كانوا] كلهم مقتنعين بصحة أقوالي، ولكن يظهر أنهم [كانوا] لا يريدون إغضاب بعض الجهات، حتى إن السيد رياض الصلح لشدة تأثره من مجانبة الحق والصواب لم يتحمل السكوت، وقال لي: «أنا معاك، تعال فَهِّمْ الآغا». ولا أدري من هو الآغا الذي قصده.!!

تكلم السيد توفيق أبو الهدى، ومما قاله إن حالة الجيوش العربية من حيث الأسلحة والعتاد واحدة وكلها متقاربة ونريد أن نعمل تدبيرًا. وقرأ تقرير اللواء الركن نوري الدين المرقم 45 والمؤرخ في 8/ 6/ 1948عن وقوف الجيوش

العربية بحالة دفاعية. وقرأ تقرير اللجنة العسكرية في القاهرة عن نقص الأعتدة، وعلى الأخص عتاد المدفعية 25 رطلًا.

وذكر أبو الهدى عن وصول تقرير إليه من عمان يذكر فيه عدم وجود احتياط لكل الجيوش العربية وضرورة إرسال قطعات جديدة من الحكومات العربية إلى فلسطين. وهنا جرت مداولات ومباحثات كثيرة بين السياسيين حول تمديد الهدنة أو استئناف القتال. ومما قاله الفريق محمد حيدر إن الجيش المصري لا يمكن أن يتقدم من أماكنه الحالية ما لم يدك جميع القرى البالغ عددها 27 قرية ويستولي عليها. وانفرط عقد الاجتماع من دون حصول نتيجة ولم يدون شيء.

اجتماع القادة المصريين والأردنيين

في 6 تموز 1948 كنت أنوي العودة إلى عمان وأنا في طريقي إلى العراق، ولكني التقيت باللواء الأردني عبد القادر الجندي، وعلمت منه بأنه طُلب إلى القاهرة لحضور الاجتماع بين المصريين والأردنيين وأتى معهم الزعيم الركن المصري سعد الدين صبور، وأن النية متجهة إلى إيقاف القتال وتمديد الهدنة أسبوعين على الأقل.

بقيت محتارًا بين العودة والبقاء للوقوف على النتيجة، وأخبرت رئيس الوزراء السيد مزاحم الباجه جي ووزير الدفاع السيد صادق البصام بالأمر.

حضرت اجتماع القادة العسكريين الأردنيين والمصريين كمستمع وفهمت من الإيضاحات والمباحثات بأن المصريين مصممون على البقاء في المحلات الموجودة فيها قواتهم وعدم التقدم أكثر من ذلك، و[أنه] لا يمكنهم الاشتراك بحركات مع الجيوش العربية الأخرى، وليس في وسعهم العمل أكثر من مهاجمة القرى الصهيونية الكائنة بالقرب من خطوط مواصلاتهم، كما ذكر ذلك الفريق محمد حيدر في الاجتماع في اليوم السابق.

تكونت لدي فكرة من الاجتماعات المختلفة والاتصالات بأن الجيش المصري لا ينوي الاشتراك بحركات موحدة مع الجيوش العربية الأخرى، ولا

الدخول تحت قيادة موحدة، كما أنه لا ينوي أن يعين قائدًا عامًا مصريًا تسلم إليه إمرة الجيوش الأخرى. وكذلك كانت الحكومة الأردنية وقيادة جيشها غير راغبتين في استئناف القتال وتبديان شتى الأعذار. وهذا موقف مؤلم ومحرج وينذر بنتائج سيئة.

تكليفي بالقيادة العامة واعتذاري عن قبولها

في 7 تموز 1948 دعانا مقر الجامعة العربية، فذهبت مع السيد صادق البصام. وجدنا هناك السيد مزاحم الباجه جي والسيد جميل مردم والسيد رياض الصلح وسيف الإسلام عبد الله والسيد يوسف ياسين والسيد عبد الرحمن عزام، ولم يحضر أحد عن مصر أو شرق الأردن.

جرى البحث حول القيادة العامة وكلفوني بالقيام بها فلم أوافق، واعتذرت عن قبولها. وإن بعض الأسباب التي أوجبت هذا الاعتذار هي:

1 - إن قبولي القيادة العامة مخالف لتقاريري السابقة في الموضوع وللقرار المتخذ في بغداد قبل مجيئنا إلى القاهرة والقاضي بإيداع القيادة العامة إلى قائد مصري أو غير عراقي.

2 - عدم اشتراك جميع الحكومات العربية في قبول سيطرة القيادة العامة، وعلى الأخص الجيش المصري والجيش الأردني، وبقاء الجيشين اللبناني والسوري في حالة دفاع مستكن.

3 - وجودي في رئاسة أركان الجيش العراقي واشتغالي بحرية أكثر فائدة للجيش وللقضية الفلسطينية من اشتغالي بالقيادة اسميًا فقط، والحكومات العربية والجيوش العربية في وضعها وموقفها المعلوم لديّ.

العودة إلى عمان وتكليفي بالقيادة العامة

عدنا أنا والسيدان مزاحم الباجه جي وصادق البصام إلى عمان في 8 تموز 1948 وقابلنا الأمير عبد الإله ليلًا في قصر الملك عبد الله. اختلى

السيد مزاحم الباجه جي والسيد صادق البصام بالأمير بعض الوقت لإطلاعه على نتائج محادثات القاهرة. وبعد ذلك اشتركت معهم فألحوا علي بقبول الاضطلاع بواجبات القيادة العامة. وقد بين الباجه جي والبصام موافقة مصر على إشراك جيشها مع الجيوش العربية إذا قبلت أنا القيادة العامة.

بناءً على معلوماتي الخاصة وانطباعاتي المتولدة من الاجتماعات والمذاكرات السابقة ثبتت قناعتي التامة بعدم رغبة المصريين في مواصلة القتال، وعدم ميلهم إلى تعيين قائد عام أو الامتثال لأوامر أية قيادة عامة. ولما لم تفد ملحوظاتي وإيضاحاتي وافقت، على شرط موافقة مصر والأردن على تنفيذ خطط وأوامر القيادة العامة، لأحول بذلك دون اتخاذ رفضي وسيلة لتفريق الصفوف وذريعة للتملص من مسؤولية التعاون.

برقية رئيس الوزراء وجواب المفوضية العراقية في القاهرة

أرسل رئيس الوزراء إلى المفوضية العراقية في القاهرة البرقية التالية:

«بلغوا الحكومة المصرية وأمانة الجامعة ومندوب اليمن بأن الفريق الركن صالح صائب وافق على الاضطلاع بالقيادة العامة مؤملًا تعاون قواد جيوش الدول العربية معه في تنفيذ ما تتطلبه مهمته».

وفي اليوم التالي ورد جواب المفوضية العراقية في القاهرة، وإذا به غير مطمئن، [ففيه] تتملص مصر من الاشتراك مع الجيوش الأخرى تحت قيادة واحدة. ولما لم يتحقق شرطي أصبحت في حل من قبول القيادة العامة اسميًا وتحمل مسؤولياتها الخطرة في تلك الظروف الحرجة من دون أن تكون لهذه القيادة سلطة حقيقية على الجيوش العربية. فأيدني الباجه جي والبصام وكذلك الأمير عبد الإله بذلك، ولم أضطلع بمهام القيادة العامة.

مقابلة الأمير عبد الإله وإخباره بخطورة الموقف

قابلت الأمير عبد الإله في معسكر الزرقاء وتكلمنا حول الوضع في فلسطين بصورة عامة. بينت له خطورة الحالة وضرورة مصارحة الحكومات

العربيـــة وتثبيت موقف كل منها مع تفهيم الشـــعب العراقـــي بالموقف الراهن ليكون على علم به، لأن الحالة خطرة على ما أعتقد.

سفر رئيس الوزراء ووزير الدفاع ودخولي مستشفى الزرقاء

سافر السيد مزاحم الباجه جي والســـيد صادق البصام إلى بيروت في أول تموز 1948 وذهبت إلى معسكر الزرقاء لإجراء بعض الفحوصات الطبية نظرًا لتردي صحتي وازدياد آلامي مـــن المرض الذي ألم بي عندمـــا كنا في مصر. وهناك دخلت المستشفى ولازمت الفراش.

استفادة الصهيونيين من فترة الهدنة الأولى

لم يســـتفد الجانب العربي من فترة الهدنة الأولى، بـــل كانت وبالًا عليه. فلم تتفق الحكومات العربية على خطة عمل موحدة ولم يكســـبوا أي فائدة من الســـفرات التي قام بها رجالهم والاجتماعات التي حضروها، بل زاد الخلاف في وجهـــات النظر، ولم يتخـــذوا الحيطة اللازمة لمجابهـــة الموقف وأخطاره بحزم وعزم وبقوا فـــي غفلة عن الخطط والاســـتحضارات التي هُيِّئت ضدهم للغدر بهم.

وعلى العكس من ذلك فإن الصهاينة اســـتفادوا من فترة الهدنة اســـتفادة كلية آخذين العبرة من الحوادث التي ســـبقت الهدنة، فأكملوا نواقصهم وأتموا تدريب قواتهم وجهزوها بأحدث الأســـلحة وكانوا على أهبة الاستعداد للقتال مجددًا. وعنـــد انتهاء فترة الهدنة الأولى قام الصهاينـــة بهجماتهم في كل مكان فأخذت الأخبار الســـيئة تصل باســـتمرار تقدمهم واحتلالهم بعض الأماكن في جبهة الجيش الأردني، وقد ظهرت عند العدو أســـلحة جديدة ودبابات لم تكن موجودة لديه قبل الهدنة[1].

(1) راجع مجموعة اتفاقيات الهدنة العربية - الإســـرائيلية المنشـــورة من قبل مؤسسة الدراسات الفلسطينية عام 1968.

وهكذا وقع ما كنت أخشـاه من قبول الهدنة الأولـى بإعطاء فرصة ثمينة للصهاينة لإكمال نواقصهم وتسـليح قواتهم وزيادة عدد مقاتليهم القادمين من كل صوب كما توقعت ذلك ونبهت عليه في تقريري المؤرخ في 15/ 6/ 1948 المرفوع إلى وزير الدفاع ومجلس الوزراء.

وفي أدناه بعض الفوائد التي حصل عليها الصهاينة من الهدنة الأولى:

1 - تموين الصهيونيين في بلدة القدس وغيرها بالمؤن:

كانت مواد الإعاشـة عند الصهيونيين، وبصورة خاصـة في بلدة القدس وفي بعض المستعمرات، بتناقص مستمر، وكانوا يخشون أن يفتك بهم الجوع إذا استمر القتال. وبعد إعلان الهدنة أرسـلوا آلاف السيارات محملة بالمؤن إلى القدس، كما تمكنوا من تموين مسـتعمراتهم في سـائر أنحاء فلسـطين وخزنوا الأرزاق الاحتياطية في كل منها للتمون بها في حالة اسـتئناف القتال مرة أخرى.

2 - تزويد الصهيونيين في بلدة القدس بالماء:

تمون بلدة القـدس بالماء مـن (رأس العين) التي تسـيطر عليها قوة من الجيش العراقـي وكانت المياه مقطوعة عن القدس. ولقد أثر العطش بسـكان القدس الصهيونيين تأثيرًا بالغًا، وبعد إعلان الهدنة تمكنوا من جلب الماء الذي يسد حاجاتهم الضرورية من مختلف الأماكن وبمختلف الوسائط وتخلصوا من خطر كبير كان يهدد حياتهم.

3 - فتح طريق بورما:

بعد أن صـدت هجمات الصهاينـة المتكررة في قاطـع اللطرون وباب الواد، بقيـت القدس معزولة لا يمكنهم الوصول إليهـا. ومنذ أول أيام القتال فكروا في إيجـاد طريق آخر يربط منطقة السـاحل بمدينة القـدس. فتمكنوا من اسـتطلاع طريق يمر من خلدة إلى جنوب باب الواد ويجتاز منطقة وعرة

مستفيدين من الفجوة بين الجيشين الأردني والمصري. واستمروا على تعريض وتعديل الطريق إلى أن أصبح صالحًا لسير السيارات. ولم يمنعهم من عملهم هذا لا الجيش الأردني ولا الجيش المصري أثناء القتال ولا المراقبين الدوليين أثناء الهدنة. وسموه طريق بورما يستعملونه في اتصالهم بمدينة القدس بأمان.

4 - تحكيم وتحصين المستعمرات الصهيونية:

بالاستفادة من فترة الهدنة تم تحصين المستعمرات الصهيونية، وخاصة القريبة من مناطق القتال، فحفروا الخنادق وبنوا الاستحكامات ونصبوا الأسلاك الشائكة وبثوا الألغام. كما أشغلت المراكز المهمة والنقاط الحيوية بقوات تمهيدًا لاستئناف القتال.

5 - تدريب المقاتلين الصهيونيين:

استغل العدو فترة الهدنة في تقوية وتدريب قواته الموجودة في فلسطين، والتي وردت إليه من الخارج وأسس لهذه الغاية مراكز تدريب في أماكن جهزها بما تحتاج إليه من أسلحة ومدربين أجانب فرفع مستوى التدريب في قواته.

6 - استخدام فنيين غربيين:

استخدم العدو عددًا من الفنيين الأجانب كالطيارين والمهندسين وغيرهم من مختلف الأقطار الأوروبية والأمريكية برواتب مغرية، وذلك علاوة على الصهيونيين الفنيين الذين وصلوا من مختلف الأقطار.

7 - تهريب أسلحة ومهمات من تشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية، فقد جلب العدو مقادير كبيرة من السلاح والعتاد والمهمات الأخرى، وكانت الطائرات تنقل هذه المواد من تشيكوسلوفاكيا إلى القسم المحتل من

فلســطين باســتمرار. كما وصلت ثلاث قلاع طائرة من أمريكا تحمل مختلف أنواع الأسلحة.

8 - تهريب طائرات مقاتلة:

جلب العدو قلاعًا طائرة من أمريكا وطائرات مقاتلة من إنكلترا فأصبحت لديه قوة جوية متفوقة. ولقد جرى ذلك بمعرفة وتســاهل السلطات الأمريكية والإنكليزية بلا شك، إذ ليس من المعقول أن تخرج هذه الطائرات بدون موافقة الحكومة عليها[2].

9 - تمكن الصهاينة من جمع الأموال من يهود العالم، وخاصة الأمريكيين منهم فابتاعوا بها أســلحة وذخائر متنوعة من بنادق ورشاشــات ومدافع ذخيرة ودبابات وســيارات وغيرها وحملوها الباخرة (الطالينا) من ميناء فرنســي يقع بالقرب من مرســيليا. وفي 20 حزيران ســنة 1948 وصلت الباخرة الشواطئ الفلســطينية بالقرب من ناتانيا وعليها 900 (تســعمائة) صهيوني مقاتل مدرب وأفرغت حمولتها والمقاتلين على مرأى ومســمع من المراقبين الدوليين الذين كانوا على علم بوصول الباخرة المذكــورة، والتي كان لها تأثير كبير على قلب التوازن في الحركات التي حدثت بعد الهدنة.

هذا بعض مــا عرف عن فعاليات واســتعدادات الصهاينة في فترة الهدنة الأولــى التي فرضــت لأجل تمكينهــم من هــذه الاســتحضارات. وكانت الحكومات الأمريكيــة والبريطانية والفرنســية والروســية وغيرها من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة تعلم بلا شــك أكثر من هــذا عن مخالفات الصهاينة لشــروط الهدنة وانحيــاز الوســيط الدولي ومراقبيه إلــى الجانب الصهيوني، ولكنهم ســكتوا عن ذكر الحق وتســتروا علــى الباطل، والأنكى من كل ذلــك أن الحكومة البريطانية امتنعت عن تجهيز الأســلحة والمهمات

(2) إحدى هذه الطائرات التي هربت من إنكلترا كانــت بخدعة صهيونية، وذلك بالتظاهر بتمثيل فيلم يقضي [يقتضي فيه] أحد المشاهد استعمال طائرة. فاستعيرت الطائرة من الحكومة البريطانية فطارت من بريستول وهبطت في فلسطين!!

للدول العربية، وخاصة العراق بالرغم من وجود اتفاقيات سابقة توجب عليها التجهيز، وإن الامتناع بدأ ليس أثناء حركات فلسطين فقط، بل قبل عدة أشهر من التفكير بإشراك الجيوش العربية بالقتال.

الأعمال خلال الهدنة الأولى

انصرفت القطعات العراقية خلال الهدنة الأولى إلى إعادة تنظيمها وتدريبها وترصين مواضعها، وقد تم تشكيل وحدات المناضلين الفلسطينيين وتدريبها وتعيين الضباط لقيادتها. كما جلب جحفل اللواء الثالث وبعض وحدات المدفعية من العراق لتعزيز القوات العراقية في فلسطين. وعندما قاربت الهدنة من نهايتها أصدرت القيادة العراقية وصايا حركاتها ليوم 6 تموز سنة 1948 إلى قطعاتها، وكانت خلاصة هذه الوصايا كما يلي:

1 - يحتمل قيام الصهاينة بهجوم ليلي للاستيلاء على باقة الغربية وقلقيلية ورأس العين.

2 - تدافع القوات العراقية عن منطقة التياسير - جنين - طولكرم - قلقيلية - رأس العين، لمنع العدو من النفوذ إلى المناطق العربية حتى يتم وصول النجدات للشروع بالتعرض النهائي.

3 - أسلوب العمل: وهنا ثبتت توزيع القطعات والقواطع التي تعمل فيها تلك القطعات، وواجب كل منها والمدفعية التي تسندها. كما عينت القطعات المطلوب منها التهيؤ للقيام بالهجوم المقابل وغيرها من الأمور استعدادًا للقتال.

انتهاء الهدنة الأولى

أبلغت القيادة العامة ببرقيتها الموقعة 452 والمؤرخة في 8 تموز 1948 القيادة العراقية بأن الهدنة تعتبر منتهية في الساعة 8:00 من يوم 9 تموز سنة

1948 فبلغت القيادة العامة العراقية ذلك إلى القطعات في اليوم نفسه. ووقفت القوات العراقية في مختلف القواطع على أهبة الاستعداد للقتال.

برقية القائد الأعلى

كما صدرت من القائد الأعلى في 9 تموز 1948 البرقية التالية:

جيشــي العزيز: في اليوم الذي تنتهي فيه الهدنة التي قبلناها لنظهر للعالم رغبتنا في حل قضيتنا المقدسة الحل العادل بسلام، أبعث إليكم بتحيتي مؤملًا أن تكونوا قد اســتفدتم من فترة الهدنة في التهيؤ لتنفيــذ ما أجمع العرب على نواله ســلمًا أو حربًا. أما الآن وقد باتت الجهود الســلمية التي بذلناها لســوق العصاة إلى ســواء الســبيل فقد انفتح المجــال أمامكم لتظهــروا بالقوة الحق وتزهقوا الباطل.

أيها الأبطال: إن العــراق بأجمعه يرمقكم الآن بإعجــابٍ وتقديرٍ، ويؤمل منكم الخير العظيم فســيروا على بركة الله، ثبت الله أقدامكم، وسددَ خطاكم، وعززَكم بنصرٍ من عنده، والسلام.

عبد الإله

الفصل الخامس عشر

الحركات بين الهدنتين الأولى والثانية

استئناف القتال بعد الهدنة الأولى

لقد استعد الصهاينة الاستعداد اللازم للقتال أثناء فترة الهدنة الأولى التي استفادوا منها استفادة كلية ووضعوا خططهم لمهاجمة مختلف المناطق العربية حال استئناف القتال، وقد نفذوا ذلك اعتبارًا من 9 تموز 1948 كما ظهرت عندهم دبابات استخدموها لأول مرة حيث لم تكن عندهم دبابات قبل الهدنة.

حركات الجيش العراقي

أذكر في أدناه باختصار ما وقع من الحوادث في منطقة الجيش العراقي بين الهدنة الأولى وإيقاف القتال بفرض مجلس الأمن الهدنة الثانية.

قاطع جنين

بقي العدو متحصنًا مدة من الهدنة في الراقم 152، وهو التل الواقع شمال بلدة جنين. وكان وجود قوات الصهيونيين في هذا التل يجعلها مسيطرة على منطقة جنين وباستطاعتها التأثير عليها بنيران مدافع الهاون التي كانت السلاح الرئيس لديهم. ولم يكن تطهير التل من العدو أمرًا عسيرًا، إلا أن التل نفسه واقع [كان واقعًا] تحت تأثير نيران العدو الموجود في عرانة وجلمة ومقيبلة والمعسكر البريطاني. ولذا فقد أصبح من الضروري أن تستهدف أية حركة لاحتلال التل تطهير تلك القرى من العدو سلفًا. ولذلك فقد أعد جحفل اللواء الرابع خطة الاستيلاء على تلك المنطقة خلال الهدنة لتطبيقها حالما يستأنف القتال.

وبعد انتهاء الهدنة نفذت الخطة بسلسلة من المعارك التي كان بعضها عنيفًا.

ففي يوم 8 تموز أرسلت قوة من الجيش والمناضلين الفلسطينيين إلى قرية فقوعة. وبعد قتال طويل تمكنت من احتلالها والاستيلاء على مصفحتين وسيارة نقل ومعدات وأسلحة وكبدت العدو خسائر جسيمة. وفي فجر يوم 10 تموز تم احتلال قرية مقيبلة.

أرسلت قوة للهجوم على عرانة وأرسلت قوة أخرى للهجوم على قريتي دير غزال وعربونة لمنع وصول نجدات للعدو من تلك الجهة.

كما قامت قوة بالهجوم على الراقم 152 وطلب إلى المناضلين في أم الفحم وعاره وعرعرة مهاجمة العدو باتجاه قواطعهم لمنعه من مساعدة القواطع الأخرى.

وقد أرسلت سرية إلى عربونة لتشكيل قاعدة فيها وتحكيمها لكي يتسنى للقوات الأخرى أن تواصل التقدم.

وتقدمت سريتان إلى شمال المعسكر البريطاني واحتلت إحدى السرايا قرية جلمة وتقدمت سرية أخرى شمالها حتى قرية صندلة فاحتلتها، وبُدئ بمهاجمة التلال الكائنة غرب المزار فاحتلت بعد مقاومة عنيفة.

لقد قاوم العدو بشدة إلا أن المدرعات تمكنت من إحاطة المنطقة شمال مقيبلة فهددت مواصلاته باتجاه العفولة واستمرت المعركة طول النهار والليل حتى الصباح. وقد احتلت القوات العراقية والمناضلون الفلسطينيون سبع قرى والمعسكر البريطاني ومطار مقيبلة ووقفت على خط سفوح المزار - خط صندلة -مقيبلة - عرانة - الراقم 152.

وفي يوم 11 تموز أعيد تنظيم القطعات، وأرسلت دوريات المدرعات باتجاه اللجون وزرعين، وهكذا نجحت القوات العراقية بحركاتها وسيطرت على منطقة واسعة وكبدت العدو خسائر بالغة.

برقية القيادة العراقية إلى جحفل اللواء الرابع

أرسلت القيادة العراقية برقية إلى جحفل اللواء الرابع تهنئه وتشكره على

نجاحه، وطلبت منه عدم تشــتيت قواته والاحتفاظ بها في موضع 152 لتكون متهيئة لمجابهة أي هجوم مقابل للعدو.

برقية القيادة العراقية إلى القيادة العامة

بينــت القيادة العراقيــة ببرقيتها رقم 381/ح تاريــخ 10/ 7/ 1948 إلى القيــادة العامة أن العدو في حالة انســحاب باتجاه العفولــة، واقترحت تعاون جيش الإنقاذ في الناصرة مع قطعات الجحفل الرابع لمهاجمة العفولة، وطلبت درجة المعاونة التي يسديها جيش الإنقاذ ووقتها.

وفي يــوم 11/ 7/ 1948 طلبــت القيادة العامة من فــوزي القاوقجي أن يقوم بقواته في الناصرة بحركة تعرضية باتجاه العفولة بأســرع ما يمكن لتسهيل حركات القوات العراقية في المنطقة الواقعة بيــن جنين والعفولة، فأجاب يوم 12/ 7 بأن أكثر قواته أمام الشجرة في منطقة الناصرة، ولم يقم بأي عمل.

قاطع طولكرم

الحوادث يوم 10 تموز سنة 1948:

هاجم الصهاينة قوات رأس العين، فصدوا، ثــم تكرر الهجوم على رأس العين والمجدل إلا أن الهجوم باء بالفشل ومني العدو بخسائر كبيرة.

تقدم العدو في جبهة الجيش الأردني فاحتل قرية اليهودية وولهلمينا ومطار اللد فطلبت القيادة العامة من القيادة الأردنية ببرقيتها رقم 472/ح وتاريخ 10 تموز ضرورة قيام القوات الأردنية بهجوم مقابل لاســتعادة الأماكن التي احتلها العدو في منطقتهم بالسرعة الممكنة.

كما أصدرت القيادة العامة أمــرًا ببرقيتها المرقمة 472/ح والمؤرخة 10 تموز إلى القيادة العراقية لتكون القوات العراقية المرابطة في منطقة رأس العين وكفر قاسم على حذر ومهيأة للطوارئ كما طلبت تهيئة مكائن مشروع الماء في رأس العين للنسف عند اللزوم.

الحوادث يوم 11 تموز 1948

هاجم العدو قرية الجراملة فصدهم المناضلون والمفارز المختارة من الفوج الأول للواء الأول وكبدوهم خسائر. وحاول العدو التقدم على رأس العين فصد بخسائر.

ومما يجدر ذكره أن اندفاع العدو نحو منطقة رام الله في جبهة الجيش الأردني، وعلى الأخص بعد سقوط اللد بيده كان يهدد جناح الجيش العراقي ومواصلاته، وله تأثير سيء على الموقف بصورة عامة.

الحوادث يوم 12 تموز 1948

هاجم العدو مجدل الصادق في الساعة 3:00. ودامت المعركة ساعتين. لم يتمكن المناضلون والمفارز المختارة فيها من الصمود تجاه القوات المعادية التي أحاطت القرية بالمدرعات والمشاة وطوقت المقاتلين فيها وقد استفاد المدافعون من الظلام فانسحبوا بصعوبة من خطر الأسر.

إشغال قاعدة أمينة في بدية

بالنظر لانقطاع طريق قلقيلية-رأس العين نتيجة تعرضه لنار العدو فقد قررت القيادة احتلال قاعدة أمينة في بدية، وخصصت القطعات اللازمة وأرسلتها لاحتلال موضع دفاعي أمامها. كما أرسلت رعيل مدرعات علاوة على الرعيل الموجود بإمرة جحفل اللواء الأول، وأوعزت بتأمين الارتباط مع الفوج الأول للواء الأول ومراقبة الطرق القريبة باتجاه مجدل يابا ومستعمرة بيتح تكفاه وتأمين انسحاب حامية رأس العين عند المضايقة.

الهجوم المقابل

بالنظر لأهمية المجدل والتلال المشرفة عليها وعلى كفر قاسم، قرر الفوج الأول للواء الأول استعادة التلال المشرفة على كفر قاسم من اتجاه المجدل لمحافظة الجناح الأيسر، وتحديد هجوم العدو حتى تصل النجدات إليه. وألّف

الفوج لهذا الغرض سـرية مختارة من سراياه، وعززها بالمناضلين فتقدمت القوة بإسـناد بطارية مدافع 4.5 عقدة والرشاشات يسـتر جناحها الأيمن المدرعات واحتلت تل المقبرة والسـفح الشـرقي من التل المشـرف على المجدل الراقم (139)، وقد احتلت القوة المهاجمة بعض مواقع العدو وكبدته خسـائر وغنمت بعض الأسلحة، إلا أن توارد النجدات إلى العدو عن طريق كفارسركن - المجدل ووصول مدرعاته إلى المعسكر البريطاني، وتهديدها مؤخرة القوة أدى إلى فشل الهجوم. كما قام العدو بهجوم مقابل انسحبت قطعاتنا على إثره من التلال الشرقية.

إخلاء رأس العين ونسف مشروع الماء

تقدم العدو في منطقة الجيش الأردنـي وأخذ يهدد جناح الجيش العراقي الأيسـر بالالتفاف وأحرج موقـف حامية رأس العين، وعليـه أصدرت القيادة العامة برقيتها رقـم 492/ح تاريخ 12 تموز إلى القيـادة العراقية، طلبت فيها نسـف مكائن الماء في رأس العين، وأن تتهيأ الحامية للطوارئ وتنسحب إلى كفر قاسم عند تحرج الموقف.

وفي الساعة 12:50 أصدرت القيادة العراقية برقيتها المرقمة 467 وكانت كما يلي:

يترك أمر سحب سـرية رأس العين ونسف المشروع وتقرير الموقف لآمر الفوج على أن يلاحظ عدم تسـرب العدو ليلًا إلى موقع المعسـكر البريطاني، وقطع الاتصال بين كفر قاسم ورأس العين وعزل السرية التي فيها على أن يخبر هذا المقر عند التنفيذ فورًا.

وبالنظر إلى حراجة الموقف وتوارد النجـدات للعدو وقيامه بهجوم على عرب الجراملة وتـرك المناضلين مواقعهم فقد أصدر آمـر الفوج الأول للواء الأول أمره بنسـف مشروع الماء في رأس العين. وانسـحاب السرية التي فيها. فباشرت السرية بإخلاء موضع رأس العين إلى موضع كفر قاسم، وقد تم نسف المشروع في الساعة 16:00.

الحوادث يوم 13 تموز سنة 1948

في ليلة 12-13 تموز شوهد العدو في جبهة قلقيلية يتحشد في كفر سابا، واحتلت رشاشاته الثقيلة مواضع في الخنادق الأمامية، فسيطرت بمداها البعيد على نقاط معينة من طريق قلقيلية - جلجولية العام وتعذر عندئذٍ اتصال السرية الموجودة في قلقيلية بفوجها في كفر قاسـم. ولاحتمال انقطاع طريق طولكرم - قلقيلية لقرب مواضع العدو في مستعمرة كفربابتس (كوديا) من الطريق العام وإمكان تسـربه ليلًا داخل البسـاتين فقد وجد من الضروري استطلاع احتياط القيادة للمنطقة، مما يسهل له العمل عند اللزوم.

وفي السـاعة 10:30 أمرت القيادة بإرسال سرية من الفوج الآلي وفصيل مدفعي 3.7 عقدة إلى عزون لتكون حامية فيها وقد احتلت القوة مواضعها في الساعة 14:00.

منطقة جلجولية

تقع قرية جلجوليـة على الطريق العـام بين قلقيليـة ورأس العين، وإلى جنوبها تتفرع عدة نياسـم من الطريق العام إلى كفر قاسم، ولذلك فهي تؤلف حلقة مواصلات مهمة تربط قلقيلية بكفر قاسـم وقد أرسلت قوة للسيطرة على القرية وتنظيم الدفاع فيها.

وفي الساعة 15:00 من يوم 13/ 7/ 1948 هاجم العدو المواضع الأمامية، وبعد تعزيز القوة بالمشاة والمدفعية والقيام بهجمات مقابلة انهزم العدو.

وفي الساعة 6:20 من يوم 14/ 7/ 1948 نسف العدو قنطرة على طريق جلجولية - رأس العين وألغم المنطقة، فأرسـلت مفرزة هندسـة لرفع الألغام فأنجزت عملها.

وفي ليلـة 15-16/ 7/ 1948 كرر العـدو هجومه بنحو 400 مسـلح مسندين بالرشاشات والهاونات إلا أن هجومه صُد بفضل المدافعين المسندين بنار المدفعية.

وفي يوم 16/ 7/ 1948 قامت قوة من الفوج الأول للواء الأول بالهجوم على المجدل ورأس العين، إلا أنها لم تستطع احتلال أهدافها لشدة المقاومة وسرعة توارد النجدات المعادية من رأس العين وبيتح تكفا وكفارسركن واستمرت المناوشات حتى الليل.

وفي الساعة 2:00 من يوم 17/ 7/ 1948 هاجم العدو موقع جلجولية متسللًا في حقول الذرة فقام آمر حامية قلقيلية بتقديم العون إلى المدافعين في جلجولية فقصف بالمدفعية الدور التي كان يستخدمها العدو كمواضع لرشاشاته فأسكتت هذه الرشاشات وتكبد العدو خسائر نقلها بمدرعاته ففشل هجومه.

الهجوم على مجدل يابا

رأت القيادة العراقية ضرورة قيام الفوج الأول للواء الأول والقطعات الملحقة به بمهاجمة مجدل يابا فوضع الفوج خطته. وفي الساعة 3:00 من يوم 18/ 7/ 1948 وهو موعد الشروع بالهجوم قامت القوة بواجباتها حسب الخطة، وقد أخبر آمر الفوج في الساعة 9:00 بأن قطعاته تقاتل داخل قرية المجدل إلا أن مقاومة العدو اشتدت في الساعة 11:30 لوصول النجدات إليه، ولم تتمكن القوات المهاجمة من احتلال القرية، فعادت القطعات إلى مواضعها الأصلية مساءً وهو موعد حلول الهدنة الثانية.

منطقة عين شيمر

بدأ القتال في هذه المنطقة بتبادل النيران بين المفارز الأمامية للطرفين وقد تقدمت قوة معادية من مطار عين شيمر ومانيت ليلة 10/ 11/ 1948، فأرسل فصيل مدفعي بحماية قوة محمولة بالسيارات إلى باقة الغربية في الساعة 6:15 من يوم 11/ 7، فقصف عين شيمر ووكرًا للطائرات ومعملًا للسكر ومخفر الشرطة، وكان القصف موفقًا.

قام العدو بعمل مقابل إذ قصف المواضع الأمامية لمناضلي الشعراوية في باقة وتلال ميسر، فأرسل فصيل مدفعي 25 رطلًا من طولكرم إلى شويكة،

فتمكن من إسكات مدافع العدو. وفي الساعة 4:00 من يوم 13/ 7 جلب فصيل مدفعي جوال من كتيبة الصحراء السابعة إلى باقة لقصف مستعمرتي مانيت وعين شيمر، فسبب فيهما تلفًا كبيرًا.

القتال في ميسر - مانيت

هاجم العدو في الساعة 3:00 من يوم 18/ 7 تلال قرية ميسر على طرفي الوادي الممتد من الشرق إلى الغرب بين مستعمرة مانيت وقرية ميسر فضايقوا المناضلين واضطروهم إلى الانسحاب واحتلوا تل المحجر وتل الباطن. وعلى هذا تقرر القيام بهجوم مقابل تسنده مدافع 4.5 عقدة، أرسلت إلى باقة الغربية في الساعة 9:00، ونجحت خطة الهجوم المقابل وطرد العدو في الساعة 14:00، فتمركز المناضلون في التلال وحكموا مواضعهم.

وفي الساعة 15:30 عاد العدو لمهاجمة التلين، فأنجد المدافعون بسرية مشاة وفصيل رشاش وفصيل مدفعي 4.5 عقدة، فاشتبكوا مع العدو وأرغموه على الانسحاب وعقبوه إلى مزارع مستعمرة مانيت. ولكثرة الأسلاك في مستعمرة مانيت ولحلول الظلام عاد المعقبون إلى التلول [التلال] الشرقية للمستعمرة في الساعة 19:00 واستقر الموقف.

إرسال فوج عراقي إلى منطقة الجيش الأردني

لقد تبين من اتجاه تقدم العدو وحركاته أنه يستهدف التسلل والنفوذ باتجاه رام الله وإحاطة القوات العراقية المرابطة في رأس العين وكفر قاسم. فطلبت القيادة العامة إلى القيادة الأردنية القيام بالهجوم المقابل لاستعادة الأماكن التي احتلها العدو في منطقتها بالسرعة الممكنة لأهميتها وتأثيرها على سير الحركات، إلا أن القيادة الأردنية لم تقم بعمل ما، وتركت الأمور تتطور لصالح الصهيونيين في قاطعها بكل سرعة.

أخبرت القيادة العراقية ببرقيتها رقم 468/ح بتاريخ 12/ 7 القيادة العامة بأنها غير مطمئنة إلى جناحها الأيسر، خاصة بعدما حدث في اللد والرملة

وطلبت بإلحاح إرســال فوج على الأقل لإمكان تأمين الجناح المذكور. وبعد مخابرات بين المقرين ووصول جحفل اللواء الثالث في تلك الأثناء من العراق أرســل الفوج الأول للواء الرابع عشر إلى منطقة دير نظام، وكانت هذه المنطقة من مســؤولية الأردنيين ولهم مركز تدريب فيها، وبهذا امتدت الجبهة العراقية إلى أكثر من 160 كيلومترًا في أهم منطقة من فلسطين.

ضياع منطقة اللد والرملة

إن [كان] تسليم اللد والرملة إلى الصهاينة من دون قتال وتشريد سكانهما العرب فاجعة مؤلمة. وإن [وكانت] الإشــاعات حول مؤامــرة ضياعهما كثيرة ومن الصعب حصرها، وتعيين مســببها، وإن [كما كان] أهالي المنطقة وأهالي البلدتين بصورة خاصة، وأهالي فلسطين بصورة عامة، يعلمون حقيقتها أكثر من غيرهم. إن [وكان] تخصيص سرية واحدة فقط من الجيش الأردني للدفاع عن هاتين البلدتين أمر لا يقره المنطق، ولا يتمشى مع أبسط القواعد العسكرية.

لا ينكــر أن الصهيونيين تمكنوا في فترة الهدنة الأولى من تقوية أنفســهم وزيادة عددهم وعُددهم واســتأنفوا القتال بأســلحة جديدة، ولكنهم لم يكونوا من القوة بحيث يكتســحون الجيش الأردني الذي لا يتزحزح عن مواضعه في الدفاع، وإن معارك اللطرون وباب الواد خير شاهد على ذلك.

طلب الفريق غلوب عتاد مدافع 25 رطلًا

كنت لا أزال طريح الفراش في مستشــفى الزهراء. وبعد الساعة 12:00 من يوم 11 تموز 1948 أتاني مرافق الأمير عبد الإله، وأخبرني بمجيء الأمير ليعودني، ومعه الفريق غلوب والزعيم الركن المصري سعد الدين صبور.

بين الفريق غلوب أثناء الحديث عن قلة عتاد مدافع 25 رطلًا لدى الجيش الأردني، وأنه لا يزيد عن مئة طلقة لكل مدفع، وطلب منا تموينه بهذا العتاد.

فاســتغربت من طلبه هذا في الوقت الذي يعلم جيدًا بأن سبل التموين قد

ســـدت بوجه الجيش العراقي وأن ما هو متيســـر لدينا من هذا النوع من العتاد قليل جدًا ولا يسد حاجاتنا، ولذلك اعتذرت وبينت عدم إمكاننا تلبية الطلب.

انتقد غلوب السياســـيين العرب لعدم قبولهم تمديـــد الهدنة، وبين خوفه من حصـــول هزيمة إذا لم يُتدبر الموقف ويوقف القتال، وأن موقف الجيشـــين الأردني والعراقي لا يساعد على القتال. وقال، إحراجًا لموقف السياسيين، «إذا استقال رئيس أركان الجيش العراقي من عمله استقلت أنا كذلك».

الحق أنها كانت مفاجأة غيـــر منتظرة وظهر جليًـــا أن هذا هو قصده من المجيء لزيارتي، وأن طلب العتاد كان تغطية لا غير. لقد تأثرت كثيرًا من نوايا هذا الرجل السيئة ومناوراته المفضوحة فأجبته حالًا (يمكنك أن تستقيل أنت لأنك أجنبي أما أنا فلا أستقيل ولا أشـــاركك بهذا الرأي وإن واجبي الوطني علاوة على واجبي الرســـمي يقضي علي الاســـتمرار بالقتـــال. وإذا حدث ما ترتئيه أنت فسيســـبب قيام ثورة دامية في العراق وفي البلاد العربية الأخرى لا يعلم مداها إلا الله). فلم يرُق له جوابي هذا ولـــم يتوقعه مني بحضور الأمير عبد الإله، فأشاح بوجهه إلى ناحية أخرى لفشـــله في مناورته هذه. ثم أكدت ضرورة ســـحب القوة العراقية الباقية في جســـر المجامـــع لإلحاقها بالقوات الأصلية في فلسطين، فلم يوافق غلوب على إرسال قوة أردنية بدلًا منها.

تجهيز جيش الأردن بمدافع عراقية

لعدم إبقاء حجة بيد الفريق غلوب أو غيره ولتأمين استمرار الجيش الأردني على القتال، أخبـــرت الأمير عصر ذلك اليوم بواســـطة مرافقه أن بإمكاننا جلب ثمانية مدافع 18 رطلًا مع أربعة آلاف طلقة من العـــراق وإعطاءها إلى الجيش الأردني. وبـــدوره أخبر الأمير الملـــك عبد الله فارتاحا لهـــذا الرأي وصدرت الأوامر بذلك. إن هذه المدافـــع 18 رطلًا كانت ملغاة من الجيش العراقي، لأن الجيش استعاض عنها بمدافع 25 رطلًا.

جلب فوج شرطة من العراق

في 12 تموز 1948 أرسل الأمير عبد الإله برقية إلى رئيس الديوان الملكي في بغداد لإرسال فوج شرطة عراقي إلى منطقة جسر المجامع في الأردن ليحل محل الفوج العراقي هناك ليتسنى للقيادة العراقية إرسال هذا الفوج الأخير إلى فلسطين للالتحاق بالقوات الأصلية. ونفذ ذلك.

كتاب الفريق غلوب إلى الملك عبد الله وجواب الملك عليه

شاع في الأوساط وأيد لي ذلك الأمير عبد الإله مساء يوم 12 تموز 1948 أن الفريق غلوب تقدم إلى الملك عبد الله بكتاب يوصي فيه بوجوب سحب الجيش الأردني من فلسطين، وأن الملك دون جوابه على الكتاب بيده وهو: «إن تنسحب أنت أذهب أنا لقيادة الجيش. نشكرك على خدماتك حتى الآن».

اتجاه النية إلى تعيين ضباط عراقيين إلى الجيش الأردني

كما ذكر لي الأمير عبد الإله أنه في النية تعيين ضباط عراقيين في قيادة الجيش الأردني ووحداته بدلًا من الضباط البريطانيين.

الاجتماع في القصر الملكي وطلب حضوري

في الساعة 17:00 من يوم 13 تموز 1948 طلبني الأمير عبد الإله تلفونيًا من القصر الملكي في عمان، فذهبت بالرغم من مرضي. وقد ورد على بالي وأنا في طريق ذهابي، احتمال تنفيذ فكرة تنحية الضباط البريطانيين من الجيش الأردني والاستعاضة عنهم بضباط عراقيين لقيادة مختلف القطعات الأردنية، كما فهمت ذلك في اليوم السابق من الأمير، وقد استعرضت أسماء الضباط العراقيين الذين يمكن تكليفهم بهذه الواجبات.

عند وصولي القصر الملكي كان المجتمعون هناك الملك عبد الله، الأمير عبد الإله، السيد توفيق أبو الهدى، السيد جميل مردم، السيد رياض الصلح،

السيد صادق البصام، السيد فوزي الملقي، والسيد عبد الرحمن عزام. وبدلًا من أن يستعرضوا الموقف الراهن في فلسطين من جميع نواحيه ويبحثوا معاونة الدول الكبرى إلى الصهاينة وإحراجها موقف الحكومات العربية ويتكلموا عن موقف الفريق غلوب الأخير وانسحابات جيش الأردن المتوالية واستيلاء الصهاينة على اللد والرملة وغيرها ويجدوا طريقة حل لتحسين الوضع بصورة عامة، بحثوا في القيادة العامة مجددًا مع أنهم فشلوا في البت فيها مرارًا، وما زالوا مختلفين حولها بالرغم من التقارير والإيضاحات العديدة حول الموضوع قبل أن يتحرج الموقف بمدة كافية، وكأنهم يريدون جعل أحد العسكريين قائدًا عامًا اسميًا فقط ليتحمل المسؤولية بدون أن يتمكن من عمل شيء لإنقاذ الموقف فيجعلوا منه كبش الفداء، لأنه ليس له الوقت الكافي لدرس الوضع الأخير وتقدير موقفه ووضع خطته، كما أنه ليس له سلطة على القوات العربية بأجمعها، وخاصة الجيش المصري والأردني، لتنفيذ أوامره، وذلك علاوة على الخلافات القائمة حول استمرار الجيش الأردني على العمل مع الجيوش العربية أو الانسحاب من فلسطين نهائيًا حسب رغبة قائده الفريق غلوب. لقد أحسست بخيبة أملٍ قاسية فتألمت كثيرًا من معالجة الأمور المهمة على هذا المنوال. وزادت حالتي المرضية من شدة تأثري، فتكلمت بشدة وصراحة شارحًا وضع الجيوش العربية والقابلية الحربية لكل منها والأعمال التي قامت بها منذ بدء الحركات، والاختلافات في وجهات النظر وفي طريقة معالجة القضايا المشتركة. وبينت ضرورة توجيه الجهود لإنقاذ الوضع، وبصورة خاصة معالجة موقف الجيش الأردني وانسحابه الأخير الذي يخشى منه كثيرًا، وله تأثير سيء على الحركات بصورة عامة، وعلى موقف الجيوش المجاورة له بصورة خاصة.

لقد فوجئوا بصراحتي هذه وشعرت بأنهم امتعضوا مني لاعتقادهم بأنني ألقي اللوم عليهم مع أني ذكرت الواقع وكنت محقًا في كل ما ذكرته مما يحتمه علي الواجب كفرد من الأمة العربية، وقد توخيت أن لا أدع المجاملات تتغلب على ذكر الحقائق في مواقف كهذه تترتب عليها نتائج مهمة ذات تأثير بالغ على البلاد العربية في الحال وفي المستقبل.

وبينما كان الكلام في طور جدي وأخذ الحاضرون يفكرون في صراحتي لهم وذكري حقيقة الموقف والأعمال التي قـام بها الجانب العربي حتى الآن، أراد أحد الحاضرين، عفى الله عنه، وهو السـيد صـادق البصام، أن يقلل من خطورة الحالة فقـال «أنا متفائل من الوضع ولا يوجد مـا يوجب القلق»، ولا أدري إذا كان قـد قال ذلك عن اعتقاد منه أو لمجـرد تلطيف الوضع وتخفيف حدة المداولات. وفي اعتقادي أنه كان مخطئًا في كلتا الحالتين.

الحق، إن هذا القول أدهشـني وهز أعصابي فأجبته متأثرًا «إنك بعيد عن هذا الموضوع ولا تعلم عنه شـيئًا وإن تفاؤلك في غير محلـه». وهنا توقفت المداولات وانفض الاجتماع ولم يبت بشيء.

يقضي علي الإنصاف أن أعترف بأني تجاوزت بالكلام على السيد صادق البصام، خاصة وأنه وزير الدفاع، ولكن تردي الوضع العام في فلسـطين ترديًا خطرًا وحالتي المرضية وتألمي الشديد من سير الأمور كانت قد دفعتني إلى هذا التجاوز.

مذكرة السيد صادق البصام

ولقد شعر السـيد صادق البصام بعد حوالى أسـبوعين من هذا الاجتماع بدقة الموقف في فلسـطين وما أصاب العرب من غبن وما يحتمل أن تتعرض له قوى العراق المسلحة في ميدان الجهاد من غدر، بسبب ترجرج موقف بعض الساسـة المارقين والزعماء المتظاهرين بالوطنية، على حد تعبيره، فأرسل إلى مجلس الوزراء مذكرتـه المرقمـة د/ 202/ 4أ/ 292 والمؤرخة في 31 تموز 1948 [و] بين فيها آراءه وملحوظاته حول ضرورة معالجة الوضع الراهن[1].

(1) المذكرة المذكورة محفوظة في سـجلات مجلس الوزراء، ووزارة الدفاع، وبما أنها ليسـت صادرة عن رئاسة أركان الجيش ولا موجهة إليها، فلم تنشر في هذا الكتاب.

الفصل السادس عشر

المراسلات بين هيئة الأمم المتحدة
وجامعة الدول العربية والحكومات العربية

أدرج في هذا الفصل نبــذًا من القرارات والمراســلات التي تبودلت بين الســكرتير العام للأمم المتحدة والوسيط الدولي في فلســطين من جهة، وبين الأمين العام لجامعة الدول العربيــة والحكومات العربية من جهة أخرى، حول تعيين وسيط دولي وفرض الهدنة الأولى والهدنة الثانية في فلسطين[1].

1 - قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتعيين وسيطٍ دولي في فلسطين

اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلســتها الـ 135 التي عقدت في 14 مايس 1948 القرارات التالي:

أ - تؤكد تأييدهــا لمجلس الأمن فيمــا يبذله من جهود لعقــد هدنة في فلسطين، وتناشد جميع الحكومات والهيئات والأشخاص أن يتعاونوا لتحقيق هذه الهدنة.

ب - تأليف لجنة مكونة من ممثلي الصين وفرنســا واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية لاختيار وسيط الأمم المتحدة ليضطلع بالواجبات التالية:

1 - تسيير المرافق المشتركة اللازمة لسلامة ورفاهية سكان فلسطين.

2 - حماية الأماكن المقدسة والمباني الدينية وأماكن العبادة في فلسطين.

3 - العمل على إيجاد تسوية سلمية للموقف في فلسطين مستقبلًا.

---

(1) راجع «مجموعة قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين من 1947 إلى 1966» المنشورة من قبل مؤسسة الدراسات الفلسطينية - تحرير سامي هداوي - الصادرة سنة 1967 في بيروت.

ج – إعفاء لجنة فلسطين التي تألفت في 29 تشرين الثاني 1947 من الاستمرار في مباشرة تبعاتها.

2 – وصول الوسيط الدولي بفلسطين ومزاولة أعماله

اختارت اللجنة المؤلفة حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت، السويدي الجنسية ليكون وسيط الأمم المتحدة في فلسطين، وزوده السكرتير العام للأمم المتحدة بالموظفين والمراقبين اللازمين لمساعدته على الاضطلاع بالوظائف المسندة إليه. وقد وصل القاهرة يوم 28 مايس 1948 وباشر أعماله اعتبارًا من ذلك اليوم.

3 – قرار مجلس الأمن وقف الأعمال العدائية في فلسطين

قرر مجلس الأمن في جلسته العاشرة بعد الثلاثمئة المنعقدة يوم 29 مايس 1948 وقف الأعمال العدائية في فلسطين لمدة أربعة أسابيع من دون الإخلال بحقوق ومطالب ومراكز العرب واليهود. ودعا القرار جميع الحكومات والسلطات ذات الشأن إلى الامتناع عن جلب محاربين أو قادرين على حمل السلاح أو استيراد أسلحة وعتاد إلى فلسطين، وقرر مجلس الأمن في حالة رفض هذا القرار من جانب أحد الطرفين أو من جانبهما جميعًا، أو إذا قبله أحدهما ثم رفضه أو انتهكه في ما بعد، إعادة النظر في الموقف في فلسطين تمهيدًا لاتخاذ التدابير المنصوص عليها في الفصل السابع من الميثاق.

4 – رسالة السيد أحمد محمد خشبة إلى المستر تريغفي لي

أرسل السيد أحمد محمد خشبة وزير الخارجية المصرية، باسم الحكومة المصرية والحكومات العربية الأخرى الأعضاء في جامعة الدول العربية في 1 حزيران 1948، رسالة إلى المستر تريغفي لي السكرتير العام للأمم المتحدة جوابًا على برقيته المؤرخة في 29 مايس 1948 حول قرار مجلس الأمن بوقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع جاء فيها:

«إن كل حل لا يحفظ لفلسطين وحدتها السياسية، ولا تراعى فيه إرادة أغلبية أهل فلسطين لن يكون له أي حظٍ من النجاح.

«ولا شك أنه مما يتعارض مع الغرض الذي من أجله شرع وقف القتال، أن تفتح منافذ فلسطين التي بيد الصهيونيين الآن على مصراعيها، لتلقّي سيل المهاجرين من اليهود الذين هم في سن حمل السلاح، والذين يرقبون أول فرصة لدخول فلسطين أفواجًا، قادمين من مختلف الموانئ في أوروبا وأمريكا. ولقد دُرب معظمهم أقوى تدريب على أعمال القتال، ولا غرض لهم من دخول فلسطين إلا الانضمام إلى العصابات الإرهابية الصهيونية، وفي ذلك أكبر تهديد لكيان عرب فلسطين ولاستقرار الأمن في البلاد العربية والشرق الأوسط.

ويهم حكومات الدول العربية أن تكون هناك هيئة موفورة الضمانات تتولى الإشراف على تنفيذ أحكام قرار مجلس الأمن الخاصة بوقف القتال وشروطه بكل دقة وعناية، ولا ترى حكومات الدول العربية أن قرار مجلس الأمن في هذه الناحية يطمئنها على احترام الطرف الآخر لأحكام وقف القتال وشروطه.

«وعلى ضوء هذه الإيضاحات توافق الدول العربية على أن تلبي دعوة مجلس الأمن إلى وقف القتال. وإن في تلبية الدول العربية لهذه الدعوة، مع إخفاق جميع المحاولات التي بذلت حتى الآن لحل قضية فلسطين حلًا عادلًا بسبب تعنت الصهيونيين، لأكبر دليل على صادق رغبتها في التعاون مع الأمم المتحدة للوصول إلى هذا الحل بالرغم من تمكن جيوشها من ناصية الأمر».

5 - مذكرة وسيط الأمم المتحدة حول شروط وقف القتال وموعد بدء الهدنة

بعد أن وافق الطرفان، العرب والصهيونيون، على وقف القتال قرر مجلس الأمن في جلسته 311 المنعقدة في 2 حزيران 1948 تخويل الوسيط الدولي تحديد الموعد الفعلي لتنفيذ الهدنة في فلسطين. وعليه أرسل الكونت برنادوت مذكرته المؤرخة في 7 حزيران 1948 [التي] بين فيها شروط وقف القتال وعين الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة 11 حزيران 1948 حسب توقيت

غرينتش موعدًا لبدء الهدنة لمدة أربعة أسابيع. ورجا الوسيط أن يتلقى الجواب بالقبول أو الرفض قبل ظهر 9 حزيران، وذكر بأنه في حالة رفض هذا القرار أو قبوله بشروط من أحد الطرفين، فلن يقوم بمشاورات أخرى في هذا الموضوع بل سيرفع الأمر بالتفصيل فورًا إلى مجلس الأمن ليقوم بما يراه مناسبًا من التدابير. وإن رجاءه كبير في أن يقبل القرار بغير قيدٍ أو شرطٍ. وفي ما يلي ملخص شروط وقف القتال:

أولًا: لا يسمح للأشخاص المحاربين (ويشمل هذا الوصف الأفراد الثابت انتماؤهم لوحدات عسكرية منظمة وكذلك كل شخص يحمل السلاح) بالدخول إلى أي دولة عربية أو إلى أي جزء من أجزاء فلسطين.

ثانيًا: أما بالنسبة للرجال الذين هم في سن الخدمة العسكرية، فإنه سيترك للوسيط أن يقرر بمحض سلطته أثناء فترة الهدنة ما إذا كان بين المهاجرين رجال في سن الخدمة العسكرية بعددٍ يكفل لأحد الطرفين ميزة عسكرية لو سمح بدخولهم، وفي هذه الحالة لا يسمح الوسيط بدخولهم. وإذا دخل عدد من الرجال الذين هم في سن الخدمة العسكرية، يكون بطبيعة الحال محدودًا، تطبيقًا للمبدأ السابق، فهم يوضعون في معسكرات أثناء فترة الهدنة تحت إشراف مراقبين من قبل الوسيط، ولن يسمح لهم بالانضمام إلى صفوف القوات المسلحة أو بتلقي تدريب عسكري أو شبه عسكري أثناء فترات الهدنة.

ثالثًا: يراقب الوسيط - في أقصى الحدود الممكنة عمليًا - حركات الهجرة في موانئ الإبحار والوصول ويعين مراقبين من قبل الأمم المتحدة في السفن المقلة للمهاجرين، ولهذه الغاية يبلغ اسم الميناء الذي تبحر منه أي سفينة تقل مهاجرين قبل الإبحار بوقت كافٍ.

رابعًا: نظرًا لضرورة تهيئة الوقت الكافي لإعداد نظام المراقبة اللازم لتنفيذ القرار بصورة فعلية، فإن للوسيط أن يقرر بمحض سلطته أثناء الأسبوع الأول من بدء الهدنة دخول أي مهاجرٍ إلى فلسطين بصرف النظر عن سنه وجنسه.

خامسًا: يُحظر أثناء فترة الهدنة تنقل القوات أو نقل العتاد الحربي بين دولة

من الدول ذات الشـــأن وأخرى منها أو إلى مكان قريب من حدود فلسطين أو من جبهات القتال.

سادسًـــا: تظل الحالة الحاضرة على ما هي عليه أثناء فترة الهدنة بالنســبة لكافة جبهات القتال وخطوطها، ولا يسمح بزيادة القوات المحاربة في جبهات القتال وخطوطها كما لا يســمح بزيادة ما لديها من عتـــادٍ حربي، ولكن يجوز استبدال بعض الجنود بالبعض الآخر في حدود المقتضيات العادية (روتين).

سابعًا: لا يســتورد عتاد حربي إلى أية دولة من الدول ذات الشأن أو إلى أراضيها.

ثامنًا: تتولى لجنة الصليب الأحمر الدولية إغاثة أهالي المدن من الطرفين في المناطق التي أصيبت بأضرار فادحة من جراء النزاع الناشب، كالقدس ويافا، بحيث يضمن لها توفر كميات من مواد الطعام الضرورية لا تزيد ولا تقل كثيرًا عند نهاية الهدنة على ما كانت عليه وقت بدايتها.

تاســعًا: يحظر أثناء فترة الهدنة كل الأعمال المشابهة للأعمال الحربية في البر والبحر والجو.

6 – الموافقة على الهدنة الأولى وموعدها

وجه الســيد محمود فهمي النقراشـــي رئيس مجلس الوزراء المصري في 9 حزيـــران 1948 كتابًا إلى الكونت برنادوت وســيط الأمم المتحدة باســم الحكومات المصرية والسعودية والسورية واللبنانية متضمنًا قبولها المقترحات الخاصة بتنفيذ قرار مجلس الأمن بشـــأن وقف إطلاق النار في فلســطين لمدة أربعة أسابيع توكيدًا لصادق رغبتهم في التعاون مع الأمم المتحدة للوصول إلى حل سلمي عادل لقضية فلسطين.

كما أخبــره بموافقة الحكومات التي ينطق باســمها، علـــى أن يكون بدء الأربعة أســـابيع المشـــار إليها اعتبارًا من يوم الجمعـــة 11 حزيران 1948 في الساعة السادسة صباحًا بتوقيت غرينتش.

وقد وُجه كتاب مماثل إلى الوسـيط الدولي من الأمير سيف الإسلام عبد الله عن اليمن ومن السـيد أحمد الراوي وكيـل وزارة الخارجية العراقية ومن السيد بهاء الدين طوقان الوزير المفوض للمملكة الأردنية، كل باسم حكومته.

7 – إعلان موعد بدء الهدنة

في اليوم الذي اسـتلم فيه برنادوت موافقة ممثلي الحكومات العربية على الهدنة الأولى، أي في 9 حزيران 1948، تلقى موافقـة الصهيونيين أيضًا على الهدنة، فشعر بالغبطة والسـرور لنجاحه في هذه المهمة، فأخبر أصحاب الشأن بتلقيه قبولًا بدون قيدٍ أو شـرطٍ لاقتراحاته، وأعلن العمـل بوقف إطلاق النار والهدنة ابتداء من الساعة السادسـة من صباح يوم الجمعة 11 حزيران 1948 بتوقيت غرينتش. كما أعرب الوسيط للحكومات عن بالغ شكره على المعاونة الرائعة التي يتلقاها في أدائه لهذا الواجب الصعب، وعن تقديره الحار للدوافع السامية التي أدت بالحكومات إلى قبول مقترحات الهدنة.

8 – خرق الصهاينة شروط وقف القتال

دل تنفيذ وقف القتال على أن القوات الصهيونية خرقت أحكامه، وارتكبت كثيرًا مـن الأعمال التي تعد خرقًا له. وقد كانـت الحكومات العربية المختصة توجه نظر الوسيط إلى هذه الانتهاكات لشـروط الهدنة، وتطلب وقفها وإعادة الحالة إلى ما كانت عليه يوم بدء وقف القتال. وكان الوسـيط يجيب بأنه معني ببحث هذه الحوادث. وعندما انتهت الهدنة الأولى في الساعة السادسة صباحًا بتوقيت غرينتش من يوم 9 تموز 1948 لم تكـن الحكومات العربية قد تلقت ردًا من الوسيط الدولي بما قام به تنفيذًا لذلك.

9 – مقترحات الوسيط الدولي للتوفيق بين العرب والصهاينة

أرسل الكونت برنادوت في 27 حزيران 1948 مقترحاته التي قال إنها ليست بالمقترحـات النهائية، وإنما هي صالحة، في اعتقاده، لأن تكون أساسًـا للبحث والمفاوضات بقصد الوصول إلى تسـوية سلمية للموقف في فلسطين. وتُلخص

هذه المقترحات في إيجاد نظام ينشأ بمقتضاه في فلسطين اتحاد مكون من عضوين أحدهما عربي والآخر يهودي، وأن تكون فلسطين شاملة لشرق الأردن.

أيد الوسيط الدولي التقسيم باقتراحاته هذه، وأراد ضم شرق الأردن المستقل إلى فلسطين، وذلك لتوسيع استفادة الصهاينة، كما أمن الأمور الاقتصادية للصهاينة باستفادتهم من الاتحاد. وأرفق الوسيط مقترحاته بملحق ذكر فيه أنه يرى أن بعض الترتيبات الإقليمية جديرة بالنظر، وهذا يمكن أن يجري وفق الخطوط الآتية:

1 – ضم النقب – كله أو جزء منه – إلى الإقليم العربي.

2 – ضم الجليل الغربي – كله أو جزء منه – إلى الإقليم اليهودي.

3 – ضم مدينة القدس إلى الإقليم العربي مع منح الطائفة اليهودية حق الاستقلال بشؤون البلدية ووضع تدابير خاصة لحماية الأماكن المقدسة.

4 – النظر في نظام مدينة يافا.

5 – إنشاء ميناء حر في مدينة حيفا تدخل فيه منطقة معامل تكرير البترول ومصبات أنابيبه.

6 – إنشاء مطار حر في اللد.

10 – رد أمين الجامعة العربية على مقترحات الوسيط الدولي

أرسل أمين الجامعة العربية في 3 تموز 1948 رده إلى الكونت برنادوت حسب تكليفه من قبل اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، وجوابًا على كتب الوسيط الدولي إليه، وإلى وزراء خارجية الحكومات العربية المؤرخة في 27 حزيران 1948، فند فيه مقترحات الوسيط وشرح مضارها للعرب، وقال إن إقحام المملكة الأردنية في المشكلة الفلسطينية، واعتبار أراضيها داخلة في فلسطين، قائم على أساس خاطئ ويجاوز [ويتجاوز]، ولا شك، حدود الوساطة. وبين أسف اللجنة السياسية، لأن هذه المقترحات جاءت مخيبة

لآمال العرب، لأنهـا ترمي إلى تحقيق مآرب الصهيونييـن، وتريد منحهم أكثر مما اقترحه مشروع التقسيم الذي مُني بالفشل، بينما لم تكفل للعرب أي مطلب من مطالبهم. ولهذه الأسباب تأسـف اللجنة السياسية إذ لا تستطيع أن ترى في هذه المقترحات أساسًـا صالحًا للمناقشـة. وأُلحق بالرد مشروع مقترح ليتخذ أساسًـا للبحث يقضي بقيام حكومة مؤقتة تمثل جميع أقسـام المواطنين على أساس نسـبهم العددية، ومع ترك مهمة وضع الدستور إلى الجمعية التأسيسية، على أن تكون فلسـطين دولة موحدة ذات سيادة، ويكون لها دستور ديمقراطي وهيئة تشريعية منتخبة وسلطة تنفيذية مسؤولة أمام الهيئة التشريعية، وغير ذلك من الأمور التي تثبت حقوق جميع الفلسطينيين.

11 - تعليقات الوسيط الدولي على المقترحات العربية المقابلة

في 5 تموز 1948 أرسل الكونت برنادوت إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية تعليقاته السريعة على الاقتراح المقدم من اللجنة السياسية. وفي 6 تموز 1948 أرسل الكونت برنادوت رسالة أخرى مع تعليقاته على الملاحظات التي أبدتها اللجنة السياسية على أفكاره لإبلاغها إلى اللجنة الفرعية للجنة السياسية. ومما جاء في تعليقاته:

«إن المقترحات العربية تبقي الطائفة اليهودية أقلية ثقافية وسياسـية دائمة في دولة فلسطين الموحدة. فيهود فلسـطين كانوا دومًا ولا يزالون طائفة ثقافية وسياسية منفصلة تمامًا، وقد سُمح لها في عهد الانتداب أن تحتفظ بمؤسساتها الثقافية والسياسية المنفصلة، تلك المؤسسات التي لها استقلالها الواقعي.

«وبديهي أنكم تدركون أني أعالج هذه المشـكلة كوسـيط، ولقد قدمت لمحاولة التوسـط في نزاع بين طرفين يصطدمان في نزاعٍ عنيفٍ، فوجدت في فلسطين منطقة ذات شـأن خاضعة كلها للرقابة اليهودية، وأُعلنت كإقليم لدولة يهودية مع حكومة مؤقتة اعترف بها عدد من الدول.

«والآن تقترحـون محو هذه الوحدة اليهودية السياسـية المنفصلة، وذلك بإنشـاء دولة موحدة في كل فلسـطين. وإني مقتنع تمامًا بأنه من غير الممكن

بأي شكلٍ كان إقناع اليهود بالتنازل عن كيانهم الثقافي والسياسي المنفصل في الوقت الحاضر، وأن يقبلوا بالاندماج في فلسطين الموحدة حيث يكونون أقلية دائمة. والحل الوحيد لتنفيذ هدف العــرب هو محو الدولة اليهودية وحكومتها المؤقتة بالقوة، وبديهي أنني لا أســتطيع التوصية بذلك كوسيط». وعلق بعض التعليقات على المقترحات العربية الأخرى.

12 - اقتراح تمديد الهدنة الأولى المقدم من الوسيط الدولي

في 3 تموز 1948 أرســل الوســيط الدولي اقتراحه بتمديد الهدنة» ومما جاء فيه:

«لقد قاربت مــدة الهدنة على الانتهاء يوم 9 حزيران. ولا شــك أن قرارًا باستئناف القتال في فلسطين سيقابل باستنكار عالمي، وأن الطرف، أو الأطراف، الذي يتخذ مثل هذا القرار يتحمل مسؤولية ينظر إليها العالم ببالغ الخطورة.

إن الهدنة قائمة الآن على قرار مجلس الأمن، ومــا لم يتم اتفاق الطرفين على تمديدها بعد 9 تمــوز، يمكن أن يعاود مجلس الأمــن بحث الموضوع، ويتخذ من الأعمال ما تقتضيه الظروف.

فإني بصفتي وســيطًا معينًا من الأمم المتحدة، أرجو مــن الطرفين بصفة مستعجلة أن يقبلا مبدئيًا تمديد الهدنة للمدة التي تحدد بعد الاتصال بالوسيط».

13 - الرد على اقتراح تمديد فترة وقف القتال

في 7 تموز 1948 أرسلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية رد اللجنة السياسية على اقتراح الوسيط الدولي بتمديد الهدنة. ومما جاء في الرد:

«إن الحكومات العربية لم تتدخل عســكريًا في فلســطين يــوم 15 أيار الماضي إلا مضطرة، واستجابة لنداء السكان العرب الذين هم الأغلبية الساحقة لســكان فلســطين، وذلك لوضع حد للمذابــح التي ارتكبتهــا ضدهم وضد الإنســانية العصابات الصهيونية، والعمل على عودة حكم النظام والقانون إلى

البلاد تمكينًا لأهلها من ممارسة خصائص الاستقلال وتقرير مصيرهم بأنفسهم.

«وقد أمكن بفضل التدخل العسكري للدول العربية في فلسطين إنقاذ كثير من العرب، وتجنيب البلاد كثيرًا من الدمار وإعادة السلم وحكم القانون إلى المناطق التي تحتلها الجيوش العربية. وبالرغم من تمكن الجيوش العربية من ناصية الأمر، فقد قبلت الدول العربية قرار مجلس الأمن الصادر في 29 أيار الماضي بدعوتها لوقف القتال لمدة أربعة أسابيع تمكينًا لوسيط الأمم المتحدة من الاضطلاع بوظائفه، وذلك إظهارًا لحسن نيتها وتوكيدًا لصادق رغبتها في التعاون مع الأمم المتحدة للوصول إلى حل سلمي عادلٍ لقضية فلسطين.

«غير أنه وقع ما كانت الدول العربية تخشاه من عدم احترام الصهيونيين لشروط وقف القتال. فقد استمروا في عدوانهم على العرب في الأماكن التي استولوا عليها. ولبثوا طوال فترة وقف القتال على سيرتهم الأولى في تهريب المهاجرين والسلاح والذخيرة، كما شاهدت ذلك هيئة الرقابة، واستولوا على عدة قرى ومراكز لم تكن في قبضة يدهم ساعة وقف القتال.

وقد كانت حوادث خرق الهدنة كافية لحمل الدول العربية على استئناف القتال فورًا، ولكنها آثرت الصبر على مضض حتى تفسح للوسيط مجال البحث عن الحل السلمي لهذه القضية. ولكنها مُنيت بخيبة الأملِ في الحل الذي اقترحه على أساس الحالة الراهنة والالتزام بالأمر الواقع متخذًا مشروع التقسيم وإقامة دولة يهودية هدفًا. وإن الوسيط ليعلم أن النزاع الحالي قائم بسبب فكرة تقسيم فلسطين وإنشاء دول يهودية فيها. ولا شك أن اتخاذ هذا الوضع أساسًا لمعالجة حل سلمي دائم ليس تقديرًا صحيحًا لما تقتضيه أسس العدالة ومبادئ الديمقراطية ومصلحة أهالي فلسطين الدائمة، فضلًا عن أن تمديد الهدنة بالشرائط الحالية معناه إدامة هذا الأمر الواقع الذي اتخذه أساسًا لتفكيره، وكل ذلك يبعدنا عن الغرض الذي قدم الوسيط من أجله وهو إيجاد حل سلمي عادلٍ. وفضلًا عن ذلك فإن الصهيونيين ماضون في إقامة دولتهم وتوطيدها. ولذلك لا يكون من المعقول أن يسفر تمديد وقف القتال عن الوصول إلى التسوية السلمية المطلوبة بعد هذا الاقتناع الذي أشار إليه الوسيط، بل إن هذا

التحديد من شأنه أن يؤدي إلى إمعان العصابات الصهيونية الإرهابية في أعمالها العدوانية، وهذا ولا شك يزيد الحالة خطورة، ولا يخدم قضية السلم بحال.

«وليس أحب للدول العربية -وهي الراغبة في السلام- من حقن الدماء وحل المشاكل بالطرق السلمية. ولكن استحالة تخلي الأقلية اليهودية عن أطماعها السياسية، كما أشرتم، وإصرارها على إملاء إرادتها بالقوة والإرهاب على غالبية سكان فلسطين - وهم جزء من الأمة العربية- وانتهاك تلك الأقلية لشروط وقف القتال واستغلالها فترة الهدنة لترسيخ عدوانها وتشريد العرب وإغراق البلاد بسيل المهاجرين، كل ذلك يحتم على الدول العربية ألا تستمر في إيقاف القتال على الشرائط الحالية، وأن تتخذ التدابير الكفيلة بوقف هذا العدوان. على أن ذلك لا يغلق الباب في وجه الجهود التي يبذلها الوسيط ولا في وجه المقترحات التي يتقدم بها بتلك الصفة».

14 - اقتراح تجريد مدينة القدس من السلاح المقدم من الوسيط الدولي

في 3 تموز 1948 قدم الوسيط الدولي اقتراحه بقبول فكرة تجريد مدينة القدس من السلاح، وقد جاء فيه: «من أجل المحافظة على مدينة القدس وما حولها من الخراب والدمار يُقدم اقتراحًا [اقتراح] بتجريد مدينة القدس من السلاح على أن يُوقع مستند بهذا الشأن من قبل الطرفين، ويجب أن يتضمن هذا المستند احتياطات تعيين حدود المنطقة التي تجرد من السلاح، ويبين وضعية ممثلي هيئة الأمم وأعمالهم أثناء قيامهم بمراقبة التجريد، والأسلوب الذي سيُتبع في ذلك، والحيلولة دون وقوع أعمالٍ عسكرية في المنطقة المذكورة، ومنع دخول القوى المسلحة، ومنع دخول السلاح إليها، وكذلك الذخيرة والأعتدة العسكرية، وحفظ حقوق الأهلين المدنيين، ودخول الأغذية والماء والمؤن، وحرية الوصول إلى أماكن العبادة».

15 - الرد العربي على اقتراح الوسيط لتجريد مدينة القدس من السلاح

في 7 تموز 1948 أرسلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية رد اللجنة السياسية على اقتراح الوسيط بتجريد مدينة القدس من السلاح ومما جاء فيه:

«إن العرب كانوا، وما زالوا، يعتبرون من أقدس واجباتهم صون المقدسات الدينية لجميع الطوائف ورعايتها بما تستحق من التقديس والعناية. والآن وقد أصبحت المدينة المقدسة بكاملها في أيدي القوات العربية فلم يعد للعالم ما يخشاه على المقدسات الدينية، لأنها في أيدي من يحفظها ويصونها، وقد ابتهجت الطوائف الدينية المسيحية على اختلافها بسيطرة القوات العربية على الموقف في مدينة القدس القديمة، فكان ذلك مدعاة إلى اطمئنانهم وارتياحهم.

ولهذه الاعتبارات ترى اللجنة السياسية أن المقدسات الدينية مصونة في أيدي العرب، وأن العدوان عليها لا يُخشى إلا من الطرف الآخر، وعلى هذا الطرف إذا كان يرغب في احترام مشيئة العالم أن يتجنب الاعتداء على هذه المقدسات، وألا يتخذها هدفًا لأعماله العسكرية.

وترى اللجنة السياسية في أن تشير إلى أنها إلى جانب رعايتها للأماكن المقدسة لا ترى بأسًا في إباحة مرور وصول العابدين إليها، وتمكينهم من أداء المراسم الدينية.

وتوكيدًا لحرص الدول العربية على صيانة المدينة المقدسة من آثار الحرب، رغم انتهاء فترة الهدنة بجميع شروطها، فإن التعليمات ستصدر فورًا إلى القوات العربية لوقف إطلاق النار من المدينة القديمة المقدسة والامتناع عن اتخاذها قاعدة لعملياتٍ عسكرية تقع خارجها ما دام الطرف الآخر لا يهاجم هذه المدينة القديمة المقدسة».

16 - اقتراح الوسيط بتجريد منطقة ميناء حيفا من السلاح، ورد اللجنة السياسية عليه

اقترح الوسيط الدولي شفويًا في اجتماعه باللجنة السياسية يوم 3 تموز 1948 النظر في تجريد منطقة ميناء حيفا ومنطقة مصانع تكرير البترول ومصباته من السلاح. وفي 7 تموز 1948 أرسلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية رد اللجنة السياسية على اقتراح الوسيط، ومما جاء فيه:

«إن تلك المنطقة جـزء لا يتجزأ من أراضي فلسطين، وينبغي أن تكون ضمن إقليم الدولة الفلسطينية الموحدة التي يطالب العرب بإنشائها في فلسطين. ولا ترى اللجنة مانعًا من تجريد منطقة حيفا من سلاحها واعتبارها منطقة حرة لا يجري فيها قتال أو تحصين، فلا تُهاجم أو تتخذ مركزًا للهجوم، وبشرط أن لا تكون مركزًا لإدخال المهاجرين أو السلاح أو العتاد أو التموين، مع وضع رقابة فعلية تكفل تحقيق هذه الأغراض يشترك العرب فيها، وأن تُصان حقوق سكانها العرب، وأن يُمكن العرب المشردون من العمال وغيرهم من العودة إلى ديارهم، مع تأمينهم على أرواحهم وأموالهم».

17 - برقية السكرتير العام للأمم المتحدة

أرسل السكرتير العام للأمم المتحدة في 7 تموز 1948 البرقية المستعجلة التالية:

أتشرف بأن أبلغكم النص الآتي للقرار الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 301 المنعقدة في 7 تموز 1948.

«إن مجلس الأمن، وقد أخذ بنظر الاعتبار برقية وسيط الأمم المتحدة المؤرخة 5 تموز 1948، يناشد الأطراف أن يقبلوا مبدئيًا وعلى وجه السرعة تمديد الهدنة للفترة التي يمكن أن تحدد بالاتفاق مع الوسيط».

18 رسالة وسيط الأمم المتحدة إلى حكومات جميع الأطراف وسفره إلى (ليك سكسس)

في 9 تموز 1948 أرسل الوسيط الدولي رسالة إلى حكومات جميع الأطراف ذات الشأن أخبرهم فيها عن عزمه على السفر فورًا إلى ليك سكسس[2] لتقديم تقرير كامل إلى مجلس الأمن عن مفاوضاته وردود العرب

(2) ليك سكسس: ضاحية من ضواحي مدينة نيويورك، وكانت تجتمع فيها الأمم المتحدة (مجلس الأمن) قبل انتقالها إلى بنايتها الحالية في مدينة نيويورك.

والصهاينة على مقترحاته العديدة، وما أصابه من خيبـــة أمل بالغة لأن اقتراحه الخاص بتمديد الهدنة لم يلقَ قبولًا حســنًا من ممثلي العرب، ووجّه النظر إلى قرار مجلس الأمن الصادر في 7 تموز لقبول مبدأ تمديد الهدنة وناشدهم قبول تمديد الهدنة بلا قيد ولا شــرط لمدة عشرة أيام تبدأ في الســاعة الثانية عشرة ظهرًا من يوم السبت 10 تموز 1948.

19 مذكرة الأمين العام لجامعة الدول العربية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة

في 10 تموز 1948 أرســل الأمين العام لجامعة الدول العربية مذكرة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بين فيها وجهة نظر العرب في عدم قبولهم تمديد فترة الهدنة والأضرار التي تصيبهم من عدم التزام الصهيونيين بشــروط الهدنة واستفادتهم على حساب العرب، ومما جاء في المذكرة ما يلي:

«يبدو من التقارير الصحفية الواردة من ليك سكســس أن موقف العرب من مســألة وقف إطلاق النار غير واضح. وإنه لمما يصيــب قضيتنا ويصيب هدفنا النهائي، وهو اســتقرار الســلام في الشرق الأوســط بالغ الضرر، أن يُمنح خصمنا الفرصة الكاملة لتقوية قواتــه وتنظيمها ليواصل تحديه الدموي للشعوب العربية.

ولقد أثبتت لنا تجاربنا أنه بينما كانت سيول المهاجرين اليهود تتدفق على فلســطين خلال فترة وقف القتال على صورة لم يسبق لها مثيل، كان اللاجئون العرب يتدفقون جماعات خارج فلسطين فيملؤون معسكرات اللاجئين هاربين من الإرهاب اليهودي ومن تعسف السلطات اليهودية.

«وتجديدنا لهذه الهدنة تجديدًا تلقائيًــا إنما يصيبنا نحن بأبلغ الضرر دون أن تكون لدينا الضمانات الكافية بأن الهدنة ستنتهي بإقرار السلام في الأراضي المقدســة أو في الدول المحيطة بها. وعلى كل حال، فإن في استطاعة الكونت برنادوت أن يواصل عمله محاولًا إيجاد حل عادلٍ للمشكلة الفلسطينية.

«إن العــرب، وهم أصحــاب البلاد الأصليــون الذين يكونــون الأكثرية الساحقة في كل مكان من فلسطين باستثناء مدينة واحدة هي تل أبيب، هم أول من يتألم من استمرار حالة الحرب في فلســطين، ولهذا السبب فهم أكثر رغبة في السلم من أي شعبٍ آخر في العالم، إنهم يتطلعون إلى العدالة من أية ناحية أتتهم، ويأملون أن ينالوها إذا وُفقوا إلى ذلك، ولا يزالون يأملون في نيل العدالة عن طريق تنفيذ أحكام ميثاق الأمم المتحدة تنفيذًا حقًا عادلًا.»

20 - قرار مجلس الأمن الصادر بفرض الهدنة الثانية

ســـافر الكونت برنادوت إلى ليك سكسس وقدم تقريره إلى مجلس الأمن عن الحالة في فلسطين، والأعمال التي قام بها منذ مباشرته أعمال الوساطة.

قرر مجلس الأمن يوم 15 تموز سنة 1948 بالجلسة 338 فرض الهدنة، ومما جاء في القرار ما يلي: حيث إن حكومة إسرائيل المؤقتة قد أعلنت قبولها تمديد الهدنة في فلســطين مبدئيًا، وأن الدول الأعضاء فــي الجامعة العربية قد رفضت نداءات وســيط الأمم المتحدة المتعاقبة ونداء مجلس الأمن الوارد في قراره الصادر بتاريخ 7 تموز 1948 بشأن تمديد الهدنة في فلسطين، وقد ترتب على ذلك اســتئناف القتال في فلســطين، يثبُت أن الموقف في فلسطين يشكل تهديدًا للسلم بالمعنى الوارد في المادة 39 من الميثاق:

«يأمر الحكومات والســلطات ذات الشــأن، عملًا بالمــادة 40 من ميثاق الأمم المتحدة، بالكف عن أي عمل عسكري، وأن تُصدر لهذه الغاية إلى قواتها العســكرية الأمر بوقف إطلاق النار، على أن يصبح هذا الأمر نافذ المفعول في التاريخ الذي يحدده الوســيط، وعلى أية حال في أقــل من ثلاثة أيام من تاريخ صدور هذا القرار.

«يُعلن أن رفض الالتزام بأحكام الفقرة السابقة من هذا القرار من جانب أية سلطة من السلطات ذات الشأن يثبت قيام حالة الإخلال بالسلم بالمعنى الوارد في المادة 39 مــن الميثاق، مما يقتضي مبادرة مجلــس الأمن إلى بحث الأمر

بقصد اتخاذ ما قد يقرره المجلس من إجراء جديد بمقتضى الفصل السادس من الميثاق.

«يأمر بوقف إطلاق النار فــورًا وبدون قيد في مدينــة القدس لما ينطوي عليه ذلك من أهمية خاصة ومســتعجلة، على أن يكون نافذ المفعول بعد أربع وعشرين ساعة من صدور هذا القرار.

أن تظل الهدنة ســارية المفعول وفقًــا لهذا القرار وقرار 29 مايس ســنة 1948 إلى أن توجد تسوية سلمية للموقف في فلسطين مستقبلًا».

الفصل السابع عشر

الهدنة الثانية

وصول اللواء مصطفى راغب إلى نابلس

في 20 تموز 1948 وصل اللواء مصطفى راغب الذي عُين لقيادة القوات العراقية في فلسطين وزارني في مستشفى نابلس. تكلمنا حول الوضع في فلسطين بصورة عامة، وزودته بما عندي من معلومات. ولعدم بقاء ضرورة لوجودي في فلسطين بعد إعلان الهدنة الثانية قررت العودة إلى بغداد. فتحركت إلى شرق الأردن ونزلت في معسكر الزرقاء بانتظار وصول طائرة تنقلني إلى بغداد.

مقابلة الأمير عبد الإله

قابلت الأمير عبد الإله في معسكر الزرقاء. سألني عن مرضي، وسألته عن الوضع السياسي، وعن اجتماع بيروت، فأخبرني بأن العراق وسورية لم يوافقا على الهدنة الثانية، وأن السيد مزاحم الباجه جي قد استقال عندما كان في بيروت، ثم سحب استقالته التي ذكر فيها بأنه في مفترق الطرق، لأنه لا يريد الموافقة على قبول الهدنة ولا يريد أن يستمر على القتال بالجيش العراقي بمفرده ويسبب خسارته.

تداولنا بعد ذلك حول ضرورة إطلاع الرأي العام العراقي على حقيقة الموقف في فلسطين.

خرق الصهاينة الهدنة الثانية وتهجيرهم سكان قرى جبع، إجزم وعين غزال

لم يحترم الصهاينة شروط الهدنة الثانية، ولم يخضعوا لقرارات هيئة الأمم وعملوا بما أملت عليهم رغباتهم وأهدافهم، متجاهلين الاحتجاجات والقوانين

الدولية ومراقبي الهدنة. ولقد خرقـــوا الهدنة منذ بدايتها فهاجموا القرى العربية المنعزلة في منطقة حيفا وهي جبع، إجزم وعين غزال.

استخبرت القيادة العراقية بهجوم الصهاينة الغادر على هذه القرى وبالرغم من بعدها عنها أرســـلت إليها النجدات اللازمة من المناضلين مع العتاد اللازم ومكنتها مـــن الصمود بوجه هجمـــات الصهاينة إلى حيـــن تصلها قوات جيش الإنقاذ. وأخبرت الجهات اللازمة لصيانة القرى المذكورة من اعتداءات الصهاينة أثناء الهدنة.

وأرســـلت هيئة الأركان العراقية إلى فوزي القاوقجـــي البرقية رقم 600 تاريخ 21 تموز سنة 1948 التالية:

«يهاجم العدو منذ الســـاعة 6:00 من يـــوم 20/ 7/ 1948 القرى العربية المنعزلة إجزم، جبع وعين غزال بالطائرات والمدرعات والمشاة، أرسلوا أكبر ما يمكن من قواتكم لمساعدتهم فوراً».

وكان جواب السيد فوزي القاوقجي: «أرسلوا عتاد [عتادًا] واطلبوا عمل [عملًا]».

فردت عليه هيئة الأركان العراقية بما يلي:

«كل جيش مســـؤول عن تأمين قضاياه الإدارية وما يحتاجه من العتاد من مرجعه المختص. لم يقم هذا المقـــر يومًا ما بتجهيز الجيوش بالعتاد. أطلبوا ما تحتاجونه من العتاد من مرجعكم المختص وكان يقتضي تأمين العتاد في وقت مبكر وقبل نفاذه».

وهكذا لم يســـرع جيش الإنقاذ لنجدة القرى المذكورة، ولم يقم بأي عمل لمساعدتها مع العلم أن الحكومة اللبنانية قد اعتبرت جيش الإنقاذ جزءًا من قوتها.

تطور القتال وهجرة أهل القرى الثلاث

في يوم 21 تموز 1948 صـــد أهل القرى العربية هجـــوم العدو وكبدوه خسائر وغنموا منه بعض الأسلحة.

وفي ليلة 23-24 تموز هاجمت الطائرات المعادية القرى الثلاث.

وفي يوم 25 تموز هاجم الصهاينة القرى المذكورة تسندهم الطائرات والدبابات والمدافع، وفي صباح يوم 26 تموز تم استيلاء الصهاينة على القرى الثلاث وهاجر أهلها، فوصل إلى عاره وعرعرة 4000 مهاجر، ولا يعلم مصير السكان الباقين.

بالرغم من استمرار القتال بضعة أيام وخرق الصهاينة الهدنة علنًا، فإن الوسيط الدولي وهيئة الرقابة لم يتدخلا في الأمر ولم يحاولا إيقاف اعتداء الصهاينة، وكأن شيئًا من هذا لم يقع.

عودتي إلى بغداد

في يوم 23 تموز 1948 عدت إلى بغداد. وبسبب مرضي واستيائي من مجرى الأمور قررت عدم الدوام في مقر رئاسة أركان الجيش ولازمت داري، ولكني كنت في حيرة من أمري، لأني لا أريد ترك الجيش في تلك الأحوال الدقيقة من جهة، كما أني لا أريد من جهة أخرى الاستمرار في العمل السائر على غير هدى وأشترك بنتائجه الوخيمة وأتحمل أوزاره المؤلمة ضمن المجموعة العربية.

وبعد فحصي من قبل الأطباء تقرر بقائي تحت التداوي في داري، وذلك حسب الطريقة المتبعة في معالجة كبار الضباط في الجيش. غير أني كنت مطلعًا على ما يجري من الأمور، إذ كان مدير الحركات يزورني ويطلعني على الأخبار والمراسلات المهمة، كما كان يزورني غيره من كبار ضباط الجيش وقواده ويزودونني بما عندهم من معلومات.

استئناف العمل في رئاسة أركان الجيش

في 18 آب 1948 أرسل الأمير عبد الإله رئيس المرافقين في البلاط الملكي لزيارتي والاستفسار عن صحتي، كما أبلغني رسول آخر برغبة الأمير

باستئناف عملي في رئاسة أركان الجيش، وذلك بسبب سفره إلى الأردن وتطلب الوضع ذلك. وبناء عليه ذهبت في 21 آب 1948 إلى مقر عملي الرسمي واستمريت على الاشتغال رغم عدم تماثلي للشفاء التام.

سفر الأمير ورئيس الوزراء إلى عمان

في 21 آب 1948 طار إلى عمان الأمير عبد الإله وبرفقته رئيس الوزراء السيد مزاحم الباجه جي والسيد نوري السعيد والسيد شاكر الوادي.

رسالة السيد شاكر الوادي

في 3 أيلول سنة 1948 استلمت رسالة من السيد شاكر الوادي الذي كان برفقة الأمير ورئيس الوزراء في عمان مؤرخة في 1/ 9/ 1948 نصها في أدناه:

عمان

1/ 9/ 1948

أخي صالح

تحياتي وشوقي، أؤمل وأتمنى من صميم قلبي أن تكون الآن متمتعًا بالصحة التي أتمناها لك.

صدقني يا صالح بأنني كنت أتكلم بلسانك وأوضح الأمور بعقلك وبشعورك. وإنصافي يقضي [...] أن أذكر لك أنني وجدت من سيدنا نفس الشعور تجاهك - أذكر هذا لك بصدق وإخلاص- وبعد جدال طويل توصل سيدنا إلى الحل الذي سيذكره لك فخامة مزاحم بك، وهو أن الرأي اتفق على أن تكون القيادة العامة بعهدتك وأن يكون نوري الدين قائدًا للقاطع الشمالي أي نابلس - طولكرم - جنين وأن تكون قيادة القاطع الجنوبي أي القدس وجوارها بما فيها القوة الأردنية بعهدة مصطفى راغب. وبهذا تمكنا أن نجعل الجيش [الجيشين] العراقي والأردني تحت قيادة قوادنا العراقيين وجميعهم تحت قيادتك كقائد عام على أن تنظر أنت في تثبيت هذا الاقتراح عند وصولك

إلينا وبيان مقترحاتك التي أؤمل أن تكون مطمئنة. وكما تعلم يا صالح بأن هذا الترتيب هو الترتيب الذي اقترحه سيدنا ووافق عليه جلالة الملك عبد الله بعد مناقشات أنت أعرف بمداها. ولما كان هذا الترتيب هو ترتيب تمهيدي بالنسبة للوضع والحالة التي نحن فيها الآن، أي في دور الهدنة، وهو دور استحضاري، فأتمنى وأؤَمِّل أن تروقك وتحضر إلينا لنراك هنا مع من ترغب من ضباط الركن لنتذاكر مع سيدنا قبل سفرنا إلى القاهرة مع سيدنا لأمور ستعلمها عند مقابلتك إيانا هنا. فاســمح لي أن أرجوك كأخ أنت أدرى بحرصه عليك أن لا تتأخر في قبول هذا الاقتراح الذي أعتقده بصالحك وبصالح الجيش والبلاد معًا.

آمل أن أراك قريبًا لنتذاكر وإياك أكثر وأوضح وأشمل. أقبلك بشوق أخي العزيز صالح.

التوقيع
الوادي أخوك

مقابلة رئيس الوزراء وسفري إلى الإسكندرية

في 4 أيلول 1948 قابلت رئيس الوزراء السيد مزاحم الباجه جي بمناسبة عودته من عمان فأخبرني بسفر الأمير عبد الإله إلى مصر وطلبه التحاقي به في الإسكندرية. وفي اليوم التالي سافرت جوًا فوصلت الإسكندرية ظهرًا وقابلت الأمير حال وصولي.

محاولة تنسيق الخطط العسكرية للجيوش العربية

بتاريخ 10 أيلول 1948 عقد اجتماع في القنصلية العراقية بالإســكندرية حضره الذوات التالية أسماؤهم:

الأمير عبد الإله، السيد محمود النقراشي، السيد جميل مردم، السيد رياض الصلح، السيد شــاكر الوادي، الســيد عبد الرحمن عزام، الفريق الركن صالح صائب الجبوري.

جرى البحث حول الوضع في فلسطين بصورة عامة، وبينا ضرورة توحيد الخطط العسكرية على الأقل، بين الجيوش العربية بعد أن باءت محاولات توحيد القيادة بالفشل. وذكرنا لزوم وضع خطط مشتركة للمستقبل لمجابهة الحركات التي يحتمل قيام الصهاينة بها ضد واحد أو أكثر من الجيوش العربية وأهمية وضع وتقرير مثل هذه الخطط مبكرًا، وقبل وقوع أحداث ومآزق عسكرية يصعب معالجتها عندئذ ما لم يكن التفاهم حاصلًا قبل وقوع مثل ذلك لتبادل التعاون اللازم في مثل هذه المواقف. غير أن السيد النقراشي لم يوافق على ذلك وأكد أنه يتمسك بالنقاط التالية:

1 - أنه لا يتحمل مسؤولية خرق الهدنة ولا يشرك جيش [للجيش] مصر بأي عمل من هذا القبيل.

2 - لا يقاتل الجيش المصري ما لم يهاجم من قبل العدو ويجبر على القتال.

3 - لا يشترك بوضع خطة يعين فيها واجب إلى الجيش المصري، وفي ما بعد يلقى اللوم عليه لعدم قيامه بواجبه.

وقد فشلت كل المحاولات لإفهامه أن وضع خطط للتعاون بين الجيوش العربية ليس القصد منه خرق الهدنة والمبادأة بالتعدي على الصهاينة، وإنما الغرض من ذلك هو عكس ما يبدو له، وأنه أمر واجب تمليه الحيطة والحذر من قيام الصهاينة أنفسهم بخرق الهدنة ومهاجمة الجيوش العربية، وهو أمر كبير الاحتمال بالنظر إلى عدم احترام الصهاينة للهدنة من جهة ووجود مشجع لهم، [...] هو عدم وجود تعاون بين الجيوش العربية من جهة أخرى، مما يمكنهم من الحصول على نجاح سهل في حركاتهم. ولكن النقراشي أصر على تمسكه بالنقاط المذكورة أعلاه، فقيل له إذا هاجم الصهاينة الجيش المصري مثلًا أفلا يرى هؤلاء ضرورة قيام بقية الجيوش العربية بمعاونته والتخفيف عنه؟.. أجاب بالإيجاب، ولكنه قال إنه في مثل هذه الأحوال يجري التفاهم في حينه لتقديم المساعدة اللازمة. فأوضح له الجانب العراقي أن التعاون العسكري لا يمكن

أن يتم بصورة ارتجالية عند قيام الحركات، بـل يجب أن تكون خطط التعاون مقررة مقدمًا والوقت ثمين في المعارك وقد تنتهي الحركات ويتم الغرض منها لصالح العدو قبل أن تتمكـن الجيوش العربية من معاونـة بعضها إن لم تكن متفاهمة على طريقة ومدى هذا التعاون. ثـم إن الجيوش العربية تابعة لقيادات مختلفة وهذه مرتبطة بحكوماتها وإذا اقتضـى التعاون في ما بينها في المواقف الحرجـة، فإن كل قيادة يجـب أن تراجع حكومتها وهـذه تتصل بالحكومات الأخرى بالطرق الدبلوماسية لتقوم جيوشـها بإسداء المعاونة. وهذه الأساليب التي لا محيص من اتباعها تتطلب وقتًا طويلًا قبل تحقيق المسـاعدة المطلوبة، فكيف يكون موقف الجيش الذي يهاجم ويسـوء موقفه بمرور السـاعات إذا كانت معاونتـه تتطلب كل هذه الإجراءات؟ لذلك فـإن التفاهم والاتفاق على خطط التعاون مقدمًا أمر واجب على الجميع ولصالح الجميع.

غير أن السـيد النقراشـي بقي مصرًا على وجهة نظره، وعندئذٍ طلبنا منه السـماح بإجراء المذاكرة حول ذلك مع المسؤولين في وزارة الحربية المصرية مباشرة لعلاقتهم المباشرة بهذا الموضوع فأبدى عدم ممانعته في ذلك.

اجتماع الأمير عبد الإله والملك فاروق

سـافر الأمير عبد الإله جوًا إلى القاهرة واجتمـع بالملك فاروق لفرض الاتفاق علـى العمل الجدي في فلسـطين والحصول على الأعتدة المتيسـرة عندهم لطيارات (فيوري)، فوعد الملك بإخبار وزيـر الدفاع المصري الفريق محمد حيـدر للاتصال بي والاتفاق علـى التفصيلات، وفعـلًا كلمني الفريق محمد حيدر تلفونيًا واتفقنا على الاجتماع.

الاجتماع مع وزير الدفاع المصري

في السـاعة 10:30 من يوم 12 أيلـول 1948 اجتمعـت بوزير الدفاع المصري الفريـق محمد حيدر فـي وزارة الدفاع المصريـة. كلمته حول وعد الملك فاروق للأمير عبد الإله بإعطائنا بعض العتاد لطيارات فيوري الذي تركته

الجيوش الغربية عند قتالها ضمن الأراضي المصرية في الحرب العالمية الثانية، والفائض عن حاجتهم لعدم استعماله. فطلب إعطاءنا ثلاث طائرات فيوري مقابل ثلاثة آلاف طلقة. كلمته حول تنسيق الخطط والأعمال واتخاذ الحيطة والحذر من الآن ضد حركات الصهاينة المحتملة فأخذ يردد نفس الأقوال التي رددها رئيس الوزراء السيد محمود فهمي النقراشي في اجتماع الإسكندرية، وقال بأنهم لا يخرقون الهدنة ولا يقاتلون ما لم يهاجَموا، ولا يشتركون بوضع خطة موحدة. وظهر أن هذا الموقف من الجانب المصري مقرر ومبيت ولم يمكن تحويلهم عن هذا الموقف بالرغم من وضوح الخطأ فيه.

وفي الساعة 15:00 طرت إلى عمان فقابلت الأمير عبد الإله في الزرقاء وأخبرته بما دار في الاجتماع مع وزير الدفاع المصري.

زيارة القوات العراقية في فلسطين

في 13 أيلول 1948 سافرت إلى نابلس ومررت بمقر القيادة العراقية، وفي الأيام التالية زرت القوات العراقية في مختلف الأماكن والمناطق.

طلب قائد الفرقة الأردنية مقابلتي

في 16 أيلول 1948 أخبرني ضابط الارتباط العراقي مع الجيش الأردني الرئيس الأول الركن مظفر التك بطلب الزعيم البريطاني (لاش) قائد الفرقة الأردنية موعدًا لزيارتي في نابلس فعينت له الساعة 17:00، فحضر في الموعد المعين وفهمت منه ما يلي:

1 - يريد الصهاينة استئناف القتال، ولكنهم يخشون من خرق الهدنة وإلقاء اللوم عليهم.

2 - خسارة الصهاينة فادحة وعظيمة بسبب توقف معاملهم وأشغالهم التجارية.

3 - وصلت طيارات إلى الصهاينة وهم متفوقون في الجو.

4 - أنه حصل على صحف الصهاينة وأخبارهم.

5 - أنه يخشى من ضياع موقعي اللطرون وباب الواد في أول قتال، ولهذا ترك سرية في كل منهما وسحب القوة الباقية للاستراحة، وأنه يعتقد بعدم بقاء أهمية عسكرية لهما.

6 - لا يتحمل الجنود الأردنيون شدة برد الشتاء في فلسطين ويجب سحبهم إلى شرق الأردن.

لم يسبق أن اتصل بي الزعيم لاش ولا توجد معرفة شخصية بيننا. ويفهم من تطرقه إلى شدة برد الشتاء في فلسطين ولزم سحب الجنود الأردنيين إلى شرق الأردن، بأنه يريد التمهيد إلى انسحابهم من فلسطين وأنهم ما زالوا عند رأيهم السابق، بينما ذلك ليس من اختصاصي، وليس لي أي صلة رسمية به.

وقد بينت لـه ضرورة إرجاع الكتائب إلى اللطرون وباب الواد، هذين الموقعين المهمين، وإشغالهما قويًا، وذلك لعدم إعطاء مجال لسقوطهما بيد الصهاينة كما حدث في اللد والرملة.

عودتي إلى الزرقاء

في 17 أيلول 1948 واجهت بعض الضباط ومررت بدائرة الحاكم العسكري العراقي في نابلس وعدت إلى الزرقاء، وهناك علمت باغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت من قبل الصهاينة في القدس.

الصهاينة يغتالون الوسيط الدولي الكونت برنادوت

وصل الكونت برنادوت إلى القدس بعد ظهر يوم 17 أيلول 1948 ودخل المنطقة الصهيونية سالكًا الطريق الذي اختاره ضابط الارتباط الصهيوني له. وفي أحد الشوارع اعترض طريق سيارته بعض المسلحين الإرهابيين من منظمة شتيرن المستقلين سيارة جيب. فوقفت سيارة الوسيط الدولي وتقدم إليها الإرهابيون

وأطلقوا النار على الوسيط الدولي برنادوت وعلى الكولونيل الفرنسي سيرو (كبير المراقبين الدوليين في الخطوط العربية) الذي كان معه في السيارة وقتلوهما. وبعد ذلك عاد المجرمون إلى سيارتهم وذهبوا بها مطمئنين ولم يعقبهم أحد. مع أن السلطات الصهيونية أبلغت سلفًا عن الطرق التي سيسلكها الوسيط الدولي فلم تتخذ التدابير اللازمة للمحافظة عليه. ولا يعقل أبدًا أن تكون السلطات الصهيونية غير عالمة بتدبير هذه الجريمة النكراء والمعتقد أنها هي الموعزة بها والمدبرة لتنفيذها[1].

اقتراحات الوسيط الدولي برنادوت الأخيرة

أرسل برنادوت، قبيل اغتياله، إلى السكرتير العام للأمم المتحدة تقريره الذي بين فيه اقتراحه لحل القضية الفلسطينية، ومما جاء فيه:

1 - لا بد من عودة السلام إلى فلسطين.

2 - لا يوجد سبب في عدم بقاء إسرائيل.

3 - يجب أن تنقلب الهدنة إلى سلم دائم أو مهادنة دائمة.

4 - تعين هيئة الأمم المتحدة لجنة لتعيين الحدود بين العرب والصهاينة على أن يعاد النظر في الحدود الواردة في قرار التقسيم الصادر في 29 تشرين الثاني 1947 كما يلي:

أ - يعطى النقب إلى العرب.

ب - تعطى اللد والرملة إلى العرب.

ج - يعطى الجليل إلى الصهاينة.

د - إعلان ميناء حيفا منطقة حرة.

هـ - مطار اللد يصبح مطارًا حرًا.

---

(1) لمزيد من تفاصيل هذه الجريمة الصهيونية راجع كتاب موت وسيط كما رواها الجنرال لوندستروم رئيس أركان هيئة الرقابة على الهدنة، الكتاب منشور بالإنكليزية ومترجم إلى العربية في بيروت.

و – توضع مدينة القـــدس بحدودها التي عينها قـــرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في 29 تشرين الثاني 1947، تحت إشراف هيئة الأمم.

ز – تؤكـــد هيئة الأمم على حق اللاجئين العرب فـــي العودة إلى ديارهم، وتشـــرف فعلًا على إعـــادة هؤلاء إلـــى منازلهم ودفـــع التعويضـــات العادلة للأشخاص الذين لا يرغبون بالعودة، عن الممتلكات التي فقدوها.

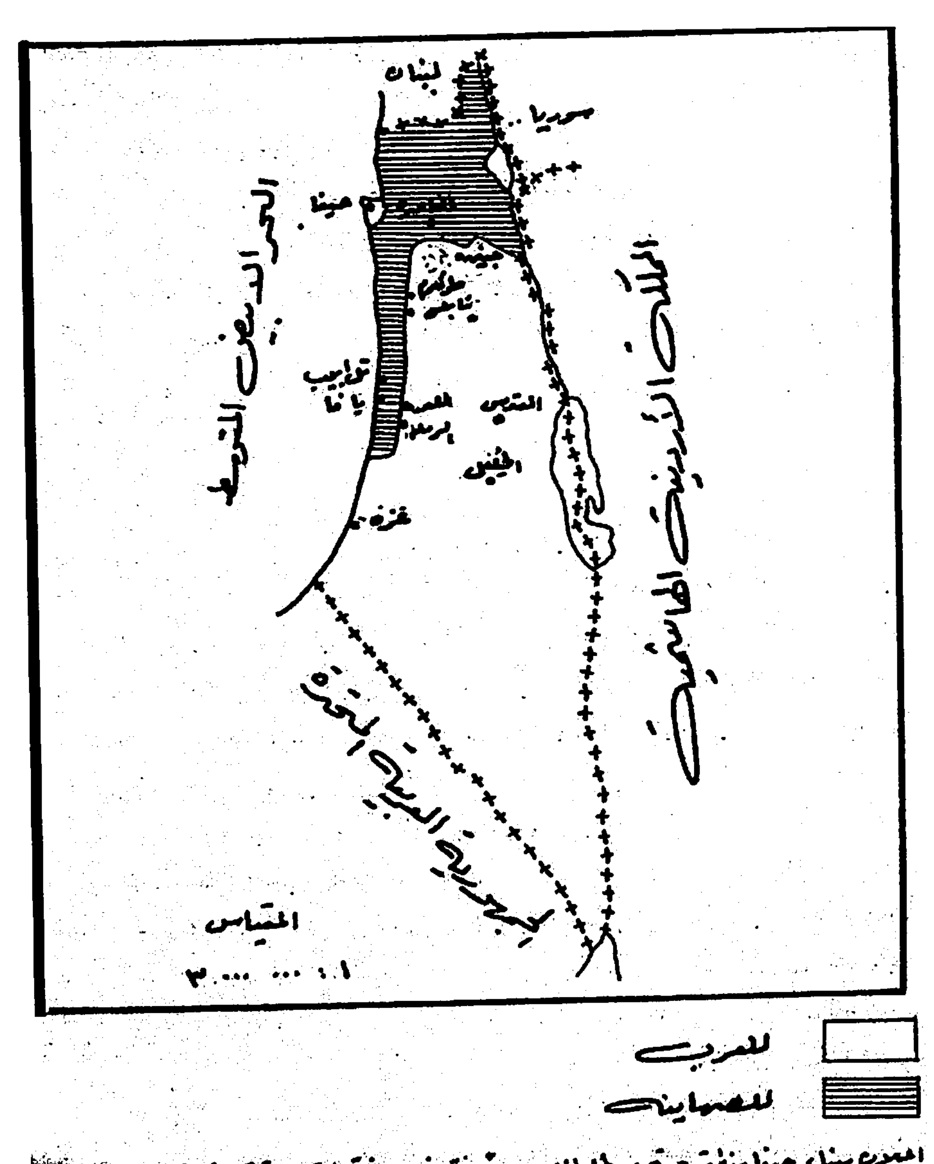
أسباب الاغتيال

كان الوسيط الدولي برنادوت يماشـــي الصهاينة وكان له اليد الطولى في تثبيت وجود إســـرائيل، وكانت كل تقاريره إلى الأمم فـــي صالحهم. وبالرغم من أن مقترحاته الأخيرة تثبت مركز الصهاينة وتعطيهم بســـخاء منطقة الجليل بأكملها، إلا أنه لم يرق لهم إبقاء منطقـــة النقب بيد العرب، مع أنها كانت فعلًا بيدهم كما لم يرتح الصهاينة مـــن تأكيد حق اللاجئين العـــرب في العودة إلى ديارهم، واعتقدوا بأن المقترحات جاءت مخالفة لخطتهم المرســـومة باحتلال فلســـطين بأجمعها فقرروا التخلص من برنادوت وتهديد من تســـول له نفســـه الوقوف في سبيل التيار الصهيوني، وأسرعوا باغتيال برنادوت غير مبالين، ولم يحاسبهم أحد على فعلتهم النكراء هذه.

ومما جاء في مذكرات برنادوت التي نشـــرت بعد اغتيالـــه بأنه كان متألمًا من عجز هيئة الأمم عن تنفيـــذ قراراتها ومن تحيز الدول الكبرى إلى الصهاينة، وتأثيرهم على المنظمة الدولية، ومن عدم تعاون الصهاينة مع المراقبين الدوليين ورفضهم كل عرض. كما ذكر في مذكراته بأن تقاريـــر المراقبين الدوليين تدل على أن الصهاينة هم المعتدون دائمًا. ولا يســـتبعد أن يكون الصهاينة على علم بآراء برنادوت هذه، وأن اقتراحاته الأخيـــرة التي لم يرضوا عنها جاءت محفزة لهم، فقرروا التخلص منه قبل أن يفضح أعمالهم ويقف حجر عثرة في ســـبيل الوصول إلى ضالتهم المنشودة.

الخريطة (17 - 1)

خريطة مشروع برنادوت لتقسيم فلسطين سنة 1948



ميناء حيفا منطقة حرة ومطار اللد حر وتوضع مدينة القدس تحت إشراف الهيئة الدولية

اجتماع في القصر الملكي في عمان

حسب طلب الملك عبد الله اجتمعنا في القصر الملكي في عمان في الساعة 10.00 من يوم 18 أيلول 1948 أنا واللواء الركن نوري الدين، ثم حضر وزير الدفاع الأردني السيد فوزي الملقي ووزير العراق المفوض السيد جميل الراوي. تكلمنا حول الموقف الراهن بعد اغتيال الوسيط الدولي وجرت مداولات في الموضوع.

تقديم تقرير عن الوضع في فلسطين

كان موقف البلاد العربية من إنقاذ فلسطين هو كثرة الكلام وقلة العمل المثمر، وكأن البلاد العربية ليست في حرب تتوقف على نتائجها كرامة العرب ومستقبلهم إلى أمد بعيد. ومع أن الجيوش النظامية كانت تنقصها القيادة الموحدة والأسلحة الضرورية، فلم يستفد من استخدام المتيسر منها مجتمعًا. وبالرغم من ظهور قوة جوية عند الصهاينة يحسب لها الحساب، فإن القوة الجوية المصرية التي يعول عليها أصبحت متوقفة عن العمل بالرغم من حاجة جميع الجيوش العربية الشديدة لها.

كما علمت بوجود هيئات فلسطينية ترغب في تنظيم قوة غير نظامية لحمايتهم من قوة فلسطينية أخرى تختلف معهم في الميول والاتجاهات السياسية.

ولهذه الأسباب لم أجد ما يدعو إلى تفاؤلي وارتياحي، وكنت أعتقد بأن بقاء الموقف مترجرجًا لا يؤمن الظفر، وأن الخسارة ستهز البلاد العربية هزة عنيفة يخشى من نتائجها، ولا يمكن التعويض عنها، فقدمت تقريري المرقم 125/ و، والمؤرخ 21/ 9/ 1948 إلى وزير الدفاع بعد عودتي إلى بغداد.

سري للغاية وشخصي

معالي وزير الدفاع

الرقم: 125/ و

التاريخ: 21/ 9/ 1948

بمناسبة زيارتي الأخيرة إلى فلسطين وجولتي في منطقة الجيش العراقي أعرض على معاليكم الموقف الحالي مع ملحوظاتي في الموضوع:

1 - لقد شرحت في تقريري السابق المرقم 67/ و والمؤرخ 15/ 6/ 1948 الذي قدمته إلى فخامة الوزير سلفكم، الموقف بصورة عامة مع ملحوظاتي، وانطباعاتي في الموضوع وبينت الطرق الواجب اتباعها من قبل الحكومات، والجيوش العربية بغية الحصول على الهدف المتوخى، وعلى ما يظهر أنه لم ينظر إلى ذلك التقرير بصورة جدية.

2 - موقف الجيوش العربية

إن موقف الجيوش العربية العاملة في فلسطين في الوقت الحاضر يلخص بما يلي:

أ - الجيش اللبناني: مرابط في الناقورة داخل حدوده لم يتمكن من دخول الأراضي الفلسطينية والتأثير على العدو ومجهوده، منذ بدء الحركات حتى الآن، وذلك بسبب قلة عدده، والنقص في التدريب والتسليح.

ب - الجيش السوري: ترابط قطعاته في منطقة جسر بنات يعقوب ولم يقم بعمل يذكر حتى الآن سوى احتلاله مستعمرة مشمار هايردن الواقعة عند الحدود، ولا يؤمل منه التوغل داخل الأراضي الفلسطينية والتأثير على الموقف العسكري العام تأثيرًا فعالًا بوضعه الحالي.

ج - الجيش العراقي: يعمل في منطقة واسعة جدًا، وترابط وحداته في

جبهات متباعدة استنزفت معظم وحداته، وهو بحاجة إلى بعض أنواع الأعتدة التي أصبحت بكميات محدودة وإلى قوة جوية واسعة.

د - الجيش الأردني: يعمل في مدينة القدس ومنطقة اللطرون وباب الواد، وإن وحداتــه موزعة وليس لديه الاحتياط المطلــوب للتعرض الناجح، ويفتقر إلى بعض أنواع الأعتدة أيضًا.

هـ - الجيــش المصــري: بالرغم من أنه أكبــر الجيــوش العربية عددًا وعُددًا، إلا أنه لم يشــرك ســوى قطعات قليلة لا تتناسب وحجمه والمجهود المؤمل منــه، وهو يرابط في منطقــة النقب وقواته الأماميــة في كل من بيت لحــم، والخليل، وبيت جبرين، وأســدود. وإنه لا يفكر في اســتئناف القتال والتقدم أكثر مــن ذلك، أي إنه لن يتعــاون مع القــوات العربية الأخرى في الحركات المقبلة.

يستنتج مما تقدم أنه بغية إمكان استئناف القتال والقيام بالتعرض بمقياس واســع، وإحراز الظفر، لا بد من إكمال النواقص الحالية في التســليح وتدارك الأعتدة المطلوبة، وتأمين قبول المصريين الاشتراك والتعاون مع باقي الجيوش العربية بموجب خطة موحدة، خاصة بما يتعلــق بقواتهم الجوية بعد أن أصبح للصهيونيين قوة جوية يحسب لها حسابها.

3 - القوات غير النظامية

يعمل الآن في فلسطين أنواع ثلاثة من المجاهدين المناضلين، الأول منهم وهو جيش الإنقاذ الذي يعمل في منطقة الجليل بقيادة السيد فوزي القاوقجي. أما النوع الثاني وهم [فهم] المناضلون المنظمون على أســاس وحدات شــبه نظامية ويعملون بإمرة الجيوش العراقيــة والأردنية والمصرية، أما النوع الثالث وهم [فهم] منتســبو الجهاد المقدس المجندون من الفلســطينيين [و] يعلمون بإرشــاد وتوجيهات المفتي الحاج أمين الحسيني، وهم الآن في منطقة الجيش العراقي في ديــر نظام، وفي منطقــة الجيش الأردني في القــدس، وفي منطقة الجيش المصري في بيت لحم وحواليها، وقد ظهروا في ميدان القتال مؤخرًا.

بالإضافة إلى ما تقدم، هناك هيئات أخرى جادة في تنظيم قوات غير نظامية أيضًا لتشترك في الحركات في فلسطين، وهي في السر مناوئة لجماعة المفتي، ويخشى من تصادم هذه القوات بعضها مع البعض في المستقبل.

4 - ضرورة مصارحة الدول العربية بعضها البعض وتثبيت وجهات نظرها

لقد ظهر لي من اتصالاتي الشخصية مع رجال السياسة للدول العربية ومن حضوري بعض الاجتماعات بأن وجهة نظر الدول العربية غير موحدة في حل قضية فلسطين، فمنها المندفع لبذل كل مجهود حسب الاستطاعة، ومنها من هو متردد في أعماله ولم يستخدم إمكانياته كاملة، ومنها من يبدي علائم الاندفاع ظاهرة في أقواله، ولكن إمكانياته محدودة، ولم تظهر له أعمال تذكر، ومنها من هو مشترك في المباحثات والقرارات، لكن ليس لقواته المقاتلة أثر في ميدان القتال أو له رغبة في الاشتراك الفعلي.

إن الموقف يحتم على الدول العربية مصارحة بعضها البعض في نواياها وإمكانياتها بغية توحيد الجهود ووضع الخطة العملية التي تؤمن النجاح.

إن عدم نجاح الدول العربية عسكريًا للقضاء [بالقضاء] على القوات الصهيونية، وبقاء الموقف مترجرجًا سيهز الأقطار العربية هزة عنيفة يخشى من نتائجها، كما أنه سيحط كثيرًا من قيمة هذه الدول عسكريًا وأدبيًا وسياسيًا في نظر العالم، بدرجة أنه لا يمكن التعويض عن هذه الخسائر بأي شكل أو ثمن، وسيجعل هذه الدول أيضًا نادمة على عملها غير المبني على بعد في النظر، وسيترك عندها أثرًا عميقًا من الندامة والألم يزداد أثره ورد فعله بتعاقب السنين والعصور، وعندئذ ستشرع الدول العربية بإلقاء اللوم بعضها على بعض لكي تبرر موقفها متهمة غيرها بالتقصير.

ولا شك أن الدول التي لها دعاية قوية وملكة واسعة لتمويه الحقائق ستنجح في تبرير موقفها، وإن كانت هي المقصرة. هذا وستتطاحن البلاد العربية مع بعضها في هذا الأمر الذي ليس من ورائه فائدة.

وعليه أرى أن مصلحة فلسطين بصورة خاصة، والبلاد العربية بصورة عامة تقضي بأن تتصارح هذه الـدول من الآن، وقبل أن تصبح تجـاه الأمر الواقع، ويثبت موقف كل دولة في الموضوع.

5 - تهيؤ الحكومات العربية

أ - لقد ذكرت سـابقًا في الاجتماعات المختلفة قبـل البدء بالحركات، وبعدها أن الجيوش العربية لم تكن متهيئة للعمل في فلسـطين بالمقياس الذي يعطي نتائج حاسمة وسريعة. ومع ذلك كله، فإنها شرعت بالحركات، ودخلت جيوشها البلاد الفلسطينية لعوامل وتأثيرات أوجبها الوضع.

إن الوقت لم يفت بعد لإكمال الاستحضارات والقيام بعمل جدي وواسع يؤمن نتائـج قطعية تحقق الغاية، ويجـب أن تضاعف الـدول العربية الجهود المثمرة، وأن لا ترضى بأقل من تخليص فلسطين بأكملها، وإبقائها عربية مهما كلفها الأمر من جهود وتضحيات.

ب - إذا أمكن تمكين تماسـك الدول العربية فـي مجهودها الموحد في قضية فلسـطين فإن النتيجة للقوة والغالبية للدول العربية مهما طال الأمد، لأن إمكانيات البلاد العربية مجتمعة تفوق ما يمكن أن يبذله الصهيونيون من جهود، وإن الموقف الجغرافي والاعتبارات السوقية هي في صالح الدول العربية.

يستنتج مما تقدم شرحه ضرورة الأخذ بالنقاط التالية:

6 - الاستنتاجات

أ - ضرورة توحيد وجهة نظر الدول العربية تجاه قضية فلسطين ومصارحة بعضها البعض عاجلًا ودون أي تـردد أو تماهلٍ لكي يمكن وضع الخطة، وأن تندفع الدول على السـواء لتبذل غاية المجهود واسـتخدام قصارى إمكاناتها لتأمين نجاح الخطة.

ب - إحضـار قوات كبيـرة ومتفوقـة لمعالجة الموقـف والقضاء على الخصم، ولهـذا الأمر يتطلب إشـراك الجيوش العربية بالقتـال بكامل عددها

ومعداتها وتهيئة تشكيلات غير نظامية من الفلسطينيين خاصة وغيرهم من البلاد العربية المجاورة.

ج - تهيئة أسلحة ومهمات وعتاد تكفي لحرب طويلة الأمد بأية طريقة كانت، وبصورة خاصة تأمين الطيارات اللازمة من مقاتلة وقاصفة مع الأعتدة والقنابل المطلوبة لها قبل القيام بأية حركة واسعة.

د - ضرورة تأمين إشراك القوات المصرية البرية والجوية في القتال مع باقي الجيوش العربية بموجب الخطة الموحدة التي تنظم لهذه الغاية، خاصة وأن لقواتهم الجوية تأثيرًا كبيرًا بعد أن أصبح للصهيونيين قوة جوية يجب أن يحسب لها الحساب.

هـ - ضرورة اتخاذ تدابير الحيطة من الآن لمنع تصادم واسع بين القوات غير النظامية المختلفة في المستقبل والعاملة الآن داخل الأراضي الفلسطينية.

و - ليكن مفهومًا بصورة واضحة بأنه يصعب على الجيوش العربية القيام بحركات تعرضية واسعة تعطي نتائج حاسمة ما لم يؤمن ما ورد في (أ، ب، ج، د) في أعلاه، وأن القيام بأية حركة منفردة من قبل أحد الجيوش، أو من قبل قسم منها لا تكون مأمونة [يكون مأمون] العواقب.

أرجو الاطلاع والتفضل بعرض هذا الموقف على المراجع ذات العلاقة إن نسبتم ذلك.

الفريق الركن
صالح صائب الجبوري

مقابلة الأمير عبد الإله واجتماعات مجلس الوزراء

في 21 أيلول 1948 قابلت الأمير عبد الإله في البلاط الملكي حسب موعد المقابلات الرسمية الأسبوعية وسلمته نسخة من التقرير.

وقد تقرر جمع مجلس الـــوزراء لإعطائهم الإيضاحات حول الموقف في فلســـطين، وتم الاجتماع في الساعة 13:00 من يوم 22/ 9/ 1948 في البلاط الملكي. ذكرت سلسلة الحوادث من قبل المباشرة في الحركات النظامية حتى الوضع الأخير في فلسطين. و بالرغم من الاختصار في ذكر بعض الحوادث دام الاجتماع ساعة وثلاثة أرباع الساعة.

وفي الســـاعة 10:00 من يـــوم 23/ 9/ 1948 حضرت جلســـة مجلس الوزراء في ديوان الرئيس، حيث اســـتؤنف الكلام والتـــداول حول الوضع في فلســـطين. وفي الســـاعة 12:00 انتقل الاجتماع إلى البـــلاط الملكي وحضره الأمير عبد الإله وبنتيجة الاجتماعات توصلنا إلى ما يلي:

1 - مصارحة البلاد العربية بحقيقة الموقف في فلسطين وضرورة توحيد المساعي والأعمال.

2 - ضرورة اشتراك جميع الجيوش العربية وخاصة جيش مصر في القتال عند استئنافه.

3 - عدم إمـــكان قيام العراق وحـــده بالحركات والحصـــول على نتائج مطمئنة.

وقد ارتئي ســـفر رئيس الوزراء إلى البلاد العربية للتداول بشـــأن الموقف الراهن في فلســـطين وبيان وجهـــة النظـــر العراقية في الموضـــوع ومصارحة حكوماتها بوخامة العواقب إذا بقي الوضع على ما هو عليه.

الفصل الثامن عشر

محاولة توحيد قيادة الجيشين العراقي والأردني

تعيين الفريق الركن صالح صائب الجبوري قائدًا عامًا للجيشين العراقي والأردني

بعد أن قطــع الأمل من جمع الجيــوش العربية تحت قيــادة عامة لإدارة الحركات في فلسطين، وهو أمر مؤلم يؤسف له أشد الأسف، جرت مداولات بين الســلطات العليا العراقية والأردنية في موضوع تشــكيل قيادة عامة عراقية للجيشــين العراقي والأردني مع تعييــن قائد عراقي للجيــش الأردني، وتقرر ذلك. ومع أني كنت في شك من أن السلطات الأردنية جادة في الأمر، وأن في إمكانها تنفيذ ذلك، لســيطرة البريطانيين سيطرة تامة على الجيش الأردني، فقد قبلت تحمل مســؤولية القيادة العامة بالنظر إلى الإلحاح والتأكيدات المستمرة من جهة، وبأمل تخليص الجيش الأردني من السيطرة الأجنبية، وتوحيد أعمال الجيشــين العاملين في مناطق متصلة والقيام بآخــر محاولة لإنقاذ الموقف في فلسطين، من جهة أخرى.

وصدرت الإرادة الملكية العراقيــة المرقمة 604 والمؤرخة في 22 أيلول 1948 بتعييني قائدًا عامًا للجيش العراقي المرابط في شرق الأردن وفلسطين، وتخويلــي قيادة الجيش الأردنــي، وذلك علاوة على منصبــي الحالي كرئيس أركان الجيش العراقي.

ســافرت جوًا إلى عمان في 26 أيلــول 1948، ونزلت فــي مقر القيادة العامة في معســكر الزرقاء بأمل مزاولة واجب القيادة العامة للجيشين العراقي والأردني.

من الاعتبارات التي حدت بي إلى قبول مسؤولية قيادة الجيشين العراقي والأردني فــي تلك الأحوال الحرجة ما فهم مــن أن الفريق غلوب الذي كان

قد ترك شـرق الأردن إلى إنكلترا آنئذ لن يعود إلى قيادة الجيش الأردني، بل سـيخلفه قائد عراقي، وأن الضباط الإنكليز كانوا أيضًا في طريق التخلي عن خدماتهم في الجيش الأردني حسب الاتفاق الذي تم بين الحكومتين. وعلى ذلك كان من المتصور إمكان الانتفاع كثيرًا من توحيد قيادة هذين الجيشـين وتنسـيق حركاتهما وفقًا لمقتضيات الموقف العام والغرض المشـترك. غير أن الأمور لم تسـر سـيرها المنتظر، فقد عاد غلوب إلى شـرق الأردن وبقي الضبـاط الإنكليز محتفظين بمراكزهم في الجيـش الأردني، ولم تصدر إرادة ملكية أردنية بتوحيد قيادة الجيشـين وتخويلي قيادة الجيش الأردني، فأصبح بذلك من المتعذر تحقيق الغرض المنشـود من توحيد القيادة وبقي كل جيش على قيادته.

طلب الملك عبد الله الاجتماع

في 3/ 10/ 1948 أخبرني وزير العراق المفوض في عمان السـيد جميل الراوي أن الملك عبد اللـه يطلبني وإياه. فذهبت إلى عمـان ووجدت الوزير المفوض قد سـبقني إلى البلاط. أعلمنا الملك بوصول أخبار موثوقة إليه بنية الصهاينة الهجوم على مدينـة القدس، ولزوم اتخاذ الحيطـة والحذر، فأجبت الملك بعدم اتصالـي بالجيش الأردني حتى ذلك الحيـن لعدم صدور الإرادة الملكية بدخوله ضمن القيادة العامة، فوعد بإصدارها، ولكنه لم يفعل.

وفي مسـاء 9/ 10/ 1948 عاد من القاهرة إلى عمـان الأمير عبد الإله والسـيد مزاحم الباجه جـي رئيس الـوزراء. واجتمعوا مع الملـك عبد الله ورئيس وزرائه ووزير دفاعـه، ولا أدري ماذا دار فـي الاجتماع وماذا كانت حصيلة سـفرتهم. وفي اليوم التالي أخبرت السـيد الباجه جي ثم الأمير عبد الإله عن الوضـع بصورة عامة وموضوع القيادة بصـورة خاصة وذكرت عدم صدور إرادة ملكية أردنيـة بتعيين قائد عراقي إلى الجيـش الأردني وتوحيد الجيشين تحت قيادة عامة عراقية ليمكننا الاتصال بالجيش الأردني والوقوف على حالته وحقيقة نواياه.

وقد ذهبنا سـوية إلى القصر الملكي لمقابلة الملك عبـد الله، وعند ذكر موضوع القيادة الأردنيـة، وتعيين قائد عراقي لم يوافـق الملك، وذلك خلافًا للقرارات والاتفاق السـابق. وهكذا لم يبقَ أمل في تعيين قائـد عراقي لقيادة الجيش الأردني، ولا في توحيد الجيشين تحت قيادة عامة عراقية.

شرح حراجة موقف القوة الجوية وطلب معالجته

توسعت القوة الجوية الصهيونية باسـتمرار وظهرت عندهم طائرات من نوع حديث بما فيها القاصفات الثقيلة ذات أربعة محركات. وأصبحت السيادة الجوية بيد العدو، خاصة بعد توقف القـوة الجوية المصرية عن العمل. وبناءً على هذا الموقف المؤلم قدمت رئاسـة أركان الجيش العراقي في 28 أيلول 1948 تقريرًا إلى وزير الدفاع شـارحة موقف القوة الجويـة وطالبة معالجة سريعة للموقف، وقد أرسل وزير الدفاع صورة التقرير إلى مجلس الوزراء.

توقف طيارات إنسن كليًا عن العمل

في 2 تشرين الأول 1948 انفصل جناح إحدى طيارات إنسن مع المحرك والعجلة وهي في الجو فوق مطار المفرق فهـوت إلى الأرض وقتل من فيها. وبعد الفحص تقرر إيقاف الطيران بهـذه الطائرات غير الصالحة فأصبح موقفنا حرجًا جدًا بسـبب تفوق العدو بالجو وتكاثر عدد وأنواع طائراته يقابله توقف طائراتنـا القديمة كليًا عن العمـل لعدم صلاحها للطيران وعـدم وجود أعتدة لطائرات (فيوري) القليلة الموجودة في بغداد، وعليه أرسـلت في 9 تشـرين الأول 1948 تقريرًا إلى وزيـر الدفاع حول موقف القوة الجوية الأخير، وبينت ضرورة ما يلي:

أ - الحصول على عتاد لطيارات فيوري مهما كلفنا الأمر.

ب - مفاتحة الجهات البريطانية ذات العلاقة والتشبث لجلب باقي طائراتنا الفيوري الموقوفة لدى الشركة في إنكلترا، وذلك حسب العقد بيننا وبينها.

ج - التشبث للحصول على طيارات قاصفة ومقاتلة مع أسلحتها وعتادها.

ورجوت إعارة هذه الناحية المهمة ما تستحقه من عناية وإنباءنا بما سيتم بهذا الصدد.

طلبات وزير الدفاع الأردني

1 - في 17/ 11/ 1948 كلمني وزير الدفاع الأردني السيد فوزي الملقي طالبًا إعطاءهم لواءً عراقيًا ليكون احتياطًا عندهم بدلًا من الكتيبة المنوي إرسالها إلى منطقة الخليل. استغربت من هذا الطلب وعرفت الموحي به، وشعرت بالمؤامرة التي تختفي وراءه فبينت، وأنا صادق، عدم وجود قوات احتياطية لدينا ليمكننا الاستغناء عن لواء، وأكدت له استحالة الاستغناء عن أية قوة لإعطائها لهم، وطلبت منه التوقف عن طلبات غير أصولية كهذه بالرغم من معرفتهم سعة منطقتنا، وعدم وجود قوة فائضة عن حاجتنا.

2 - طلب أن يكون الحاكم العسكري العراقي في نابلس مرتبطًا بالحاكم العام الأردني في رام الله، فلم أوافق على ذلك، وبينت ضرورة سيطرة القيادة العسكرية على المنطقة التي تقاتل فيها قواتها.

3 - تكلمنا حول الإدارة في لواء السامرة ورواتب الموظفين المدنيين وضرورة دفع رواتبهم من واردات الجمارك التي تجبيها الحكومة الأردنية.

تقرير عن القيادة العامة

بمناسبة تراجع السلطات الأردنية عن اتفاقها السابق مع السلطات العراقية في توحيد قيادة الجيشين وتعيين قائد عراقي للجيش الأردني، ولأني كنت في شك من نوايا القيادة الأردنية الحالية غير العربية، وكنت أخشى من أهدافها المستورة قدمت تقريرًا إلى وزير الدفاع، شارحًا الأمر ومقترحًا عدم القيام بمحاولات أخرى مع الحكومة الأردنية في موضوع القيادة.

«سري للغاية وشخصي»

معالي وزير الدفاع

الرقم: ح/ 2/ 16/ 72

التاريخ: 24/ 10/ 1948

الموضوع: القيادة العامة

1 - لا يخفى على معاليكم أن في المداولات الأولية التي جرت بين السلطات العليا العراقية والأردنية في موضوع توحيد قيادة الجيشين العراقي والأردني وإيجاد قيادة عامة لهما، تم الاتفاق في حينه على تعيين عراقي لقيادة الجيش الأردني، وقائد عام عراقي لقيادة الجيشين، وعلى هذا الأساس صدرت الإرادة الملكية العراقية المرقمة 604 والمؤرخة 22/ 9/ 1948 بتعييني قائدًا عامًا للجيوش العراقية المرابطة في شرق الأردن وفلسطين علاوة على منصبي الأصلي، وبالإذن لي بتولي القيادة العامة للجيوش الأردنية المرابطة في تلك الأنحاء، وباشرت فعلًا بمزاولة مهام القيادة العامة للجيش العراقي منتظرًا صدور الإرادة الملكية الأردنية التي تخولني حق قيادة القوات الأردنية.

في خلال هذه المدة لمست ترددًا ومماطلة من الجهة الأردنية في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، وأخيرًا عندما جرت المداولة في المقر العالي في عمان بتاريخ 10 تشرين الأول 1948 وتكلم فخامة رئيس الوزارة العراقية في الموضوع مع جلالة الملك عبد الله المعظم بحضور صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم، تفضل جلالته وبين بأنه لا يميل إلى تعيين قائد عراقي لقيادة الجيش الأردني لأسباب، ولكنه يؤيد موافقته على إسناد القيادة العامة للجيشين لي، ومع هذا فإن الإرادة الملكية الأردنية لم تصدر، وبطبيعة الحال لم تكن لي صلة بالجيش الأردني حتى الآن.

2 - لقد بينت وأوضحت سابقًا، وفي مناسبات عديدة، أنه ليس في إمكان الجهة العراقية قبول مسؤولية القيادة العامة والقيام بمهامها بصورة أصولية

ومرضية، لعدم إمكان التفاهم مع قيادة الجيش الأردني، التي تكافح كل مسعى، أو مجهود لربطها بقيادة عليا، وإنها منذ ابتداء الحركات في فلسطين حتى الآن لم تنفــذ أمرًا للقيادة العامة الســابقة، ولم تعمل بوصاياهــا. وإذا أضفنا إلى ما تقدم الشكوك في نوايا تلك القيادة وأهدافها المســتورة بالنظر للنفوذ الأجنبي المسيطر عليها، نجد أن إيجاد قيادة عامة عراقية يدخل بإمرتها الجيش الأردني من الأمور غير العملية وغير المثمرة في مثل هذه الظروف والأحوال، كما أنها في غير صالحنا ما دامت القيادة الأردنية على وضعها المعهود.

3 - أعــرض الأمر على معاليكم للوقوف علــى الوضع والتفضل بعرض ما تقدم على المراجع ذات العلاقة لتكون على علــم به، كما اقترح عدم القيام بمحاولات أخرى مع الحكومة الأردنية بهذا الموضوع.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
القائد العام

حقيقة القيادة الأردنية ونواياها

مع أني كنت غيــر متصل بالجيــش الأردني ولا علم لي عن تشــكيلاته وترتيباته فإن استناد الجناح الجنوبي للجيش العراقي عليه وتأثيره المباشر على موقف الجيش العراقــي لوجودهما في مناطق متصلــة، وعلى خط مواصلات واحد، وخشــيتي من حدوث مفاجآت لا يخبروننا بها فــي حينه، جعلتني كثير الاهتمام بموقف الجيش الأردني، وكان لنا ضابط ارتباط في مقر الفرقة الأردنية في رام الله.

كنت قد علمت بإبقاء الأردنيين ســرية في كل من بــاب الواد واللطرون، وسحب القوات الباقية إلى الخلف للاســتراحة، لأنهم لا ينوون القتال الجدي في حالة استئناف القتال. ولفت نظر المســؤولين الأردنيين للخطر المتوقع من جراء ذلك. وقد فهمتُ أخيــرًا بأن الوضع ما زال كما هــو، وأنهم على رأيهم السابق فقدمت التقرير التالي إلى وزير الدفاع.

«سري للغاية وشخصي»

الرقم: ح/ 2/ 83
التاريخ: 24/ 10/ 1948

إلى معالي وزير الدفاع

الموضوع: الوضع في فلسطين

1 – عند تجوالي في جبهة القتال في أواسط شهر أيلول المنصرم علمت أن في كل من باب الواد واللطرون سرية مشاة أردنية واحدة فقط للدفاع عن هذين الموقعين العسكريين المهمين، واللذين يعتبران مفتاح مواضع منطقة القدس، والطرق المؤدية إليها من الغرب. وعند الاستفار عن سبب وجود هذه القوة الضئيلة والتي لا يساعدها موقفها على الدفاع الناجح، علمت أن باقي القوات التي كانت هناك قد سحبت إلى الخلف لإراحتها، وأنهم لا ينوون الصمود في اللطرون وباب الواد عند استئناف القتال، مع العلم أن القوات الأردنية التي كانت في هذين الموقعين في بدء الحركات صدت هجمات صهيونية شديدة ومتتابعة.

وقد بينت إلى رجال حكومة شرق الأردن المسؤولين في مناسبات عديدة ضرورة تقوية هذين الموقعين المهمين، وإشغالهما بقوات كافية، بقصد الاحتفاظ بهما، ومع ذلك كله فقد علمت أخيرًا أن الجبهة الأردنية لم تتخذ أية إجراءات حتى الآن في هذه الناحية، وبقي الموقف هناك على ما كان عليه وعلى ما فيه من ضعف ينذر بالخطر في أي وقت كان.

2 – إن السلطة العسكرية في شرق الأردن والتي يترأسها الفريق كلوب هي الحاكمة المطلقة، لا تدانيها سلطة أخرى، والذي أفهمه أن السياسة البريطانية إذا لم يكتب لها النجاح في تسيير وتوجيه الدول العربية إلى ما تستهدفه في قضية فلسطين، فإن القيادة العسكرية الأردنية تنفذ ذلك حتمًا

وتجعل الحكومات العربية وجيوشـها في موقف يؤدي بهم إلى عين المقصد والنتيجـة التي تتوخاها السياسـة البريطانية، كما حدث عند اسـتئناف القتال بعد الهدنـة الأولى من ضغـط عندما رفضت الـدول العربيـة تمديد الهدنة الذي أوصت به الحكومة البريطانية عن طريق سـفرائها ووزرائها المفوضين في الحكومات العربية، فسـلمت قيادة الجيش الأردنـي موقعي اللد والرملة المهمين إلـى الصهيونيين من دون أي مقاومة أو خسـائر فـي المهمات، أو الأرواح، إذ إن القيادة الأردنية كانت قد سحبت حامياتها من هذين الموقعين قبل اسـتئناف القتال تاركـة قطعة صغيرة فـي مخفر لا تقوى علـى الدفاع، وبذلك هيأت الأوضاع الملائمة للتسـليم وكانت على استعداد لتسليم أماكن أخرى أيضًا فيما لو استمر القتال، حتى ولو لم تتدخل هيئة الأمم المتحدة في الأمر وتفرض الهدنة الثانية.

3 - إن خطة الفريق كلوب تسـتهدف الانسحاب من فلسطين، وعدم ترك أية قوة أردنية فيها وقد سبق أن قدم تقريرًا إلى الحكومة الأردنية بهذا الموضوع. ولمـا وجد المومأ إليـه أن تقريره لم يـلاقِ قبولًا لتأثيره السـيء على موقف الجيوش العربية وأنه [ولأنه] يضرب القضية الفلسطينية في الصميم علنًا، أخذ يطبق خطته بمراحل وصفحات، فانسحب أولًا من اللد والرملة، وجعل كلًا من اللطرون، وباب الواد مهيأتين [مهيّأة] الآن للتسليم أيضًا.

إني لأرى أنه إذا استؤنف القتال في أي وقت كان سيترك الجيش الأردني اللطرون وباب الواد في أول مصادمة ويسـتولي عليها [عليهما] الصهاينة كما جرى في اللد والرملة، وعندئذٍ سيكون الجناح الجنوبي للقوات العراقية مهددًا ومعرضًا لخطر أكيد، وتـزداد درجة الخطر إذا ما قام الصهيونيون بهجوم جدي في أي قاطع من جبهة الجيش العراقي الواسـعة في الوقت الذي تنسـحب فيه القوات الأردنية.

4 - لا بد لي من الإشـارة هنا إلى أن ضباط الجيـش الأردني ومراتبه قد استبسلوا في القتال وأظهروا من الشـجاعة والجلد ما يستوجب التقدير، وهم بطبيعة الحال غير مسـؤولين عن تصرفات القيادة الأردنية، ولو كانت قياداتهم

المختلفة وقيادة الجيش عربية ومن أبناء البـلاد لكان الوضع والموقف غير ما هو عليه الآن.

5 – أعرض الموقف والوضع على معاليكم لتكونوا على بينة من الأمر.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
القـائد العام

إرادة ملكية

في عصر يوم 24/ 10/ 1948 أخبروني تلفونيًا من القصر الملكي الأردني بأن التشريفاتي السيد هاشم الدباس في طريقه إلى الزرقاء يحمل إرادة ملكية لم أخبر بمحتوياتها. وبعد المخابرة بحوالى نصف سـاعة وصل التشـريفاتي وهو يحمل كتابًا من الملك عبد الله معنونًا إلى عبـاس بك، أي العقيد الركن عباس علي غالـب ضابط ركن القيادة (وذلـك لاعتقادهم بأني سـافرت برفقة الأمير عبد الإله) يطلب مني فـي الكتاب إحضار فوج عراقي لاسـتلام منطقة خربطة [خِرَب يطا] من كتيبة جيـش الأردن. فقلت للتشـريفاتي أن يخبر الملك بعدم إمكاننا تنفيذ الطلب وذلك كما بينت في مناسـبات سـابقة، وسأحضر غدًا إلى عمان لمقابلة الملك، ومباحثته في الموضوع.

وفي اليوم التالي ذهبت إلـى عمان وكلمت الملك عبد الله حول سـعة منطقتنا، وعدم إمكان توسيعها أكثر من ذلك لعدم وجود قوات احتياطية لدينا، واستمرار المصادمات فيها مع العدو.

ثم حضر وزير الدفاع الأردني السـيد فوزي الملقي ومعه الفريق غلوب. ويظهر أنهما كانا موقتين مجيئهما بعد وصولـي. فتحا الموضوع مجددًا فبينت نفس الإيضاحات. وتجـاه إصراري ورفض الطلب قـال الملك موجهًا كلامه إلى وزير الدفاع ورئيس الأركان: «لا تضغط عليهـم. ماذا يعملون إذا كانوا لا يتمكنون من توسيع جبهتهم».

حسب التقارير والمعلومات التي وصلتني أن للقيادة الأردنية في ذلك الوقت قوات في كل من الخليل وبيت لحم وبيت جالا، ولها دوريات من المدرعات على الطريق بين الخليل وبئر السبع وبين الخليل وبيت جبرين كما أن لديهم قوات احتياطية، كتيبة كاحتياط عام مقرها في بني يعقوب، وكتيبة ناقص سريتين في بير زيت وكتيبتين ناقص سريتين في غور التحتا، في الاستراحة.

وعليه أرسلت كتابًا إلى وزير الدفاع العراقي بينت فيه الوضع ورفض الطلب.

«سري للغاية وشخصي»

الرقم: ح/ 2/ 16/ 108

التاريخ: 24/ 10/ 1948

إلى معالي وزير الدفاع

الموضوع: الوضع في فلسطين

إلحاقًا بكتابي السري للغاية والشخصي المرقم ح/ 2/ 16/ 83 والمؤرخ 24/ 10/ 1948 أعرض لمعاليكم ما يلي:

منذ ثلاثة أشهر وقيادة الجيش الأردني تطلب من القيادة العراقية استلام منطقة خربطة [خِرَب يطا] وبعضا [كذا] خربطة وباب الواد واللطرون من القوات الأردنية مبدية شتى الحجج، والأسباب مستفيدة من كل مناسبة ومتوسلة بوساطة المقامات العليا.

إننا نشعر أنه في نية القوات الأردنية الانسحاب من اللطرون، وباب الواد في أول مصادمة، ونخشى كثيرًا على جناحنا الجنوبي، وإن أخذنا منطقة خربطة ليجعلنا في موقف حرج جدًا تصعب معالجته، وإننا كلما جرى البحث أو الطلب في هذا الموضوع بينا عدم إمكاننا القيام بذلك، وشرحنا لهم حدود

إمكانات القوات العراقية العاملة في فلسطين وسعة المنطقة التي تعمل فيها والمحاذير التي تنجم من زيادة منطقة المسؤولية وبعثرة القوات. وعلى ما يظهر أن القيادة الأردنية لا تريد أن تفهم هذا الأمر، ويعز عليها رد طلبها الذي تريد أن تفرضه وهي السلطة التي لا يرد لها طلب.

ففي مساء يوم 24/ 8/ 1948 وردنا كتاب من رئاسة الديوان الهاشمي المرفقة صورته طيًا والموجه إلى العقيد الركن عباس، ظنًا منهم بأني قد سافرت إلى خارج مقر القيادة، والموقع من قبل جلالة الملك عبد الله المعظم يخبرنا فيه بأن القوات الأردنية ستنسحب من منطقة خربطة وسترسل إلى جهات أخرى، ويطلب منا إعداد القوة اللازمة لمحافظة منطقة خربطة بعد أن يتركها الجيش الأردني.

أعرض الأمر على معاليكم للاطلاع وإفهام المراجع ذات العلاقة، مع العلم أنه ليس في وسعنا تلبية مثل هذا الطلب، وقد أفهمنا موظف الديوان الملكي الهاشمي الذي حمل إلينا الرسالة بذلك لإخبار مراجعه. هذا ولقد قام اليهود بالهجوم بمقياس أوسع من المعتاد على الجبهة العراقية في منطقة كفر قاسم ليلة 23/ 10، وعلى أم الفحم صباح يوم 24/ 10، وإن الاستحضارات التي نشاهدها أمام جبهتنا وتنقل قوافل السيارات الكبيرة وتجمعها في مناطق مهمة تشير إلى استمرار وتوسع الحركات في الأيام القادمة.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
القائد العام

الفصل التاسع عشر

حركات النقب الأولى

الخطة المصرية العامة

لقد كانت الحكومة العراقية - استنادًا إلى توصيات رئاسة أركان الجيش - الحكومة الوحيدة التي بينت (قبل خوض الحركات وفي أثنائها) ضرورة توحيد القيادة. وقد أوضحت مبكرًا أهمية هذا العمل وطَلَبَتْ على لسان مبعوثيها السياسيين والعسكريين إنشاء قيادة عامة واحدة للجيوش العربية لكي يتم وضع خطة موحدة للعمل في فلسطين. ولكن الحكومة المصرية انتحلت كافة الحجج للتملص من ذلك وانفردت بالعمل في قاطعها.

لقد ظهر من تتبع الوقائع أن الخطة المصرية كانت كما يلي:

أولًا: تقدم رتل ساحلي من الحدود المصرية إلى غزة والمجدل.

ثانيًا: بعد الوصول إلى المجدل يتفرع هذا الرتل إلى الفروع التالية:

1 - الرتل الساحلي يتقدم شمالًا نحو أسدود.

2 - الرتل الداخلي يسير نحو الشرق ويضع حامية في كل من عراق سويدان، فالوجة، عراق المنشية، بيت جبرين.

إن المطلع على طبيعة تلك المنطقة يعرف أن مساحة شاسعة من الأرض تنتشر فيها القرى الصهيونية شمالًا وجنوبًا قد بقيت سالمة بين المحورين اللذين سار عليهما الجيش المصري، ولم تتعرض لها القوات المصرية المتقدمة.

لقد توقف الجيش المصري في أسدود توقفًا تامًا، ولم يحاول التقدم من هناك ولقد كان على الجيش المصري أن يقضي على القرى الصهيونية في الجنوب، وفي منطقة تقدمه لتأمين خطوط مواصلاته، ولكنه لم يفعل ذلك.

كانت الهدنة في فلسطين اسـمية ولم تنقطع المناوشات والمصادمات في جميع المناطق، وكان الصهاينة لا يأبهون بشروط الهدنة، ولا يهابون من خرقها عندما تقتضي مصلحتهم ذلك.

ولقد اتضح من سـير الحركات في جبهة الجيـش المصري في النقب أن العدو بعـد أن درس موقف القوات المصرية، اسـتعد لحركة واسـعة وأحكم خطته واتخذ ما يلزم من تدابير لتنفيذها. وادعى بأنـه قام بها لفتح الطريق إلى مستعمراته في منطقة النقب لتأمين تموينها.

وقد قام العدو بحركات متفرقة في مناطق الجيوش الأخرى، وخاصة جبهة الجيش العراقي في الوقت ذاته.

الحركات

هاجمت القوات الصهيونية الجبهة المصرية بين المجدل وعراق المنشـية في مختلـف المواقع هجومًا مدبرًا واسـتولت على عدد مـن القرى وطوقت القوات المرابطة في كل من عراق سويدان، فالوجة، عراق المنشية.

قاتلت الحاميات المصرية على انفراد كل فـي منطقتها وكبدت المعتدين خسـائر في الأنفس والمعـدات. ونتيجة اسـتمرار القتال اسـتولى الصهاينة على بعـض الحاميات واتصلوا بالقرى الصهيونية فـي الجنوب وطوقوا حامية الفالوجة.

قامـت القيادة المصرية بسـحب كافة قطعاتها من أسـدود، وبدلًا من أن تجمع قواتها في نقطة الارتكاز وهي المجدل وتعالج الموقف، فإنها انسـحبت من المجدل أيضًـا نحو غزة، وبهذا هيأت للصهاينة الفرصة الثمينة للاسـتيلاء على نقطة الارتكاز للرتل الداخلي الموجود في الفالوجة، فسـيطروا على خط مواصلاته سيطرة تامة. وبقيت القوة المحصورة في الفالوجة، والتي تقدر بلواء كامل موجوده [عديده] 2500 شخص منقطعة الاتصال بالقوة المصرية الأصلية التي انسحبت نحو غزة، وبأية جهة أخرى.

أهمية المجدل

بينا أن المجدل كانت المحور الذي تفرع منه رتلان مصريان، اتجه أحدهما نحو أسدود واتجه الثاني إلى الشرق وتوزع إلى حاميات، وبذلك أصبحت المجدل نقطة الارتكاز لهذين الرتلين والاحتفاظ بها حماية لمواصلات كلا الرتلين ومعاونتهما عند الحاجة، لأنها القاعدة الأمينة والذراع المرنة التي يجب فيها موازنة الموقف والاحتفاظ بها مهما كلف الأمر لسلامة الرتلين، ولكن الذي حدث كان خلافًا لذلك تمامًا.

لا يستبعد أن تكون لدى القائد المصري أسباب مبررة لعمله هذا، لم أطلع عليها ولم أسمع عنها حتى الآن.

برقيات القيادة العراقية إلى القيادة العراقية العامة

1 - في صباح يوم 18/ 10/ 1948 وردت برقية من القيادة العراقية ذكر فيها أن ضابط الارتباط العراقي مع الجيش الأردني في رام الله أخبرهم بهجوم الصهاينة على القوات المصرية ليلة 16-17/ 10، وتمكنهم من احتلال بعض المواقع المصرية، وأن هذا الاحتلال مهد السبيل للقوافل الصهيونية للتقدم نحو النقب. وفي الحال أرسلت ضابط ركن القيادة العامة الأول إلى هيئة الأركان المصرية ليستفسر منهم حقيقة الموقف، فلم يؤيدوا هذه الأخبار.

2 - وقد جاء في برقية القيادة العراقية الثانية رقم 8/ح تاريخ 18/ 10/ 1948، بأن ضابط الارتباط العراقي في رام الله أخبرهم بمهاجمة الصهاينة بيت جبرين، واستمرار المعارك بين الطرفين. وبالنظر إلى انتشار أخبار القتال وعدم إجابة هيئة الركن المصرية على استفساراتنا الشفوية أرسلت لهم البرقية التالية:

«145/ح يرجى إخبارنا عن تطور القتال والوقائع في جبهة جيشكم وفعالية قواتكم الجوية وقوات العدو من حين لآخر، وكلما حدث شيء لإمكان الوقوف على الموقف العام وتطوراته».

ولم نتلقَ أي جواب على هذه البرقية أيضًا.

الاستفسار شخصياً

بينما كنت في المقر العراقي في الزرقاء صبـاح يوم 20/ 10/ 1948 مر من أمام المقر ضابط الاستخبارات المصري الرئيس الأول عصام، خارجًا من هيئة الأركان المصرية. وعند سؤالي إياه شخصيًا عن الموقف في جبهة الجيش المصري، وأسباب عدم إجابتهم على استفساراتنا الشفوية والتحريرية، أخبرني بأن جبهة الجيش المصري جيدة وقوية، ولا يوجـد فيها ما يوجب القلق، إنما يوجد قتال بالقرب من بيت حانون في منطقة غزة، وأنه ذاهب الآن إلى القدس للوقوف على آخر الأخبار عن ذلك القتال.

سفري إلى بغداد

بقيت محتارًا في التوفيق بين أخبار الإذاعات والبرقيات الرسـمية بتردي الوضع مـن جهة، وبين ادعـاء الضابط المصـري وتطمينه عـن متانة الوضع في جبهة جيشـه من جهة أخرى، ولذلك سـافرت جوًا إلى بغداد بقصد إفهام السلطات العليا بالوضع وما يخشى من نتائجه، كما توقعت وأوضحت ذلك في اجتماع الإسكندرية في شهر أيلول 1948 الذي مر بحثه.

مقابلة الأمير عبد الإله

في 21/ 10/ 1948 قابلت الأمير عبد الإله فـي البلاط الملكي وأطلعته على الموقف بقدر ما لدي من معلومات، فتقرر سـفرنا إلى عمان يوم السبت الموافـق 23/ 10/ 1948 للاتصـال بالحكومات العربيـة ومعالجة الموقف حسب الإمكان.

البرقيات الواردة

في 21/ 10/ 1948 وردت إلى القيادة العراقية العامة البرقيات التالية:

برقية الحركات رقم 147/ح تاريخ 21/ 10/ 1948

فيما يلي نص كتاب وزارة الخارجية رقم 20218 تاريخ 20/ 10: «أخبرنا القائم بأعمـــال المفوضية العراقية في القاهرة أنه علم من النقراشـــي باشـــا أن الصهاينة يتحشـــدون في الجبهة المصرية، وقد يقومـــون بهجوم آخر في الأيام المقبلة وأن الوضع متوتر جداً».

برقية القيادة العراقية رقم 58/ح تاريخ 21/ 10/ 1948

«علمنا بأن الأوامر صدرت إلى ممثلـــي الهدنة في مقرهم في حيفا للتهيؤ للانسحاب من فلسطين في حالة توسع الحركات الحالية وعجز هيئة الأمم عن معالجة الموقف». ولقد أخبرت القيادة العامة العراقية وزارة الدفاع بالأمر.

الاجتماع في دار رئيس الوزراء وفي قصر الرحاب

في الســـاعة 17:00 من يوم 21/ 10/ 1948 أخبـــرت تلفونيًا للحضور إلى دار رئيس الوزراء الســـيد مزاحم الباجه جي، فذهبت مع وزير الدفاع السيد شـــاكر الوادي، وكان هناك وزير خارجية سورية السيد محســـن البرازي الذي كان قد وصل جوًا قبل المساء، وذلك بسبب الموقف الأخير في جبهة الجيش المصري. تداولنا في الموقف واطلعنا على بعض المعلومات من السيد محسن البرازي. وبعد الاتصال بالأمير عبد الإلـــه توجهنا إلى قصر الرحاب، واجتمعنا هناك. تقرر الإسراع بالســـفر إلى شرق الأردن والطيران في اليوم التالي الجمعة 22/ 10 بدلًا من يوم الســـبت الـــذي كان قد تقرر ســـابقًا، وأخبرت الجهات المختصة بذلك.

السفر إلى عمان

في 22/ 10/ 1948 ســـافرنا جوًا إلى عمان برفقة الأمير عبد الإله، ومعنا السيد شـــاكر الوادي، والســـيد محســـن البرازي بقصد الاجتماع والتداول مع ممثلي الحكومات العربية الأخرى.

وكانت قد وردت برقية من رئيس وزراء مصر السيد محمود فهمي النقراشي يخبر فيها بعدم تمكنه من المجيء إلى عمان قبل يوم السبت 23/ 10/ 1948 فبقينا في انتظاره.

الاجتماع في عمان

في 23/ 10/ 1948 دعينا إلى القصر الملكي الأردني مع ممثلي الحكومات العربية الأخرى (مصر وسورية). وقد اجتمعنا قبل الغداء في قصر رغدان، وعند سؤال رئيس وزراء مصر عن موقف الجيش المصري الأخير، أجاب أن الجيش المصري يحتفظ بجميع المحلات التي كانت بيده، وأن موقفه حسن ولا صحة للدعايات والإشاعات الصهيونية وما أشبه. فأخذ كل واحد من الحاضرين ينظر إلى الآخر، ولا يدري كيف يعلل هذه الإيضاحات. أهي حقيقية والذي سمعناه سابقًا لا أساس له من الصحة أم أن الرجل لم يطلع على حقيقة الحال ولم تخبره القيادة المصرية بالواقع؟

في الساعة 16:00 اجتمعنا في قصر رغدان وكان الحاضرون الملك عبد الله والأمير عبد الإله ورئيس وزراء مصر السيد محمود فهمي النقراشي وبعض الضباط المصريين، ورئيس وزراء سورية السيد جميل مردم ورئيس أركان الجيش السوري الزعيم حسني الزعيم، ووزير الدفاع العراقي السيد شاكر الوادي ورئيس أركان الجيش العراقي الفريق الركن صالح صائب الجبوري. وبعد مرور فترة صمت من الجميع طلب الملك عبد الله إلى السيد محمود فهمي النقراشي البدء بالكلام. فأجاب «إنني لم آتي لأتكلم، بل أتيت لأسمع». فقال الملك عبد الله لقد اجتمعنا لمعرفة الوضع ولإيجاد حل لمعاونة الجيش المصري بالنظر إلى استمرار القتال في منطقته. فأجاب رئيس وزراء مصر أن الحكومة المصرية لا تطلب معاونة أحد. وأردف قائلًا: لماذا لم تسرع الجيوش العربية لمساعدة الجيش المصري؟ أين الجيش العراقي؟ أين الجيش الأردني؟ فأجابه الملك عبد الله: إنك تتهمنا وأنت تحقر العرب في بيت العرب. ثم غادر الملك الاجتماع لأداء صلاة المغرب. وهنا شعرت بضرورة المصارحة

فتكلمت مخاطبًا السيد النقراشــي ومما قلته: «كيف يمكن للجيوش العربية أن تسرع لمســاعدة الجيش المصري وهي بعيدة عنه بعدًا شاسعًا، ولا نعرف شيئًا عن موقفه الحقيقي. ولقد ســألت مرارًا ضباط هيئة الركن المصرية في الزرقاء عن موقف الجيش المصري والقتال الأخير الدائر في منطقته، فلم أحظَ بجواب لاستفساراتي الشــفوية والتحريرية. وحتى الآن نجهل الموقف الحقيقي بالنظر إلى التباين بين الإشاعات والأخبار، وبين ما ذكره فخامتكم من صمود الجيش المصري في مواقعه».

ثم تقرر الاجتماع في دار الســيد البلبيســي الذي ينزل فيهــا ضيفًا رئيس وزراء مصر، واجتمعنا فعلًا واستمر الاجتماع حتى منتصف الليل، وتم الاتفاق على القيام بحركات مشــتركة لتخفيف الضغط عن الجيــش المصري من قبل الجيشين العراقي والسوري من جهة، والجيشــين المصري والأردني من جهة أخرى. وتم الاتفاق أيضًا على أن يقرر العسكريون في صباح اليوم التالي وقت الشروع بالحركات.

ولكن في صباح اليوم التالي فوجئ المجتمعــون بتبدل موقف المصريين حيث صرح السيد محمود فهمي النقراشي بأنه تلقى معلومات في الليلة السابقة تفيد أن هجوم الصهاينة قد توقف، وأنه لذلــك لا يرتئي القيام بالحركات التي سبق الاتفاق عليها في الليلة الماضية، وأن مصر تريد من جانبها المحافظة على الهدنة. وهكذا رفضت مصر ما أوشــك أن يتم تقديمه من المساعدات الفعلية للتخفيف من حدة هجمات الصهاينة على الجيش المصري.

ومع ذلك فقد بقينــا على اتفاقنا مع الســوريين علــى أن يخبرونا بإتمام استحضاراتهم للقيام بالعمل المشترك. وتفرقت الوفود عائدة إلى بلادها.

رسالة القيادة المصرية

وصلتني الرســالة التالية من القيــادة المصرية بالزرقــاء للمعلومات ولما يمضِ على اجتمــاع عمان الذي طلب فيه رئيس وزراء مصر التمســك بالهدنة وعدم القيام بأية حركة عسكرية ضد الصهاينة، إلا يوم واحد.

من القيادة المصرية بالزرقاء

إلى معالي وزير الدفاع للحكومة الأردنية الهاشمية

إلى صاحب السعادة القائد العام للقوات العراقية

الرسالة الآتية وصلت من معالي وزير الحربية والبحرية المصرية لإبلاغها إلى معاليكم للإحاطة:

أولًا - اليهود ما زالـــوا يهاجمون قواتنا في بيت جبريـــن وفي عدة مواقع أخرى.

ثانيًا - منذ إصدارنا الأوامر للقوات المصرية بإيقـــاف إطلاق النار، انتهز اليهود الفرصة وتسللوا إلى مواقع استراتيجية تتحكم في طريق المجدل - بيت جبرين - الخليل.

ثالثًا - علمنا أن اليهود رفضوا طلب الجنرال رايلي بالعودة إلى أماكنهم.

رابعًا - ظهرت خمس سفن يهودية أمام ساحل غزة - المجدل.

خامسًا - إن لم يصدر نائب الوسيط الأمر فورًا لليهود بالكف عن إطلاق النار والعودة فورًا إلى أماكنهم لتأمين الطريق، فســـنضطر إلى تأمين هذه الطرق بالقوة المسلحة.

في 25/ 10/ 1948 **أميرالاي (أركان حرب)**

(التوقيع)

قيام القوات العراقية بغارات

أخبرتُ القيادة العراقيـــة بالأمر، وطلبتُ قيامهم بغـــاراتٍ في الاتجاهات التي ينســـبونها، وذلك لتخفيف الضغط عن الجيش المصري وجوابًا لهجمات الصهاينة الأخيرة في جبهة الجيش العراقي.

برقية القيادة المصرية بالزرقاء إلى القيادة الأردنية حول طلب قوات معاونة

سري جدًا وعاجل الأهمية

من: القيادة المصرية بالزرقاء 260800

إلى: القيادة الأردنية

السلطات المصرية تقدر حق التقدير إذا كان في إمكان السلطات المسؤولة بشرق الأردن (.) إرسال قوات كافية لمعاونة بيت جبرين لفتح الطريق إلى (.) عراق المنشـية (.) لإمداد القوات المصرية الموجودة هناك (.) السرعة مطلوبة في هذه الحالة (.) الرجاء الإفادة.

أميرالاي (أركان حرب)
(التـوقيع)

جواب وزير الدفاع الأردني إلى القيادة المصرية بالزرقاء

اغتنمت القيـادة الأردنية هذه الفرصة فأرادت التخلي عن قسـم كبير من المنطقة التي تحتلها من جهة، وإحراج موقف الجيش العراقي وإلقاء اللوم عليه من جهة ثانية، وإضاعة الوقت عل المصريين بالتسويف وعدم إجابة طلبهم من جهة ثالثة، فأرسل وزير الدفاع الأردني في اليوم التالي الكتاب الآتي إلى القيادة المصرية بالزرقاء.

المملكة الأردنية الهاشمية

وزارة الدفاع

التاريخ: 27/ 10/ 1948

سعادة أميرالاي أركان حرب سعد الدين صبور بك

القيادة المصرية - الزرقا

بالإشـارة إلى مخابرتكـم 260800 الجاري أثبت فيمـا يلي ملاحظات رئاسة أركان الجيش العربي الأردني حول موضوع تلك الاستخبارات.

لقد اضطررنا بسبب الحوادث الأخيرة في الجبهة المصرية إلى سحب كتيبة من مراكزنا الدفاعية الهامة وإرسالها إلى المنطقة الجنوبية فأشغلت المراكز الآتية بمفارز صغيرة: بيت جالا، بيت لحم، الخضر، برك سليمان، أبو حسان، رأس أبو عمار، بيت نتيف، طريق الظاهرية، بئر السبع.

وعلاوة على ما تقدم فقد أرسلت مصفحتان مع حضيرة مشاة إلى بيت جبرين للمراقبة والمساندة ولم يعد باستطاعتنا إرسال أي قوى غير ذلك حرصًا على مراكز الدفاع في الجبهة الأردنية. ثم إن فتح الطريق إلى عراق المنشية يتطلب قوة كبيرة لا تقل عن ثلاث كتائب ويتعذر تأمين هذه القوة، إلا إذا أمكن للقيادة العراقية استلام مراكز الجيش العربي الأردني في خربطة [خِرَب يطا]، وبيت سيرة، واللطرون، وباب الواد، وبذلك يصبح في إمكاننا تأمين القوة الكافية لتحقيق الأغراض المطلوبة. وإن رئاسة الأركان الأردنية ترجو الاتصال بالقيادة العراقية لبحث هذه الناحية لتبادر القيادة الأردنية بتنفيذ الخطة المقترحة. (انتهى)

وأنتهز هذه المناسبة لأعرب لسعادتكم عن وافر الاحترام.

نسخة – لفخامة رئيس الوزراء الأفخم　　　　وزير الدفاع

نسخة – لصاحب السعادة قائد القوات العراقية الملكية – الزرقاء.

كتاب القيادة العامة العراقية إلى وزير الدفاع الأردني

من المؤسف والمؤلم حقًا أن تعالج الأمور الجدية في المواقف الحاسمة بالغش والمخاتلة، ولكن كان لا بد لنا من الصبر وتدبر الأمور، فأرسلت الكتاب التالي إلى وزير الدفاع الأردني جوابًا لكتابه.

«سري للغاية»

الرقم: ح2/ 16/ 125

التاريخ: 28/ 10/ 1948

إلى– معالي وزير دفاع المملكة الأردنية الهاشمية

كتابكم المكتوم المرقم 5/ 10/ 1571 والمؤرخ 27/ 10/ 1948

لقد بينت لمعاليكم في مناسـبات عديـدة آخرها قبـل يومين وبحضور صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم ورئيـس أركان حرب الجيش العربي الأردني، عدم إمكان تمديد جبهة الجيش العراقي الواسـعة واسـتلام أي قسم آخر من منطقة جيشكم، وقد اقتنعتم في حينه بما أدليت به من إيضاحات، ولما كانت حالة الجيش العراقي لم تتبـدل، ولعدم حصوله على تقويات جديدة في هذين اليومين، فلا زلت عند رأيي السـابق في الموضوع، مع العلم أن الطلبات السـابقة التي كانت لكتيبة واحدة لم نتمكن من تأمينهـا، فبالأحرى لا يمكننا تأمين طلبكم الأخير الذي يتضمن استلام مواضع ثلاث كتائب.

أنتهز هذه الفرصة لأعرب لمعاليكم عن وافر الاحترام.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
القائد العام للقوات العراقية

صورة منه إلى:

معالي وزير الدفاع - مع صورة الكتاب المجاب عليه ومرفقه:

سعادة أميرالاي أركان حرب سـعد الدين صبور بك - القيادة المصرية - الزرقاء.

طلب وزير عراقي للقيام بالاتصالات السياسية

من المعلوم لدى المتتبعين للقضايا العسكرية، وخاصة الحركات الحربية منها بأنه لا يمكن أن يدخل في حسابها اعتبارات العلاقة الشخصية والمجاملات ولا تتحمل الحيل والمخاتلات، بل يجب أن تكون خططها مستندة على قواعد صحيحة وتقديرات صائبة. وبينما يجب أن تكون السياسـة مسـاعدة ومسهلة لأمور القيادة والحركات فإنها كانت متعبة لها ويا للأسف بمداخلاتها المستمرة وعدم اتخاذها شكلًا معينًا معلومًا في حركات فلسطين، وذلك علاوة على كثرة عدد الحكومات ورجال السياسـة واختلاف آرائهـم واتجاهاتهم وقلة القوات

المتيسرة في جيوشـــهم. وكان بعضهم إن لم أقل أكثرهم شاعرًا بما ستؤول إليه نتيجة الحركات، فكان يتحين الفرص لإيجاد المصاعب لغيره لتكون لديه ذريعة لإلقاء اللوم عليه.

ولقد أرســلت البرقية التالية إلى وزير الدفاع العراقــي بينت فيها ضرورة وجود أحد الوزراء العراقيين في عمان ليأخذ على عاتقه الاتصالات السياسية.

برقية خاصة

وقت الانشاء: 2315

يومـــه: 27

مـن: القيادة العامة

إلى: معالي وزير الدفاع

رقم المنشئ 224 –ح.

برقيتكم رقم 249–ح وتاريخ 26 –10 (.) ســعة جبهات الجيوش العربية وتباعدها لا تمكنها [يمكنانها] من معالجة موقف الجيش المصري كما يجب (.) لا مناص من إرسال كل فرد من الجيش المصري إلى منطقة القتال لمعالجة موقفهم (.) موقف العراق وجيشه صريح ومشرف حتى الآن (.) مستعدون لكل تعاون لا يجعل جيشــنا في مأزق (.) دقة الموقف تتطلب الحيطة والحذر وعدم المجازفة بقوة الاحتياط القليلة (.) سلامة منطقة الجيش العراقي حيوية لحركات فلسطين وكل ضعف أو تصدع يحصل فيها لا سمح الله يقضي على القضية بأجمعها (.) من الصعب إفهام هذه الحقيقة إلى أناس لا خبرة عسكرية لديهم (.) وزير الدفاع الأردني وغيره يتحينون الفرص لإيجاد ممسك على الجيش العراقي وإلقاء اللوم عليه (.) أخشى من نتائج دسائس المغرضين وتلفيقهم الحقائق (.) أرى ضرورة وجود أحد الوزراء العراقيين في عمان ليأخذ على عاتقه الاتصالات السياسية.

صالح صائب الجبوري

الفريق الركن

القائد العام

موقف الجيش المصري

علمت بوجود قطعات مصرية مطوقة في بعض الأماكن وخشيت من أن يكون موقف الجيش المصري أسوأ مما بلغنا عنه في رسالة القيادة المصرية في الزرقاء المؤرخة 25/ 10/ 1948 حول مهاجمة الصهاينة القوات المصرية في بيت جبرين، والبرقية المؤرخة في 26/ 10/ 1948 المعنونة إلى القيادة الأردنية (واللتين مر ذكرهما) حول طلب المعاونة من الأردنيين لفتح الطريق إلى عراق المنشية، وخشيت من أن يؤدي ذلك إلى نتائج محرجة، ولذلك أرسلت إلى وزير الدفاع البرقية التالية:

برقية جفرة خاصة

وقت الإنشاء: 2340

يومه: 27

من- القيادة العامة

إلى- معالي وزير الدفاع

رقم المنشئ 225-ح

تكتم الحكومة والقيادة المصرية حتى الآن جعل موقف قطعاتهم في غموض (.) يظهر أن تصريحاتهم بتحسن الموقف غير حقيقية (.) علمت مساء اليوم بوجود قطعات مصرية مطوقة من قبل اليهود منذ أول خرق للهدنة في عراق المنشية يصعب جدًا الاتصال بها برًا (.) أخشى أن تكون هناك قطعات مصرية مطوقة في محلات أخرى لا يمكن تخليصها، وعندئذٍ ينهار الموقف العسكري في المنطقة المصرية مرة واحدة ويجعل موقف الجيشين العراقي والأردني في مأزق (.) يرجى الاطلاع والاتصال مع الحكومات العربية الأخرى للاجتماع ومعالجة الموقف فورًا.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
القائد العام

المناوشات والحركات في جبهة الجيش العراقي

لم تنقطع المناوشات والمصادمات في جبهة الجيش العراقي، وقد قام العدو بعدة حركات باءت كلها بالفشل بسبب يقظة القوات العراقية وتهيؤها للقتال.

وأدرج في أدناه باختصار بعض الحوادث التي وردت في برقيات القيادة العراقية:

أ - هاجم العدو أم الفحم يوم 17/ 10/ 1948 وصد بهجوم مقابل.

ب -قام رف للعدو بالطيران فوق منطقة قلقيلية.

ج - حاولت قوة معادية الاقتراب من مواضعنا في منطقة كولا يوم 18/ 10/ 1948 فصدت.

د - شوهد يوم 22/ 10/ 1948 رتل للعدو يقدر بمئة وخمسين سيارة قادمًا من الشمال مارًا برأس العين إلى بيتح تكفا.

هـ - رمى العدو قلقيلية وجلجولية وقلنسوة بالمدفعية.

و - شاهد الفوج الأول للواء الأول يوم 22/ 10/ 1948 ثلاثمائة سيارة للعدو متجهة بثلاثة أرتال نحو رأس العين.

ز - هاجم العدو يوم 23/ 10/ 1948 مواضع كفر قاسم، وكولا، وبيارة السكة، وبيارة المختار، وربايا دير بلوط الشمالية الغربية بقوة 400 شخص تسندهم الرشاشات الثقيلة والهاونات والمدفعية والمصفحات، وكان اتجاه الهجوم من رأس العين والمعسكر البريطاني والمجدل. فشل الهجوم وأجبر العدو على التراجع.

بلغت خسائر العدو 50 قتيلًا وعددًا من الجرحى و47 عجلة أصيبت بأضرار من تأثير المدفعية.

ح - قام العدو بهجوم علـى أم الفحم يوم 24/ 10/ 1948 فصد الهجوم بعد أن طـردوا من المواضع التـي احتلوها، وذلك بالهجـوم المقابل من قبل السرية التي عقبتهم. وقد أرسل جحفل اللواء الرابع قوة لنجدتها.

ط - تم احتلال تل الأسمر من قبلنا يوم 25/ 10/ 1948

ي - تمكن العدو بهجومه الذي شـنه الساعة 1:00 يوم 28/ 10/ 1948 على الربايا الجنوبية في كفر قاسـم من احتلالها، وقد قام احتياط الفوج الأول للواء الأول بهجوم مقابل واستردها الساعة 11:00.

ك - هاجـم العـدو تـل جنفيـش بشـدة مسـندًا بكافة الأسـلحة يوم 29/ 10/ 1948 فصد بخسائر فادحة.

جيش الإنقاذ

تجمعت أفواج المتطوعين من العراق وسورية ولبنان تحت إشراف اللجنة العسكرية الدائمة في دمشق، وتألف منهم جيش الإنقاذ الذي احتوى على عدة أفواج، وكان بالإمكان زيادة عدد الأفواج بسبب كثرة المتطوعين. وقد تسللت هذه الأفواج إلى مناطق مختلفة من فلسـطين بفترات اعتبارًا من شـهر كانون الثاني سـنة 1948. وكان المأمول أن تلعب هذه القوة دورًا مهمًا في حركات فلسـطين وتؤازر الفلسـطينيين مؤازرة فعالة، كما آزرت الصهاينة التشكيلات الصهيونية المسماة هاغانا، شتيرن، وأرغون، ولكن ظهر بعد ذلك أن قوة جيش الإنقاذ لم تستخدم الاستخدام الصحيح.

انسحاب جيش الإنقاذ من فلسطين إلى لبنان

كان جيش الإنقاذ يعمل في شمال فلسـطين في جبهة الجيش اللبناني في منطقة الجليل. وفي 30 تشرين الأول 1948 وصلت أخبار إلى القيادة العراقية العامة من دمشق بقيام الصهاينة بهجوم شـديد على جيش الإنقاذ واضطره إلى

الانســحاب إلى الأراضي اللبنانية تاركًا فلســطين نهائيًا. وقد علمنا بعد ذلك باحتلال الصهاينة بعض القرى اللبنانية أيضًا.

كانت هذه الحركات الصهيونية مفاجئة وســريعة، ولم نســمع بها إلا وهي منتهية وجيش الإنقاذ قد انسحب من فلسطين واستقر في داخل الأراضي اللبنانية.

تحرج الموقف في فلسطين

بنتيجة الحركات التعرضية الواســعة النطاق التي قام بهــا الصهاينة، رغم وجود الهدنة، في كل من منطقة النقب في القســم الجنوبي من فلســطين ضد القوات المصرية، وفي منطقة الجليل في القسم الشمالي من فلسطين ضد قوات جيش الإنقاذ فإنهم تمكنوا من:

1 - إجبار القوات المصرية على الانســحاب وعزل قسم منها في جيوب متباعدة وفتح الطريق إلى النقب.

2 - الاتصال بمستعمرة البوتاس برًا من جنوب بحر الميت.

3 - إخراج قوات جيش الإنقــاذ من الأراضي الفلســطينية ودحرها إلى داخل الأراضي اللبنانية.

في الوقت الــذي كنا نؤمل فيه القيــام بعمل جدي ذي أثــر على مجرى الحركات بالاشــتراك مــع الجيوش العربيــة الأخرى، فإن الانتــكاس الأخير غير المنتظر الذي أصاب الجبهتين الجنوبية والشــمالية فت في عضدنا. وعدا عن أنه أضعف الأمل في تحسُّــن الوضع، فإنه أحــرج موقفنا إلى حد بعيد، إذ أصبح الجيشان العراقي والأردني في فلسطين محاطين بالقوات الصهيونية من ثلاث جهات الشمال والغرب والجنوب، أما الجهة الرابعة وهي الشرقية، فإنها أصبحت مهددة أيضًا من الشمال والجنوب[1].

---

(1) للاطلاع على وجهة نظر رئاســة الأركان الأردنية عن هــذه الحركات راجع كتاب جندي مع العرب تأليف الفريق غلوب، المطبوع بالإنكليزية والمترجم إلى العربية في بيروت.

الفصل العشرون

تحشد القوات الصهيونية لمهاجمة الجيش العراقي

بعد تصدع الجبهة المصرية وتطويق قسم من قواتها في أماكن مختلفة في الجنوب، وإجبار جيش الإنقاذ على الانسحاب من الأراضي اللبناني في الشمال، ازداد الموقف تحرجًا، ولم يبقَ أمام القوات المعادية إلا الجيش العراقي والجيش الأردني في وسط فلسطين. وقد سبق أن بينت رأيي في القيادة الأردنية ونظرتها إلى الحركات في فلسطين.

لقد توقعت قيام الصهاينة بحركات ضد الجيش العراقي وقررت لزوم التهيؤ لمواجهة المواقف المحتملة واتخذت بعض التدابير لبعض الاحتمالات. وبينما كان هذا الأمر يشغل بالي وصلتني أخبار عن نية الصهاينة القيام بحركات واسعة من جهة بيسان من الشمال ومن جهة البحر الميت من الجنوب. لتطويق القوات العربية (العراقية والأردنية) من الخلف ومهاجمتها من الجبهة في آنٍ واحد، لأنهم يريدون إخراج الجيوش العربية من فلسطين بالقوة ليضعوا هيئة الأمم المتحدة تجاه الأمر الواقع.

وعلمت بوجود عدة زوارق بخارية لدى الصهاينة في مشروع البوتاس في جنوب البحر الميت، ويمكنهم استعمالها لإنزال بضع مئات من الجنود إذا أرادوا القيام بحركة إنزال في شمال البحر الميت، وبالقرب من منطقة جسر اللنبي، وذلك لمهاجمة طريق المواصلات الوحيد للجيشين العراقي والأردني وعرقلة السير عليه.

كنت أشك في قيام الصهاينة بحركة من الجنوب من البحر الميت بمفردها، لأسباب عديدة، وكنت أرجح قيامهم بحركة من منطقة بيسان نحو الجنوب بقصد تطويق الجيش العراقي.

برقية ضابط الارتباط السوري

في 31/ 10/ 1948 أرسل لنا ضابط الارتباط السوري البرقية التالية:

«أخبر فوزي القاوقجي بأنه شـوهد يوم 30/ 10 حوالى السـاعة 10:00 رتل مؤلف من مدرعات ودبابات وسـيارات يخرج من نهاريا باتجاه ترشيحا، وكان طول هذا الرتل حسب إفادة ضابط الرصد من الجيش اللبناني في الناقورة يقرب من تسـع كيلومتر [تسـعة كيلومترات]. عندما كان رأس هذا الرتل في جوار ترشـيحا كانت مؤخرته قرب نهاريا، وقد أيد هـذا الخبر ضباط المراقبة الذين حضروا إلى مقر فوزي، وقد اشـتبكت مؤخرة قـوات فوزي القاوقجي في ترشيحا مع مقدمة هذا الرتل، ولم يتأكد بالضبط اتجاهه، ويحتمل أن يكون صفد تجاه الجبهة السـورية، أو جنوبًا نحو العفولة وطبريـة فتكون أهدافه في ميمنة ومؤخرة الجيش العراقي».

برقية القيادة العامة إلى القيادة العراقية

وبالرغم من وجود فوج شـرطة عراقـي في وادي المالـح على الطريق المؤدي إلى بيسـان لمجابهة كل احتمال، أخبرت القيادة العراقية بالمعلومات، وأرسلت البرقية رقم 392-ح تاريخ 31/ 10 التالية:

«نجلب انتباهكم إلى احتمال نزول رتل آلي قوي من بيسان نحو الجنوب لإحاطتكم من الخلف وتهديد طريق مواصلاتكم، لا يتمكن فوج الشـرطة في وادي المالح من صده. نرى وضع فوج في موضعٍ تنتخبونه شـمال خط جسر دامية - جفتلك».

برقية آمر رتل المجامع

في 1/ 11/ 1948 وردتنا برقية من آمر رتل المجامع عن تحركات العدو كما أخبرونا من سـورية بمرور مئتي سـيارة أو أكثر من صفد إلى طبرية، ومن الناصرة إلى طبرية.

وعلى هذا أرسلت القيادة العامة إلى القيادة العراقية البرقية رقم -402/ح تاريخ 1/ 11 التالية:

«وردتنا البرقيـــة التالية من آمر رتل المجامع . تبدأ . من الســاعة 19:00 حتى الآن تتحرك حوالى 200 ســيارة من طبرية إلى مســتعمرة [مستعمرتي] أشدوت ياكوف، وأفاكيم ولا تزال مستمرة. رمينا عليها بالمدفعية وأصبحت في حالة مرتبكة، وأخذ اليهود يوجهون علينا الأنوار الكاشفة لاعتقادهم أننا قائمون بحركــة عبور لضرب القافلة. انتهــت. يعتقد أن هذه القــوة الآلية التي وصلتنا أخبار عن نيتها القيام بحركة ســريعة من بيســان نحو الجنوب. يجب الإسراع بوصول الفوج وبعض الأسلحة الساندة معه إلى شمال جسر دامية. أنبئونا».

التدابير الاحتياطية والتهيؤ للقتال

أرسلت القيادة العامة إلى مديرية الحركات في بغداد البرقية رقم 403/ج تاريخ 1/ 11 التالية:

«أتوقع قيام العدو بحركات واسعة نحو منطقتنا ليلة $_{1/2}$/ 11 أو صباح يوم 2/ 11 وذلك لمشــاهدة قوات آلية كبيرة تتحرك من طبرية نحو بيسان. نطلب إرســال رف س فيوري إلى الشام صباح يوم 2/ 11». ولقد وصلت فعلًا ثلاث طائرات فيوري من بغداد إلى الشــام للبقاء هناك متهيئة للتعاون حسب الأوامر التي تصــدر إليها. كما أصدرت القيــادة العامة أمرًا إنذاريًــا إلى جحفل اللواء الخامس، وطلبت تهيئة فوج مشــاة وبطارية مدفعيــة للحركة بعد صدور الأمر إليهما بساعة».

أرســلت القيادة العراقية جحفل فوج من اللواء الثالث إلى منطقة جســر دامية واحتل موضعه حسب طلب القيادة العامة للسيطرة على الطريق المار من بيسان نحو الجنوب. وكان جحفل الفوج المذكور يتألف من فوج مشاة وبطارية مدفعية ومدفعين عيــار 6 أرطال ضد الدرع ومدفع ضد الجو وفصيل هندســة ومفرزة صحية ورعيل مدرعات.

وهكذا وقفت القوات العراقية على أهبة الاستعداد والتهيؤ للمعركة وجاهزة للاشتباك والقتال في أي لحظة.

تهيئة جسر الشيخ حسين للنسف

في 4/ 11/ 1948 وبعد أن تأكد اللواء الأردني عبد القادر الجندي من وجودي في مقري في الزرقاء قدم لمواجهتي وأخبرني بموافقة الملك عبد الله على تهيئة جسر الشيخ حسين للنسف عند الحاجة، وطلب رأيي في الموضوع فلم أعارض في ذلك لأن الجسر يصل أراضي الأردن بالأراضي الفلسطينية، وهو ضمن مسؤولية الجيش الأردني.

وفي الحقيقة لم أحاول معرفة القصد من هذه الأخبار. كما لم أهتم بالشائعات القائلة بعبور العدو من جسر الشيخ حسين وإجراء حركاته من ضفة نهر الأردن الشرقية.

تحرشات العدو

1 - في يوم 5/ 11/ 1948 تقدمت سيارة مصفحة معادية من أشدوت ياكوف إلى كيشر، واقتربت إلى جسر المجامع، ورمت بالرشاشات الربيئة الأمامية، وعاونتها الربايا الصهيونية المجاورة لجسر المجامع، وظهر حوالى 50 جنديًا صهيونيًا من أبنية كيشر محاولين الدخول إلى مواضعهم، ففتح رتل المجامع النار عليهم فتراجعوا بعد أن تكبدوا خسائر.

2 - في الساعة 13:00 من يوم 6/ 11/ 1948 وصلت حوالى 60 سيارة معادية من طبرية، وتوزعت على مستعمرات أشدوت ياكوف وأفاكيم وسمخ.

3 - في الساعة 18:30 من يوم 7/ 11/ 1948 اقتربت خمس سيارات مسلحة إلى جسر الشيخ حسين وفتحت النار على المخفر الأردني فأرسل آمر رتل المجامع العراقي رعيل مدرعات لنجدته. وفي الوقت نفسه فتحت الربايا الصهيونية نيرانها من كيشر على رباياناا في المشروع وقوبلت بالمثل.

4 – في الساعة 16:00 من يوم 8/ 11/ 1948 فتح العدو نيران مدفعيته (يعتقد أنها من عيار 25 رطلاً) من منطقة كيشر وأشدوت ياكوف على مواضعنا في معاد، وعلى مواضع المشروع والشونة والطريق بين الشونة والمشروع والعدسية والمنشية، واستمر الرمي حتى الساعة 17:20 وحاولت سرية معادية العبور إلى مخفر العدسية إلا أنها صدت.

5 – في يوم 9/ 11/ 1948 تحركت حوالى 120 سيارة معادية من عين هارود إلى رتل يوسف، وعند وصولها طريق بيسان – العفولة العام اتجهت ستون منها إلى بيسان والباقي إلى العفولة.

أخبار آمر رتل المجامع

في الساعة 11.00 من يوم 10/ 11/ 1948 أخبرني تلفونيًا آمر فوج الشرطة العراقي في منطقة جسر المجامع بما يلي:

1 – استلم المراقبون الدوليون برقية سرية من حيفا بنية الصهاينة القيام بحركة في هذه الليلة أو غدًا ويتوقع إرسالهم قوة إلى الجنوب نحو جسر دامية من الضفة الشرقية.

2 – أرسل المراقبون الدوليون مراقبًا إلى العدسية وآخر إلى المخفر في الربيئة الأمامية من جبهته.

3 – وصلت أربع فصائل أردنية مع فصيل هندسة إلى منطقة جسر المجامع وأخذت مواضع في جنوب المواضع التي يشغلها فوجه.

4 – أعد الأردنيون جسر الشيخ حسين للنسف وسيعدون محلات أخرى للنسف أيضًا. وأخبرني أيضًا أنه شاهد حركة غير اعتيادية في جنوب بيسان.

تزويد القيادة العراقية بالمعلومات وتقوية المنطقة

أخبرت القيادة العراقية في نابلس بما أخبرني به آمر رتل المجامع وبما عندي من معلومات حول حركة العدو المحتملة التي كنا نتوقعها منذ أيام.

وعلى هذا الأساس أصدرت القيادة العراقية أمرًا بحركة الفوج الثالث للواء الثالث في الليلة نفسها إلى منطقة طوبان مع بطارية مدفعية، وجعلت الجحفل الثالث مسؤولًا عن إدارة الحركات في منطقة وادي المالح-جفتلك.

وبناءً على طلب القيادة العامة أرسل جحفل اللواء الخامس سرية مع بنادق ضد الدبابات لاحتلال مواضع على الضفة الشرقية لجسر دامية.

وهكذا كنا متهيئين ونأمل التغلب على العدو، وتكبيده خسائر جسيمة إذا حاول القيام بحركته.

الاستنتاجات

يظهر أن خطة العدو كانت جمع قواته في طبرية مستفيدًا من ستر البحيرة لحركات التجمع والقيام بحركة من هناك نحو الجنوب، ولكن يقظة القوات العراقية في منطقة جسر المجامع ورميها القوات المعادية بالمدفعية ليلًا، وإرباكها قبل قيامها بأية حركة أفسدت على العدو خطته السرية، وأضاعت عليه فرصة المباغتة وهي عامل مهم في خطته هذه.

أنا لا أشك أبدًا بأن العدو وصلته أخبار استعدادنا للقتال من بعض المصادر التي تسنده في الخفاء، وهي في الحقيقة والواقع كما يقول المثل: (حاميها حراميها).

زد على ذلك خبرته السابقة في قتال القوات العراقية التي تكلفه كثيرًا إذا جازف في الاشتباك معها.

ولهذه الأسباب وغيرها لم يقم العدو بحركة واسعة بل قام ببعض حركات جس النبض والاستطلاع التي لم ينجح فيها كليًا. وأجبر على العدول عن الحركة الجسيمة التي كان عازمًا على القيام بها[1].

(1) للاطلاع على وجهة نظر الفريق غلوب عن هذه الحركات راجع كتابه الحرب في الصحراء المنشور في لندن عام 1960.

الفصل الحادي والعشرون

إنقاذ القوة المصرية المحاصرة في الفالوجة

بينما نحن في موقفنا الدقيق المار ذكره في الفصل السابق واقفين وجهًا لوجه مع القوات المعادية التي تستعد وتتحشد لمهاجمتنا من منطقة بيسان نحو جسر دامية بقصد إحاطة القوات العراقية من الخلف وقطع خط مواصلاتها، حضر ظهر يوم 12 تشرين الثاني 1948 الزعيم الركن المصري سعد الدين صبور ومعه عقيد ومقدم مصريان قادمين من القاهرة، وسلموني رسالة من وزير الدفاع العراقي السيد شاكر الوادي الموجود في القاهرة مع السيد مزاحم الباجه جي رئيس الوزراء واللواء الركن إسماعيل صفوت معاون رئيس أركان الجيش، يبين فيها ضرورة تخليص القوة المصرية في الفالوجة من الحصار وتخصيص ما يمكن من القوة العراقية للمساهمة في فك الحصار عنها.

نص رسالة وزير الدفاع العراقي:

سري ومهم للغاية

القاهرة

1948/11/11

الفريق الركن صالح صائب

يتطلب الموقف السياسي والعسكري عمل كل ما يمكن لإنقاذ القوة المصرية المحصورة في الفالوجة (.) أظهر الجيش السوري استعداده الفوري لإرسال فوجين وبطريتين [بطاريتين]، وكذلك الجيش الأردني بتخصيص كتيبة واحدة على أن يضاف إليها ما يتيسر من القوات العراقية تؤلف جميعها رتلًا ضاربًا بقيادة عراقية (.) تتجمع هذه القوة في أريحا أو في محل آخر تنسبونه وتتحرك إلى بيت لحم - الخليل - بيت جبرين - الفالوجة لفك الحصار عن

القوات المصرية المقدرة بألفين وخمسمائة والرجوع بها إلى بيت لحم (.) ستقوم الطائرات المصرية المتيسرة بالتعاون مع هذا الرتل (.) أنبئونا رأيكم وإمكانياتكم لتحقيق هذا الاقتراح الذي يعتبر على جانب عظيم من الخطورة والأهمية للمحافظة على تماسك الدول العربية (.)

أنتظر جوابك مع حاملها.

وزير الدفاع

إنه حقًا لموقف محرج غاية الإحراج. ومع هذا فقد وافقت على إعطاء الفوج الاحتياطي الوحيد مع بطارية مدفعية للاشتراك في حركات الإنقاذ، وذلك لتأمين تماسك الدول العربية وعدم فسح المجال للمغرضين والمتصيدين في الماء العكر من الحصول على حجة لبذر بذور التفرقة وزيادة شقة الخلاف بيننا وبين مصر.

ونظرًا إلى رغبة الطيار المصري في العودة إلى القاهرة في اليوم نفسه، أرسلت إلى وزير الدفاع الجواب حالًا وسلمته إلى الطيار.

نص الجواب على رسالة وزير الدفاع

سري للغاية وشخصي

الزرقاء

1948/11/12

الساعة 13:30

معالي وزير الدفاع

كتابكم السري والمهم للغاية المرسل مع الطيار المصري، والذي تسلمته اليوم في الساعة 12:30.

1 - أقدر ضرورة القيام بعمل لإنقاذ القوة المصرية المحصورة في

الفالوجة. أمـا موقف الجيش العراقـي فكما هو معلوم لـدى معاليكم دقيق جدًا، وإن جبهته الواسعة غير متناسـبة مع قواته، ونتوقع قيام حركات عدائية نحو منطقتنـا بقوات فائقة في أي وقت، وذلك بالنظر إلى التحشـدات القائم بها العدو في الأيام الأخيرة، وإلى مـا يذيعه، وما يقوم به من التمهيدات حتى الآن.

2 - لقد أدخلت الاحتياطات المحلية في مواضعها كما سـحبنا فوجًا من الاحتياط العام وأرسـلناه إلى منطقة جسـر دامية لمجابهة الحركات التعرضية المتوقعة، والتي نشـك في إمكان صدها. ولـم يبقَ في يد القيـادة العامة من احتياط لمعالجة المواقف الطارئة، سـوى فوج واحد قائم بواجب حماية خط المواصلات، ومنطقة جسر اللنبي وأكداس خط المواصلات في الشونة، إلا أنه بالنظر إلى الاعتبارات الواردة في كتابكم المشار إليه وإلى عدم إفساح المجال للمغرضين في إلقاء اللوم على العراقيين، نوافق مرغمين على إعطاء هذا الفوج للاشـتراك في هذه الحركة، ولا أخفي قلقي من حـدوث حركات تعرضية في جبهتنا عند القيام بهذه الحركة أو قبلها.

3 - لم يشـاهد أحد مـن العراقيين حتـى الآن المنطقة المنـوي إجراء الحركات فيهـا، وعليه أرى أن تسـند القيادة إلى المصرييـن الذين لهم خبرة واسـعة في تلك المنطقة منذ ابتداء الحركات، وعلـى كل حال أحبذ أن تكون القيادة غير عراقية.

4 - حسب اعتقادي إن القيام بهذه الحركة يتطلب قوة لا تقل عن لواءين كاملين (إن لم أقل فرقة كاملة) مع الأسـلحة الساندة لها من جميع الأنواع، بما فيها أسلحة ضد الدروع بكثرة، وعليه أشك كثيرًا في نجاحها بالقوات التي جاء ذكرها في كتابكم.

5 - لضيق الوقـت لم أتمكن من بيان ملحوظاتـي بالتفصيل، لأن الطيار ينوي العودة إلى مصر اليـوم، وينتظر أخذ الجواب بسـرعة. وعليه أكتفي بما ذكرته أعلاه في الوقت الحاضر.

6 – يرجى تنويري بما تم وما سـيتم من القرارات في اجتماعاتكم لنكون على بينة من الأمر.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
القائد العام

إعارة الطائرات الثلاث فيوري الموجودة في دمشق إلى القوة الجوية المصرية

ليت الأمر وقف عنـد حد بقاء القيادة العامة العراقيـة بدون قوة احتياطية في موقفها الدقيق تجاه تحشـدات وتحرشـات القوة المعاديـة. فلقد وردت إلى القيادة العامة العراقية في اليوم نفسـه، أي 12 تشـرين الثاني 1948 برقية مـن وزارة الدفاع في بغداد تتضمن موافقة رئيس الـوزراء والوصي على إعارة الطائرات الثلاث (فيوري) الموجودة في دمشـق إلى المصريين وإرسالها إلى مطار ألماظة في القاهرة.

وفي أدناه نص البرقية الواردة:

من معالي وزير الدفاع

إلى القيادة العامة

وقت الإنشاء: 13:00

يومه: 12/ 11/ 1948

سعادة رئيس أركان الجيش

«رقم المنشـئ 281/ د (.) فيما يلي برقية فخامة رئيس الوزراء في مصر إلى فخامـة وكيله في العراق (.) تبدأ (.) مع الأسـف الكثير وجدت الدعاية الباطلة قد أثارت شـعورًا يكاد يكـون إجماعيًا يؤدي اسـتمراره حتميًا إلى إضعاف الصلات الحسـنة بين العراق ومصر (.) نشـأ ذلك بعد الانتكاسات

الأخيرة التـي أصابت الجيـش المصري في فلسـطين وعدم قيـام الجيش العراقي بحركات عسـكرية (.) يظن خطأ أنها كانت داخل نطاق إمكانياته (.) زيارتي لمصر كانت ضرورية جـدًا (.) أخذت أبدد غيـوم التهم والدعايات المعادية وصار التحسـن في الوضع ملموسًـا إلى حد ما (.) إنقاذًا للموقف بمسـاعدة المصريين في تخليص قطعاتهم المطوقة في الفالوجة ونزولًا عند طلب الحكومـة المصرية وإصرارها قررنا بالاتفاق مـع وزير الدفاع ومعاون رئيس أركان الجيش إعارة الثلاث طائرات فيوري الموجودة في الشام خلال مدة تخليص القطعات المصرية المذكـورة للتعاون مع القوة الجوية المصرية لهذا الغرض (.) ستكون إعارة الطائرات بدون عتاد (.) اتصلوا بسمو الوصي وبعد موافقته على القرار اعملوا اللازم لإرسـال الطائـرات الثلاث فورًا إلى مطار ألماظة في القاهرة، كذلك أرسـلوا ثلاث طائـرات نقل لأخذ عتاد من مصر لطائرات فيوري الموجودة فـي بغداد (.) أبرقـوا (.) علمنا موثوقًا أن الحكومة السعودية أرسـلت قوة مؤلفة من (4000) جندي تصل اليوم دمشق في طريقها إلى الجبهة المصرية من عمان كذلك علمنا أن الحكومة السـورية قررت إرسـال فوجين بطريق عمان لنفس الغـرض (.) اجتمع معاون رئيس أركان الجيش مع الجهات العسـكرية وغيرها لـدرس الوضع وإمكان توحيد القيادة والتعاون وفق إرشادات وزير الدفاع (.) سنبرق إليكم عما نتوصل إليه من نتائج بعد انتهاء اجتماعاتنا (.) انتهت (.) وافق سـمو الوصي على إرسال طائرات فيوري الثلاث على أن تسـتخدم مـن قبل الطياريـن العراقيين (.) نرجو إصدار الأوامر اللازمة لتنفيذ ذلك وإنباءنا (.) سنرسـل طائرات النقل المطلوبة (.) أنبئونا».

لا أدري كيف يتمكن قائد في أي جيش من السيطرة على القتال ومعالجة المواقـف الطارئة إذا لم تكن لديه قـوة احتياطية وقوة جويـة على قلتها، ولو وجدت قيادة عامة مطاعة للجيوش العربيـة لعملت على معالجة مواقف كهذه بعقل وتبصر، ولم تتـرك الأمور إلى مداخلة بعض السياسـيين الذين يجهلون مغبة مداخلاتهم وأعمالهم الارتجالية في الأمور العسكرية.

ورغم ما في هذا العمـــل من أخطار ومجازفات، فقد أرســـلت الطائرات المطلوبة إلى القاهرة.

مكالمة الزعيم حسني الزعيم والاجتماع معه في درعا

فـــي ليلـــة 13/ 11/ 1948 كلمني الزعيم حســـني الزعيـــم رئيس أركان الجيش الســـوري تلفونيًا من دمشـــق، وأخبرني بوصوله ذلك اليـــوم عائدًا من اجتمـــاع القاهرة، ورجا أن نجتمع في اليوم التالي فـــي درعا لتبادل المعلومات فوافقت على ذلك، وفي اليوم التالي تحركت إلى درعا حســـب الموعد، وكان الزعيم حســـني الزعيم بانتظاري عند الحدود الأردنية السورية، اجتمعنا في دار محافظ درعا، ومن جملة ما أخبرني به الزعيم حسني الزعيم عن اجتماع القاهرة الأخير النقاط التالية:

1 – وعدهم بإرســـال فوجين مـــع القوة المنوي إرســـالها لتخليص القوة المصرية المحصورة في الفالوجة. وتشـــكى كثيرًا من إصرار السيد جميل مردم علـــى إعطاء فوجين من الجيش الســـوري بينما موقفهم لا يســـاعد على ذلك، وتذمر من مداخلة السياسيين وإعطائهم القرارات قبل أخذ رأي العسكريين.

2 – إن هم المصريـيـــن الوحيد هو تخليص القـــوة المحصورة، وإنهم لا ينوون الاشتغال بعدئذ في فلسطين.

3 – إن اللجنة السياســـية لجامعة الدول العربية لـــم تتخذ أي قرار بنتيجة اجتماعاتها.

وعند استفساره عن مقدار القوة التي ســـنخصصها للاشتراك في تخليص قوة الفالوجة بينت له صعوبة ودقة موقفنا الذي يعرفه هو بصفته عســـكريًا ولا يخفى على المتتبعين والمطلعين على الحركات في فلســـطين، ومع هذا وعدنا بتقديـــم فوج مع بطاريـــة مدفعية وهذا كل مـــا نملكه من الاحتيـــاط وطائرات الفيوري الموجودة في دمشق.

اجتماع مندوب كل من الجيش العراقي والمصري والسوري

في 16/ 11/ 1948 اجتمــع في الزرقاء اللواء الركن العراقي إســماعيل صفوت والزعيم الركن المصري ســعد الدين صبور والعقيد الســوري محمود الهندي للمداولة حول حركة قوات إنقاذ الفالوجة وتوجيه العمل حســب رغبة وملحوظات قائد الحركة الزعيم الركن صبور.

وقبل المساء جاءوا لزيارتي، فسمعت الزعيم الركن صبور يبين ملحوظات صريحة ويذكر الأخطار المحيطة ويبدي تخوفه مــن حكومته وقد وجه كلامه إلى العقيد الســوري محمود الهندي وقال له بحدة وتأثر إن السيد جميل مردم هو الذي عقد الوضع بتقديمه فوجين لا قابلية حربية لهما، ولولاه لقمنا بعملية إخراج حامية الفالوجة بتسللها وتدمير الأسلحة الثقيلة وانتهى الأمر.

وبعد ذلك ذهب الزعيم الركن صبور لمواجهة الأردنيين والمداولة معهم في الموضوع.

طلب الفوج العراقي

في صباح يــوم 17/ 11/ 1948 وصلني كتاب مــن الزعيم الركن صبور يرجو فيه حركة الفوج العراقي إلى منطقة بيت لحم في اليوم نفســه، وإن عامل الوقت لا يسمح بالانتظار حتى وصول القوة السورية.

صورة الكتاب

القيادة المصرية

الزرقاء

17/ 11/ 1948

الساعة 7:15

حضرة صاحب السعادة رئيس أركان حرب الجيش العراقي الفريق صالح صائب باشا

بالإشـــارة إلى عرض سعادتكم فوج مشـــاة وبعض المدفعية للمعاونة في منطقـــة الخليل. أرجو التكـــرم إذا أمكن صدور أوامركم لهـــذا الفوج بالتحرك اليوم إلـــى منطقة بيت لحم، وســـيقابلهم أدلّاؤنا لإرشـــادهم لمنطقة تجمعهم وستســـتخدم هذه القوة لتعزيز حامية بيـــت لحم والخليل أثنـــاء العملية فقط، وسيجري انسحابهم فور انتهائها.

أما بخصوص العرض الســـوري فأظن أن عامل الوقت لا يســـمح بذلك لســـرعة العملية، وعلى كل فأرجـــو أن يكونوا على قدم الاســـتعداد عند طلب تحركهم في ظرف نصف ساعة.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

أميرالاي
سعد الدين صبور

حركة الفوج العراقي إلى بيت لحم

بعد إرســـال الزعيم الركن صبور كتابه صباح يوم 17/ 11/ 1948 كلمني شفويًا وأخبرني باســـتلامه أمرًا من القاهرة للقيام بعملية تسلل القوة المحصورة بدون انتظار قوات سورية نظرًا إلى تحرج الموقف وعدم إمكان انتظارهم أكثر من ذلك.

أصدرت أمرًا في الحال بحركة الفوج العراقي من الشـــونة إلى بيت لحم، وتحرك الفوج فعلًا.

تسلسل الحوادث

اقتبست من التقارير التي قدمها آمر الفوج العراقي ما يلي:

المؤتمر الأول- في الساعة 11:00 من يوم 18/ 11/ 1948 عقد المؤتمر الأول في بيت لحم برئاســـة الزعيم الركن صبور وحضره آمـــر الفوج العراقي

العقيد الركن أنيـــس وزير والميجر لوكيــت آمر القوة الأردنيـــة في بيت لحم ومســـاعده الأردني وضابط بريطاني برتبة رئيس ونائب ضابط بريطاني وســـتة ضباط مصريين تتراوح رتبهم بين العقيــد والرئيس، وفيما يلي خلاصة ما تقرر في المؤتمر.

1 - تجري حركــة خروج القوات المصرية المحصــورة في الفالوجة في ثلاث إلى أربع صفحات.

الصفحة الأولى: إرســال جماعة لدراســة الطريق، أو الطــرق للخروج. تتحرك عصر اليوم نفسه إلى الفالوجة.

الصفحة الثانية: دراسة الموقف هناك وإعداد الأسلحة الثقيلة للتخريب.

الصفحة الثالثة: عملية الخروج.

الصفحة الرابعة: معاونة القوات غير المحصورة في إنجاز عملية الخروج، وهي الفوج العراقي والقطعات الأردنية وجماعة الجهاد المقدس الفلسطينيون.

2 - وقد أنيط بالفوج العراقي الواجبات الآتية:

أ - الاستعداد لاسترجاع المكبر وسور باهر والخضر.

ب - إبقاء الطريق بيت لحم - أريحا وبيت لحم - الخليل مفتوحًا.

ت - التهيؤ لإرسال قوة سيارة نحو الخليل إذا تطلب الأمر.

3 - ولقد أشير إلى حركة الخروج هذه بكلمة (دمشق).

4 - تلا رئيس المؤتمر الزعيم الركن صبور كتابًا معنونًا إلى الزعيم ســيد طه وهو آمر القوة المحصورة في الفالوجة يخبره فيه بأنه سيصله الميجر لوكيت وجماعته، وهــم اختصاصيون في أمور التدمير والتســرب مــن بين القطعات المحاصرة، وأن خدمات الميجر المذكور تحت إمرته فليستفِد منها ويتلف ما لا يمكن إخراجه بمعونة ضابط الصف البريطاني المختص.

خطة الفوج العراقي

قام آمر الفوج العراقي بالاستطلاع الشخصي وحصل على المعلومات اللازمة ووزع سراياه بالنسبة إلى أهمية الواجبات المطلوبة من فوجه ونفذ ما اتفق عليه في المؤتمر.

المؤتمر الثاني

في الساعة 19:00 من يوم 20/ 11/ 1948 عقد المؤتمر الثاني برئاسة الزعيم الركن صبور حضره قائد موقع بيت لحم المصري والمفتش العام للجهاد المقدس السيد منير وآمر الفوج العراقي مع آمري سراياه والمعاون والمساعد وضابط المخابرة والضابط الآلي ومساعد الكتيبة الأردنية وضابط مدفعيتها. وجرى البحث في بعض تفاصيل الأمور وتأمين الاتصال والتعاون بين مختلف القطعات.

وقد بين آمر الفوج العراقي للزعيم صبور انتهاء أعمال الفوج فيما يختص بواجباته وأطلعه على موجز الحركات التي يحتمل أن تقوم بها السرايا فرادى أو مجتمعة فسرّ بذلك.

تطور وتأجيل عملية إخراج القوات المصرية المحصورة في الفالوجة

1 - في الساعة 8.00 من يوم 22/ 11/ 1948 عاد الميجر لوكيت من الفالوجة إلى بيت لحم بعد أن ترك نائب الضابط فورستر الإنكليزي والمفرقعات التي أخذها معه بقصد تدمير الأسلحة هناك، وقد عاد كذلك الرئيس المصري معروف الذي رافق الميجر لوكيت.

2 - لقد ظهر أن الزعيم سيد طه قائد القوات المحصورة في الفالوجة رفض عند استلامه الكتاب الموقع من قبل الزعيم الركن صبور أن يتخذ أي إجراء حول ما جاء فيه لأن القيادة المصرية في رفح لم تبلغه أي شيء حول الموضوع، بالرغم من أن كتاب الزعيم الركن صبور كان يشير إلى موافقة وزارة الدفاع المصرية أيضًا حول إجراء الحركة.

3 - أبرق الزعيم سيد طه إلى القيادة في رفح فجاء الجواب مفيدًا بتأجيل الحركة على أساس وجود حل سياسي للموضوع.

خطة دمشق

لم يكن لي علم بخطة دمشق ولم يسبق أن أخبرني بها أحد، وقد علمت أخيرًا بأن الزعيم الركــن المصري صبور وضع بالاتفاق مــع القيادة الأردنية خطة سرية لإنقاذ قوات الفالوجة بلا حرب ســميت «خطة دمشق» وتتلخص بما يلي:

«يعرف الميجر لوكيت البريطاني المستخدم في الجيش الأردني طريقًا بريًا غير مطروق يتصل بالفالوجة، ولقد ذهب مع ضابط صف بريطاني إلى الفالوجة وعادا منها بدون أن يشعر بهما الصهاينة حســب ادعائهما. وقد حبذت القيادة الأردنية إلى الزعيم الركن صبور إمكان تدمير كافة الأســلحة الثقيلة ووســائط النقل، وأن الميجر لوكيــت مختص بهذه الأعمال، وبعــد ذلك يجري إخراج الأشخاص متسللين مشــيًا على الأقدام. وبهذه الطريقة يمكن تخليص القوات من الحصار والأسر».

لا أعلم الأســباب التي جعلــت الزعيم صبور يقتنع بهــذه الخطة ويعتزم تطبيقهــا، كما لا أعلم درجة ثقتــه بالميجر لوكيت ورؤســائه المتطوعين لهذا العمل الذي لا بد وأن ينتج من اتّباعه خسارة الأسلحة والمتسللين، إذ لا يعقل أن تتسلل هذه القوة الكبيرة دون علم العدو المحيط بها.

وعلى كل حال أعتقد شــخصيًا بأن القائد المصري الزعيم ســيد طه كان محقًــا ومصيبًا في رفضــه تطبيق خطة دمشــق، إذ لو قام بهذه الحركة لخســر أسلحته ووقع في فخ أودى بحياة الكثير من قواته أو [أدى إلى] أسرهم من قبل الصهاينة الذين لا يستبعد أنهم كانوا على علم بهذه الخطة الغادرة وهذه العملية المحفوفة بالأخطار.

عقد الهدنة في بيت لحم والقدس في جبهة الجيش الأردني

أرســـل آمر الفوج العراقي في بيت لحم إلى القيادة العامة العراقية البرقية التالية بتاريخ 27/ 11/ 1948:

«تلقت القيادة الأردنية في بيت لحم برقية من الفرقة بوجوب إيقاف إطلاق النار في القدس وبيت لحم من الساعة 8:00 من يوم 29/ 11/ 1948 (.) جاء في نفس البرقية بأن حاكم القدس العسكري الأردني قد تحمل مسؤولية إطاعة القوات العراقية والمصرية في بيت لحم لهذا الأمر إطاعة تامة. القيادة المصرية والعراقية في بيت لحم لم تتلقَّ هكذا أمرًا من مراجعها. الزعيم المصري صبور وافق علـــى إصدار الأوامر إلى معيتـــه بوجوب إيقاف إطـــلاق النار. قد أكلف بواجب غير واجبي الحالي في حالة ترك بعض غيـــر النظاميين جبهتهم الكائنة أمام مواضعنا أو عدم إطاعتهم أمرًا بإيقاف إطلاق النار. أنتظر تعليماتكم».

لقد كانت برقية آمـــر الفوج مفاجئة للقيـــادة العامة وعليـــه قامت القيادة بالأعمال التالية:

1 - أرسلت القيادة العامة إلى آمر الفوج البرقية الجوابية التالية:

«لم تشـــعرنا حتى الآن جهة رســـمية حول إيقاف النار في القدس وبيت لحم. موقفكم لا يؤثر عليه هذا القرار. لا تقوموا بأي واجب تكلفون به خارج نطاق الوصايا الصادرة من هذا المقر إليكم. نؤكد ضرورة إشعارنا واستحصال موافقتنا قبل القيام بأي عمل. سنخبركم بكل ما يصلنا من معلومات».

2 - اتصل ضابط ركن القيادة العراقية باللواء الأردني عبد القادر الجندي مستفسرًا، فأجابه بأنه جرى يوم 28/ 11/ 1948 اجتماع بين الصهاينة والحاكم العسكري الأردني في القدس السيد عبد الله التل وتذاكروا في موضوع إيقاف إطلاق النار وتم الاتفاق بما يتعلق بالقدس وبيت لحم. وأن تعهد حاكم القدس لإطاعة القـــوات العراقية والمصرية في بيـــت لحم لأوامره بإيقـــاف النار كان لتطمين الصهاينة وأن الحدود الفاصلة بين الطرفين تحدد اليوم. وأن المصريين

قائمون بالعمل ذاته. وبالرغم من الهدنة وإيقاف إطلاق النار وتأجيل حركة إنقاذ قوات الفالوجة، بقي الفوج العراقي في منطقة بيت لحم.

3 - في 29/ 11/ 1948 طلبت القيادة العامـــة العراقية من قيادة الجيش الأردني إعطاءهـــا التفاصيل المتعلقة بموضوع الهدنـــة في القدس وبيت لحم، فورد في 2/ 12/ 1948 الجواب التالي:

«طلبنا إيضاحات وافية من حاكم عسكري القدس وساعة وصولها سوف نعرضها لعطوفتكم».

مقابلة رئيس الوزراء وإطلاعه على الموقف الأخير في فلسطين

في ظهر يوم 30 تشرين الثاني 1948 قابلنا أنا ووزير الدفاع رئيس الوزراء في مكتبه وكلمناه حول موقف شرق الأردن الأخير وعقده الهدنة مع الصهاينة في جبهة جيشه، الأمر الذي يترك الجيش العراقي وحيدًا في وسط فلسطين، وله الأثر السيء على القضية الفلسطينية.

برقية القيادة العراقية

وردت إلى القيـــادة العامـــة برقية القيـــادة العراقية رقـــم 693/ح تاريخ 4/ 12/ 1948 التالية:

«علمنا بصورة موثوقة أن الهدنة المنعقدة في القدس تشمل الجبهة الأردنية بأجمعها حتى خريطة [خِرَب يطا] داخل. نعتقد أن ذلك يطلق حرية العمل لليهود في نقل وحشد قوات كبيرة أمامنا. نرجو ملاحظة ذلك واتخاذ ما يلزم من التدابير التي ترونها مناسبة لتأمين سلامة قواتنا المرابطة في فلسطين. إننا متخذون كل حيطة وحذر لدرء أي هجوم مفاجئ قد يقع علينا من قبل القوات اليهودية. أنبئونا.

برقية القيادة العامة العراقية إلى قيادة الجيش الأردني ووزارة الدفاع الأردنية

أصدرت القيادة العامة إلى قيادة الجيش الأردنـــي ووزارة الدفاع الأردنية البرقية رقم 731/ح تاريخ 5/ 12/ 1948 التالية:

«نؤكد برقيتنا المرقمة 688/ح تاريخ 29/ 11. بالنظر للتطورات الأخيرة يرجى إخبارنا هل الهدنة وإيقاف إطلاق النار أصبح يشمل [أصبحا يشملان] جبهة الجيش العربي الأردني. إن وصول هذه المعلومات إلينا مبكرًا أمر ضروري لعلاقتها المباشرة بنا».

جواب قيادة الجيش العربي الأردني

أجابت قيادة الجيش العربي الأردني القيادة العراقية العامة ببرقيتها رقم 1073/ 12 تاريخ 6/ 12 بما يلي:

«الهدنة اليوم من القدس إلى اللطرون فقط، واعتبارًا من صباح 7/ 12 تمتد من بيت لحم لغاية بدروس فقط، ولا تشمل مراكزنا في جنوب بيت لحم».

يتضح من الجواب بأن الهدنة وإيقاف إطلاق النار شملا الجبهة الأردنية بكاملها. إن هذا الوضع لا شك يعطي الصهاينة المجال والفرصة الملائمة لنقل معظم قواتهم من القدس وقوتهم في باب الواد واللطرون وبيت سيرة والمواقع الأخرى وحشدها تجاه القوات العراقية أو المصرية حسب الخطة التي يقررونها.

بحث مجلس الوزراء الموقف في فلسطين

في 7 كانون الأول 1948 أخبرني وزير الدفاع العراقي، بعد عودته من اجتماع مجلس الوزراء، بأنهم بحثوا الموقف في فلسطين وبقاء الجيش العراقي بمفرده بعد هدنة الأردنيين والصهاينة، ولقد قرروا سفر وزير الدفاع ووزير الخارجية للاجتماع بممثلي الدول العربية وإعطاء القرار اللازم حول الموقف الأخير. وأنهم بانتظار عودة الأمير عبد الإله غدًا من البصرة.

كتاب وزير الدفاع إلى رئيس الوزراء
ونص البرقية المقترح إرسالها إلى الحكومة الأردنية

في 13 كانون الأول 1948 أرسل وزير الدفاع كتابًا إلى رئيس الوزراء بين

فيه خطورة وضع القوات العراقية في فلسطين بعد مهاجمة الصهاينة للجيش المصري في الجنوب والجيش اللبناني وجيش الإنقاذ في الشمال وعقد الأردن الهدنة مع الصهاينة، واقترح إرسال برقية إلى الحكومة الأردنية للإجابة عليها بصورة صريحة ومستعجلة:

(نص الكتاب)

الحكومة العراقية

وزارة الدفاع

سري للغاية ومستعجل جدًا

الرقم: د/ 202/ أ/ 865

التاريخ: 13 كانون الأول 1948

الموضوع: موقف الجيش الأردني بعد قبول الهدنة

إلى:

فخامة رئيس الوزراء

لا يخفى على فخامتكم أن وضع قواتنا في فلسطين قد تأثر إلى حد كبير بالحالة التي نشأت من عقد الحكومة الأردنية الهاشمية الهدنة مع اليهود في كافة المناطق التي يشغلها الجيش الأردني. وبالنظر إلى الوضع الجغرافي للمنطقة التي تحتلها قوات جيشنا في فلسطين والوضع العسكري الذي نشأ بعد مهاجمة اليهود للجيش المصري في النقب، والجيش اللبناني في الشمال، فإن الهدنة التي عقدتها الحكومة الأردنية مع اليهود تجعل قواتنا في فلسطين في موقف خطير يجب تدبره منذ الآن وقبل أن يتمكن اليهود من الاستفادة من الموقف الذي نشأ من التطورات المذكورة أعلاه من أن يتفرغوا للقيام بحركات واسعة النطاق ضد قواتنا التي ستكون مضطرة إلى الوقوف بمفردها تجاه ذلك فيما إذا بقيت القوات الأردنية محافظة على هدنتها مع اليهود.

فبناء على خطـورة الأحداث المحتملة والنتائـج المتوقعة مما بيناه أعلاه نرى لزوم مفاتحة الحكومة العراقية للحكومة الأردنية في هذا الشـأن وتوجيه البرقية التالية إلى الحكومـة الأردنية ومطالبتها بالإجابـة عنها بصورة صريحة ومستعجلة.

وزير الدفاع

صورة إلى:

القيادة العامة

رئيس أركان الجيش.

(نص البرقية)

«بالنظر لعقد الحكومة الأردنية هدنة دائمة مع اليهود أخيرًا ترجو الحكومة العراقية من الحكومة الأردنية الهاشمية إنباءها بصراحة تامة عن موقف الجيش الأردنـي فيما إذا قام اليهود بحـركات عدائية ضد قوات الجيـش العراقي في فلسطين، وهل ستبقى القوات الأردنية محافظة على الهدنة مع اليهود أم ستقوم بمعاونة القوات العراقية وفق ما يتطلبه الموقف العسكري وضرورة التعاون».

إرسال البرقية المقترحة إلى حكومة الأردن

حسـب طلب رئيس الـوزراء أرسـلت وزارة الخارجية العراقيـة البرقية المقترحة إلى الحكومة الأردنية بواسطة المفوضية العراقية في عمان.

جواب الملك عبد الله ورئيس وزراء الأردن

بعد اتصال الوزير المفوض العراقي بالملك عبد الله ورئيس وزراء الأردن السيد توفيق أبو الهدى وتسـليمهما البرقية واسـتلام جوابهما عليها، أرسلت وزارة الخارجية الكتاب التالي إلى وزارة الدفاع متضمنًا جواب الملك عبد الله ورئيس وزرائه:

صورة كتاب وزارة الخارجية المرقم ع/ 1572/ 1572/ 13/ 24371 والمؤرخ 15/ 12/ 1948 المعنون إلى وزارة الدفاع

فيما يلي جواب حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم والحكومة الأردنية الهاشمية على البرقية التي أمر فخامة رئيس الوزراء [بـ] إرسالها بواسطة مفوضيتنا في عمان للتفضل بالاطلاع.

عرضت على جلالــة الملك عبد اللــه المعظم مضمــون برقيتكم فأملى جلالته ما يأتي:

يبدأ - لا هدنة عموميــة ولكن عقدت في القدس هدنــة محلية حيث إن النــار موقفة في كل مكان إلا القــدس. وإما إن هاجم اليهــود الجيش العراقي فالمســاعدة بالكيفية والإمكانيــات المعروفة لدى القيادة العراقية ســنقوم بها والتفصيل في جــواب الحكومة الأردنية. وأضاف جلالتــه إن الجيش العراقي بمنزلة الجلدة ما بين عيني ولا أســمح أن يمس بســوء وإنني مســتعد لنجدته بنفسي وما ملكت يداي. انتهى.

جواب رئيس الوزارة الأردنية

لم تعقد الحكومة الأردنية هدنة دائمة مع اليهود ولم تبدِ في جوابها موافقة على عقد مثل هــذه الهدنة، وكل ما عمل هو ترتيب عســكري خاص بالقدس حصل بحضور المراقبيــن القصد منه جعل الهدنة المتفــق عليها في 18 تموز نافذة عمليًا في تلك المنطقــة، إذ من المعلوم أن تلــك الهدنة بينما نفذت في جميع الجبهات باســتثناء بعض حوادث الخرق من حين لآخــر، فإنها لم تنفذ في القدس يومًا واحدًا وظلت التحديات مســتمرة وكانت دائمًا ضارة بالقوات الأردنية. أما فيما يخص موقف الحكومة الأردنية فيمــا إذا اعتدى اليهود على الجيش العراقي، فتؤكد الحكومة الأردنية بأنها ســتبادر للتعاون بقدر ما تسمح به الإمكانيات العســكرية، وهي تعتقد أن العسكريين العراقيين الذين عملوا هنا

يعرفون تلك الإمكانيات ومقدار الاستفادة منها ومن المفيد الرجوع إليهم في الموضوع. انتهى.

***

ومع أن جواب رئيس وزراء الأردن كان ملتويًا وغير مشجع، فإنه كان يختلف عما ورد في برقية القيادة الأردنية عن شمول الهدنة الجبهة كلها وليس بلدة القدس فقط. ويفهم من الجواب بوضوح أنهم لا يتعاونون مع الجيش العراقي في الحركات المقبلة. كما أن وزيرنا المفوض في عمان أعلمني بأن الملك عبد الله ورئيس وزرائه أخبراه بأنهم غير ملزمين بتعهدهم إذا قام الجيش العراقي بالتعرض، فأرسلت البرقية التالية إلى وزير الدفاع:

برقية إلى وزير الدفاع

وقت الإنشاء: 12:50

يومه: 28/ 12/ 1948

من: القيادة العامة

إلى: معالي وزير الدفاع

رقم المنشئ 865/ح

أخبرني أمس وزيرنا المفوض في عمان بأن جلالة الملك عبد الله ورئيس وزرائه أخبروه [أخبراه] بأنهم غير ملزمين بتعهدهم الوارد بكتاب وزارة الخارجية العراقية المرقم 24371 والمؤرخ 15/ 12/ 1948 المعنون إلى وزارة الدفاع في حالة قيام الجيش العراقي بحركات تعرضية ضد اليهود (.) كلفته أن يطلب منهم تأييد ذلك تحريريًا ولا أدري ما تم من الأمر (.) يرجى الاطلاع وإنباءنا رأيكم.

سحب الفوج العراقي من منطقة بيت لحم

في 14 كانــون الأول 1948 استفســرنا من القيــادة المصرية عن الفوج العراقي في منطقة بيت لحم، فأجابت بالبرقية التالية:

«الرجاء الإحاطة أن رئاســة أركان الجيش المصري أفادت بأنه ليس هناك مانعًا [مانع] من إعادة الفوج العراقــي الموجود حاليًا في بيت لحم [.] للتكرم بإجراء ما يلزم وشكراً».

بعد أن وافقت الســلطات المصريــة على عودة الفــوج العراقي صدرت الأوامر إليه بالعودة إلى الشــونة، وقد تم ذلك في 19/ 12/ 1948 بعد أن بقي الفوج العراقي بإمرة القيادة المصرية مدة خمســة أســابيع بانتظار قيامها بعمل ليشترك في فك الحصار عن قوة الفالوجة.

الفصل الثاني والعشرون

المؤتمرات

مؤتمر القاهرة العسكري

انعقد مؤتمر عسكري في كوبري القبة في القاهرة في اليوم العاشر من شهر تشـــرين الثاني 1948 حضره جميع رؤساء أركان الجيوش العربية أو من ينوب عنهم، وقد مثل الجيش العراقي في هذا المؤتمر اللواء الركن إسماعيل صفوت معاون رئيس أركان الجيش.

لم يطلب من المؤتمر درس قضية خاصة، ولـــم يوضع في جدول أعمال معين، وعليه اتفق رأي المؤتمرين على دراسة وتدقيق الوضع العسكري الراهن في فلســـطين ليضع المؤتمر مقرراته على ضوء النتائـــج التي يحصل عليها من تلك الدراسة.

عقد المؤتمر أربع جلسات اســـتعرض فيها الموقف الحربي في فلسطين اســـتعراضًا مفصلًا لكلا الطرفين المتحاربين، وجرت مناقشات حول الموقف المذكور، فقرر المؤتمرون بإجماع الآراء القرار التالي:

القرار

بعد بحث الموقف في فلسطين من جميع الوجوه، استقر رأي رؤساء هيئة أركان حرب الجيوش العربية على رفع القرار الآتي إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية للاسترشاد والعمل على ضوئه:

1 – المقارنة بين القوات العربية والقوات اليهودية وموقفيهما:

أ – ثبت من المقارنة العددية بـــأن اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث العدد.

ب - القوات اليهودية متفوقة على القوات العربية من حيث التسليح بجميع أنواعه، عدا مدفعية الميدان في الوقت الحاضر، ولكن القوات العربية مفتقرة إلى ذخيرة لهذه المدفعية.

ج - كانت القوات الجوية العربية، وبصورة خاصة القوة الجوية المصرية في بدء العمليات متفوقة ومسيطرة سيطرة تامة على الجو، وقد أنزلت بالعدو خسائر جسيمة، ولكن مع الأسف الشديد قد وصل إلى العدو عدد كبير من الطائرات والطيارين المدربين أكمل تدريب، وبذلك انتقلت السيطرة الجوية إلى أيدي العدو.

د - موقف الذخيرة من [عند] الجيوش العربية خطير جدًا، بل وينذر بخطر قريب بخلاف موقف الذخيرة لدى اليهود، فقد وصلتهم إمدادات كثيرة ولا تزال الإمدادات تتوالى عليهم، علاوة على مصانعهم المحلية في حين أن جميع الدول العربية لم تتمكن حتى الآن من الحصول على كميات من الذخيرة سوى كمية ضئيلة جدًا، ويشك في الحصول على الكميات الضرورية في المستقبل بالوسائل الاعتيادية المتبعة حتى الآن.

هـ - إن وضع المستعمرات اليهودية وما فيها من استحكامات وتحصينات قوية جدًا وإحاطتها بطرق المواصلات اليهودية الرئيسية جعلت [أتاحت] إمكان المناورة والتنقل بسرعة على الخطوط الداخلية في الجانب اليهودي.

و - إن جميع القوات اليهودية على اختلاف أنواعها تسيطر عليها قيادة واحدة وتستخدمها استخدامًا حسنًا وبتعاون وثيق وفقًا لمقتضيات الموقف، بينما ليس للجيوش العربية قيادة موحدة، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال إلى فقدان التعاون الوثيق بين الجيوش.

ز - تفوق اليهود في قواتهم البرية.

2 - مقدرة الجيوش العربية في الوقت الحاضر:

إن نقص القوات في الجيوش العربية، وافتقارها إلى الأسلحة المساعدة وحاجتها الملحة إلى الأعتدة والذخائر المتنوعة وما طرأ على قواتها الجوية والبحرية من خسائر ونقص، يجبرها [تجبرها] على اتخاذ خطة الدفاع في الوقت الحاضر. مع أن الدفاع لا يتخذ إلا لأغراض معينة كإتمام التحشد وإكمال النواقص، ولمدة محدودة إذ إنه لا يؤدي إلى انتصار عسكري، ولا يمكن أن يقترن بنتائج حاسمة، فبقاء الجيوش العربية في وضع الدفاع وعدم إكمال استعدادها بدرجة لا تستطيع معها استئناف التعرض سوف يؤدي حتمًا إلى خسران الحرب والفشل الذريع.

3 - الأسباب الرئيسية لسوء الموقف الحالي:

تلخص الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سوء الموقف العسكري الحالي للجيوش العربية بما يلي:

أ - لم تكن الجيوش العربية قبل القتال في فلسطين مستعدة استعدادًا كافيًا لخوض غمار حرب طويلة الأجل، فقد ظهر بأنه ينقصها الشيء الكثير من الأسلحة والأعتدة والمهمات.

ب - لم تستطع الدول العربية منذ بدء القتال حتى الآن أن تحشد القوات الكافية للتغلب على القوات اليهودية والقضاء عليها، وذلك لعدم إمكان الحصول على الأسلحة والذخائر والمهمات المطلوبة بسبب الحالة الدولية والحظر الذي فرض على الأمم العربية والذي لم يطبق بصورة فعلية إلا على الدول العربية فقط.

ج - نعتقد أن الدول العربية لم تستخدم جميع مواردها و[لم] تسخر كل ما في البلاد من قوى (إلا القليل منها) لأغراض الحرب.

د - لم تؤلف قيادة موحدة للجيوش العربية لإدارة هذه الجيوش والسيطرة

عليهـــا وتحقيق التعاون الوثيق بينها، واســـتخدامها وفقًـــا لمقتضيات المواقف الحربية، وقد حصل اختلاف في الرأي في هـــذا الموضوع وقد تقرر بحثه بين رؤساء أركان حرب الجيوش وأعضاء اللجنة السياسية.

هـ - لم تســـتطع الحكومات العربية الاســـتفادة من أيام الهدنتين الأولى والثانية لإكمال نواقصها بقدر ما اســـتفاد اليهود الذين لم يضيعوا لحظة واحدة إلا واســـتغلوها إلى أقصى حدود الاستغلال لاستكمال استعدادهم وسد جميع حاجياتهم الحربية.

4 - ما يجب على الحكومات العربية أن تقوم به:

إن الموقف العسكري الحاضر على جانب كبير من الخطورة وإن معالجته تتطلب أن تقوم الدول العربية فورًا بما يلي:

أ - تدارك ما تحتاجه الجيوش من الأسلحة والذخائر والمهمات والطائرات والقوة البحرية والتغلب على جميع الصعوبات والعراقيل التي تحول دون ذلك مهما كلف ذلك من جهودٍ وتضحياتٍ.

ب - تسخير كل ما في البلاد العربية من موارد واستخدام جميع الإمكانيات لأغراض الحرب، ولو أدى ذلك إلى إعلان التعبئة العامة.

ج - ترك حرية العمل للعسكريين، وجعل الاعتبارات العسكرية فوق جميع الاعتبارات، وحصر جهود الحكومات العربية ومســـاعيها في تأمين احتياجات الجيوش وتلبية مطالبها، وبعبارة أقصر تعبئة جميع القوى وتســـخيرها للمجهود الحربي.

د - يجب على السياسيين قبل اتخاذ أي قرار عسكري إحاطة العسكريين في جميع الأوقات بالموقف السياســـي الذي يتطلب تدخل الجيوش لوضعهم في الصورة الصحيحة، حسب مقدرة الجيوش وما يتطلبه الموقف السياسي.

رؤساء هيئة أركان حرب الجيوش

المملكة العراقية،	المملكة الأردنية الهاشمية،	المملكة العربية السعودية،
(توقيع)	(توقيع)	(توقيع)
المملكة المصرية،	الجمهورية السورية	الجمهورية اللبنانية
(توقيع)	(توقيع)	(توقيع)
جيش الإنقاذ		
(توقيع)		

مؤتمر غزة

دعت الهيئة العربية العليا الفلسطينية إلى عقد مؤتمر في غزة في 1 تشرين الأول 1948 حضره قسم من أبناء فلسطين. فألفوا مجلسًا باسم (المجلس الوطني) وانتخب المجلس حكومة باسم (حكومة عموم فلسطين) وعهد برئاسة الحكومة إلى أحمد حلمي باشا وتولى أشخاص آخرون الوزارات الأخرى، وأعلنوا استقلال فلسطين كلها حسب حدودها قبل 15 مايس 1948 وتصميمهم على صيانة الاستقلال والذود عنه، على أن تكون مدينة القدس عاصمة البلاد وأن تبقى الحكومة مؤقتًا في غزة.

وقد دعت هذه الحكومة الفلسطينيين إلى توحيد الكلمة والجهود والتعاون مع الجيوش العربية لصد العدوان وتحرير البلاد من الصهاينة المعتدين.

وليت أن المجلس الوطني هذا وحكومة عموم فلسطين قد تألفا قبل أو عند بدأ القتال في 15 مايس 1948 لتنظيم المجاهدين الفلسطينيين وتنسيق أعمالهم لخيرهم وخير بلدهم. ولكن جاء هذا التشكيل متأخرًا وبعد أن ساءت الأحوال. ومع هذا كان المأمول أن تقوم هذه الحكومة ببعض الأعمال المفيدة

وتعالج الأخطاء إذا التزمت الحكومات العربية بتأييدها تأييدًا تامًا، إلا أن بعض الحكومات العربية اعترفت بحكومة عموم فلسطين ولم يعترف بها البعض الآخر وخاصة الحكومة الأردنية التي اعتبرت فكرة المؤتمر وما نتج عنه موجهًا ضدها خاصة، وأن الحاج أمين الحسيني (الذي يعتبره الملك عبد الله خصمه) كان على رأس هذا التنظيم الجديد.

مؤتمر أريحا ومبايعة الملك عبد الله

ردًا على مؤتمر غزة وتأييدًا للأردن، عقد قسم من الفلسطينيين اللاجئين وغيرهم، في أريحا في 1 كانون الأول 1948 مؤتمرًا نادوا فيه بضم فلسطين إلى شرق الأردن، وبايعوا الملك عبد الله بن الحسين ملكًا دستوريًا على الضفتين ومن جملة ما جاء في قراراتهم:

1 – اعتبار فلسطين وحدة كاملة لا تتجزأ، وكل حل يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلًا نهائيًا.

2 – يشكر المؤتمر الدول العربية على جهودها وتضحيتها، ويطلب منها مواصلة القتال لإنقاذ فلسطين ويحيّي الجيوش العربية التي حاربت ولا تزال تحارب دفاعًا عن فلسطين.

3 – التشديد بضرورة إرجاع اللاجئين إلى بلادهم أو تعويضهم.

ولقد سبب هذا المؤتمر تقولات حبذها بعضهم وندد بها البعض الآخر كما حصل بعد مؤتمر غزة.

وفي الحقيقة، إن قضية فلسطين لا تحل بمؤتمراتٍ كهذه، بل الصواب أن تُوحد الجهود وتُوجه لتخليص فلسطين أولًا، وبعدها يُترك الأمر إلى الفلسطينيين ليتمكنوا من إبداء آرائهم ورغبتهم بحرية وصراحة. ولكن مع الأسف كان الفلسطينيون مغلوبين على أمرهم والنكبة جعلتهم كالغرقى يتمسكون حتى بالقش لتخليص أنفسهم وبلدهم من السيل الجارف.

الإجراءات الأردنية حول القرارات

رفع المؤتمرون في أريحا قراراتهم إلى الملك عبد الله، فأحالها على الحكومة الأردنية لتأخذ طريقها الدستوري. وبعد موافقة الحكومة الأردنية على المقررات أحالتها إلى مجلس الأمة الأردني الذي عقد جلسته في 13 كانون الأول 1948. وبعد استعراض مقررات مؤتمر أريحا وموافقة الحكومة الأردنية عليها قرر مجلس الأمة موافقته عليها وعلى سياسة الحكومة الأردنية باتخاذ التدابير اللازمة لتوحيد فلسطين وشرق الأردن.

موقف الحكومة العراقية من مؤتمر أريحا

اعتقدت الحكومة العراقية، وهي مصيبة في اعتقادها، بأن ضم فلسطين إلى الأردن في هذا الظرف الراهن سيجابه بمقاومة شديدة من قبل الحكومات العربية الأخرى، وأغلبية الفلسطينيين ويكون سببًا وحجة في زيادة تصدع الموقف العربي، ويزيد في الطين بلة وعليه قررت إرسال وفد عراقي إلى الأردن لمفاتحة الملك عبد الله ورجال حكومته في الموضوع.

وفي 15 كانون الأول 1948 سافر جوًا إلى الأردن وفد مؤلف من: السيد نوري السعيد، السيد جميل المدفعي، السيد جمال بابان، الفريق الركن صالح صائب الجبوري، وقابل الملك عبد الله في قصره الشتوي في الشونة. وحضر من الجانب الأردني السيد توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء والسيد فوزي الملقي وزير الدفاع والسيد سعيد المفتي وزير الداخلية.

تكلم السيد نوري السعيد وبيّن الأضرار التي تنجم عن ضم القسم الباقي من فلسطين إلى الأردن في هذا الظرف الدقيق، ورجا الملك عبد الله عدم المصادقة على المقررات التي اتخذت في هذا الصدد لتبقى غير نافذة المفعول، وذلك حفظًا للتماسك العربي. فارتاح الوزراء الأردنيون لهذا الحل، واتفقوا عليه كما وعد الملك عبد الله العمل بموجبه، وهكذا بقيت المقررات معلقة من دون مرحلتها النهائية، ولم تكتسب الصفة القطعية آنذاك.

الفصل الثالث والعشرون

معركة رامات هاكوفيتش

وصف المنطقة

تقع رامات هاكوفيتش المستعمرة الصهيونية إلى جنوب قرية الطيرة بنحو كيلومتر ونصف. وتقع تلال كوفيتش شرق المستعمرة المذكورة، وهي مؤلفة من ثلاثة تلال متصلة. التل الشمالي منها مشجر ويمتد من الشرق نحو الغرب، والأوسط أجرد صغير متصل بالتل الشمالي. أما الجنوبي فهو تل واسع يمتد من الشمال إلى الجنوب حيث يتصل بمواقع كلمانية وكفر سابا جنوبًا. وإلى شرق هذه التلال أرض متموجة فيها بيارات صغيرة حتى محطة قلقيلية.

أهمية تلال هاكوفيتش

تنحصر أهمية تلال هاكوفيتش بما يلي

1 - تساعد على الدفاع عن مستعمرة هاكوفيتش وتبعد الخطر عنها.

2 - تشرف وتسيطر بالنار على طريق طولكرم - قلقيلية العام وعلى محطة قلقيلية وعلى اتصال الطيرة بالطريق العام.

3 - تؤلف قاعدة أمينة لأية حركة تجاه الطيرة أو قلقيلية.

قوات الطرفين

كان رتل (عوف) العراقي، المؤلف من الفوج الآلي الأول وفصيل مدفعية وفصيل هندسة والمتطوعين من أهالي قلقيلية والقرى المجاورة، مسؤولًا عن جبهة طولها حوالى عشرة كيلومترات من الطيرة حتى جنوب جلجولية بكيلومتر واحد. وتقع أمام جبهته في الجانب الصهيوني المستعمرات التالية: رامات هاكوفيتش، كلمانية، كفر سابا، قرية بيار عدس.

وتقدر القوة الصهيونية المرابطة أمام رتل عوف بفوجي مشـــاة أحدهما في منطقة كلمانية والآخر في منطقة بيار عدس، مع عدد كبير من المقاتلين المحليين بالإضافة إلى وجود بطارية 18 رطلًا وفصيل 75/ 2 وفصيل 17 رطلًا.

تسلسل الحوادث

اســتولت القوات العراقية على تلال هاكوفيتش في أوائل شـــهر حزيران ســنة 1948، ولقد حاول الصهاينة استردادها بواســطة مراقبي الهدنة الأولى، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشـــل. وقـــد اقتصر العمل في ذلـــك القاطع عند اســتئناف القتال على مناوشـــات نارية. ولما أعلنت الهدنة الثانية قام الصهاينة بعدة مناوشات، ســـواء بالنار أو بالدوريات كانت تقابل بالمثل. وقد استمرت هذه المناوشات حتى 11 تشرين الثاني سنة 1948 حيث استخدم العدو قنابل الهاون في قصف قطعات تلال هاكوفيتش وقلقيلية نفسها، وقرية الطيرة. ولقد أصبح القصـــف المدفعي ورمي الأســـلحة الأخرى أمـــرًا اعتياديًا، وأخذ رتل عوف يرد العدوان بأشـــد منه، فكان خير علاج لإســـكاتهم. كمـــا أوفد الرتل عدة مرات دوريات مرتبة إلى ما وراء خطـــوط العدو للقيام بأعمال الدوريات والتخريب مما اضطر الصهاينة إلى إلقاء منشـــور تهديدي من الجو طالبين فيه الكف عن العدوان.

العدوان الصهيوني

في الســـاعة 23:00 مـــن يوم 2 كانـــون الثاني ســـنة 1949 قامت قوات صهيونية نظامية بالهجوم على قرية الطيرة من اتجاه الشمال واستطاعت إحدى مفارزهم التســـلل من إحدى البيارات والدخول إلى الأبنية شمال شرق القرية. وبعد قتال دام ســـاعتين انســـحب العدو تحت ضغط قواتنا. وبعد الهجوم على الطيرة بنصف ســـاعة، أي بالســـاعة 23:30 هاجم العدو تلال هاكوفيتش من مســـتعمرة رامات هاكوفيتش، على جناحي التلال، فتمكن من احتلال موقعين

أماميين، رقم 1 الكائن في القمة الشمالية لتلال هاكوفيتش والرقم 5 الكائن في جنوب القمـــة الجنوبية. واقتربت قوات معادية علـــى المواقع الثلاثة الباقية في الوسط، فاحتلتها الواحد بعد الآخر وانسحبت مفارزنا إلى شرق التلال.

الهجوم المقابل

قامت القوة العراقية بهجوم مقابل في صباح يوم 3/ 1/ 1949 فتمكنت من استرجاع الموقعين 4 و5 وأشـــغلا من قبل مفارزهما، وتم توسيع التحكيمات فيهما. واســـتمرت القوة بتطهير المنطقة، إلا أنها توقفت لشـــدة مقاومة العدو. وفي خلال ذلك وصلت نجدات إلى العدو علـــى الرغم من إصابة مدفعية 25 رطلًا و4.5 عقدة هذه النجدات إصابات مباشرة. وقد استطاع العدو بما وصله من إمدادات التمســـك بمواضعه رغـــم ما أصيب به من خســـائر. وكان يتخلل الحركات قيام العدو بهجمات مقابلة.

وقد اســـتمرت المناوشـــات ليلة 3-4/ 1/ 1949 على طـــول جبهة رتل عوف، ولا ســـيما قاطع هاكوفيتـــش حيث عزز العـــدو مواقعـــه بحامية كبيرة وشـــوهدت له مدافع ضد الدبابات ورعيل مصفحات، كما حصن العدو الربيئة رقم 2 والربيئة رقم 3 ومواقع أخرى بجوارهما، وشوهد وصول نجدة آلية إلى مستعمرة هاكوفيتش نفسها.

وبالنظر إلـــى وصول نجدات كبيـــرة إلى العدو، وقيامـــه بهجمات مقابلة صدرت الأوامر إلى رتل عـــوف في 4/ 1/ 1949 ببقاء القـــوات في محلاتها وتحصين مواضعهـــا والتضييق على العـــدو وعدم القيام بحركـــة إلى أن تعزز القوات وتوضع خطة محكمة للقضاء على العدو.

لقد اســـتمر إطـــلاق النار بيـــن قطعاتنا الأماميـــة وبين العدو بشـــدة ليلة 4-6/ 1/ 1949(*) كما اســـتمر تبادل نيران الرشاشـــات والهاون منذ الســـاعة

(*) كذا وردت في النص، والمرجح 4-5/ 1/ 1949 (المحرر).

10:00 من يوم 5/ 1/ 1949 حتى الساعة 1:30، ثم استخدم العدو مدافع 75/ 2 بعد الساعة 13:00 إلى الساعة 14.00 محاولًا دفع مفارزه نحو الشرق، فلم يتمكن من ذلك لصمود قواتنا، كما أسكتت مدفعيتنا مدفعية العدو.

في ليلة 5-6/ 1/ 1949 حاول العدو الهجوم على أحد مواقعنا في كفر سابا مستخدمًا المشاة والمدرعات في ذلك، ففشلت محاولاته واستمر إطلاق النار طيلة الليلة.

خطة الهجوم

وضعت خطة الهجوم وهُيئت القوات اللازمة لذلك. وجرى العمل على مرحلتين الأولى غارة ليلية صامتة والثانية هجوم مدبر نهاري.

الغارة الليلية الصامتة

تم في الساعة 3:00 من يوم 7/ 1/ 1949 مباغتة موقع الصهاينة في الربيئة رقم 3 فقضي على من فيها ولم ينج من جنودها أحد أثناء الاشتباك داخل الخنادق. وباغتت مفرزة أخرى موقعًا آخر بجواره بنجاح تام، كما تسنى للقوة احتلال الموقع رقم 2 أيضًا، وبذلك تم تطهير كافة الربايا الجنوبية من العدو، ولم يبقَ للعدو سوى موقع المرتفع الشمالي لتل هاكوفيتش المسيطر، والذي تقدر قوته بسرية.

الهجوم النهاري الحاسم

في الساعة 16:30 من يوم 7/ 1/ 1949 بدأ قصف مدفعيتنا المركز على مواقع العدو فدمرها وأسكتت الأسلحة الموجودة فيها، ثم رمت المدفعية حجاب دخان في الخمس دقائق الأخيرة قبل ساعة الصفر.

وفي الساعة 17:00، في ساعة الصفر، نقلت المدفعية نيرانها إلى مستعمرتي هاكوفيتش وكلمانية وعلى الجموع المعادية في غرب

المســـتعمرتين، وتقدم جنودنا بســـرعة نحو تل هاكوفيتش بقوتين توجهتا نحو الربيئتين المعاديتين واحتلتا مواقع العدو في تل هاكوفيتش الشـــمالي بخسائر طفيفة، وباشـــرتا بتحصينها بمساعدة الهندســـة. وقد اضطر العدو إلى إخلاء تلال هاكوفيتش تاركًا وراءه جثث قتلاه في الخنـــادق وإلى جوارها مدافعهم ورشاشاتهم الثقيلة وهاوناتهم وقاذفات بيات مع كمية من الأعتدة والتلفونات والتجهيزات الشخصية.

وقد اســـتمر العدو طوال ليلة 7-8 يرمي مواضعنا فأجابته قطعاتنا بالمثل، كما أظهر العدو بعض النشـــاط ليلة 8-9 وليلـــة 9-10، إلا أن قطعاتنا كانت مستعدة لذلك فلم تُجْدِهِ محاولاته نفعًا، ويمكن اعتبار معركة هاكوفيتش منتهية مساء يوم 7/ 1/ 1949.

الخاتمة

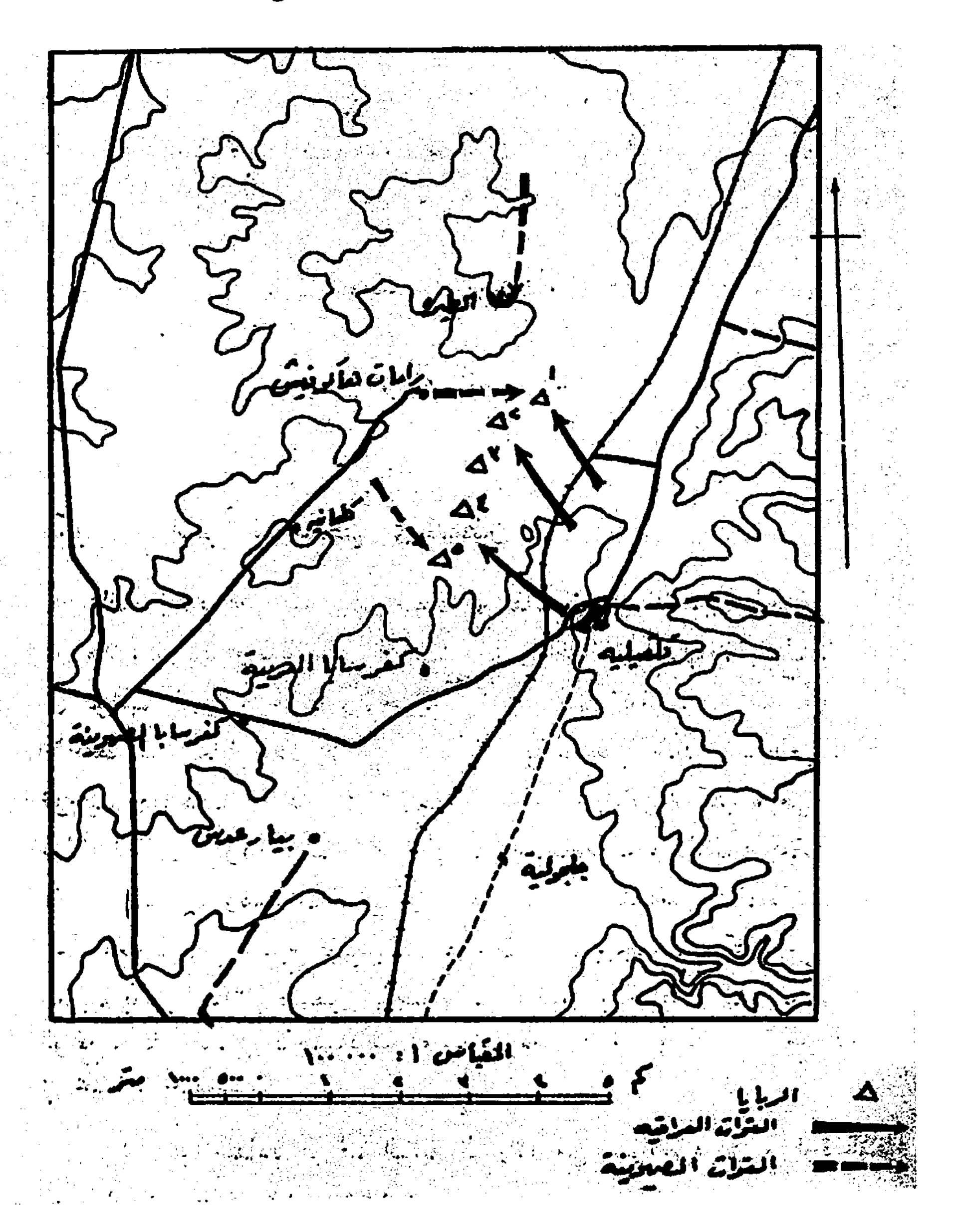
بانتهاء معركة هاكوفيتش تعتبر آخر صفحة للقتال في فلســـطين قد طويت إذ لم يجرأ الصهاينـــة على التحرش بقطعات الجيـــش العراقي بصورة جدية، وبمقياس واســـع حتى تســـليم المواضع إلى الجيش الأردني وعودة القوات إلى العـــراق. واعتبارًا من ذلـــك التاريخ أي 7 كانون الثاني 1949 باشـــرت الحكومـــات العربية (عدا العراق) بمذاكرات فـــي رودس لعقد الهدنة الدائمة مع الصهاينة[1].

---

(1) إن اتفاقيات الهدنة الدائمة قد عقدت بين كل من مصر وسورية ولبنان والأردن وبين إسرائيل. ولم يشـــترك العراق لا في مفاوضات هذه الهدنة، ولا في التوقيع على اتفاقية هدنة مع إسرائيل. ولذلك فإننا لـــم ندرج هذه الاتفاقيات في هذا الكتاب لعدم مساســـها بالجيش العراقـــي. وللاطلاع على النص العربي الرسمي لهذه الاتفاقيات مع ملاحقها وخرائطها ورسوماتها يرجى الرجوع إلى مجموعة (اتفاقيات الهدنة العربية الإسرائيلية، شـــباط-تموز 1949) المنشورة من قبل مؤسســـة الدراسات الفلسطينية سنة 1968 في بيروت.

الخريطة (23 - 1)

مخطط معركة رامات هاكوفيتش



الفصل الرابع والعشرون

معركة النقب الثانية

تكاثر عدد الصهاينة وأسلحتهم في فلسطين

لقد ازداد عدد المحاربين الصهاينة القادمين إلى فلسطين المحتلة من أنحاء أوروبا وأمريكا والمتطوعين الأجانب الذين أغراهم الصهاينة بالمال للانخراط في قواتهم البرية والجوية والبحرية. كما وصلتهم باستمرار أسلحة ومهمات لا حصر لها، يقابل ذلك الاختلافات في وجهات نظر الحكومات العربية وعدم توحيد جهودهم وقيادة جيوشهم وافتقارهم إلى أنواع كثيرة من الأسلحة والأعتدة، وبصورة خاصة القوة الجوية والمصفحات والأسلحة المضادة لها، لإدامة القتال. ولهذه الأسباب وغيرها ولإسناد المستعمرين للصهاينة إسنادًا تامًا ومعاونتهم في جميع القضايا، فإن قيام الصهاينة بهجمات مركزة على الجيوش العربية بأمل احتلال فلسطين بأجمعها، ووضع الحكومات العربية تجاه الأمر الواقع، كان ضمن الاحتمالات. وكنا متوقعين قيام معارك مهمة مع الصهاينة في مختلف الجبهات.

ومما أيد اعتقادنا البرقية التالية الواردة من سويسرا إلى وزارة الدفاع العراقية المؤرخة 4/ 12/ 1948

«استخبرنا موثوقًا من... بفعالية اليهود الواسعة مؤخرًا في أوروبا، إذ لهم الآن مؤسسة للطيران في روما يتدرب فيها ثلاثمائة صهيوني وخط جوي لنقل المهمات الحربية بين جيكوسلوفاكيا(*) وتل أبيب ومراكز تموين لشراء المهمات الحربية وشحنها في كل من باريس ومرسيليا وزوريخ وميلان وروما، ومهتمين بصورة خاصة لابتياع كل ما تيسر من الطائرات والدبابات

(*) كذا وردت في النص، وهي دولة تشيكوسلوفاكيا سابقًا.

والمصفحات في أوروبا ويبذخون المال في سـبيل ذلك. ومما تقدم يظهر أن اليهود ينوون إجراء هجوم واسـع في الربيع القادم عندما يكون الطقس صالحًا للتعاون المستمر بين القطعات الأرضية والجوية».

برقيات هيئة الاتصال المصرية بالزرقاء

1 – في عصر يوم 24/ 12/ 1948 وردت إلى القيادة العراقية برقية معنونة إلى قيادات الجيوش العربية، ومما جاء فيها:

«في السـاعة 22:50 من يوم 22 قام اليهود بهجوم عام على طول جبهتنا مسـتعينين بسـلاحهم الجوي والبحري. واسـتمر هذا الهجـوم حتى تكبدوا خسائر جسيمة وارتدوا على أعقابهم في السـاعة 15:40 من يوم 23، وبذلك فشـل هجومهم. كما هاجموا القوة المصرية بالفالوجة قاصدين التسـلل إليها واقتحامها، ولكن أحدثت القوة المصرية فيهم خسـائر جسـيمة، وبذلك فشل هجومهم أيضًا عليها.. يحتمل معاودة هجوم اليهود بعد إعادة تنظيم قواتهم في أقرب فرصة. مرسل للإحاطة».

2 – في يوم 26/ 12/ 1948 وردت البرقية التالية:

«موقف الجبهة المصرية حتى الساعة 22:00 يوم 25/ 12/ 1948:

«لا زال نشـاط العدو مسـتمرًا بإطلاق نيران الهاون (المورتر) والأسلحة الأوتوماتيكيـة على طـول الجبهة. كما أغـارت طائراته علـى العريش ورفح والفالوجة. حاولت قواته المدرعة والمشـاة احتلال موقعًا مشـرفًا على جبهة غزة، ولكـن قواتنا تصـدت له بضربات شـديدة فاضطر للانسـحاب بعد أن خسر الموقعة تاركًا خلفه 40 قتيلًا وأسـلحة. لا [ما] زالت قواتنا تكيل للعدو الضربات بشدة».

هذا كل ما كان عندنا من معلومات عن القتال في جبهة الجيش المصري، وهي مطمئنـة وتدل على متانة الجبهة المصرية وتفـوق الجيش المصري على خصمه وتكبيده خسائر جسيمة.

برقية وزير الدفاع العراقي

في 26/ 12/ 1948 وردت من وزارة الدفاع العراقية البرقية التالية:

«طلبت الحكومة المصرية قيام قواتنا بما يمكنها للتخفيف عن القوات المصرية التي يهاجمها اليهود منذ يوم 22 الجاري. أجبنا بأن القوة العراقية ستقوم بما يجب ضمن مساعدة موقفها العسكري بقصد تخفيف الضغط عن القوات المصرية. وبينا بأن عدم إمكان تأمين التعاون الوثيق بين الجيوش العربية نتيجة طبيعية لعدم وجود قيادة موحدة لهذه الجيوش واستخدامها وفق مقتضيات الموقف وبموجب خطة منسقة وطلبنا إعادة النظر في هذا الأمر بصورة جدية. اتخذوا ما ترونه مناسبًا».

وقد أرسلت هذه البرقية في اليوم نفسه إلى القيادة العراقية للقيام بما يمكنها القيام به.

اجتماع عسكري في الزرقاء

في يوم 29/ 12/ 1948 عقدنا، بناءً على طلب الأردنيين، اجتماعًا في الزرقاء حضره الفريق الركن صالح صائب الجبوري واللواء الأردني عبد القادر الجندي والزعيم الركن المصري سعد الدين صبور، وتداولنا في الموقف العسكري بصورة عامة. وبنتيجة المداولة تقرر بأن الحركات البسيطة لا تجدي نفعًا، وأن القيام بحركة واسعة يتطلب قوة لا تقل عن فرقة كاملة، نحو هدف معين، ويجب أن تشترك جميع الجيوش العربية معها بالحركة في آنٍ واحد، وذلك لعدم فسح المجال للعدو لجمع قواته من محلات مختلفة لإرسالها إلى منطقة الخطر.

طلبت من الزعيم الركن المصري صبور أن يعتبر نفسه قائدًا عامًا للجيش العراقي، وأن يقدر الموقف بالنسبة إلى المعلومات المتيسرة والوضع الراهن في فلسطين ويضع خطته ويصدر الأوامر إلى الجيش العراقي لتنفيذها بقصد تخفيف الضغط عن الجيش المصري فكتب بخط يده الجواب التالي:

«إذا اتفقــت الآن وفي الحال جميــع الجيوش العربية علــى تدبير خطة مشــتركة لعملية واســعة النطــاق لتخفيف الضغــط عن الجيــش المصري، فالجيش مســتعد لهــذا. ولكن بمفرده لا يوجــد عنده من القــوات ما يكفي لعملية كبيرة واســعة يضطر العدو تحت ضغطها إلــى تخفيف قواته من أمام الجبهة المصرية».

ولقد أبدى الزعيم الركن صبور اســتياءه من مداخلة السياسيين في الأمور العسكرية ومن طلب بعض السياســيين معاونة الجيوش العربية بدون أن يعرف إمكانياتها ومواقفها. وقال إن السياســة تتدخل في الجيوش وذكر مقابلة رئيس وزراء مصر الســيد محمود فهمي النقراشــي بتاريخ 8 أيار 1948 إياه واللواء عثمان المهدي واللواء المواوي، وبالرغم من تأكيدهم للســيد النقراشي بأنهم غير مستعدين للقتال أجابهم «حاندخل الحرب، حاندخل الحرب».

اقترح اللواء عبد القادر الجندي ســحب القوات المصرية من منطقة بيت لحم والخليل لاســتخدامها في الجبهة المصرية، وذلك لحاجة المصريين إلى قوات، فأجاب صبور بأن لا مانع لديه مــن إخبار الحكومة المصرية بذلك، إلا أن الجامعة العربية والحكومة المصرية تعتبران ذلك إخراج المصريين من تلك المنطقة.

القتال في جبهة الجيش العراقي

انشــغل الجيش العراقي في تلك الأيام بمقاتلة الصهاينة باستمرار، ومنها معركــة رامات هاكوفيتش التي مر ذكرها، والتي اســتمرت إلــى ما بعد توقف القتال في الجبهة المصرية بقصد الوصول إلى هدنة دائمة.

الهدنة الدائمة بين المصريين والصهاينة

علمنا فجأة من الإذاعات باتفــاق الطرفين المقاتلين المصري والصهيوني على الدخول فــي مفاوضات هدنة دائمة في مقر الوســيط الدولي في رودس، وتوقف إطلاق النار نهائيًا بين الطرفين اعتبارًا من يوم 7 كانون الثاني 1949.

سير الحركات في الجبهة المصرية

لم يكن لنا علم باتجاهات تقدم الصهاينة وتسلسل الحوادث في الجبهة المصرية، ولكن ظهر أخيرًا بأن الصهاينة قاموا بهجومهم على الجيش المصري اعتبارًا من مساء 22 كانون الأول 1948 من اتجاهين:

الأول: هجوم جانبي على المواقع المصرية ما بين غزة ورفح.

الثاني: من منطقة بئر السبع نحو عسلوج والعوجة.

يظهر أن قصد الصهاينة كان إحاطة القوات المصرية الموجودة في داخل الأراضي الفلسطينية لأسرها أو إجبارها على الانسحاب. ولقد دخل الصهاينة من اتجاه العوجة إلى داخل الأراضي المصرية، وتوغلوا فيها باتجاه العريش أيضًا.

وقعت معارك ضارية بين الطرفين، ولقد أبدت القوات المصرية شجاعة ومقاومة عنيدة، وقامت بهجمات مقابلة فكبدت المعتدين خسائر جسيمة بالأنفس والأسلحة والمهمات.

تأثير انسحاب جيش مصر من القتال

مما لا شك فيه أن انسحاب جيش مصر (وهو أحد الجيوش العربية المعول عليها) من القتال خسارة عظمى لا تعوض، وله تأثير سيئ على موقف الجيوش العربية الأخرى، وعلى القضية الفلسطينية بكليتها لصالح الصهاينة، وبانت النتائج السيئة المتوقعة لذوي البصيرة.

ولقد حذت الحكومات العربية المتاخمة لفلسطين حذو الحكومة المصرية في مفاوضات الصهاينة على الانفراد، ويا للأسف.

موقف مجلس الأمن من تنفيذ قراراته

بالرغم من استمرار القتال واستغراق مفاوضات الهدنة في رودس بعد ذلك مدة طويلة، فإن مجلس الأمن لم يستطع أو بعبارة أصح لم يهتم بتنفيذ

قراراته المتعددة التي اتخذها بتاريخ 4 و16 تشــرين الثاني و19 كانون الأول والتي تقضي برجوع القوات الصهيونية إلى حيث كانت يوم 14 تشــرين الأول 1948. كما وأن الصهاينة لم يمتثلوا لأوامر مجلس الأمن، ولا لأوامر الوسيط الدولي. وقد ظهر جليًا بــأن مجلس الأمن لم يكن جادًا في تنفيذ قراراته ما دام الأمر والموقف الأخير في صالح الصهاينة.

احتلال الصهاينة النقب الجنوبي حتى خليج العقبة

كانت القوات الأردنية تحتل النقب الجنوبي (الكائن جنوب بئر الســبع)، ولها مفارز ما بين الحدود الأردنية الفلســطينية من جهــة وادي عربة، وما بين الحدود الفلســطينية المصرية من جهة صحراء سيناء. وكانت هذه المراكز التي تشغلها القوات الأردنية تسد الطرق المؤدية من الشمال إلى خليج العقبة، بوجه الصهاينة إذا ما أرادوا التوغل في تلك المنطقة.

بعد توقف القتال كانت القوات الصهيونية تواصل زحفها في بعض المناطق لتســتولي على أكبر مســاحة ممكنة من فلســطين. وبينما كان الوفدان الأردني والصهيونــي يتفاوضان في رودس على شــروط الهدنة الدائمة، بوشــر بتطبيق المؤامرة المبيتة بين الصهاينة والإنكليز بسلب النقب بأجمعه من العرب.

وبعد أن تأكد الصهاينة من أن واجب القوة الإنكليزية في العقبة هو الدفاع عن العقبة فقط إذا مــا هوجمت من قبل الصهاينة لوقوعهــا في داخل الحدود الأردنية، وبعــد أن تأكدوا أيضًــا أن القوة الإنكليزية لا تتدخــل في الحركات في النقب الجنوبي الذي هو جزء من فلســطين، وأنهــا لا تدخل إلى الأراضي الفلســطينية، تقدمت القوة الصهيونيــة من جهة كما صــدرت من جهة أخرى أوامر القيادة الأردنية إلــى قوتها في النقب الجنوبي بتــرك مراكزها في النقب والانســحاب لتفادي الاصطدام بين القوتيــن. وهكذا لم يقع قتــال يذكر بين الأردنيين والصهاينة ليكــون دليلًا على خرق الصهاينة الهدنــة، وإن كانوا غير مكترثين بالهدنة ولا يوجد من يحاسبهم على خرقها.

أرسلت الحكومة الأردنية احتجاجاتها على حركات الصهاينة إلى الوسيط الدولي، فكان هذا يهمل بعضها ويماطل بطلب تفصيلات عن البعض الآخر، ولم تتخذ إجراءات فعالة في الموضوع لردع المعتدين.

أنكر الصهاينة في بادئ الأمر حركات قوتهم في النقب الجنوبي، ولكنهم بعد أن احتلوا (المرشرش) على خليج العقبة وسموه إيلات في 10 آذار 1949، اعترفوا باحتلالهم النقب الجنوبي مدعين بأنه جزء من فلسطين ولقد أعطي لهم بموجب قرار التقسيم الصادر سنة 1947.

إن احتلال الصهاينة النقب الجنوبي شطر العالم العربي إلى شطرين ولم يبقَ اتصال بري بين مصر والأردن وما ورائهما من أراضٍ عربية، وأعطى الصهاينة ميناءً على البحر الأحمر (خليج العقبة)، وذلك علاوةً على الساحل الطويل الممتد على البحر الأبيض المتوسط، كما أمن لهم السيطرة على مساحة شاسعة تقدر بآلاف الكيلومترات.

وللنقب الجنوبي أهمية عظيمة بالنسبة إلى العرب، ومنها أنه لو بقي النقب الجنوبي بيدهم، لكان بالإمكان إمرار الطريق البري المنوي إنشاؤه لربط البلاد العربية، من النقب بدلًا من التفكير بإمراره إلى العقبة ومنها بحرًا إلى الأراضي المصرية.

الفصل الخامس والعشرون

القضية الفلسطينية في مجلس الأمة العراقي

الجلسة المشتركة لمجلس الأمة العراقي والقرارات المتخذة للدفاع عن فلسطين

في 24 و28 تشـــرين الثاني 1948 حضرت الجلســـة المشتركة لمجلس الأمة العراقي كمستمع، واستمعت إلى إيضاحات رئيس الوزراء، وخطب بعض أعضاء المجلس حول فلسطين. وفي ختام الجلسة اتخذ القرار التالي ذو الثلاث نقاط بالإجماع، وهو:

1 - وضع خطة عسكرية للدفاع عن فلسطين (يوضع فيها لكل جيش من الجيوش العربية واجباته وأهدافه).

2 - وضع خطة سياسية عربية موحدة مقرونة بتأييد صريح قطعي من ذوي الحل والعقد والمســؤولين في الدول العربية، تعين بصراحة ووضوح الأعمال الحاسمة التي ينبغي القيام بها للقضاء على أية محاولة لتكوين دولة يهودية في فلســطين، ومن ضمن ذلك الخطة التي يجب اتباعهـــا لمقاومة أي قرار تتخذه هيئة الأمم المتحدة لتكوين دولة يهودية في فلسطين.

3 - أن تســتهدف الخطط الواردة في المادتين 1 و2 أعلاه العمل السريع بجميع الوسائل العســكرية والسياسية لتطهير أراضي فلســطين من العصابات اليهوديــة. ومن ضمنهـــا مدينة القدس بكاملهـــا، وذلك لخطــورة أهميتها من النواحي العسكرية والسياسية والدينية.

عقد الأردن الهدنة مع الصهاينة في جبهة جيشه

في نفس اليــوم الذي اتخذ فيه مجلــس الأمة العراقــي قراراته هذه عقد الأردن هدنة مع الصهاينة في جبهة جيشه، شــملت الجبهة المصرية في منطقة بيت لحم والخليل أيضًا كما مر ذكره في الفصل 21.

بيانات السيد مزاحم الباجه جي رئيس الوزراء

أدلى رئيس الوزارة العراقية ببيانات حول قضية فلسطين في مجلس الأمة إلى الصحف اطلعت على قســم منها. وأدون في أدناه بيــان الباجه جي الذي خص به صحيفة الزمان العراقية، والذي نشر في العدد 3365 بتاريخ 9 تشرين الثاني 1948 تحت العناوين التالية:

بيان خطر لفخامة الباجه جي يخص به (الزمان).

قضية فلسطين لا تحل إلا في فلسطين.

رضوخ العــرب لطلب مجلس الأمــن، وتأكيد العراق بالاســتمرار على القتال.

توجيــه النقد إلى الجيــش العراقي لا يقره الإنصــاف لأن اقتراح العراق بتوحيد القيادة لم يقبل.

قال رئيس الوزراء:

أسمع أن هناك دعايات تبثها بعض الجهات العراقية وغيرها خارج العراق من أن العراق قصّر في معالجة قضية فلسطين. فلأجل وضع الأمور في نصابها وتنوير الرأي العام أسمح لنفسـي بالإدلاء بالمعلومات الآتية بقدر ما تسمح به الظروف الراهنة:

تقسيم فلسطين

ثم سرد فخامته هذه النقطة قائلاً:

إن جمعية الأمم المتحدة قررت قبول مبدأ تقســيم فلســطين وإقامة دولة صهيونية في أواخر تشرين الثاني 1947.

تدخل الدول العربية

وقد كانت الظروف عندئذٍ مساعدة للتهيؤ والعمل على محاربة هذا القرار وكان بإمــكان الدول العربية لو أحســنت التصرف أن تقوي جيوشــها وتوحد خططها وتنتهج سياســة حازمــة، لا أن تلهي نفســها بالاجتماعات والخطب والبيانات التي ثبت سقمها وعدم فائدتها.

ثم عندما اتفقت الدول العربية على الدخول إلى فلسطين تخليصًا لإخواننا العرب من مظالم الصهيونيين وجرائمهم التي ارتكبوها في فلسطين، لم تستعد الاستعداد اللازم لما يتطلبه هذا التدخل أو بالحقيقة هذه الحرب.

إني من أنصار سياســة تدخل العرب حربيًا لتخليص فلســطين، لأني لم أعتقد أن هناك عملًا يؤدي إلى تخليص فلسطين من الصهاينة غير إجماع الدول العربية على القيام بعمل حاسم في فلسطين نفسها.

عبث الاعتماد على المنظمات الدولية

وإن جريــدة (الزمــان) الغراء تعلــم بأني كنــت على الــدوام غير مؤمن بالمنظمات الدولية، وعندما كان الكثيرون في العراق - ومن جملتهم الأحزاب - يطالبون بإلحاح رفع [برفع] قضية فلسطين إلى مجلس الأمن، كنت متشبثًا برأيي من أن قضية فلسطين لا تحل إلا في فلسطين. وأن تجاربي السابقة واشتغالاتي لدى عصبة الأمم كانت على الــدوام تبرهن لي عقم الاعتماد والثقة بأمثال تلك المنظمات الدولية.

تقصير العرب عسكرياً

غير أني وجدت أن الدول العربية عندما قررت الحرب لم تأخذ بأســباب الاســتعداد، ولم تعمل بأســاليب التعبئة اللازمة في هذا البــاب، فبدلًا من أن تعبئ جميع جيوشها وتســتغل جميع إمكانياتها لضرب الصهاينة ضربة حاسمة لتخليص فلسطين، فإنها اكتفت بسوق قسم ضئيل من جيوشها إلى ساحة القتال.

الهدنة الأولى أفادت الصهاينة

ومع أن هــذه الجيــوش القليلة تمكنت مــن إنزال بعــض الضربات في الصهاينــة، فقد وافقــت الحكومات العربية علــى الهدنة لمدة أربعة أســابيع. وقد ظهر بشكل لا يقبل الشــك أن تلك الهدنة أفادت الصهاينة فوائد كبرى إذ مكنتهم من تكثير جيوشهم بإدخال عدد كبير من صهاينة أوروبا المدربين على الحرب. وكذلك مكنتهم من تزويد جيشهم بكثير من العتاد والسلاح والدبابات والطيارات لانعدام وســائل الرقابة الدولية، ولوجــود مواطنين صهاينة في كل البــلاد الأوروبية هبوا كلهم لنجــدة الصهاينة في فلســطين وتزويدهم بكل ما يحتاجون إليه. وبدلًا من أن تعتبر الــدول العربية بهذا الأمر، فإنها وافقت على الرضوخ في آب الماضي إلى طلب مجلس الأمن بإيقاف الحرب التي استؤنفت بعد نهاية الهدنة الأولى، بالرغم من تأكيد العراق بلزوم الاســتمرار على القتال حتى النهاية، لأنــه كان متوقعًا في ضوء تصرفات اليهود خلال الهدنة الســابقة بأن الهدنة الثانية ســتكون أيضًا لصالح اليهود وتؤدي حتمًا إلى تقوية مركزهم. ولكنه ظهر مع الأسف أن أكثرية الدول العربية وافقت على إيقاف القتال وبذلك مهدت إلى وقوع النتائج المؤلمة التي نراها الآن في ميادين فلسطين.

توحيد القيادة

ثــم حالما أتيت إلــى الحكم ذهبت إلــى مصر لحضور اجتمــاع اللجنة السياسية في القاهرة، وكان ذلك في أوائل تموز، وكانت مهمتي الوحيدة آنذاك هي إقناع الدول العربية بلزوم توحيد القيادة، وبذلك يمكن الحصول على خطط موحدة تنفذها الجيوش العربية فيما إذا اســتؤنف القتال، أو استهترت الجهات الصهيونية بشروط الهدنة، وما قد يفرض على العرب من هدنات أخرى.

إني لم أترك بابًــا إلا وطرقته في ســبيل تحقيق هذه الوحــدة في القيادة وواصلت جهودي بهذا الصدد خلال جميع أسفاري إلى خارج العراق، ولكن مع الأسف الشــديد وجدت بعض الجهات غير ميالة إلى تحقيق هذه السياسة لأسباب لا أعلمها بالضبط، ولا أستطيع أن أعتبرها مبررة.

أمـا توجيه النقد ضـد الجيش العراقـي، فلا أعتبره وليـد الإنصاف لأن الحكومة العراقية كانت على أتم الاستعداد لوضع الجيش العراقي تحت القيادة الموحدة لتتصرف به كيفما تشـاء. أما بعد أن رفضت فكـرة توحيد القيادة فقد انتقل الأمـر إلى القيادة العراقية وحدها، وهي السـلطة الوحيـدة التي تقرر ما يمكن إجراؤه عند خرق الصهاينة لشـروط الهدنة، وقيامهم بحركات عسكرية في هذا الصدد.

أما الوزارة العراقية فلا يمكنها مطلقًا التدخل في سلطات القيادة العراقية وهي الخبيرة بالأمور، ولا يصح للوزارة توجيه الجيش خلافًا لما ترتئيه القيادة، لأن في ذلك مسؤوليات جسيمة خطيرة لا يحق لرجل مدني مهما كانت سلطته أن يتحملها. ومـا دامت فكرة توحيد القيادة لم تتحقق فـإن الوزارة العراقية لا يمكنها أن توصي بخطة، أو أن تصدر أوامـر إلى القيادة العراقية خلافًا لما تراه وتقرره هي باعتبارها المسؤولة وحدها عن سلامة الجيش، والخطط التي تحقق هذه السـلامة، بعدما وقع في الميادين الأخرى، وبعدما بخلت بعض الجهات العربية في تزويد القيادة العراقية بالمعلومات المقتضية حول حركات الصهاينة في الإخلال بشروط الهدنة.

الوضع المالي

هذا ما يتعلق بأمر فلسـطين. وأما معالجة الوضع المالي فالجهود مبذولة لاتخاذ تدابيـر عاجلة وأخرى آجلة. وأرجو أن هذه الجهود سـتكلل بالنجاح، وسيطلع الشـعب على بعضها أو كلها في القريب العاجل. أقول هذا ولا أعني أن القضية سـهلة، بل أود أن يعلم الجميع أن القضية في غاية الخطورة، وأنها تتطلب جهودًا جبارة لمعالجتها.

الخلاصة

ومن هنا يتبين لكم أن الوضع - سـواء كان بشـأن فلسطين أم فيما يتعلق بوضع البلاد المالـي- في غاية الخطـورة وينبغي على العراقيين أن يتناسـوا

أحقادهم الماضية واختلافاتهم السياسية ولو مؤقتًا، ويوحدوا جهودهم، ويتعاونوا بإخلاص لمعالجة هذا الوضع الخطير. والله من وراء القصد.

استفسار وجواب حول بيان رئيس الوزراء

نشرت الصحف العراقية الصادرة يوم 28 كانون الأول 1948 جواب رئيس الوزراء في جلسة مجلس النواب بتاريخ 27/ 12/ 1948 على سؤال أحد النواب حول الوضع في فلسطين كما يلي:

«إن الأمور التي وردت في سؤال النائب المحترم لا يمكن الإجابة عليها بدون تعريض مصلحة البلاد وسلامتها إلى الخطر، ولهذا فإني لا أستطيع مع الأسف الشديد أن أجيب على تلك الأمور. فنحن وضعنا كل شيء أمام القيادة العراقية العامة، وبالنظر لإخفاق الدول العربية في الاتفاق على توحيد القيادة وتوحيد الخطط فقد أصبحت القيادة العامة العراقية هي السلطة الوحيدة التي لها حق تقرير ما يلزم أن يعمل وما يمكن أن يعمل. أما ميولي نحو مصر وسياستي المعلنة سابقًا في هذا الشأن، فهي لم تزل باقية والحوادث زادتها قوة ومناعة، ولكن بالنظر للوضع الراهن وما فيه من ملابسات واختلاطات، لا أعتقد هناك مصلحة في الإفساح للرغبات المدنية أن تتدخل في الأمور التي أصبحت من اختصاص القيادة العسكرية العراقية العامة».

وعلى إثر ذلك استفسرت من وزير الدفاع بكتابي المؤرخ في 29/ 12/ 1948 عن قصد رئيس الوزراء في جوابه ومدى صلاحية ومسؤولية القيادة العامة العراقية في الأمر. فوردني الجواب التالي بكتاب وزير الدفاع المؤرخ في 6 كانون الثاني 1949.

«إن غاية رئيس الوزراء من البيان المذكور هي عدم التورط بذكر أمور قد تربك القيادة العامة وهو لم يقصد بتصريحه أن القيادة مسؤولة عن تعيين سياسة الحرب في فلسطين غير أنه استهدف أن يبين للنواب المحترمين أن الحكومة تعتمد على القيادة العامة وتدابيرها فيما يتعلق بالموقف العسكري، وأن هذه القيادة هي التي تتصرف بأمور القتال، وتقرر ما في إمكانها عمله، إذ ليس من

حق أية جهــة التدخل بتفاصيل الحركات العســكرية التي هــي من اختصاص القيادة فقط، وهي أعلم بها من غيرها وأدرى».

الإجراءات التمهيدية التي قامت بها الوزارة العراقية في تنفيذ قرار مجلس الأمة

في يوم 6 كانون الثاني 1949 اســتقالت وزارة السيد مزاحم الباجه جي، وأسندت رئاســة الوزارة الجديدة إلى السيد نوري السعيد، ومما جاء في كتاب التوجيه حرفيًا ما يلي:

«وفي الوقت الذي نعهد إليكم برئاســة الوزارة لنا كل الثقة بأن فخامتكم ســتضعون نصب أعينكم بالدرجة الأولى قضية فلسطين، وصرف كل الجهود والإمكانيات لأجل تأمين الغاية السامية التي توخيناها وهي إنقاذها من محنتها وتنفيذ مقررات مجلــس الأمة الصادرة بتاريخ 28 تشــرين الثاني 1948 والله ولي التوفيق».

ومما جاء في جواب رئيس الوزراء الجديد حرفيًا ما يلي:

«فقد صدعت بأمر ســموكم متوكلًا على الله تعالى، ومعتمدًا على إرشاد سموكم، هادفًا إلى خدمة البلاد بوجه عام، وخدمة فلسطين بصورة خاصة، على ضوء قرار مجلس الأمة المتخذ بالإجماع بتاريخ 28 تشرين الثاني 1948.

ولما كان النجاح في حل قضية فلســطين على أســس قرار مجلس الأمة يتوقف بالدرجة الأولــى على تعاون جميع العناصر الوطنيــة العراقية، وجميع دول الجامعة العربية الشــقيقة، فإنني سأبذل كل ما في وسعي لجمع الصفوف، وتوحيد الجهود في الداخل والخارج لإنقاذ فلســطين مــن محنتها، والخروج بالأمة العربية عزيزة مرفوعة الرأس من هذه التجربة القاســية التي عرضتها لها أخطاء الماضي».

تأليف لجنة

في 10/ 1/ 1949 ألفت لجنة برئاسة السيد جميل المدفعي رئيس مجلس الأعيان وعضوية السيد عبد الوهاب مرجان رئيس مجلس النواب والنائب السيد حسين جميل، أنيط بها أمر الاطلاع والإشراف والمداولة على تطبيق وتنفيذ ما جاء في قرار مجلس الأمة العراقي المتخذ بالإجماع بجلسته المشتركة المنعقدة بتاريخ 28 تشرين الثاني 1948.

كتاب رئيس الوزراء العراقي إلى رئيس الوزراء المصري

في 10/ 1/ 1949 أرسل رئيس الوزراء العراقي كتابًا إلى رئيس الوزراء المصري السيد إبراهيم عبد الهادي حمله الدكتور فاضل الجمالي، بين فيه تصميمه على التعاون معه تعاونًا وثيقًا ضمن الأسس الواردة في قرار مجلس الأمة العراقي، وأبدى استعداده لمقابلته في الفرصة التي ينسبها لوضع خطة عربية محكمة لقيادة دفة الحرب، وتسييرها سيرًا صحيحًا يضمن الخروج بفلسطين إلى ساحل السلامة، وفقًا لما تسمح به الظروف الحاضرة القاسية ويتفق والقابليات والإمكانيات، ووضع خطة محكمة تتفق عليها الدول العربية اتفاقًا حقيقيًا وتؤيدها بكل قواها، ورجا أن يكون الجواب في فرصة قريبة.

جواب رئيس وزراء مصر

في 17/ 1/ 1949 وصل جواب رئيس وزراء مصر المؤرخ في 15/ 1/ 1949 الذي أشار فيه إلى اجتماع رؤساء هيئات أركان حرب الجيوش العربية في شهر تشرين الثاني 1948، وقراراتهم حول الوضع العسكري في فلسطين، الذي يساعد على تفهم الشق الأول من كتاب رئيس وزراء العراق فيما يخص الخطة العسكرية. وذكر بأنه ليسره بطبيعة الحال أن يجتمع برئيس وزراء العراق لتبادل وجهات النظر في هذا الأمر الخطير الذي يهم الجميع.

استدعاء وزير مصر المفوض إلى ديوان الرئاسة وسفره إلى مصر

في 18/ 1/ 1949 استدعى رئيس الوزراء العراقي الوزير المصري المفوض السيد محمد ياسين إلى ديوان الرئاسة بحضور وزير الخارجية، وأطلعه على كتابه الذي أرسله إلى رئيس وزراء مصر، والجواب الذي تلقاه واستوضح منه قصد رئيس وزراء مصر في جوابه، وهل هو يقصد الاستمرار في القتال، أو عدم الرغبة فيه. ورجا من الوزير المصري المفوض أن يرسل برقية مستعجلة لحكومته يستمزج رأيها في وجهة نظر رئيس الوزراء العراقي، وأن يكون الجواب صريحًا كما كان هو صريحًا في الملاحظات التي قدمها في كتابه الموجه إلى رئيس وزراء مصر.

ملخص وجهة نظر رئيس الوزارة العراقي

1 - تمسك المفاوضين المصريين في رودس بمقررات مجلس الأمن حرفيًا أمر ضروري، إلا إذا كان هناك أمور يجهلها تتعلق بالحكومة المصرية.

2 - عدم سحب القوات المصرية من الأماكن التي كانت تحتلها قبل مقررات مجلس الأمن كالفالوجة وغيرها.

3 - إذا لم يقبل اليهود بتنفيذ مقررات مجلس الأمن يطلب رفع حظر السلاح عن الحكومات العربية وإبقاء هذا الحظر على اليهود مع تشديد الرقابة، ولا سيما البحرية منها لمنع تسرب تهريب السلاح.

فوعد الوزير المفوض بإرسال برقية إلى حكومته بصورة فورية. وعندما سأله رئيس الوزراء عما إذا كان مستعدًا للسفر إلى مصر لتوضيح وجهة النظر العراقية إلى حكومته أجاب بالإيجاب. وعلى ذلك أمر رئيس الوزراء العراقي بإعداد طائرة عراقية لنقل الوزير المفوض إلى مصر صباح يوم 19/ 1/ 1949.

والخطة التي اقترحها رئيس الوزراء العراقي هي:

1 - عدم قبول المفاوضة مع لجنة التوفيق في بادئ الأمر وحمل هذه

اللجنة على المفاوضة مع اليهود، لأن هؤلاء هم المعتدون، ولا يوجد ما يجب أخذه من العرب لإعطائه إلى اليهود.

2 - اتفاق الحكومات العربية على وضع أســس ومبادئ معينة للمفاوضة مع لجنــة التوفيق والســعي لحمل بريطانيــا والولايات المتحــدة على قبولها وتأييدها لها.

اجتماع رئيس الوزراء مع السيد جميل المدفعي وإيفاده إلى البلاد العربية

وفي 20/ 1/ 1949 اجتمع رئيس الوزراء العراقي بالسيد جميل المدفعي، واســتعرضا الوضع بصورة عامة، وبعد مداولات طويلة اســتقر الرأي على أن يسافر السيد المدفعي إلى الأقطار العربية الشقيقة لبيان رأي العراق والاتفاق مع رجال البلاد العربية على ما يتقرر العمل به من قبل جميع البلاد العربية حســب خطة موحدة. ولقد سافر المدفعي وبصحبته اللواء الركن إسماعيل صفوت يوم 23/ 1/ 1949 إلى دمشق، ومنها إلى بيروت، ثم القاهرة.

كما أرسلت الحكومة الســورية الســيد لطفي الحفار إلى مصر للاتصال بالحكومة المصرية ومعرفة نواياها والمداولة معها.

مقابلة السيد جميل المدفعي لرئيس الوزراء المصري

قابل الســيد جميــل المدفعي رئيس الــوزراء المصري وبعد اســتعراض الحوادث والأحوال في فلســطين والبــلاد العربية ذكر الســيد المدفعي اقتراح الحكومة العراقية رسم خطة سياسية للعمل بموجبها قبل الاتصال بلجنة التوفيق، فقال رئيس الوزراء المصري أن الحكومة المصرية توافق على هذا المبدأ.

وعند التحدث عن مفاوضات رودس ذكر الســيد المدفعي ضرورة حصر المفاوضات في طلب تنفيذ قرارات مجلــس الأمن، وعندما لا يوافق الصهاينة على ذلك، فيجب أن يطلب رفع حظر الأســلحة عن الــدول العربية وحصره

بالصهاينة فقط، مع تشديد الرقابة على المنافذ البحرية. فقال رئيس وزراء مصر إن الحكومة المصريـــة مبدئيًا قد دخلت المفاوضات مـــع اليهود حرة وحدها، وإنها ســـتكمل الأمر وحدها أيضًا، ودون التقيد بغيـــر إمكانياتها. على أنها من الطبيعي أن تسلك كل الطرق لتحقيق المطاليب العربية. وإن التشدد في مفاوضة اليهود يجب أن يكون مستندًا إلى قوتنا وقدرتنا على استئناف القتال أو عدمه.

تحاشي الحكومة المصرية اجتماع مجلس الجامعة أو اللجنة السياسية

ظلت الجهات المصرية تتحاشـــى عقد الاجتماعات الرســـمية التي تضم ممثلي الدول العربية، أو بعضهم مجتمعين، وقد علم الســـيد جميل المدفعي من الســـيد لطفي الحفار، وغيره ممـــن اتصلوا برئيـــس وزراء مصر، أو وزير خارجيتهـــا، أنهم مـــا زالوا مصرين علـــى رفض اجتماع مجلـــس الجامعة أو اللجنة السياسية.

الاجتماع في دار رئيس وزراء مصر

دعا رئيـــس وزراء مصر إلى بيتـــه عصر يوم 5/ 2/ 1949 الســـيد جميل المدفعي، والســـيد لطفي الحفار، ووزير خارجية مصر، ووزير المملكة العربية السعودية المفوض، ووزير لبنان المفوض، والسيد علي المؤيد مندوب اليمن، والسيد عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية.

تـــداول المجتمعون فـــي أمر لجنة التوفيـــق والتطورات التـــي وقعت في فلسطين، ودعوة الوســـيط الدولي، وغير ذلك من الأمور التي تخص الموقف الراهن واتخذوا القرارات التالية ووافقوا عليها:

1 - الاكتفـــاء الآن بمثل هـــذه الاجتماعات التي يحضرهـــا ممثلو الدول العربية الموجودون في القاهرة لتوحيد وجهات النظر في السياسة المشتركة بين دول الجامعة العربية في الأمور الراهنة بدلًا من دعوة مجلس الجامعة أو اللجنة السياسية.

2 – إن دعوة نائب الوسيط التي وجهت أخيرًا إلى الدول العربية للاجتماع فرادى أو جماعات، يتوقف قبولها على نجاحه في إلزام اليهود باحترام قرارات مجلس الأمــن الصادرة في 4 و16 تشــرين الثاني و29 كانــون الأول، والتي تجري المباحثات الآن في رودس ضمن نطاقها.

3 – يكون اتصال الدول العربية بالوســيط الدولــي أو بلجنة التوفيق في المستقبل مجتمعة بعد اتفاق الرأي فيما بينها، ســواء أكان ذلك في مفاوضات الهدنة الدائمة أو التسوية النهائية للقضية الفلسطينية.

4 – إذا اتصلت لجنــة التوفيق بالحكومات العربية فــرادى أو جماعات، فيجب أن يحصر البحث معها بمســألة اللاجئين كأساس للدخول في بحث أي مسألة أخرى. ومن قبيل الإجراءات يحسن أن يطلب إلى اللجنة أن تعرف رأي اليهود أولًا.

5 – يرى المجتمعون أن تتصل حكومات الدول العربية بحكومتي بريطانيا والولايات المتحــدة الأمريكية لاســتعمال نفوذهما في الضغــط على اليهود لاحترام مقــررات مجلس الأمن، فإذا لم يســتجيبوا لها، فيطلب أن تســتعمل الدولتــان نفوذهما في مجلس الأمــن وهيئة الأمم المتحــدة لتوقيع العقوبات عليهم، ورفع حظر الأسلحة عن العرب وتشديد المراقبة على اليهود برًا وبحرًا وجوًا.

وقد أعلم رئيــس وزراء مصر المجتمعين أن مفاوضــات رودس لا تزال ســائرة، وإن كان يعترضهــا كثير من العقبات بســبب تعنت اليهــود. على أن الحكومة المصرية سوف تطلع الحكومات العربية عليها قبل إبرامها.

توقيع المصريين والصهاينة على اتفاقية الهدنة الدائمة

في 24 شــباط 1949 فهم مــن الإذاعات بــأن مفاوضــات الهدنة بين المصريــن والصهاينة انتهــت وتم التوقيع على الشــروط المتفــق عليها بين الطرفين. وكانت هــذه مفاجأة خلافًا لمــا تعهدت به الحكومــة المصرية من

أنها ستطلع الحكومات العربية على ما تم بينها وبين الصهاينة من مفاوضات وشروط هدنة قبل إبرامها.

تقرير عن الوضع في فلسطين

لقد ازداد الوضع في فلسطين سوءًا بعد توقف القتال في جبهات مختلف الجيوش العربية، باستثناء الجيش العراقي وتسابق الحكومات المصرية والسورية واللبنانية والأردنية إلى عقد الهدنة الدائمة مع الصهاينة، وتحسن موقف القوات المعادية من وجهة الاستعدادات الحربية، وعدم التمكن من تأمين احتياجات الجيش العراقي. وعليه قدمت في 25 كانون الثاني 1949 إلى وزير الدفاع التقرير التالي، وقد أرسل وزير الدفاع التقرير إلى رئيس الوزراء مؤيدًا ما جاء فيه:

سري للغاية وعلى الفور

الرقم: 19/ و
25/ 1/ 1949

معالي وزير الدفاع

الموضوع: معالجة الموقف في فلسطين

لا شك في أن معاليكم مطلعون تمام الاطلاع على الحالة الراهنة في فلسطين من مختلف نواحيها، وذلك من الإيضاحات والتقارير التي قدمت إلى معاليكم في مختلف المناسبات، ومن تتبعكم الشخصي للموقف باستمرار.

ومع هذا أرى ضرورة تقديم الملحوظات المختصرة التالية عن الوضع الراهن لإعطاء صورة واضحة وعامة عنه بقدر الإمكان، راجيًا أن تنظروا فيما يقتضي اتخاذه من التدابير العاجلة الفعالة لمعالجة الحالة.

1 - لا يخفى على معاليكم أن السياسة قد كانت ولا تزال تلعب دورًا رئيسيًا وخطيرًا في قضية فلسطين ويكاد الظفر الذي أحرزه اليهود يعزى إلى

نجاحهم الكبير في ميدان السياسة، واستغلالهم الفرص لاستمالة الدول والحكومات إلى جانبهم. وقد مكنهم هذا من تساهل الدول في تزويدهم بمختلف الأسلحة والمهمات العسكرية سرًا أو علنًا. ولكن بالرغم من حق العرب الصريح في قضية فلسطين وخطورة هذه القضية على مستقبل البلدان العربية جمعاء، فلم تتمكن السياسة في مختلف الدول العربية من الوصول إلى نتائج مثمرة، لا في توحيد سياستها فيما بينها في هذا الهدف المشترك الخطير، ولا بالنسبة إلى السياسة الخارجية التي كانت تقضي بانتهاج خطة موحدة مرسومة لاستعمال جميع وسائل الضغط والمساومة في سبيل تدعيم المجهود الحربي لجميع الجيوش العربية. ومع ذلك فإن الحركات العسكرية في فلسطين قد تأثرت منذ البدء بالعوامل والمقررات السياسية التي أدت إلى الحالة القائمة الآن.

2 - لقد ساء الموقف العسكري بوجه عام في فلسطين، خاصة بعد حركات النقب الأولى في أواسط تشرين الأول 1948، وحركات اليهود في منطقة الجليل في أواخر الشهر المذكور، والتي أدت إلى انسحاب جيش الإنقاذ إلى داخل الأراضي اللبنانية. وبذلك لم يبقَ في فلسطين من القوات التي يعول عليها إلا الجيش [الجيشان] العراقي والأردني. وليت الأمر اقتصر على هذه الحالة المؤلمة إلى أن تتمكن الحكومات العربية من لم شعثها وتوحيد سياستها، وتعاون جيوشها في حركاتها. ولكن الموقف زاد تردّيًا عندما عقدت الحكومة الأردنية هدنة مع اليهود في منطقة جيشها، وصرحت بالإضافة إلى ذلك بأنها لا تشترك مع الجيش العراقي إذا قام بحركات.

وهكذا تنصلت الحكومات العربية الواحدة تلو الأخرى مكرهة أو مختارة من مسؤولية القيام بالأعمال الحربية في فلسطين، كما اطمأن العدو أيضًا من سياسة هذه الحكومات وخطر جيوشها، وبذلك تمركزت جميع الأعباء والمخاطر على عاتق الجيش العراقي وحده. أما الحكومات العربية فلم نعد نسمع منها غير التأييدات والأقوال في الجرائد والإذاعات، وعلى الأخص من

قبل رجال الحكومات التي ليس لجيوشـــها أثر في ميدان الحرب في فلسطين، ولا يهم تلك الحكومات المماطلة والتسويف.

3 - ولقد أدت الحوادث التي وقعت منذ بدء الحركات في فلســطين إلى تردٍ خطير في الصلات بيـــن بعض الحكومات العربيـــة وبعضها الآخر فبلغت درجـــة مؤلمة من القطيعـــة والتنابذ. وهـــذا مما يبعد الأمل فـــي إمكان توحيد جهودها وتعاونها في قضية فلسطين. وإن اجتماع رودس الأخير بين المصريين واليهود واتفاقهم على ســـحب القـــوات المصرية من الفالوجة وعدم تمســـك المصريين بقـــرار هيئة الأمم المؤرخ في 4 تشـــرين الثاني 1948 لدليل واضح على عدم تقيدهم بدول الجامعة العربية فيما يسلكونه في هذه القضية.

ومما زاد الطين بلة ما يشـــاع عن إجراء مداولات ومذاكرات مباشرة وغير مباشـــرة بين بعض الدول العربية واليهود واجتماعات خفية تعقدها هذه الدول معهم على انفراد وفي طـــي الخفاء عن الدول العربيـــة الأخرى. ولا يخفى ما يسببه ذلك من تباعد الشقة وتزايد الشكوك وتفكك الأهداف، مما لا يستفيد منه في نهاية الأمر سوى العدو.

4 - لقد سبق أن طلبت مرارًا في عدة تقارير مصارحة الحكومات العربية بعضها لبعـــض وتعيين موقف كل منهـــا بجلاء قبل الوقوع فـــي مأزق يصعب التخلص منها. ولكن بالرغم من مرور أكثر من ثلاثة أشـــهر على قيام حركات النقب الأولى، وحـــركات الصهاينة في منطقة الجليل، ووقـــوع المحاذير التي توقعناها وتحرج الموقف العسكري في فلسطين، فلم [لم] يتخذ حتى الآن قرار حاسم لمعالجة الموقف حسبما تمليه تطورات الوضع ومستلزمات الحال.

5 - وغني عن البيان أن الجيش العراقـــي لا يتمكن من معالجة الموقف في فلســـطين بمفرده، كما لا يؤمل منه القيام بأعمال واسعة لوحده وبإمكانياته الحاضـــرة. وغير خاف أن موقف القوات الصهيونية في تحســـن مســـتمر وأن كل يوم يمر هو فـــي مصلحة اليهود من وجهة الاســـتعدادات الحربية، كما لم

يبقَ أمامهم غير الجيش العراقي بمفرده ولا يمكن الركون إلى قيام الهدنة أو المقررات التي صدرت من هيئة الأمم أو مجلس الأمن، والتي لم يتورع الصهاينة عن الاستهتار بها كلما تطلبت مصلحتهم. ولا يخفى عظم المسؤوليات التي يتحملها الجيش العراقي في فلسطين بالنظر إلى سعة المنطقة التي يحتلها وإلى طبيعتها الجغرافية وإلى امتداد الجبهات المسؤول عنها [...] مسافات شاسعة في اتجاهات مختلفة. كل ذلك يحتم علينا التفكير في موقفنا قبل أن تفاجئنا الحوادث.

6 - لم يعد الوضع في فلسطين خافيًا على أحد. وإن الكثيرين من رجالات البلد أصبحوا عارفين بالموقف العام، وبموقف الجيش العراقي الحالي، ومقدرين خطورته، وقد حصل بعضهم على معلومات مفصلة وكافية في الاجتماعات السرية والمؤتمرات وغيرها. ولا شك أن كل من له اطلاع على هذا الموقف من الرجال المسؤولين وغيرهم أصبح يقدر ضرورة معالجة الوضع بصورة جدية وسريعة بعد أن بقي الجيش العراقي وحيدًا في الميدان، بينما ذهبت الحكومات العربية الأخرى مذاهب شتى في مراميها السياسية والعسكرية وأصيبت بعضها بانتكاسات أبعدتها عن الميدان.

7 - بناء على ما بيناه نرى أن الواجب يحتم علينا التنبيه إلى الأخطار التي قد يتمخض عنها الوضع وضرورة تداركها قبل وقوعها. لذلك نرجو النظر في معالجة هذه القضية الخطيرة، وإننا نؤكد بصورة خاصة ضرورة سرعة معالجة الأمرين التاليين:

أ - تأمين الطيارات والمصفحات وأسلحة ضد الطيارات وضد الدرع والأعتدة لقطعاتنا بصورة فورية لتتمكن من مجابهة العدو، إذ لا يخفى أننا أصبحنا لا نملك شيئًا ذا بال من الطائرات والمصفحات والأسلحة المضادة لها، بينما يستخدمها العدو على مقياس واسع كما تبين من حركاته الأخيرة في النقب.

ب - سرعة معالجة قضية فلسطين برمتها وإعطاء قرار حاسم بشأنها وتعيين موقف الدول العربية وجيوشها منها والاعتبار بالوقائع وتوحيد الجهود لحل هذه المشكلة التي لا أرى فائدة في الوقوف تجاهها موقف الانتظار، لما يتمخض عنه الزمن إذ إن ذلك في غير صالحنا إن لم يكن وبالًا علينا، إلا إذا كان من وراء هذا الانتظار جهود مثمرة في توحيد الصفوف، وإعداد السلاح، وتدعيم الموقف السياسي.

صالح صائب الجبوري
الفريق الركن
رئيس أركان الجيش العراقي

الفصل السادس والعشرون

تسليم المنطقة العراقية في فلسطين إلى الجيش الأردني

مذكرة الفلسطينيين في منطقة رام الله

قدمت لي شخصيًا جماعة من الفلسطينيين مذكرة مذيلة بستين ختمًا رسميًا، وتواقيع شخصية لمخاتير القرى ورؤساء المسلمين وأعضاء اللجنة القومية واللجان المحلية في منطقة رام الله التي كانت ضمن الإدارة الأردنية، يرجون فيها تعيين حاكم عسكري عراقي لمنطقة رام الله. فأخبرتهم بأن البلاد بلادهم وستسلم إدارتها إليهم حتمًا في الوقت المناسب، ولا حاجة لتبديل إدارة عربية بأخرى في الظروف الراهنة والقتال مستمر.

وقد احتفظت بالمذكرة ولم أفاتح أحدًا من الأردنيين بشأنها، وذلك خوفًا على مقدمي المذكرة من أن يصيبهم سوء من الجانب الأردني. وفي أدناه نص المذكرة:

سعادة قائد القوات العراقية العام في فلسطين وشرق الأردن

بواسطة آمر القوات العراقية في دير نظام

بواسطة القيادة العامة للجهاد المقدس في بئر زيت

نعرض لسعادتكم نحن وجهاء وممثلي قرى منطقة رام الله والقضاء ورؤساء المسلمين فيها وأعضاء اللجنة القومية واللجان المحلية في القضاء، ما يلي راجين أن تشملوه بعين الرعاية والاعتبار.

إن حالة قضاء رام الله يرثى لها من جميع الوجوه فالطرقات دمرت والأمراض انتشرت وشؤون الأهلين فيها مضطربة لأبعد حد والحالة الاقتصادية فيها تدعو إلى مزيد من القلق، خاصة وأن أكثر اللاجئين يقطنون فيها وشؤون

التموين مهملة فيستغلها أكثر المسؤولين لمصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية، والأمن فيها مهمل إهمالًا لا حد له، وشؤون الدفاع عنها غير مطمئنة بالمرة فلا هم للحكام الإداريين والعسكريين والمسؤولين عن الأمن إلا جمع النقود وصرف الرواتب، وكل ذلك ناتج عن عدم وجود إدارة واحدة تتولى الإشراف على الشؤون العسكرية والإدارية، والعوامل المذكورة تدعونا إلى نزع الثقة نهائيًا من الحاكم [الحاكمين] العسكري والإداري اللذين يعملان بإشراف الحكومة الأردنية. أما المسؤولية العسكرية في معظم أنحاء المنطقة فهي تحت إشراف الجيش العراقي وقد لمسنا بأنفسنا مدى حب التعاون وحسن الإدارة والنزاهة في القائمين على أمر القوات العراقية. لذلك نرجو أن يعين لمنطقة رام الله والقضاء حاكمًا عسكريًا عراقيًا [حاكم عسكري عراقي] وذلك لتوحيد السلطة والتخلص من المشكلات الناجمة عن الحكم المزدوج، ولوضع حد للبلبلة والفوضى الضاربة أطنابها [الضاربتين أطنابهما]. كما نطلب انتخاب حاكم إداري للمنطقة من الذين يتمتعون بثقة الشعب، ولم يتعاونوا مع حكومة الانتداب السابقة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي.

(الأختام الرسمية والتواقيع)

اجتماع الملك عبد الله والأمير عبد الإله في محطة ضخ (إيج ثري)(*)

حسب طلب الجهات الأردنية سافر جوًا في 2 شباط 1949 الأمير عبد الإله وبرفقته السيد نوري السعيد رئيس الوزراء، والسيد شاكر الوادي وزير الدفاع، والفريق الركن صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش، فوصلنا محطة ضخ (إيج ثري). وجدنا الملك عبد الله والسيد فوزي الملقي وزير الدفاع الأردني قد وصلا قبلنا. فاجتمعنا وجرى البحث في الأمور التالية:

1 - طلب الملك عبد الله شمول الهدنة المنطقة العراقية في فلسطين

(*) محطة ضخ النفط H3 في غرب الأنبار في موقع قريب من الحدود مع الأردن وسورية (المحرر).

وتسليم الخطوط الأمامية العراقية إلى الجيش الأردني، وذلك لمنع التصادم المستمر ما بين القوات العراقية والصهيونيين. كما طلب تخويله المفاوضة مع الصهاينة نيابة عن العراق. أجابه السيد نوري السعيد بعدم وجود حاجة إلى التخويل، وأن العراق يضطر لقبول الهدنة والانسحاب بعد قبول الجيوش العربية الأخرى لها.

2 - طلب الملك عبد الله فسح المجال للأردنيين في تأسيس الإدارة المدنية في لواء السامرة، أي في المنطقة التي يشغلها الجيش العراقي في فلسطين. فتكلمت أنا والسيد شاكر الوادي وبيّنا اضطراب الوضع وترجرج الحالة الإدارية في تلك المنطقة بسبب مداخلات الحكومة الأردنية، وخشيتنا من تأثيره السيء على موقف وسلامة الجيش العراقي، وأكدنا ضرورة بقاء الإدارة بيد الحاكم العسكري العراقي، ما دامت القوات العراقية هناك، فتم الاتفاق على ذلك.

إصرار الملك عبد الله وحكومته على تأسيس إدارة مدنية أردنية في منطقة الجيش العراقي

بالرغم من الاتفاق في محطة (إيج ثري) على إبقاء الإدارة المدنية في منطقة الجيش العراقي بيد الحاكم العسكري العراقي مدة بقاء الجيش العراقي في المنطقة، فقد وردت طلبات من الملك عبد الله والحكومة الأردنية بتأسيس إدارة مدنية أردنية وتعيين متصرف لنابلس وقائمقام لكل من جنين وطولكرم، متذرعَين برغبة الفلسطينيين أنفسهم، وإلحاحهم على الاتحاد فعليًا بشرق الأردن، وتنفيذًا لمقررات الهيئات الفلسطينية وإقرار مجلس الأمة الأردني لهذه الوحدة.

وعليه أرسلت وزارة الخارجية العراقية إلى المفوضية العراقية في عمان البرقية رقم 6 تاريخ 1/ 3/ 1949 التالية:

«ما يلي إلى معالي الوزير المفوض العراقي جوابًا على برقيتيكم المرقمتين 6 و7، يرجى تبليغ الحكومة الأردنية بما يلي:

1 – نحن نؤيد كل عمل يستند إلى رغبة أكثرية سكان فلسطين العرب.

2 – لوجـود الجيـش العراقي في حالة حـرب لا يسـتطيع التخلي عن مسـؤولية سـلامته في منطقته، وهذا أمر لا يقبل الشـذوذ، ويجـب أن يكون التصرف وفق هاتين المادتين، وهذا ما اتفق عليه في إيج ثري مع جلالته.

3 – عند توقيع الهدنة من قبل شـرق الأردن وسورية ولبنان نرجح تسليم منطقة الجيش العراقي إلى الحكومة الأردنية، ونرغب الاطلاع على وجهة نظر الحكومة الأردنية في هذا الصدد مع تعيين الموعد المناسب لذلك».

الاجتماع في دار رئيس الوزراء

حوالى السـاعة 19:00 من يوم 4 آذار 1949 ذهبت إلى دار السيد نوري السـعيد حسـب طلبه التلفوني فوجدت عنده وزير الخارجية السيد عبد الإله حافظ. فاطلعت علـى البرقيات الـواردة إلى وزارة الخارجيـة من المفوضية العراقية في عمان.

ونظرًا إلى الشعور السـائد عند العراقيين في رفض مفاوضة الصهيونيين وعـدم الالتزام بشـروط المفاوضات والاعتـراف بهم، تقرر تسـليم الجبهة العراقية في فلسـطين إلى الجيش الأردني، وعدم دخـول العراق بمفاوضات مع الصهاينة.

وفي أدناه مـا دُون في محضر الاجتماع، والبرقية التي أرسـلت إلى وزير العراق المفوض في عمان.

ما دُون في محضر الاجتماع الذي عقد في دار رئيس الوزراء في الساعة السابعة من مساء 4 آذار 1949

«عقد الاجتماع في دار فخامة رئيس الوزراء حضره معالي وزير الخارجية وسـعادة رئيس أركان الجيش العراقي لغياب معالي وزير الدفاع، وعدم إمكان الاتصال بمعاليه لغيابه عن داره. وتقرر في هـذا الاجتماع إبراق البرقية رقم 7

إلى وزيرنا المفوض في عمان لتبليغها للحكومــة الأردنية، وكذلك زود القائد نوري الدين محمود بتعليمات شــفوية خاصة، وهي أنــه إذا لم يتمكن الجيش الأردني من اســتلام جميع الخطــوط الأمامية التي يشــغلها الجيش العراقي، فبالإمكان ترتيب أمر تســليمه ما يمكنه إشغالها [إشــغاله] من المنطقة وإبقاء القســم الآخر بيد الجيش العراقي لحين تهيئة القوات الأردنية اللازمة لإشغال القســم الآخر، وذلك على أن يتفاوض الوفد الأردني في رودس مع اليهود عن المنطقة التي تحت إشرافه فقط، وعند استلامه المنطقة التي ستبقى بيد الجيش العراقي يفاوض مجددًا مع اليهود بشأنها».

برقية وزارة الخارجية العراقية رقم 7 تاريخ 5 آذار 1949 إلى المفوضية العراقية في عمان

«يرجى التوســط لإصدار الأمر إلى الجيش الأردني ليتسلم فورًا المناطق الأمامية من الجيش العراقي ليتســنى لممثلي الأردن المفاوضة باســم الجيش الأردنــي على شــروط الهدنة في تلك المنطقة. ســيبقى الجيــش العراقي في منطقة نابلس - أريحا إلى حين انجلاء الموقف السياسي في فلسطين. أعطيت التعليمات بهذا الخصوص إلى القائد نوري الدين الذي سيحضر بعد يومين إلى عمان للبدء في هذا الأمر».

برقية المفوضية العراقية في عمان إلى وزارة الخارجية العراقية رقم 11 تاريخ 6 آذار 1949

برقيتكم المؤرخة 5 الجاري. تلقينا من رئيس الوزارة الأردنية ما يأتي:

«تستحســن الحكومة الأردنية الترتيــب المقترح وتــراه موافقًا لإزالة كل محذور. وهي مستعدة لاســتلام المنطقة الأمامية في أقرب وقت مستطاع بعد وصول القائد نوري الدين ليســير بعد ذلك الجيــش الأردني في مفاوضاته مع اليهود» انتهى.

اتصالات الفريق الركن نوري الدين بالسلطات العليا الأردنية

بعد أن تم الاتفاق مع الأردنيين على استلام الجبهة العراقية وصدرت التعليمات إلى الفريق الركن نوري الدين، اتصل المومأ إليه بالسلطات العليا الأردنية لترتيب أمر الاستلام، إلا أنه وجد آراء الأردنيين غير ثابتة، كما أنه شعر بتردد بعض الجهات بالتنفيذ، فأرسل البرقيات المتتابعة التالية:

1 - أوضح في برقيته المؤرخة في 10 آذار 1949 مقابلته للملك عبد الله ورئيس الوزراء السيد توفيق أبو الهدى، وعقده اجتماعًا مع السيد فوزي الملقي وزير الدفاع الأردني والفريق غلوب رئيس أركان الجيش الأردني، واتفاقهم على استلام القواطع العراقية وأمله بانتهاء التسليم خلال 15 يومًا.

2 - جاء في برقيته المؤرخة في 16 آذار 1949 حرفيًا ما يلي:

«بعد أن تم الاتفاق والمذاكرة حول تسليم القواطع العراقية أخذت السلطات الأردنية تتردد في تنفيذ ما ورد في برقيتنا السابقة لأسباب نجهلها وبدأت تماطلنا في الاستلام. نرجو الاتصال بالسلطات المذكورة لاتخاذ ما يلزم بصددها، أنبئونا».

3 - وبيّن في برقيته المؤرخة في 18 آذار 1949 مقابلته للملك عبد الله يوم 17 آذار وأمر الملك بمقابلته توفيق أبو الهدى وفوزي الملقي في عمان، واجتماعهم مرة ثانية مع الملك عبد الله يوم 18 آذار، وموافقتهم على استلام الجبهة، وتبليغ ذلك تلفونيًا إلى الفريق غلوب، وادعاء غلوب باعتراض الصهاينة على الاستلام، وادعاء الرسول الأردني في رودس اقتراح بانش(*) بموافقة العراق، على اعتبار الملك عبد الله قائدًا عامًا للجيشين العراقي والأردني، ويختم برقيته قائلاً: لا أرجو أية فائدة أو أية نتيجة حاسمة من هذه المحادثات ما لم تقم الحكومة العراقية بعمل حاسم من جانبها في هذا الصدد، إذ إن الحكومة الأردنية لا ترغب في استلام الخطوط الأمامية في القاطع العراقي حتى ولا بالتدريج.

(*) رالف بانش الوسيط الدولي الذي خلف الكونت برنادوت (المحرر).

4 – وبيّن في برقيته المؤرخـــة في 19 آذار 1949 مقابلته للملك عبد الله والاتفاق على عقد اجتماع عسكري تناقش فيه أسس التعاون بين الجيشين على أســاس الثقة والإخلاص المتبادلين بين الطرفين، وعلى تنفيذ ما يُقرر في هذا الاجتماع من دون ترددٍ أو تلكؤٍ، وتأييد الملك ذلك وإصداره حالًا أمرًا تلفونيًا إلى غلوب لعقد هذا الاجتماع.

5 – وجاء في برقيته المؤرخة في 20 آذار 1949 حرفيًا ما يلي:

«لا توجد دلائل لوجود ميل لعقد الاجتماع المنوه عنه في برقيتنا المؤرخة في 19 آذار، ولا أعتقد بإمــكان التوصل إلى غرضنا المبحــوث عنه حتى إذا حصل الاجتمــاع. وعلى كل إني منتظر إشــعارًا من الســلطات الأردنية حول الاجتماع المذكور».

كتاب رئاسة أركان الجيش إلى وزير الدفاع

إن تردد الأردنيين في استلام الجبهة العراقية، رغم أنهم طلبوا ذلك، جعلني أشــك وأخشــى من هذه المماطلات، خاصة بعد أن ظهر جليًا ممانعة الفريق غلوب وعراقيله، حيــث اتضح من البرقيات الواردة وغيرهــا بأنه هو العقبة في تنفيذ ما اتفق عليه مع الأردنيين. وعليه أرسلت إلى وزير الدفاع الكتاب المرقم 65/ د والمؤرخ 20 آذار 1949 أقتبس منه ما يلي:

بعد ذكر ما جاء في المخابرات، وما حصل فــي الاجتماعات بين الفريق الركن نوري الدين والسلطات العليا الأردنية دونت في تقريري ما يلي:

«هذا ملخــص تطور قضية تســليم القواطع العراقية إلــى الجيش العربي الأردني، وقد اطلعتم عليها فــي حينه بالتفصيل، غير أننا نــود التنويه بخطورة هذه القضية والمخاطر التي قد تنطوي عليها. فلسنا مطمئنين أبدًا من الادعاءات والتصريحات الظاهرية، ونخشى أن تكون هناك أغراض خفية قد تتمخض عنها نتائج وخيمة بالنســبة للجيش العراقي. ومما يلفت النظــر فيها بصورة خاصة أن تنفيذ الاتفاق باســتبدال القواطع توقف عند تبليغه إلــى الفريق كلوب، كما

أن الرســول الأردني الذي ادعى بموافقــة اليهود على الاســتبدال بعد موافقة الحكومة العراقية على اعتبار الملك عبد الله قائــدًا عامًا، قد يكون موحى إليه بهذا الادعــاء، وإلا فما علاقة بانش بالترتيبات المتخذة بين الجيشــين العراقي والأردني وقيادتهمــا العامة، كما أن حصــول موافقة اليهــود مقدمًا على هذا الاستبدال مما يلفت النظر أيضًا.

وبناءً على ذلك ونظرًا لخطورة الموضوع وتجنبًا من وقوع الجيش العراقي في مأزق من جراء هــذه المناورات الخفيــة، نرتأي وجــوب تقرير الحكومة العراقية سياستها في هذا الشأن، إذ بدون ذلك لا نستطيع إقرار الخطة والسياسة التي ينتهجها الجيش ما لم تكن مستندة إلى سياســة الحكومة العراقية. فنرجو عرض الأمر على المقامات المســؤولة وإنباءنا القرار الذي يتم في هذا الشأن بصورة واضحة وجازمة. وبطيه كافة البرقيات والمخابرات حول الموضوع وقد سبق أن أودعت نسخة منها إلى معاليكم في حينه».

برقية القيادة العراقية الخاصة

في الساعة 14:00 من يوم 21/ 3/ 1949 وردت برقية خاصة من الفريق الركن نوري الدين أرسلها مع ضابط خاص، نصها في أدناه:

«بالنظر لتطــور موقف الدول العربية الأخير من القضية الفلســطينية، بقي الجيشــان العراقي والأردني لوحدهما في الميدان، وإن اســتمرار المفاوضات الأردنية اليهودية واحتمال الوصول إلى تســوية وقتية أو هدنة دائمة بينهما يترك الجيش العراقي بمفرده منعــزلًا في الميدان، وهذا مما يفســح المجال لتركيز معظم القوات اليهودية على القواطع العراقية، وقيامها بتعرض ساحق. إن عدم اتخاذ الاســتعدادات اللازمة لصد الهجمات المتوقعة بنجاح أو للقيام بتعرض مقابل، وتلكؤ الســلطات الأردنية في تسلم القواطع العراقية، كل ذلك من شأنه أن يخلق وضعًا خطيرًا على ســلامة الجيش. إن إيجاد حل ســريع حاسم لهذا الوضع الشــاذ والتعجيل في تأميــن الحاجات المطلوبة فــي كتابنا المرقم 67

والمؤرخ في 5/ 2 بات أمرًا حيويًا جدًا لإنقاذ الموقف وتأمين سلامة الجيش. أنبئونا إجراءاتكم».

وقد أرسل وزير الدفاع العراقي تقرير رئاسة أركان الجيش المؤرخ في 20 آذار 1949 وبرقية القيادة العراقية الأخيرة بكتاب مناسب إلى رئاسة مجلس الوزراء مؤيدًا ما جاء في التقرير والبرقية.

زيارتي لوزير الخارجية

بعد ظهر يوم 20 آذار 1949 زرت وزير الخارجية الدكتور فاضل الجمالي، بمناسبة تسنمه منصب الوزارة قبل يوم، للتهنئة والبحث في الموقف وتبادل المعلومات. ومما قاله لي الدكتور فاضل الجمالي: «أقول لك شخصيًا إنها مؤامرة يريدون بها إجبارنا على الدخول بمفاوضات مع الصهاينة».

فأيدته برأيه هذا وأخبرته بأني شاعر بذلك. واطلعت على بعض البرقيات الواردة من مفوضيتنا في عمان، جاء في إحداها «علم وزيرنا المفوض بعمان من وزير الدفاع الأردني بأن الفريق كلوب أفاد أن الحكومة الأردنية إذا ما وافقت على استلام الخطوط العراقية فإنه سيضطر لأخذ إجازة وسيترتب على ذلك تعيين خلف له يتحمل مسؤولية الاستلام. وقد بقيت هذه القضية معلقة بدون حل نهائي».

برقية وزارة الخارجية العراقية إلى المفوضية العراقية في عمان

جرت مراسلات برقية بين الوسيط الدولي الدكتور بانش، والحكومة العراقية حول تسليم الجبهة العراقية والمفاوضات. فأرسلت وزارة الخارجية إلى المفوضية العراقية في عمان في 21 آذار 1959 البرقية التالية:

الرقم –12

«لقد أبلغنا الدكتور بانش، كما أبلغتنا السفارة البريطانية والأمريكية في بغداد، بأننا خولنا المملكة الأردنية أن تفاوض عن المنطقة العراقية باسمها،

وذلك لعزمنا على تسليم الجبهة العراقية إلى القوات الأردنية. من الواضح أن العراق ليس محاددًا [نسبة إلى حدود] لفلسطين، وأن وجود قواته هناك ما هو إلا للمساعدة والإنقاذ فحسب. ولذلك فلا معنى من دخوله في مفاوضات مع اليهود، أو إنابة أحد للتفاوض باسمه، فالجيش العراقي جاء إلى فلسطين للمساعدة والإنقاذ وسيبقى كذلك. يرجى إبلاغ الجهات الأردنية لكي تقوم بالمفاوضات عن المنطقة العراقية باسمها لا باسم العراق».

برقيات وزارة الخارجية العراقية إلى الممثليات العراقية

كما أرسلت وزارة الخارجية برقيات إلى الممثليات العراقية في واشنطن ولندن وباريس وكراجي(*) والقاهرة أخبرتهم فيها، لمعلوماتهم الخاصة، عدم موافقة الحكومة العراقية على الدخول في المفاوضات مع إسرائيل لأنها ليست محاددة لفلسطين وتقوم الحكومة الأردنية بالمفاوضة عن الجبهة العراقية باسمها، لا باسم العراق، لأن العراق ينوي تسليم الجبهة إلى الجيش الأردني.

طلبات الصهاينة من الأردن

في 29 آذار 1949 وصل بغداد الفريق الركن نوري الدين وجلب معه خارطة استلمها من الأردنيين تبين الجبهة الحالية التي تحتلها القوات العربية مؤشرة بقلم أحمر، والأماكن التي يطالب الصهاينة بضمها إلى القسم المحتل من قبلهم في فلسطين مؤشرة بقلم أزرق. كان لهذا الخبر وقع أليم عند الجميع، واستنكار لموقف الأردن ومخاتلاته. ذهبنا مع وزير الدفاع ونوري الدين إلى مكتب رئيس الوزراء وكلمناه بخطورة الأمر وما سيجره من ويلات إذا قبل العمل به. فتقرر عودة الفريق الركن نوري الدين إلى القيادة العراقية في فلسطين وعدم قبول مطالب الصهاينة بالتنازل عن أي بقعة من الأرض.

(*) يقصد كراتشي، العاصمة الباكستانية سابقًا (المحرر).

برقية وزارة الخارجية إلى المفوضية العراقية في عمان

أرسلت وزارة الخارجية إلى المفوضية العراقية في عمان البرقية رقم 16 تاريخ 30 آذار 1949 التالية:

«ما يلي من فخامة رئيس الوزراء لجلالة الملك المعظم.

أرفع لجلالتكم آيات الشكر على جهودكم الجليلة في سبيل المحافظة على الخط الأحمر، وأسترحم من جلالتكم أن لا تسمحوا مطلقًا بالتراجع عنه، لا سيما وهو يشمل أراضي لم تدخل في المنطقة اليهودية بموجب قرار التقسيم، وأن مجلس الأمن لم يطلب تعديل الحدود في سبيل الهدنة، ونحن نعتقد بأن كلًا من إنكلتره وأمريكا سيؤيدان [ستؤيدان] موقف جلالتكم العادل لو تمسكتم بهذه الأراضي العربية البحتة. انتهى. سيتوجه وزير الدفاع غدًا صباحًا إلى جهتكم للتشرف بمقابلة جلالته».

وفي برقية المفوضية العراقية في عمان إلى وزارة الخارجية رقم 25 تاريخ 30 آذار 1949 جاء ما يلي:

«أملى جلالة الملك عبد الله المعظم علينا ما يأتي:

اطلعت على البرقية سنصر على الاحتفاظ بالخط السابق».

السفر إلى الأردن لمقابلة الملك عبد الله

في 31 آذار 1949 سافرنا مع وزير الدفاع جوًا إلى شرق الأردن فقابلنا الملك عبد الله في قصره الشتوي (قصر المصلى) بالشونة. فاتحنا الملك بخطورة التنازل إلى الصهيونيين عن أية أرضٍ لا تزال بيد القوات العربية في فلسطين، فأخبرنا الملك بأنهم تمكنوا من تعديل الاتفاقية مع الصهاينة بحيث يبقى الحد الفاصل عند الخط الأحمر، وتبقى المنطقة العراقية في فلسطين عند الأردنيين ولا يدخلها الصهاينة أبدًا، وأن القطعات الأردنية جاهزة لاستلام الجبهة من قطعات الجيش العراقي فورًا، وهكذا تم لنا ما أردناه وأتينا من أجله.

مواجهة وزير الدفاع ورئيس الوزراء الأردني

في الساعة 16:00 من يوم 1 نيسان 1949 زارنا وزير الدفاع الأردني السيد فوزي الملقي في المفوضية العراقية، ثم ذهبنا لزيارة رئيس الوزراء السيد توفيق أبو الهدى في داره. الجميع بينوا استعدادهم لاستلام الجبهة العراقية والاحتفاظ بها.

مماطلة الأردنيين بالاستلام

في صباح يوم 2 نيسان ذهب الفريق الركن نوري الدين إلى عمان بطريقه إلى نابلس فأخبرني تلفونيًا بأنه يشعر أن وزير الدفاع الأردني يماطل باستلام الجبهة العراقية، فطلبت إليه زيارة الملك عبد الله في الشونة وهو بطريقه إلى نابلس ليصدر أوامره حسب وعده وما اتفقنا عليه.

برقية وزير الدفاع الأردني

وقد وردت رسالة من وزير الدفاع الأردني السيد فوزي الملقي إلى المفوضية العراقية في اليوم نفسه تفيد بأنه قد اطلع على الاتفاقية المعقودة بينهم وبين الصهاينة، فوجد فيها مادة تنص بأنه يجب أن لا تجري عملية استلام الجبهة العراقية من جانب الأردنيين، إلا بعد أن توقع الهدنة الدائمة في رودس. وأن الهدنة ستوقع في اليوم الرابع من الشهر الجاري على أبعد حد. وبعد ذلك مباشرة يمكن السير في الاستلام. وعلى هذا تأخر التسليم.

توقيع اتفاقية الهدنة بين الأردنيين والصهيونيين

في الساعة 09:00 من يوم 4 نيسان 1949 أذيع نبأ توقيع اتفاقية الهدنة بين الأردنيين والصهيونيين في رودس.

مقابلة الملك عبد الله

في 5 نيسان 1949 قابلنا مع وزير الدفاع والوزير العراقي المفوض في

عمان الملك عبد الله في قصره، فكلم الملك رئيس وزرائه ووزير دفاعه وأكد عليهما المباشـــرة باســتلام الجبهة العراقية اعتبارًا من يــوم الغد فوعدا الملك بذلك. وقال رئيس الوزراء الســيد توفيق أبو الهدى بأنه يقدم اســتقالته إن لم يباشــر الجيش الأردني بالاستلام غدًا. لا شك أن الســبب في المماطلة وعدم الاســتلام هو الفريق غلوب الذي لم ينفــذ رغبة الملك والأوامــر الحكومية الصادرة إليه، مما اضطر رئيس الوزراء أن يلوح بالاســتقالة، حقيقة أو تمويهًا، لأنه أراد أن يظهر بأنه لا يستطيع تحمل تعنت غلوب أكثر من ذلك. وفي اليوم الثاني أرسل الأردنيون سرية فقط إلى منطقة دير نظام للمباشرة بالاستلام.

خطة الغدر

كانت تدور اتصالات ومذاكرات بيــن الأردنيين والصهاينة لا علم لنا بها، ولم نتمكن من الوقوف على حقيقتها. إنما الذي كنا نتوقعه هو أن الصهاينة بعد أن يوقعوا على الهدنــة الدائمة مع الحكومات العربيــة الأخرى، ويؤمنوا عدم اشتراك الجيوش العربية في القتال في ما بعد، يجمعون كل ما عندهم من قوات وأســلحة ليجربوا حظهم مرة أخرى في مهاجمة الجيش العراقي لإرغامه على الخروج من فلســطين من دون قيد أو شرط، واحتلال المنطقة التي يشغلها وما تبقى من أراضي فلسطين ليضعوا العرب والعالم أمام الأمر الواقع. ويظهر أنهم لم يجرؤوا على القيام بعمل حاســم كهذا بالرغم من تفوقهــم بالعدد والعدة، وذلك لما ثبت لهم في المعارك السابقة من صمود الجيش العراقي وقدرته على القتال وتفانيه.

الفصل السابع والعشرون

الهدنة الدائمة

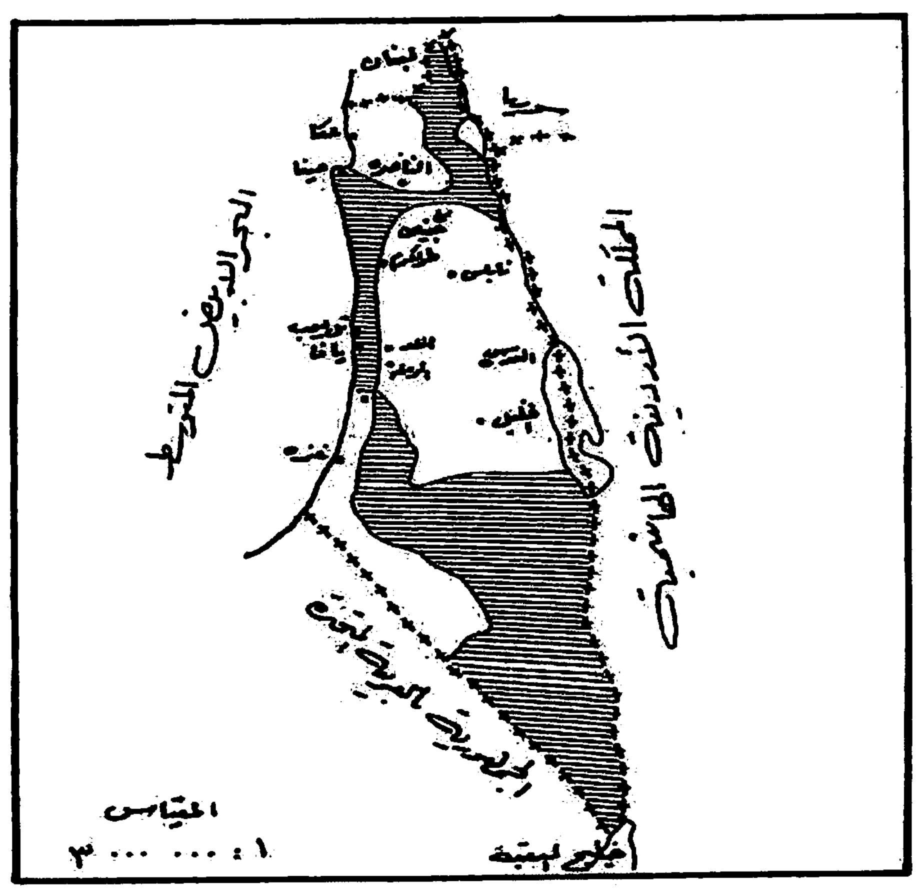
مفاوضات الهدنة الدائمة بين الحكومات العربية
المحاددة إلى فلسطين والصهاينة

الحكومة المصرية: في 7 كانون الثاني 1949 اتفقت الحكومة المصرية والصهاينة على وقف القتال في فلسطين. وفي 13 كانون الثاني 1949 بدأت المحادثات بين الطرفين في جزيرة رودس من أجل هدنة دائمة. وفي 24 شباط 1949 تم التوقيع على الاتفاق فأعلنت الهدنة الدائمة.

الحكومة الأردنية: في 30 كانون الثاني 1949 وجه الوسيط الدولي الدكتور بانش دعوة إلى الحكومات العربية للدخول في مفاوضات مع الصهاينة على غرار المفاوضات التي كانت قائمة في رودس بين المصريين والصهاينة. وفي 10 شباط 1949 وافقت الحكومة الأردنية على الدخول في مفاوضات مع الصهاينة. وفي 28 شباط 1949 سافر الوفد الأردني إلى رودس. وفي مساء 3 نيسان 1949 تم التوقيع على اتفاقية الهدنة الدائمة بين الأردن والصهاينة وأذيعت في اليوم التالي.

الخريطة (27 – 1)

خريطة الموقف الذي استقرت عليه الهدنة الأخيرة



للعرب

للصهاينة

الحكومـة اللبنانية: فـي 28 كانون الأول 1948 أخبرني الزعيم حسـني الزعيـم رئيس أركان الجيش السـوري تلفونيًا من دمشـق بدخـول اللبنانيين والصهاينة بمذاكرة في الناقورة لأجل الهدنة بين الطرفين. وفي 30 كانون الأول 1948 أكد لي اجتماع الناقورة واسـتمرار اللبنانيين والصهاينة على مذاكرات الهدنة الدائمة. وفي 22 آذار 1949. وقع ممثلو لبنـان والصهاينة على اتفاقية الهدنة الدائمة بين الطرفين في رأس الناقورة.

الحكومة السورية: في 20 تموز 1949 تم التوقيع على اتفاقية الهدنة الدائمة بين الممثلين السوريين والصهاينة.

استلام المنطقة العراقية من قبل الجيش الأردني

تم تسليم الجبهات العراقية إلى الجيش الأردني على الوجه التالي:

6 نيسان 1949 تم تسليم قاطع دير نظام.

7 نيسان 1949 تم تسليم منطقة المجامع.

7 نيسان 1949 شرعت القوات الأردنية باستلام قاطع طولكرم - قلقيلية - كفر قاسم، وتم الاستلام يوم 8 نيسان 1949.

8 نيسان 1949 استلمت القوات الأردنية منطقة وادي المالح.

9 نيسان 1949 تم استلام المنطقة الواقعة بين وادي المالح وطريق جنين - العفولة.

11 نيسان 1949 تم استلام بقية قاطع جنين من طريق جنين - العفولة حتى باقة الغربية.

14 نيسان 1949 تم استلام ما تبقى من قواطع المناضلين إلى الجيش الأردني. وبذلك انتهى تسليم كافة القواطع العراقية إلى الجيش الأردني.

تجمع القوات العراقية

بعد تسليم الجبهة العراقية إلى قوات الجيش الأردني، تم مبدئيًا تجمع الألوية العراقية في الأماكن التالية:

جحفل اللواء الثالث (ناقصًا الفوج الثاني للواء الثالث) في طوباس.

الفوج الثاني للواء الثالث في جفتلك.

جحفل اللواء الرابع بكامله	في جفتلك.
جحفل اللواء الأول بكامله	في الشونة.
القوة الآلية	في الزرقاء.
جحفل اللواء الخامس والقطعات الملحقة به	في المفرق.

وقد أعيدت أفواج الشرطة إلى العراق.

مغادرة فلسطين والانتقال إلى شرق الأردن

بناءً على إخبار الملك عبد الله إلى وزير الدفاع العراقي بعدم وجود حاجة إلى بقاء القوات العراقية في فلسطين، انتقلت جميع القوات العراقية من الضفة الغربية، وتم تحشدها في الزرقاء والمفرق ولم تبقَ في فلسطين إلا لجنة تصفية قامت بتصفية الأعمال المتعلقة بالمواد المستهلكة وغير القابلة للنقل.

وفي 25 نيسان 1949 أغلق مقر القيادة العراقية في نابلس وفتح في الزرقاء في نفس اليوم. كما صدر الأمر بإغلاق محطة إخلاء الخسائر في نابلس.

عودة الجيش العراقي من فلسطين والأردن إلى العراق

بعد أن انقضت مدة على توقف القتال وعقدت الحكومات العربية المحاددة لفلسطين الهدنة الدائمة مع الصهاينة، لم تبقَ حاجة لبقاء القوات العراقية في شرق الأردن، وعليه قررت الحكومة العراقية سحب الجيش إلى العراق وصدرت أوامر المقر العام في بغداد بعودة القطعات العراقية، على أن تكون عودة القطعات بنفس الأسبقية التي ذهبت فيها إلى فلسطين.

وقد عادت كافة القطعات العراقية في نهاية شهر تموز 1949 بعد غياب دام سنة وبضعة أشهر، ولم يبقَ في شرق الأردن سوى آمرية خط المواصلات ومعاونياتها وبعض الأكداس. وقد عادت هذه المقرات خلال شهري آب

وأيلول 1949 بعد أن قامت بتصفية أعمالها. كما عادت سـرية حراسـة خط المواصلات وسرية حماية القاعدة.

الرد على ما نشر في بعض الصحف

كانت مجلة آخر ساعة المصرية قد نشرت في سنة 1950، وجريدة الجبهة الشعبية العراقية قد نشرت في سنة 1952 بعض الأمور ذات المساس من قريب أو من بعيد بمسؤولياتي كرئيس لأركان الجيش خلال فترة الحرب الفلسطينية. وقد رددت عليهـا في حينه. وحيث إن تلك الأمـور ذات علاقة بموضوع هذا الكتاب فقـد آثرت إدراج ما نشـر وأذيع بهذا الصدد في هـذا الكتاب، ويجد القارئ ذلك في الملحق رقم (7).

الفصل الثامن والعشرون

التقارير الأخيرة

البيان الثلاثي والملحوظات حوله

عقد في لندن وزراء خارجية الدول الثـلاث الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا مؤتمرًا استعرضوا فيه شؤون الشرق الأوسط، وقرروا ضرورة استتباب الأمن والاستقرار في الدول العربية والمنطقة الصهيونية في فلسطين، وإلغاء الحظر على تصدير الأسلحة للعرب والصهاينة. وفي 25 أيار 1950 أصدروا البيان التالي:

«أولًا: تعترف الحكومات الثلاث بأن الدول العربية وسلطات اليهود أيضًا تحتاج إلى الاحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة لتعزيز أمنها الداخلي وتأمين دفاعها الشرعي عن ذاتها وللسماح لها بأن تقوم بدورها في الدفاع عن تلك المنطقة بأسرها. وسوف ينظر في جميع طلبات توريد الأسلحة إلى هذه الدول جميعًا على ضوء هذه المبادئ والاعتبارات. وبهذه المناسبة ترغب الحكومات الثلاث في أن تلفت النظر إلى ما أدلى به مندوبوها من بيانات في مجلس الأمن يوم 4 آب 1949 وتعيد توكيدها الآن. وقد صرحت فيها آنئذ بمعارضتها في قيام سباق تسلح بين الدول العربية واليهود.

ثانيًا: تعلن الحكومات الثلاث أنها تلقت التوكيدات من جميع البلاد المعنية بهذا الأمر، والتي ستسمح بتزويدها بالأسلحة المرسلة منها، بأن الدول المشترية لا تنوي القيام بأي عمل من أعمال العدوان ضد أية دولة أخرى. وستطلب مثل هذه التوكيدات من أي دولة أخرى في هذه المنطقة يسمح بتزويدها بالأسلحة في المستقبل.

ثالثًا: تنتهز الحكومات الثلاث هذه الفرصة لتعلن اهتمامها البالغ ورغبتها

في قيام معارضة غير قابلة للتحويل أو التبديل لفكرة الالتجاء إلى القوة بين دول هذه المنطقة، وتنمية هذه الفكرة والمحافظة عليها. فإذا رأت الحكومات الثلاث أن أية دولة من هذه الدول تستعد للاعتداء على الحدود أو خطوط الهدنة اتخذت في الحال التدابير اللازمة، سواء داخل هيئة الأمم أو خارجها.»

إن هذا البيان في صالح الصهاينة ويعتبر اعترافًا من الحكومات الثلاث بالحدود القائمة لإسرائيل ويحميها من كل تحرش ويهدد العرب ويمنعهم من القيام بأية حركة ضد الصهاينة. كما أنه بمثابة نقض لمشروع التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم واستهانة بالهيئة نفسها. وفي 24 حزيران 1950 أبديت ملحوظاتي حول البيان الثلاثي بكتابي الذي أرسلته إلى وزير الدفاع، وهو كما يلي:

سري للغاية

الرقم: 66

التاريخ: 24/ 6/ 1950

معالي وزير الدفاع

الموضوع: ملحوظاتي حول البيان الثلاثي

بالإشارة إلى هامش معاليكم على كتاب وزارة الخارجية المرقم 2847/ 12 والمؤرخ 1 حزيران 1950 حول البيان الثلاثي الذي صدر في لندن وواشنطن وباريس، نثبت في أدناه ملحوظاتنا بشأن البيان المذكور من الوجهة العسكرية وبقدر ما يتعلق بها من النواحي الأخرى.

1 – المادة الأولى من البيان:

أ – إن غاية الدول الثلاث من هذا البيان تنحصر في استغلال القوى المتيسرة في بلاد الشرق الأوسط ضد الحركات المحتملة من روسيا إلى الشرق، وإن رغبتها في تأمين الاستقرار والسلم في هذه الربوع لا تعدو غرضها من تكريس هذه القوات وتوجيهها نحو الهدف المذكور وإن تقديم الأسلحة

سـينحصر بمقدار ما يحقق هذا الغرض، بالتوفيق مع خططها المقررة للوقوف بوجه التيار الروسـي المحتمل عند اندفاعه إلى هـذه المنطقة. وعلى ذلك فإن مصلحة الدول الثلاث تقضي [...] باسـتثمار واستغلال قوات وجهود كل من العرب وإسرائيل للدفاع عن الشرق الأوسـط. غير أنه لما كان العرب يؤلفون عـدة دول وأن مصالح بعضهـا متضاربة مـع بعضها الآخـر، وعلاقاتها غير مأمونة، ولصعوبة توحيد جهود هذه الدول للأسـباب المذكورة، فضلًا عن أن الدول الثلاث غير مطمئنة إلى انحياز الدول العربية إلى جانبها في حالة نشوب الحرب، فإن هذه الدول الثلاث تفضل الاسـتفادة من إسرائيل لسهولة التفاهم والتعاون معها لعدم وجود الانشقاق والخلافات فيها كما هي الحالة في الدول العربية، ومع ذلك فإن الدول الثلاث لم تقطع الأمل من الاسـتفادة من العرب أيضًـا، ولذلك فقد أوضحت ببيانهـا المذكور أنها تقدر حاجـة الدول العربية وإسـرائيل للاحتفاظ بمقدار معين من القوات المسلحة، وأنها تعلن معارضتها الثابتة لاسـتعمال القوة أو التهديد باستخدامها بين دول منطقة الشرق الأوسط. وبناء على ذلك نرى أن إسـرائيل ستستفيد أكثر من الدول العربية من نتائج هذا البيان للأسباب التي أسلفناها.

ب - بموجب هذا البيان ستعود فرنسا إلى مسـرح البلاد العربية (سوريا ولبنان) وإلى بسـط نفوذها عليهما بعد أن تخلصتا منها، مع ما يؤدي إليه ذلك من وضع العراقيل بين هاتيـن الدولتين والدول العربيـة الأخرى خلافًا لروح التقارب والاتحاد.

ج - وبالنظر إلى أنه من المحتمل أن ينظر عند تسـليح البلاد العربية إلى أنها تؤلف كفة مقابلة لإسرائيل، بناءً على الوضع الخاص بين هاتين الجبهتين، فإنه من المتوقع أن تنال إسـرائيل من الأسـلحة والمهمات ما لا يتناسب وما تناله البـلاد العربية إذا أخذنا بنظر الاعتبار تعدد الدول العربية وكثرة نفوسـها، وهذا مما يؤدي إلى نتائج وخيمة. أضف إلى ذلك إمكانيات إسرائيل من حيث مواردها الخاصة، أو التبرعات التي تأتيها من الخارج، والوسـائل الخفية وغير المشروعة التي تسـلكها في الحصول على الأسلحة من مختلف أنحاء العالم،

هذا ويتضمن البيان المذكور اعتراف الدول الثلاث بتجهيز إسرائيل بالأسلحة. وبهذا البيان أصبحت إسرائيل في مصاف الدول العربية من حيث تعهد بريطانيا بتسليحها. هذه الدول التي لم تحصل على هذا التعهد إلا بمعاهدات باهظة الثمن، رغم عدم إيفائها بروح هذا التعهد بالنسبة للظروف والمصالح.

د - إن الدول الثلاث تفرض ببيانها هذا على دول الشرق الأوسط أن تلعب دورها في الدفاع عن هذه المنطقة بصورة عامة، وتجعل ذلك شرطًا للنظر في طلبات الأسلحة والمعدات الحربية لهذه الممالك على ضوء هذا المبدأ، وهو شرط قد يكون المقصود منه ضمان زج البلاد العربية في ركاب المعسكر الغربي في تطاحنه مع المعسكر الشرقي، وقد يترتب على هذا الشرط أن تطلب هذه الدول من الدول العربية عقد معاهدات جديدة منفردة، أو مشتركة يفرض فيها من الالتزامات فوق ما هو الآن، وفي الوقت نفسه قد يتخذ هذا الشرط سلبيًا لعرقلة تسليح الدول العربية وتلبية طلباتها.

هـ - إن تسليح الدول العربية بموجب البيان المذكور جاء مقيدًا بقيود كثيرة لا تتعلق بمصالح الدول العربية بينما كانت معظم الدول العربية مرتبطة بمعاهدات مع إنكلترة تلزمها بتسليحها دون قيود كالموجودة في البيان.

2 - المادة الثانية من البيان:

تنص على أن الدول الثلاث قد تسلمت تأكيدات من جميع الدول المبحوث عنها في البيان، والتي تسمح بتجهيزها بالأسلحة، بأنها لا تنوي القيام بأي عمل اعتدائي ضد أية دولة أخرى وأنها ستطلب تأكيدات مماثلة من أية دولة أخرى يُسمح بتجهيزها بالأسلحة في المستقبل. نرى أن مثل هذه التأكيدات تضع قيودًا على حرية التصرف التي يجب أن تتمتع بها كل دولة وفقًا لظروفها الخاصة، إذ إن التأكيد لا ينصب على الأعمال الاعتدائية فقط، بل على النية في القيام بهذه الأعمال. ولما كانت النية أمرًا معنويًا لا ضوابط له، فإن الدول الثلاث قد تفسر كل عمل وكل استعداد بأنه ينطوي على نية الاعتداء لذلك فمن الخطورة بمكان إعطاء مثل التأكيدات المنوه عنها في البيان.

3 – المادة الثالثة من البيان:

أ – إن صراحـة البيان بتدخل الدول المذكورة عنـد محاولة خرق اليهود الحـدود أو خطوط الهدنـة يعني أن هـذه الدول تعتـرف بالحـدود القائمة لإسرائيل، والتي تخالف مشروع التقسـيم الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة. وإن هذه الدول الثلاث قـد نقضت – في ما يتعلق بها – قـرار هيئة الأمم المتحدة ولم تبالِ بالاستهانة به بالرغم مما تعلقه الدول العربية كافة من الأهمية الكبيرة على حالة الحدود وخطوط الهدنة الحالية، وإن ذلك سـيوطد أركان إسـرائيل بالحدود المغتصبة الحالية التي لم يسـبق أن تجرأت هذه الدول بإعلان جعلها حدودًا لإسرائيل.

ب – يصرح البيان أن الـدول الثلاث تعلن معارضتها الثابتة لاسـتعمال القوة، أو التهديد باستخدامها بين دول هذه المنطقة، ومعنى ذلك أنها ستتدخل في كل صغيرة وكبيرة بحجة وجود التهديد المذكور.

ج – إن هذه الدول قد سـمحت لنفسـها بالتدخل السـافر المباشـر في شـؤون الدول العربية خلافًا لميثاق هيئة الأمم والاتفاقات الدولية فنصت في الفقرة الأخيرة من البيان، بأنها إذا وجدت أن أية دولة من دول الشرق الأوسط تسـتعد لخرق الحدود، أو خطوط الهدنة، فإنها لن تتأخر عن اتخاذ الإجراءات للحيلولة دون ذلك، وتكون هذه الإجراءات ضمن نطاق هيئة الأمم المتحدة أو خارجها، ولا شـك أن هذا الخروج على أنظمة وقيود هيئة الأمم المتحدة هو خرق صريح لميثاق هذه الهيئة وبادرة سيئة.

د – إن هذا البيان ظفر إسرائيلي عظيم يسـاعد إسرائيل على الانصراف إلى تنظيـم أمورها الداخلية مطمئنة من أي خطـر خارجي بفضل وقوف هذه الدول سـياجًا حاميًا لها بعد أن حصلـت على أكثر مما تحلـم به من أرض فلسـطين. ولو كانت هذه الدول حريصة على القيام بالتزاماتها بصفتها أعضاء في هيئة الأمم، فإن أولى واجباتها تحقيق قرار هيئة الأمم بمشـروع التقسيم، وإخراج اليهود من الأراضي غير المقررة لهـم، وإعادة اللاجئين إلى بلادهم

لإقرار الأمر الواقع والاعتراف بإسرائيل والتطوع لمحافظة حدودها الاعتدائية الحاضرة.

هـ - قد يمكن استغلال البيان المذكور لمعارضة كل حركة تقارب واتحاد بين البلاد العربية إذ إن الدول الثلاث ومن ورائها النفوذ اليهودي العالمي سوف تسعى إلى وصم كل حركة تقرب بين البلاد العربية بطابع الاعتداء على الحدود أو التهديد باستعمال القوة أو غير ذلك مما تبرر به معارضتها وتدخلها.

4 - مقترحات بشأن البيان:

أ - نرى أن الذي جــرأ الدول الثلاث على إصدار هــذا البيان في الوقت الحاضر هو موقف الــدول العربية، وتردي علاقاتها. لذلك نرى أن أول واجب يترتب على الــدول العربية هو الرد على البيان المذكور مشــتركًا [مشــتركة] وبالاتفاق التام. ويفهم من الأنباء أن الــدول العربية قد قامت بذلك فعلًا، وفي الوقت ذاته يجب اتخاذ خطوات عملية لإزالة ما بينها من عوامل الجفاء، وتقوية مركز الجامعة العربية، وإعطــاء الانطباع الكافي للعالــم الخارجي عن وجود الاتفاق والتآزر بين الــدول العربية. كما يجب أن يدعم هذا العمل السياســي بإجراءات عسكرية تستهدف فيها الدول العربية تقوية جيوشها عدة وعددًا بكافة الطرق المتيسرة وبالاستفادة من مصادر التسليح الأوروبية غير الدول الثلاث.

ب - وإذا مــا تظاهرت الدول الثــلاث بأن غرضها من البيــان هو تأمين الاســتقرار وإعداد البلاد العربية للدفاع عن النفس، وأظهرت استعدادًا للعمل في هذا النطاق، فإننا نرى الاستفادة من ذلك على الوجه التالي:

أولًا: ينبغي أن تسرع هذه الدول في تجهيز الدول العربية وتسليحها إذ إن التأخر في ذلك يؤدي إلى نتائج وخيمة.

ثانيًا: ينبغي أن تطرح هذه الدول الاعتبارات المالية جانبًا وأن تقوم بســد حاجة البلاد العربية من الأسلحة اللازمة للدفاع دون التقيد بإمكانياتها المالية، فإن خطورة الدفاع أمر حيوي يجب عدم التفريط به بحجة المال.

ثالثًا: إن الدفاع العام يتطلب الوحدة والانسـجام في التسـليح والتجهيز بين كافة البلاد العربية لتسهيل التعاون المشـترك عند الاقتضاء. لذلك يجب رفض مبدأ اقتسـام الدول الثلاث للـدول العربية من حيث تقديم الأسـلحة لها، بل نرى أن تؤلف من هذه الدول هيئة مشـتركة تختص بالنظر في تجهيز وتسـليح الدول العربية على ضوء حاجتهـا الحقيقة ومن الأنـواع الحديثة. وبدون اتباع هـذه الطريقة فلا [لا] يؤمـن الوصول إلى نتائـج مثمرة تحقق المساواة في التوزيع.

رابعًا: يجب محافظة الموازنة في تسليح دول الشرق الأوسط وأن لا تعتبر إسـرائيل في هذا الأمر إلا بنسبة نفوسـها، وإلا فيكون أي اعتبار خلاف ذلك اعتداء على سلامة الدول العربية.

5 - نرجو تنسيب معاليكم

صالح صائب الجبوري
العميد الركن
رئيس أركان الجيش

اجتماع مجلس الجامعة العربية

فـي 12 حزيـران 1950 عقد مجلـس الجامعـة العربيـة اجتماعه في الإسكندرية. وبعد بحث البيان الثلاثي وضع الرد المشترك وسلمت نسخه إلى ممثلي أمريكا وبريطانيا وفرنسـا في العواصم العربيـة في 21 حزيران 1950. واتفقت الدول العربية على إصدار البيان التالي:

1 - ليس أحرص من الدول العربية على اسـتتباب السلام والاستقرار في الشرق الأوسـط، فهي بطبيعتها في طليعة الدول المحبة للسـلام. وقد أثبتت الحوادث المتوالية مبلغ احترامها لميثاق هيئة الأمم المتحدة.

2 - إذا كانت الـدول العربية قد اهتمت أو تهتم باسـتكمال تسـليحها،

فإن ذلك يرجع إلى شعورها العميق بمسـؤولية حفظ الأمن الداخلي، والدفاع الشـرعي عن حياضها، والقيام بواجب حفظ الأمن الدولي فـي هذه المنطقة الذي يقع أولًا عليهـا بالذات، وعلى الجامعة العربيـة باعتبارها منظمة إقليمية ينطبق عليها حكم المادة 52 من ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

3 - سبق أن كررت الحكومات العربية من بادئ أمرها، وقبل تفكير الدول الغربية الثلاث في تصريحها المشـترك، الإعراب عن نياتها السـلمية وتكذيب الشائعات التي تبثها سلطات تل أبيب من أن الدول العربية تطلب ابتياع الأسلحة لأغراض عدوانية، والدول العربية لا ترى بأسًا من الإعراب من جديد عن نياتها السلمية، وأن السلاح الذي تطلبه إنما هو للأغراض الدفاعية.

4 - من البديهي أن مسـتوى القوات المسـلحة التي تحتفظ بها كل دولة من الدول العربية لأغراض الدفاع والقيام بقسـطها في حفظ الأمن الدولي هو أمر يرجع تقديره إلى الدولة نفسـها، ويخضع لعوامل كثيرة أهمها عدد السكان ومساحة البلاد وترامي حدودها ونوعها.

5 - يهم الدول العربية أن تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن الدول الغربية الثلاث لم تقصد من تصريحها محاباة سلطات تل أبيب، أو الضغط على الدول العربية لكي تدخل في مفاوضات مع السـلطات اليهودية، أو المساس بالتسوية النهائية لقضية فلسـطين، أو المحافظة على الوضـع الراهن، بل قصدت إظهار معارضتها الالتجاء إلى القوة، أو الاعتداء على خطوط الهدنة.

6 - تعلن الـدول العربية أن أفضـل الطرق وأضمنها لصيانة الاسـتقرار في الشرق الأوسط حل قضاياها على أسـاس الحق والعدل، وإعادة التجانس السـائد فيه والمبادرة إلى تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة بعودة اللاجئين العرب إلى ديارهم وتعويضهم عن خسائرهم.

7 - كذلك يهم الدول العربية أن تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن تصريح

الدول الغربية الثلاث وطريقة تقديمه وما نص عليه بشأن تقديم التعهدات من الدولة التي تود شراء الأسلحة منها، لا يعني تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ أو الاعتداء بأية صورة على سيادة الدول العربية واستقلالها.

8 - من الواضح أن الشكوك التي أريد تبديدها بالتأكيدات المشار إليها في البند السابق قد أعلن [عمل] على إثارتها نص البند الثالث من البيان الثلاثي. وهو أن الدول الغربية الثلاث إذا علمت أن أيًا من دول منطقة الشرق الأوسط تستعد لإدخال تغيير على الحدود، أو خطوط الهدنة، فستبادر إلى منعها سواء كان ذلك في نطاق الأمم المتحدة أم خارجه. وما من شك في أن العمل وحده هو الكفيل بتبديد الشكوك إذا أثبتت الدول الغربية الثلاث أنها تقصد من ذلك إيجاد الاستقرار دون تحيز أو ميل واحترامها الدول العربية لا بسط السيطرة عليها.

9 - لا يسع الدول العربية إلا أن تؤكد مرة أخرى أنها مع بالغ حفظها للسلام، لا يمكن أن تقر أي عمل يكون ماسًا بسيادتها واستقلالها.

التقرير الأخير

في صيف سنة 1951 حضرت اجتماع رؤساء أركان الجيوش العربية في دمشق وشاهدت الحدود اللبنانية الفلسطينية مع ضابط لبناني مشاهدة سريعة فسمعت أخبارًا مؤداها أن الصهاينة يفكرون في ضم القسم الجنوبي من لبنان إلى القسم المحتل من فلسطين جاعلين نهر الليطاني خط حدودهم الشمالية فتألمت لهذا الخبر، وبعد عودتي إلى بغداد قدمت التقرير التالي وكان آخر تقرير قدمته عن فلسطين بصفتي رئيس أركان الجيش العراقي[1].

(1) يلاحظ القارئ أن هذا التقرير قد قدم قبل سنوات من مصارحة بن غوريون للجنرال ديغول من أن إسرائيل تطمح في جعل نهر الليطاني الحد الفاصل بينها وبين لبنان.

سري للغاية وشخصي

الرقم: 57/ و
التاريخ: 25/ 6/ 1951

معالي وزير الدفاع

الموضوع: إسرائيل والوضع الراهن للدول العربية

كنت قد رفعت تقارير متعددة من نشـــوب القتال في فلســـطين وفي خلال الحركات الجارية هناك وبعد انتهائها، مبينًا فيها ما كنت أجد في إيضاحه ضرورة ماسة للحصول على نتائج مثمرة لحل مشـــكلة فلسطين المتأزمة. وقد بينت في تلك التقارير ما يتراءى لي من الصعوبات التـــي اكتنفت أعمالنا في تلك الفترة، وما كنت أراه ملائمًا لكسب معركة فلسطين وهي في مرحلتها الحاسمة آنذاك.

أما وقد انتهت معركة فلسطين إلى ما هو معروف لدى الجميع، فإني أرى لزامًا علي وقد عدت وشيكًا من مؤتمر رؤســـاء أركان حرب الجيوش العربية، ووقفت على ما وقفت عليه من معلومـــات - بالإضافة إلى ما كان متوفرًا لدي منهـــا - أن أوضح خطورة وضع الدول العربية في هـــذه المرحلة الحرجة التي يقف فيها على حدودها عدو قوي يتحين كل فرصة، ويغتنم كل مناسبة لتدعيم كيانه وتوســـيع منطقة نفوذه على حســـاب الدول العربية، رضيت بذلك أم لم ترضَ. وقد تيسر لدي من القرائن للاستدلال على ذلك ما يلي:

1 - خطة التوسع الإسرائيلي

يبدو للمتتبع للحوادث الجارية على الحدود الإسرائيلية العربية منذ انطواء صفحة القتال في فلسطين حتى الآن أن إســـرائيل تعمل جاهدة في سبيل تنفيذ خطة توســـعية أحكمت وضعها وتنفيذها معتمدة على عون الدول الأجنبية لها وغفلة الدول العربية عما يراد بها وهذه الخطة تبدو واضحة جلية إذا ما لاحظنا النقاط التالية:

أ – منذ انتهاء حركات فلسطين وإسرائيل دائبة على التحرش بالدول العربية المجاورة لها فهي تارةً تقتطع جزءًا من القسم العربي من فلسطين، وتستولي تارةً أخرى على قسم من أراضي المملكة الأردنية، وطورًا تتوسع جنوبًا على حساب القاطع المصري، وطورًا آخر تحكم غاراتها على الحدود اللبنانية. وإن آخر هذه الحوادث وأقربها إلى الذهن ذلك العمل التوسعي الذي يتمثل في تجفيف بحيرة الحولة والاستيلاء على المنطقة المجردة من السلاح في الحدود السورية الإسرائيلية.

ب – كانت إسرائيل وما زالت توالي ضغطها وإرهابها على العرب الساكنين فيها، مما يضطرهم على [إلى] النزوح هربًا من وطأة الظلم اليهودي إلى البلاد العربية المجاورة، فتغنم بذلك أراضيهم وأملاكهم وتهيئ للنازحين إليها مقامًا وموطنًا، وهي علاوة على ذلك ترمي الدول العربية بموجات من اللاجئين.

ج – ولا يخفى على كل متتبع لحركات إسرائيل ما تقوم به من استعداد واسع النطاق في سبيل تنمية قواتها المقاتلة وتحصين حدودها، فهي تنتخب المهاجرين الجدد من الشباب لتضمهم إلى جيشها وتبذل الجهد الجهيد في سبيل تسليح هذا الجيش وتعزيزه، كما أنها دائبة على إقامة المستعمرات الحصينة على طول خط حدودها، مستهدفة من وراء ذلك تأمين منطقة الحدود، وضمان إسكان المهاجرين في تلك المنطقة مما يؤدي إلى إمحاء كل أثر عربي فيها، وبالتالي إلى جعلها قواعد حركات أمينة للجيش الإسرائيلي عند القيام بحركاته التوسعية المقررة.

د – ولقد توالت تصريحات المسؤولين اليهود عن نيتهم في قبول أكبر عدد ممكن من اليهود في فلسطين، وكانت من جملة هذه التصريحات ما أدلى به (بن غوريون) رئيس حكومة إسرائيل بأن في النية إدخال أربعة ملايين يهودي إلى فلسطين خلال السنوات العشرة [العشر] القادمة، والتصريح هذا أكبر دليل على فكرة التوسع، إذ إن من البديهي أن فلسطين بسعتها الراهنة لا تتسع لمثل هذا العدد، ومن ذلك يبدو أن فكرة التوسع على حساب الدول العربية المجاورة

فكرة مختمرة في رؤوس الصهيونيين، ولها خطة مدروسة يراد تطبيقها بمراحل.

2 - معاونة الحلفاء لإسرائيل

أ - استندت إسرائيل منذ أن كانت فكرة في رؤوس الصهيونيين إلى أن أصبحت حقيقة واقعة، إلى معاونة فعالة أسداها لها الحلفاء وغيرهم. ولست أرى داعيًا للتدليل على هذه المعونة التي أسديت بصور مختلفة سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا. فقد احتضن الحلفاء فكرة الوطن القومي اليهودي والهجرة فعاضدوها، ثم انتقلوا إلى مشروع التقسيم فأيدوه وسارعوا لنجدة إسرائيل إبان محنتها الكبرى عند بدء القتال في فلسطين، فدأبوا على تقديم المعونة العسكرية لها حتى استعدت تمام الاستعداد خلال فترة الهدنة الأولى، فكسبت معركة فلسطين بفضل تغاضي الحلفاء عن خرقها للهدنة ووقوفهم من الجهة الأخرى بالمرصاد للدول العربية وإجبارها - بفرض الحظر وغيره من وسائل - على التزام شروط الهدنة نصًا وروحًا لكي يكون المجال فسيحًا أمام إسرائيل لتحصل على ما تريد الحصول عليه من أهداف تجاوزت ما أعطي لها بسخاء في مشروع التقسيم.

ولعل أوضح دليل على تلك المعاونة الصارخة تلك الأحكام التي كان يصدرها مراقبو هيئة الأمم إلى جانب إسرائيل رغمًا عن وضوح خرقها لكافة نصوص الاتفاقيات التي عقدتها مع العرب بتأثير من هيئة الأمم المتحدة نفسها. وإنه لمما يؤيد تحيز دول الحلفاء إلى جانب إسرائيل هو تبديل كل مراقب من هؤلاء المراقبين عندما يستشف من أعماله أنه يؤيد حق العرب الصريح فيقرر خرق اليهود لأحكام الهدنة وتجاوزهم عليها.

ب - إن من أبرز دلائل تلك المعونة ذلك البيان الثلاثي الذي أوجد لإسرائيل كيانًا دوليًا ضمنته ثلاث من الدول الكبرى، والذي كسبت به إسرائيل كسبًا لم تكن تحلم به يومًا ما، ولكنه من الغريب حقًا أنها لم تلتزم بهذا البيان بالرغم من أنه جاء ضامنًا لمصالحها ومثبتًا لكيانها.

ج - ولا بد لي من أن أذكر في هذا الصدد أن تلك المعونة التي تلقتها

إسرائيل في مفتتح حركات فلسطين لم تكن لتثمر ثمرتها المرجوة لو أن الدول العربية دخلت معركة فلسطين موحدة أهدافها واتجاهاتها وأعمالها، عاقدةً النية الخالصة على إنقاذ فلسطين من براثن اليهود دون أي اعتبار آخر. وهذا ما كنت قد بينته في تقارير سابقة رفعتها خلال حركات فلسطين شارحًا فيها ضرورة تضافر القوى والجهود لضمان كسب المعركة.

3 - يقظة إسرائيل

إن يقظة إسرائيل وعدم استنامتها لهي درس وخير درس يجب أن تتلقاه الدول العربية منها، فهي على الرغم من ثقتها بمعاونة الحلفاء لها، ووقوفهم بالمرصاد للدول العربية في سبيل الحيلولة دون تسلح تلك الدول وتجهيزها وتقوية جيوشها لئلا تفكر يومًا ما باستئناف القتال، ما زالت - أي إسرائيل - جاهدة في إعداد عدتها لمقابلة الجيوش العربية التي قد تفكر باستئناف القتال. وهي في سبيل دفع هذا الاحتمال ترصد الجزء الأكبر من ميزانيتها، وتفرض الحرمان الكثير على شعبها، لكي تهيئ المال اللازم لتقوية جيشها وتوسيعه. وهي تعمل في سبيل ذلك حثيثًا لتصنيع بلادها وتعبئة مواردها لدرء الخطر المحتمل، مستفيدة من سيول القروض والإعانات التي تتدفق عليها من أمريكا وغيرها من الدول الأخرى فاتحة أبوابها لاستثمار رؤوس الأموال الأجنبية فيها.

4 - احتمال سعي إسرائيل لضم جنوب لبنان إليها

تدور في الآونة الأخيرة شائعة مؤداها أن إسرائيل تفكر في ضم القسم الجنوبي من لبنان إليها جاعلة نهر الليطاني خط حدودها الشمالي مستهدفة من وراء ذلك حماية منطقة الحولة الداخلة في الأراضي السورية -اللبنانية من الخطر الذي يهددها من الأراضي اللبنانية المجاورة لها غربًا. وهذا الاعتبار يجب أن يكون هدف الحكومات العربية، لا هدف إسرائيل لأن منطقة الحولة تكوّن خطرًا على سلامة الدول العربية المجاورة لها لدخولها فيها، ولهذا فإن ضمها إلى سوريا ولبنان لهو خير ضمان لسلامتهما من الخطر اليهودي الذي يهددهما باستمرار.

وإنه لمما يجسم هذا الخطر اتجاه النية في الآونة الأخيرة إلى تغيير مجرى نهر الليطاني وجعله يصب في منطقة صيداء [صيدا] بدلًا من مصبه الحالي شمالي مدينة صور، فإن تحقق ذلك وتهيأ لليهود أن يبلغوا هذا النهر ليجعلوه خط حدودهم الشمالي، فإنهم في هذه الحالة سيستولون على منطقة واسعة يبلغ عمقها حوالى ثلاثة وستين كيلومترًا وعرضها حوالى 35 كيلومترًا وسعتها حوالى ألفي كيلومتر مربع، وهي لقمة دسمة لإسرائيل تحقق لها جزءً ليس يسيرًا من آمالها في السيطرة التدريجية على البلاد العربية.

وإنه لمن دواعي الأسف أن يذكر في هذا المجال أن هذه المنطقة مسكونة بالقسم الأكبر من مسلمي لبنان -وهي منطقة جبل عامل - وأن هذا الاعتبار الديني قد يكون أحد البواعث على طمع إسرائيل بالاستيلاء عليها وتجاهل الدول الأجنبية عما يحيق بها من خطر. وإني لأجد نفسي في غنى عن تبيان ما يلحق بالدول العربية من كوارث فيما إذا تحقق ذلك في مستقبل الأيام.

5 – احتمال استئناف القتال

أ – إنني لمعتقد بأن الدول العربية المجاورة لإسرائيل مهما طال سكوتها عن التحرشات الإسرائيلية فإنها لا شك ستضيق ذرعًا بهذا السكوت على الجور الإسرائيلي وعندئذٍ ستهب لمقابلته بالمثل، وهذا كما يخيل لي أمر ليس ببعيد الاحتمال. وما من شك في أن نشوب القتال بين إسرائيل وما جاورها من الدول العربية سيجر حتمًا إلى تدخل الدول العربية الأخرى في هذا القتال عاجلًا أو آجلًا.

ب – وإن أخطر ما أخشاه هو أن يقع ذلك فيستأنف القتال قبل أن تعد الحكومات العربية وشعوبها العدة اللازمة لتأمين الغلبة والنصر في المعركة الفاصلة التي ستقرر مصير الدول العربية نهائيًا بصورة عامة، ومصير فلسطين بصورة خاصة.

ج - وفي وسعي أن أقرر بأن السير وفق الخطة الحالية في تسليح الجيوش العربية وتجهيزها لا يمكن أن يؤمن لها التفوق المطلوب على الإطلاق، ولهذا أرى أن تضع الحكومات العربية هذا الموقف الدقيق نصب أعينها على الدوام لكي يحفزها على التهيؤ والاستعداد فتبذل قصارى جهدها في إعداد عدتها وتقوية جيوشها، وإنماء قابلياتها العسكرية مضحية في سبيل ذلك بكل ما لديها من ثروة وإمكانيات لتأمين إيجاد القوة اللازمة لدرء الخطر الداهم.

وأستطيع أن أؤكد أن أية دولة عربية بمفردها لا تستطيع أن تنال الغلبة في معركة مثل هذه لأن إسرائيل سبقتنا بمراحل، ولذا فإن مرحلة الاستعداد يجب أن ترافقها جهودٌ صميمة لتوحيد العمل بين الدول العربية في سبيل تأمين التفوق الحاسم على إسرائيل، إذ إن بقاء الوضع على حالته الراهنة في الانفراد بالأعمال والجهود لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجةٍ مثمرةٍ إطلاقًا.

د - ويبدو أن الدول العربية ليست جادة بمكافحة الخطر المحدق بها، وأنها لا تحسب للوقت حسابه خلاف إسرائيل التي اغتنمت، وما زالت تغتنم كل لحظة مهما قصرت في سبيل تدعيم كيانها العسكري وتحصين حدودها. ولا شك في أن إسرائيل شاعرة بتفوقها وقوتها وبمواطن الضعف في البلاد العربية، وهي لذلك تلقي التهديد تلو التهديد للدول العربية منذرةً إياها باستعمال القوة إن لم تنجح الوسائل السلمية. وعلى سبيل المثال أنقل ما فاه به أحد الناطقين العسكريين اليهود عندما سئل عن قوة جيشه عند حصول تجاوز عليه فقد أجاب: «بأنه إذا ما حصل اعتداء على إسرائيل فإن جيشها سيحارب ليس في أرض إسرائيل فحسب، بل في أراضي المعتدين أيضاً».

هـ - وأرجو أن أذكر أن الاجتماعات والمقررات وحدها ليست وسيلة مجدية لتلافي هذا الخطر المحدق ما لم تدعم بالعمل المجدي الحاسم المقرون بالإخلاص والتضحية من الجميع وأن الظروف لتدعو الدول العربية جمعاء للمسارعة في مضمار التهيؤ والاستعداد والاتفاق ماديًا وأدبيًا، لكي

يكـــون بإمكانها تهيئة القوة اللازمة للحيلولة دون التوســـع الإســـرائيلي الذي يهدد كيان تلك الدول بأجمعها ولقد ســـبق أن أوضحت ذلك في مناســـبات متعددة.

و - وأود في هـــذا المجال أن أقول بأنه ليس الدافع لشـــرح هذا الموقف دافعًا اعتدائيًا، ولكنه دافع تمليه ضرورة محافظة الدول العربية على كيانها، وقد استهدفت من ورائه إيضاح الخطر الذي يحيق بالدول العربية التي لا أشك في أنها تشعر بما يهدد مســـتقبلها من نكبات، ولكنها كما يظهر متأخرة في اتخاذ ما يتطلبه هذا الموقف الحرج من تضحيات وعمل متواصل سريع.

ز - ولا مناص من القول بأنه على الرغم مما ســـبق بيانه من عون الدول الأجنبية لإســـرائيل وإمدادها بإسنادٍ مادي وعســـكري وأدبي، فإن ذلك كله لا يهيئ للدول العربية عذرًا كاملًا في خسرانها قضية فلسطين، وإن اللوم ليقع على عاتقها مهما ســـردت، أو تسرد للفشل من أســـباب. فلو لم تكن الدول العربية ضعيفة في مضمار التســـليح والسمعة العالمية، ولولا فشـــلها في الوصول إلى حل سياسي مرض للمشكلة الفلســـطينية، لما تيسر للدول الأجنبية أن تتحداها هذا التحدي الصارخ، وأن لا تكترث لصداقتها فتفضل عليها نصرة شرذمة من المتشـــردين في العالم لتقيم لهم دولة في قلب البلاد العربية تهدد بها مستقبلها وكيانها إلى الأبد. ولهـــذا فمن الممكن أن يقال إن الـــدول العربية بإمكانها أن تعوض عن نقصها في مجال القـــوة بجهود تبذلها في ميدان السياســـة الدولية لتحسين موقفها الحرج. وإن تحديد هذه الجهود وتثبيتها أمر في استطاعة رجال السياسة أنفســـهم القيام به، لا ســـيما وأن الموقف العالمي الحاضر قد يساعد كثيرًا على نجاح مثل هذه المساعي. إلا أن وحدة العرب وتكتلهم لهي الخطوة الأولى التي يجب أن تتخذ في ســـبيل تدعيم كيانهم السياســـي والدولي، لكي يكون لوجودهم أثر عندما يحســـب للدول حسابها في مضمار التوازن الدولي، لا ســـيما وأن لموقعهم الجغرافي أهميته الكبرى التي يمكن الارتكاز إليها في كل مناورة سياسية يقام بها.

6 - أرجـــو إطلاع معاليكم علـــى ما أوضحته أعلاه وعرضـــه على أنظار المسؤولين إن وجدتم ضرورة ذلك، لتقرير الخطة المناسبة في سبيل تحاشي ما يترتب على ذلك من نتائج لســـت أراها خافية على معاليكم. كما أرجو التفضل بالرجوع إلى ما ســـبق وأن رفعته مـــن تقارير حول القضية الفلســـطينية بالذات للوقوف على مدى ما تحقق مما كنت أتوقعه آنذاك.

صالح صائب الجبوري
العميد الركن
رئيس أركان الجيش

الفصل التاسع والعشرون

العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956

حركة القوات الإسرائيلية نحو قناة السويس ومهاجمتها القوات المصرية

في الساعة 01:15 من فجر يوم 30 تشرين الأول 1956 رن التلفون السري في داري، فطُلبت للحضور إلى اجتماع للوزراء يُعقد في دار رئيس الوزراء السيد نوري السعيد، وذلك بصفتي وزيرًا للمواصلات والأشغال العامة يومئذٍ. وحين انعقد الاجتماع أُخبرنا بإعلان الإذاعة البريطانية نبأ حركة القوات الإسرائيلية باتجاه السويس، ومهاجمتها القوات المصرية. ونظرًا إلى خطورة الموقف كان لا بد من اتخاذ الإجراءات السريعة اللازمة. وللحصول على معلومات أوفى والتأكد من حقيقة الأمر، اتصل وزير الخارجية تلفونيًا بالسفير المصري مستفسرًا، فلم يكن لدى السفير علم بذلك. وقد اتخذ مجلس الوزراء قرارًا بالوقوف إلى جانب مصر والتهيؤ للاحتمالات، وتفرقنا بعد الساعة الرابعة صباحًا.

إنذار بريطانيا وفرنسا لمصر باحتلال قناة السويس

وبينما أخذت أنباء القتال تتوارد أذاعت الإذاعات مساء 30 تشرين الأول، أن حكومتي بريطانيا وفرنسا سلمتا إنذارًا إلى مصر وإسرائيل طلبتا فيه إيقاف جميع الأعمال الحربية في البر والبحر والجو حالًا، وانسحاب جميع القوات المسلحة للطرفين إلى مسافة عشرة أميال من طرفي قناة السويس، وإعلان موافقة الحكومة المصرية على قبول الاحتلال المؤقت من قبل القوات البريطانية-الفرنسية للمواقع الرئيسية في بور سعيد والإسماعيلية والسويس، والإجابة على الإنذار خلال اثنتي عشرة ساعة. فإذا انقضت هذه المدة، ولم تتعهد الدولتان، أو إحداهما بالامتثال لهذه المطالب، فإن القوات البريطانية والفرنسية ستتدخل بالقوة الضرورية لتحقيقها.

وقد وقع هذا الخبر المؤلم كالصاعقة على من سمعه من العرب، وظهر جليًا وجود مؤامرة مدبرة وتواطؤ بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.

وفي صباح يوم 31 تشرين الأول حضرت اجتماع مجلس الوزراء الذي جرى فيه بحث الموقف الخطر في جبهة مصر الناشئ عن غدر بريطانيا وفرنسا وتوجيههما الإنذار المذكور إلى مصر. وقد تكلمت في هذا الاجتماع، ومما قلته أنه قد اتضح بصورة جلية لا تقبل الشك بأنها مؤامرة مدبرة بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، وأنها موجهة ليست ضد مصر فقط، بل ضد البلاد العربية بأجمعها، وأن إسرائيل ستنال مكافأتها على عملها الغادر هذا، وستكون المكافأة على حساب جميع العرب. وعليه تقرر توجيه احتجاج إلى بريطانيا وفرنسا على غدرهما هذا، كما تقرر الوقوف بجانب مصر وتهيئة الجيش لإرساله إلى الأردن وإعلان الأحكام العرفية في البلاد.

باشرت الطائرات البريطانية والفرنسية بقصف المطارات المصرية والمراكز العسكرية اعتبارًا من الليلة السابقة، بينما الجيش المصري مشتبك في قتالٍ عنيفٍ مع القوات الإسرائيلية في صحراء سيناء.

قرار الجمعية العمومية لوقف القتال وسحب القوات المعتدية

وفي 2 تشرين الثاني قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة وقف القتال في الأرض المصرية وسحب القوات المعتدية، وأُبلغ القرار إلى الأطراف المعنية. وقد وافق على القرار 64 دولة وصوتت ضده 5 دول وامتنعت 6 دول عن التصويت، ولم يحضر الجلسة ممثل لوكسمبورغ.

صورة القرار

إن الجمعية العمومية:

إذ تلاحظ المخالفات المقترفة مرارًا من قبل الفرقاء لبنود اتفاقات الهدنة الإسرائيلية-العربية، وأن قوات إسرائيل المسلحة قد توغلت في الأراضي المصرية، خارقة بذلك الاتفاق العام للهدنة بين مصر وإسرائيل؛

وإذ تلاحظ أن القوات المسلحة لفرنسا والمملكة المتحدة تقوم بعملياتٍ حربية ضد الأراضي المصرية؛

وإذ تلاحــظ أن حركة المرور في قناة الســويس قد تعطلــت تعطلًا يضر ببلدانٍ عديدة؛

تعبر عن قلقها البالغ الناجم عن هذه الأحداث.

تطلب طلبًا مســتعجلًا أن يتفــق جميع الفرقاء المشــتركين في العمليات الحربية الدائرة في هذه المنطقة على وقف النار فورًا، وأن يوقفوا تبعًا لذلك كل تحركٍ للقوات العسكرية والأسلحة في هذه المنطقة.

وتطلب أن يســحب الفريقان المرتبطان باتفاقية الهدنة وبســرعة، قواتهما وراء خطوط الهدنـــة، وأن يمتنعا عن أي دخولٍ من خــلال خطوط الهدنة إلى الأراضي المجاورة، وأن يحافظا بأمانة على اتفاقات الهدنة.

وتأمر بأن يمتنع جميع الأعضاء عن إرســال أعتدة استراتيجية إلى منطقة النــزاع، وأن يمتنعوا بصورة عامة عن أي عملٍ يؤخــر تنفيذ هذا القرار أو يمنع تنفيذه.

وتطلب أن تتخــذ تدابير بعد تنفيذ وقف إطلاق النــار لإعادة فتح القناة، ولإعادة حرية الملاحة فيها ومنع تعرضها للخطر.

وتطلب من الأمين العام أن يحقق في كيفيــة التقيد بهذا القرار، وأن يقدم تقريرًا عنها لمجلس الأمن والجمعية العمومية، وذلك ليتخذا أي تدبيرٍ يعتبرانه ضروريًا وفقًا للميثاق.

وتقرر أن تظل الجمعية العمومية في دورة استثنائية إلى أن ينفذ هذا القرار.

فوز حكومة إيدن بالثقة على سياستها في القضية المصرية

ألح حزب العمال البريطاني بزعامة المستر هيو كيتسكل على السر أنطوني إيدن رئيس الوزراء لإعطــاء الجواب إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد

إعلان قرارها بوقف القتال، فتملص رئيس الـوزراء من المجلس، ووعد ببيان موقفه في اليـوم التالي بعد الاطلاع على الخطب فـي الجمعية العمومية. وقد كان قصده من هذه المماطلة كسـب الوقت للتغلب علـى المقاومة المصرية، وإكمال احتلال قناة السـويس، ووضع العالم تجاه الأمر الواقع. ولكن سـهمه طاش ولم تنجح مناوراته ومخططاته، وأخيرًا باءت الحملة بالفشل[1].

وعند إجراء التصويت بالثقة على سياسـة الحكومة فـي القضية المصرية نالت الحكومة 321 صوتًا مقابل 259 صوتًا ضدها.

رفض بريطانيا وفرنسا مقررات الجمعية العمومية

بتاريخ 3 كانون الأول رفضت كل من بريطانيا وفرنسـا مقررات الجمعية العمومية للأمم المتحدة بخصوص وقف القتال في الأراضي المصرية، فتحرج الموقف العام وبات يهدد بأخطارٍ جسيمة يخشى من عواقبها.

قرار الجمعية العمومية بإنشاء قوة دولية

وفي يوم 4 كانون الأول قررت الجمعية العمومية إنشاء قوة دولية لمراقبة تنفيذ قرار وقف القتال الصادر يوم 2 كانون الأول 1956.

صورة القرار

إن الجمعية العمومية

وقد أخذت بعين الاعتبار الضرورة العاجلة لتيسـير احتـرام القرار الذي اتخذته الجمعية بتاريخ 2 تشرين الثاني 1956.

ترجو إلى الأمين العام أن يرفع إليها بأقصى السـرعة وبظرف 48 سـاعة مشـروعًا لتشـكيل قوة دولية للأمم المتحدة بموافقة الـدول المعنية، وذلك

(1) راجع مذكرات إيدن قسم (الدائرة الكاملة) للاطلاع على مزيدٍ من التفاصيل عن موقف حزب المحافظين من العدوان الثلاثي على مصر، المنشور في لندن سنة 1958.

لمعالجة الحالة الطارئة، ولتأمين ومراقبة وقف القتال وفقًا لأحكام القرار الآنف الذكر.

قرار الجمعية العمومية الثاني بوقف القتال

وفي 4 تشرين الثاني اتخذت الجمعية العمومية قرارها الثاني بتأكيد قرارها الأول بتاريخ 2 تشرين الثاني حول وقف القتال.

صورة القرار

إن الجمعية العمومية:

إذ تلاحظ بأســف أن جميع الفرقاء المعنيين لم يقبلوا بعد بالتقيد بأحكام قرار 2 تشرين الثاني 1956؛

وإذ تلاحــظ أن هذا القرار قد طلب قبل كل شــيء من الفرقــاء أن يقبلوا بوقف القتال فورًا وأن يكفوا، بالتالي، عن إرســال قوى عسكرية وأسلحة إلى المنطقة؛

وإذ تلاحظ [أن] هذا القرار قد طلب بإلحاح، فضلًا عن ذلك، أن يسحب الفرقاء في اتفاقيات الهدنة بدون إبطاء جميع قواتهم إلى ما وراء خطوط الهدنة وأن يمتنعــوا عن أي توغلٍ عبــر هذه الخطوط، في الأراضــي المجاورة، وأن يتقيدوا بدقة بأحكام اتفاقياتِ الهدنة؛

1 - تؤكد قرارها المتخذ في 2 تشرين الثاني 1956 وتناشد مجددًا الفرقاء كي يتقيدوا بأحكام هذا القرار.

2 - تخــول الأمين العــام أن يقوم فــورًا بترتيباتٍ مع الفرقــاء المعنيين من أجل وقف إطلاق النار والعمل على الكف عن إرســال القوى العســكرية والأسلحة إلى المنطقة، وترجو منه أن يرفع فورًا تقريرًا عن تنفيذ هذه الأحكام، وعلى كل حال، قبل مضي اثنتي عشرة ساعة على صدور هذا القرار.

3 – ترجو الأمين العــام أن يعمل بمعاونة رئيــس الأركان وأعضاء هيئة مراقبة الهدنة، على بلوغ تنفيذ سحب جميع القوى إلى ما وراء خطوط الهدنة.

4 – تقرر العودة إلى الاجتماع حالما تتســلم تقرير الأمين العام المذكور في الفقرة الثانية من مثنى هذا القرار.

مشروع قرار أميركي

بتاريخ 4 كانون الأول وافقت الجمعية العمومية على مشروعٍ أميركي جاء فيه:

إن الجمعية العمومية:

1 – تــرى من الضروري، تأمينًا لســلم عادلٍ ودائم، إزالة أســباب التوتر العميقة في المنطقة، والوصول إلى تسوية نهائية بين الفرقاء في اتفاقيات الهدنة العامة.

2 – تُنشئ لجنة مؤلفة من (خمسة أشخاص) تكون مهمتها:

أ – أن تضع، بعد استشارة الفرقاء في اتفاقيات الهدنة العامة المعقودة عام 1949، توصياتٍ لتســوية القضايا الرئيسية المعلقة بين الدول العربية وإسرائيل بغية خلق أوضاعٍ ملائمة للسلم والاستقرار الدائم في المنطقة.

ب – أن تقدم توصياتها إلى الفرقاء المعنيين وإلــى الجمعية العمومية أو مجلس الأمن حســب الحالات، وأن ترفع إلى الجمعيــة العمومية تقارير عن مجرى المهمة الموكولة إليها.

3 – ترجو من الأميــن العام أن يســتمر بالتعاون مع اللجنــة، في تقديم خدماته الطيبة إلى الفرقاء.

4 – ترجو مــن أعضاء الأمم المتحــدة أن يقدموا المعونــة للأمين العام وللجنة.

قرار بإنشاء قيادة تابعة للأمم المتحدة

بتاريخ 5 كانون الأول قررت الجمعية العمومية أن:

1 - تُنشئ قيادة تابعة للأمم المتحدة لقوة دولية طارئة مكلفة بتأمين وقف القتــال، ومراقبته وفقًا لأحكام قــرار الجمعية العمومية المؤرخ في 2 تشــرين الثاني 1956.

2 - تعين، كتدبيرٍ عاجلٍ، الجنرال بيرنــز رئيس أركان الهيئة التابعة للأمم المتحدة والمكلفة بمراقبة الهدنة، رئيسًا لهذه القيادة.

3 - تخول رئيس القيادة أن يعين حالًا من بين أفــراد الهيئة التابعة للأمم المتحدة المكلفة بمراقبة الهدنة عددًا محدودًا من الضباط، على ألا يكونوا من رعايا الدول ذات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن.

كما تخوله أيضًا، بعد التشــاور مع الأمين العام، أن يعين رأسًــا ما يحتاج إليه من ضباط إضافيين من مختلف الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، باستثناء الدول ذات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن.

4 - تدعو الأمين العام لاتخاذ التدابير الإداريــة اللازمة لتنفيذ هذا القرار بسرعة.

مشروع القرار الروسي

وبالرغــم من قــرار الجمعية العموميــة بإيقاف القتال اســتمرت القوات المعتديــة في عملياتها الحربيــة ضد مصر، فقدمت روســيا إلى مجلس الأمن مشروع القرار الشديد التالي:

مشروع القرار الروسي

«إن مجلس الأمن:

إذ يأخذ علمًا بأن قرار الدورة الاســتثنائية للجمعيــة العمومية المتخذ في 2 تشــرين الثاني 1956، والذي يوصي المملكة المتحدة وفرنســا وإسرائيل

بأن توقف حالًا العمليات الحربية ضد مصر، وأن تســحب قواتها من الأراضي المصرية، لم تتقيد به الدول المذكورة، وأن العمليات العســكرية ضد مصر لم تزل مستمرة؛

وإذ يعتبر أنه من الضروري اتخاذ خطوات سريعة لوقف العدوان الموحد ضد مصر؛

يطلب من المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل أن توقف العمليات الحربية ضد مصر حالًا، وقبل مضي اثنتي عشرة ســاعة على الموافقة على هذا القرار، وأن تسحب خلال ثلاثة أيام القوات التي غزت مصر؛

ويعتبر، وفقًا للمادة 42 من ميثاق الأمم المتحدة، أنه من الواجب أن تقدم الدول الأعضاء في الأمم المتحــدة، وبالأخص الولايــات المتحدة والاتحاد السوفياتي بوصفهما عضوين دائمين في مجلس الأمن ومالكين لأساطيل بحرية وجوية قوية، المساعدة العسكرية وسواها للجمهورية المصرية، التي هي ضحية العدوان، وذلك بإرسال القوات البحرية والجوية والوحدات البرية والمتطوعين العسكريين وسواها من أسباب المساعدة، إن لم تنفذ المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل هذا القرار ضمن المهلة المحددة أعلاه».

بعد هذا المشروع، أو الإنذار الروسي أصبح العالم على حافة حرب عالمية لا يعلم إلا الله مدى ما تلحقه بالبشرية من دمار، فانصاع المعتدون إلى القوة التي لا يفهمون غير لغتها، ولا ينصاعون إلا لهــا. فتوقف القتال، وباءت حملة الغدر بالفشل والخسران، وانســحب المعتدون من أراضي مصر يجرون أذيال الخزي والعار، وخرج شــعب مصر الذي دافع دفاع الأبطال عن وطنه وشرفه، من هذه المحنة رافع الرأس ناصع الجبين بالرغم من الخسائر التي مني بها. ولكن خسارة المعتدين المادية والأدبية كانت أكثر بكثير من خسائر المصريين[2].

---

(2) راجع كتاب انســحاب إسرائيل من سيناء 1956 - 1957 بقلم وليد أبي مرشد الصادر باللغة الإنكليزية.

كذلك كتاب الطريق إلى السويس تأليف أرسكين غيلدرز المنشور في لندن عام 1962.

خطة الحركات المعادية

ظهر من سير حركات القوات الإسرائيلية في سيناء، ومحاولة القوات البريطانية والفرنسية احتلال قناة السويس، ومن تسرب أخبار القتال، ومن الوثائق التي وجدت مع جثة القائد الإسرائيلي أساف سمحوني الذي أسقطت طائرته، أن دوافع الغزو وتمهيداتها هي:

أ - أن غي موليه رئيس وزراء فرنسا كان قد ضاق ذرعًا بثورة الجزائر التي كبدت فرنسا خسائر جسيمة، ولم تتمكن الجيوش الفرنسية الجرارة من التغلب عليها وإخمادها، وقطع معاونة البلاد العربية لها.

ب - وأن غي موليه وإيدن قد فقدا أعصابهما، وجن جنونهما بعد تأميم مصر لقناة السويس.

ج - وأن بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل، ومن ورائه الصهيونية العالمية، كان يطمع في التوسع على حساب العرب، وينتهز كل فرصة للعمل ضد البلاد العربية.

وعليه اتفقت مطامع بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في البلاد العربية، وعداوتها لها، وخاصة مصر التي أممت القناة، فأخذوا يحيكون المؤامرات ويعدون الخطط للوصول إلى مآربهم الخسيسة. وجرت اتصالات ومحادثات بين الأطراف الثلاثة للقيام بعملهم المشترك عند مساعدة الظروف، وأخذوا يتحينون الفرص، ومنها الانتخابات الأمريكية للرئاسة. ولم تحتمل أعصابهم الانتظار، فسافر إيدن إلى باريس واجتمع برئيس وزراء فرنسا (غي موليه)، واتفقا على القيام بهجوم خاطفٍ وسريعٍ على مصر، واحتلال قناة السويس. وتم تحديد موعد الهجوم بانتهاز فرصة الحوادث التي وقعت في المجر، لا فرصة الانتخابات الأمريكية للرئاسة، كما كان مقررًا بادئ ذي بدء.

وملخص الخطة أن يبدأ الصهاينة بمهاجمة الجيش المصري في سيناء، والتقدم نحو قناة السويس، وذلك لإيجاد ذريعة لتدخل القوات البريطانية

والفرنسية، الواقفة على أهبة الاستعداد، لاحتلال قناة السويس والتقائها في مدينة السويس، بحجة حماية الملاحة في القناة وتأمين سير السفن بانتظام، ولكنها كانت تبغي من جهة أخرى حصر القوات المصرية في شرق القناة، بين القوات الإسرائيلية من الشرق والبريطانية-الفرنسية من الغرب لتكبيدها أكبر خسائر ممكنة. وكانوا يأملون في قيام ثورة على الحكم في داخل مصر، والتفاهم مع القائمين بالثورة[3].

وفي يوم 28 تشرين الأول عقد رؤساء أركان حرب الصهاينة اجتماعًا مع رؤساء أركان حرب الجيش الفرنسي، تم فيه وضع تفاصيل خطة الهجوم المشترك على مصر التي سميت باسم عملية (هاميلكار)، وهو اسم والد (هنيبال) القائد العظيم. وكان العامل المهم في هذه الخطة المباغتة وسرعة التنفيذ وإنهاء احتلال سيناء بسرعة فائقة، ووضع العالم أمام الأمر الواقع قبل حصول اختلاطاتٍ ومداخلاتٍ دولية.

قطع العلاقات مع فرنسا وتجميد ميثاق بغداد

في الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة 9 كانون الأول حضرت اجتماع مجلس الوزراء في قصر الرحاب، والذي حضره أيضًا رؤساء الوزارات السابقين الأعضاء في مجلس الأعيان ونائب رئيس مجلس الأعيان ورئيس مجلس النواب. وبعد المداولة في الوضع الراهن بحضور الملك فيصل الثاني والأمير عبد الإله، تقرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا، وعدم الاجتماع مع البريطانيين في ميثاق بغداد الذي جمد ووضع على الرف.

مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في بيروت

وجه السيد كميل شمعون، رئيس الجمهورية اللبنانية، الدعوة إلى الملوك والرؤساء العرب لعقد مؤتمرٍ في بيروت لبحث الحالة التي نشأت عن العدوان

(3) للاطلاع على خطط إسرائيل المبيتة: راجع كتاب يوميات حملة سيناء، تأليف الجنرال موشيه دايان الصادر باللغة الإنكليزية في لندن عام 1965.

الثلاثي على مصر. وقد وصَلَتْ بيروت، تلبية لدعوة الرئيس شـــمعون، الوفود التالية حسب ترتيب وصولها:

الوفد الأردني: مؤلف من الملك حســين والوفــد المرافق له، وصل يوم الخميس 8 كانون الأول.

الوفد العراقي: مؤلف مــن الملك فيصل الثاني والوفــد المرافق له، وقد وصل يوم السبت 10 منه. وكنت أنا أحد أعضاء الوفد.

الوفد السعودي: مؤلف من الملك ســعود والوفد المرافق له، وقد وصل يوم الاثنين 12 منه.

الوفد السوري: مؤلف من الرئيس شكري القوتلي والوفد المرافق له، وقد وصل يوم الاثنين 12 منه.

الوفد الليبي: مؤلف برئاسة السيد مصطفى بن حليم رئيس الحكومة، وقد وصل مساء يوم 13 منه، وحضر اجتماع المساء.

الوفد اليماني: برئاســة الأمير البدر ولي العهد، واشترك في الاجتماعات اعتبارًا من 14 منه.

الوفد السوداني: برئاسة السيد عبد الفتاح المغربي رئيس مجلس السيادة، واشترك في الاجتماعات اعتبارًا من 14 منه.

ممثل مصــر: لم يتمكــن الرئيس جمال عبــد الناصر من تلبيــة الدعوة لحضور المؤتمر بســبب الظروف القائمة في مصر التي استوجبت بقاءه فيها، ولكنه أبرق إلــى الرئيس اللبناني مرحبًا بعقد المؤتمر معتبرًا نفســه مشــتركًا فيه، ومعلقًا عليه أحسن الآمال. كما أرسل رســالة مع مصطفى أمين صاحب جريدة أخبار اليوم إلى الرئيس شــمعون يعتقد أنها ذات علاقة بمؤتمر الملوك والرؤســاء. وقد مثل مصر في جميع الاجتماعات سفيرها في لبنان اللواء عبد الحميد غالب.

افتتاح المؤتمر

في يـوم الثلاثـاء 13 كانون الأول، افتتـح المؤتمر الذي عقـد في قاعة اليونيسـكو، السـيد كميل شـمعون رئيس الجمهورية اللبنانية، مرحبًا بالوفود ومبينًا سـبب الاجتماع، وهو الحالة الراهنة الناشـئة من اعتداء بريطانيا وفرنسا وإسـرائيل على مصر، وتحدّيها بذلك البلاد العربية جميعها، وكذلك للمداولة حول ما يجب القيام به تجاه هذا العدوان.

ثم بحث أمر انتخاب رئيسٍ للاجتماع، فوافق الجميع على أن يكون السيد كميل شمعون رئيسًـا بصفته صاحب الدعوة ورئيس جمهورية البلد المضيف. وتكلم رؤسـاء الوفود على التعاقب، وكانت كلمة الملك فيصل الثاني كما في أدناه:

«أتقدم بالشـكر إلى صاحب الفخامة رئيس الجمهوريـة اللبنانية على هذه الدعوة، وأرجو مـن الله عز وجـل أن يجعل هذا الاجتماع فاتحـة خيرٍ للأمة العربية لتحقيق أهدافنا وعزتنا. وأحيي أصحاب الفخامة والجلالة الحاضرين في هذا الاجتماع، وكلي أمل بأن الدول العربية وشـعوبها ستؤدي جميعها الرسالة المقدسة التي توصلنا إلى أهدافنا وغاياتنا الوطنية. وأعتقد جازمًا بأن كل اعتداء على أي جزء من أمتنا العربية هو اعتداء علينا جميعًا. ولذلك فإن الاعتداء الذي وقع على مصر أخيرًا هـو اعتداء على جميع الأمة العربيـة، فيجب علينا التآزر والتعاضد لدرء كل خطرٍ يقع علينا، ولا بد لنا من انتهاز هذه الفرصة السعيدة التي جمعتنا. ونوصي حكوماتنا بوضع الخطط السـليمة التي من شأنها جمع كلمتنا وصون استقلالنا».

المقترحات العامة للمؤتمر

وفي أدناه المقترحات العامة التي جـرى البحث والتداول حولها، وأقرها المجتمعون:

مؤتمر أصحاب الجلالة والفخامة ملوك العرب ورؤسائهم:
(بيروت في ١٢/ ١١/ ١٩٥٦)

مقترحات عامة

يمكن تقسيم المقترحات إلى قسمين:

- القسم الأول، يتناول التدابير التي يجب تطبيقها فورًا.
- القسم الثاني، يتناول التدابير الطويلة الأمد.

القسم الأول: التدابير المعجلة

1 - سحب القوات البريطانية والفرنسية من الأراضي المصرية فورًا، وبدون أي قيدٍ أو شرطٍ، خاصة وأن طلائع القوات الدولية قد وصلت إلى مصر.

2 - سحب القوات الإسرائيلية فورًا وبدون أي شرطٍ من شبه جزيرة سينا ومن قطاع غزة إلى ما وراء خطوط الهدنة المرسومة في عام 1949.

3 - فصل قضية القناة عن الظروف التي رافقت الاعتداء على مصر، واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها، والسعي إلى حلها حلًا يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها، في نطاق الأمم المتحدة وبمفاوضات سلمية بين الفرقاء المعنيين شرط ألا يحيط هذه المفاوضات أي مظهرٍ من مظاهر الإكراه، وأن تجري على أساس معاهدة 1888 والمبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن في 13/ 10/ 1956.

4 - سحب القوات الدولية في أقرب وقتٍ ممكنٍ، وحالما تطلب مصر ذلك.

5 - بحث التدابير التي يجب اتخاذها إذا تمنعت إسرائيل عن سحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة.

6 – بحث التدابير التي يجب اتخاذها فيما لو تمنعت بريطانيا وفرنسا عن سحب قواتهما فورًا على ما ورد في الفقرة الأولى من المذكرة.

7 – بحث المساعدة التي طلبتها مصر وفقًا للمذكرة التي بُلغت برقيًا للدول العربية وللدول الصديقة.

القسم الثاني – التدابير الطويلة الأمد

1 – التدابير السياسية:

أ – توحيد أهداف السياسة الخارجية للدول العربية في جميع القضايا التي تعتبر حيوية.

ب – إعطاء الأولوية المطلقة للالتزامات الناجمة عن ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الضمان الجماعي وواجب التضامن والأخوة بين الشعوب العربية بالنسبة لأي التزامٍ آخر تنص عليه المواثيق المعقودة بين بعض الدول العربية ودولٍ غير عربية.

ج – درس المساعدات التي يجب أن تُقدم للمملكة الأردنية الهاشمية، لكي تتمكن من القيام بالالتزامات المشار إليها في الفقرتين السابقتين على الوجه الأكمل، وذلك بالنسبة لوضعها الجغرافي في خط النار الأول، ولأنها تمثل عنصرًا أساسيًا في صد الاعتداء الإسرائيلي، والبت في أمر هذه المساعدات بصورة نهائية.

د – بحث القضية الفلسطينية من جميع نواحيها.

2 – التدابير العسكرية:

أ – تأليف هيئة موحدة لأركان الحرب، تكون مهمتها وضع التصاميم التي تهدف إلى تعزيز الجيوش العربية وزيادة قوتها وفعاليتها، ووضع

الخطط التي يمكن اتباعها في ظــروف الحرب أيًا كانت الجهة التي يأتي منها العدوان.

ب - تكليف كل حكومة من الحكومــات العربية بصورة جازمة، وبصيغة التحديد، تأليف أكبر قوة عسكرية تسمح بها إمكاناتها المالية والعدلية، من مشاة ومدفعية وطيران وبحرية، على أن تكتمل هـــذه القوات في المدة التي تحددها الهيئة الموحدة بأركان الحرب.

الفصل الثلاثون

طلب الأردن مساعدة العراق العسكرية لصد العدوان الإسرائيلي سنة 1956

اعتداءات إسرائيلية على الأردن

وقعت اعتداءات إســرائيلية غادرة على حدود الأردن خلال شهري أيلول وتشــرين الثاني 1956، فاضطرت الحكومة الأردنية أن تطلب من العراق اتخاذ إجراءات تكفل سرعة نجدة الأردن ومســاعدته عسكريًا فيما إذا تطورت الأمور وتفاقمت حالــة الحرب بين الأردن وإســرائيل، وذلك عمــلًا بمعاهدة الأخوة والتحالف المعقودة بين المملكتين العراقية والأردنية في شهر نيسان سنة 1947.

ولبحث تفاصيل المساعدة العســكرية التي طلبها الأردن، سافر الوصي[1] الأمير عبد الإله إلى عمان يوم 14 تشــرين الأول 1956، وبمعيته وفد عراقي مؤلف من السادة جميل المدفعي، أحمد مختار بابان نائب رئيس الوزراء، وعبد الله بكر رئيس الديون الملكي، واللواء الركن رفيق عارف رئيس أركان الجيش.

عقــد الجانبان العراقــي والأردني عــدة اجتماعات في يومــي 14 و15 تشــرين الأول 1956 أســفرت عن اتفاق يقضي بوضع فرقة عراقية كاملة مع القوات المســاندة لها، وقوة جوية على الحدود العراقيــة الأردنية تكون على أهبة الاستعداد لدخول الأراضي الأردنية والوقوف إلى جانب الجيش الأردني للدفاع عن الأردن عند طلب الحكومة الأردنية ذلك. وفعلًا تحشــدت القوات العراقية قرب الحدود بين المملكتين.

عند وقوع الاعتداء الإسرائيلي - البريطاني - الفرنسي الغادر على القوات المصرية في سيناء وقناة السويس، عقد مجلس الوزراء الأردني جلسة ظهر يوم

---

(1) كان الأمير عبد الإله وصيًا علــى العرش آنذاك، إذ توج فيصل الثانــي ملكًا في 2 أيار/ مايو 1953 حين بلوغه الثامنة عشرة (المحرر).

31 تشرين الأول قرر فيها دعوة القوات العراقية المرابطة على الحدود للدخول إلى الأردن، والمشـــاركة في الدفاع ضد الاعتداءات الإســـرائيلية على الأردن، وأعلمت الحكومة العراقية بذلك. وبناء على هذا الطلب ولتنســـيق التعاون بين الجيشـــين العراقي الأردني والاتفاق على القيادة والأمـــور الضرورية الأخرى، اقتضى اجتماع مجلس الدفاع الأعلى العراقي - الأردني في عمان.

وفي يوم 3 تشرين الثاني أســـندت وكالة وزارة الدفاع إلي، وذلك بمناسبة سفر وزير الدفاع صباح ذلك اليوم إلى طهران.

تألف الوفد العراقي لحضور اجتماع عمان من السادة:

صالح صائب الجبوري وزير المواصلات والأشغال ووكيل وزير الدفاع.

ضياء جعفر وزير الاقتصاد ووكيل وزير الخارجية.

اللواء الركن رفيق عارف رئيس أركان الجيش.

وفي صباح يوم 4 تشرين الثاني غادر الوفد بغداد بطائرة عسكرية متوجهًا إلى عمان. وبعد اجتياز الحبانية بعشرين دقيقة استلم الطيار رسالة تخبره بوجود زوبعة ترابية في الأردن وعدم إمـــكان نزوله في عمان، وعليه قرر الطيار العودة فنزلنا في مطار الحبانيـــة، وبقينا في مقر القيادة العراقي بانتظار تحســـن الحالة الجوية لمتابعة الســـفر. استفســـر الطيار ظهرًا عن حالة الجـــو، فجاء الجواب باستمرار حالة الجو السيئة وتعذر الســـفر. وقد فهمنا بأن التنبؤات الجوية كان مصدرها البريطانيون في مطار المفرق. فقررنا السفر على مسؤوليتنا مهما تكن حالة الجو، فوصلنا مطار عمان ولم نجد فيه أثرًا للغبار أو الزوبعة الترابية، وكان النهار صحوًا. فأكد لنا المستقبلون أنه كان كذلك منذ الصباح.

اجتماع مجلس الدفاع الأعلى العراقي - الأردني

في الســـاعة 18:00 من يوم 4 تشـــرين الثاني، وهو يـــوم وصولنا عمان اجتمع مجلس الدفاع الأعلى في بناية رئاســـة مجلس الـــوزراء الأردني، وكان

الوفـد الأردني مؤلفًا من الســادة عبد الحليـم النمر وزير الدفـاع، وعبد الله الريماوي وزير الدولة للشـؤون الخارجية، واللـواء الركن علي أبو نوار رئيس أركان الجيش الأردني. كما حضر جلسة الافتتاح السيد سليمان النابلسي رئيس الوزراء الأردني.

وفيما يلي مقررات الجلسة الأولى لهذا الاجتماع:

مقررات الجلسة الأولى

انعقد مجلس الدفاع الأعلى العراقي - الأردني في رئاسة مجلس الوزراء الأردني في الساعة 18:15 يوم 4 تشرين الثاني 1956 وقد حضر الاجتماع من الجانب العراقي.

معالي صالح صائب الجبوري وكيل وزير الدفاع.

معالي الدكتور ضياء جعفر وكيل وزير الخارجية.

سعادة رئيس أركان الجيش أمير اللواء الركن محمد رفيق عارف.

وحضر من الجانب الأردني:

معالي عبد الحليم النمر وزير الدفاع.

معالي عبد الله الريماوي وزير الدولة للشؤون الخارجية.

عطوفة أميـر اللواء الركـن علي أبو نـوار رئيس أركان الجيـش العربي الأردني.

وقد تقرر في هـذا الاجتماع أن يكون منهاج الجلسـة بحـث المواضيع التالية:

1 - تعيين القائد العام المشترك والموافقة الرسمية من قبل الجهتين على ذلك، والاتفاق على تشكيل القيادة العامة فورًا وتأسيس هيئة الأركان المشتركة.

2 – تعيين معاوني القائد العام المقترح من قبل الحكومتين والاتفاق على مسؤولياتهما.

3 – الموافقة على دعوة القائد العام المشترك للاجتماع وتبليغه التوجيهات المتعلقة بواجبه والمتفق عليه مشتركًا.

4 – إقرار صيغة التوجيهات المذكورة في (3) أعلاه.

5 – الموافقة على اعتبار مجلس الدفاع الأعلى المشـــترك قائمًا دومًا من تاريخ الاجتماع الأول، ويستدعى للاجتماع في حالة الطوارئ، أو حدوث تبدل في الموقف، ويجوز له اتخاذ قرارات مســـتعجلة عند الحاجة، وذلك بالاتفاق على تلك القرارات المشتركة برقيًا وعن طريق المعاونين.

6 – سكرتارية مجلس الدفاع الأعلى المشترك.

وبعد الموافقة على المنهج اتخذت القرارات التالية:

1 – بخصوص المادة الأولى

أ – توافق الجهتان على تعيين أمير اللـــواء الركن علي الحياري قائدًا عامًا مشتركًا للقوات العراقية الأردنية العاملة في المملكة الأردنية الهاشمية.

ب – تعاون القائد العام المشـــترك هيئة أركان مشتركة من ضباط أردنيين وعراقيين تكون تحت تصرف القائـــد العام لغرض معاونته في جميع الواجبات المماثلة لهيئات الركن في تهيئة المخطط بجميع تفاصيله وإصدار الأوامر على ضوء مقررات القائد العام لتنفيذها من قبل القوات المشتركة.

ج – تعتبر القيادة العامة المشتركة مؤسسة رسميًا عندما يشعر القائد العام مجلس الدفاع الأعلى المشترك بذلك على أن يكون ذلك بأسرع وقت ممكن.

2 – بخصوص المادة الثانية

يوافـــق المجلس على تعيين معاونين للقائد العـــام. عراقي وأردني. تكون واجبات المعاونين بصورة مختصرة ما يلي:

أ – يقومان بتقديم المشورة للقائد العام كل بما يتعلق بقطعاته.

ب – يعاونان القائد العام في تقديره للموقف من حين لآخر ومعاونته في الوصول إلى قراراته النهائية، ولهذا الغرض يجب أن تتاح لهما الفرصة للاطلاع على جميع المعلومات والقرارات وتوزيع القطعات لإمكان تقديمهما المشورة المفيدة للقائد العام قبل التنفيذ.

ج – تسهيل مهمة القائد العام وعدم إشــغاله في الأمور الفرعية والقضايا الإدارية التي يجب عليهما أن يحلاها عن طريق رئيسَــي أركان جيشهما أو عن طريق قيادة قطعاتهما.

د – للمعاونين الحق بالاتصال برئيس أركان الجيشين مباشرة لتأمين ما جاء في أعلاه وتزويدهما بتطور الموقف من آنٍ لآخر لتنويرهما بالمعلومات التي قد يحتاجانها لغرض إدامة قطعاتهما وســبق النظر في حاجاتهما، وكذلك لغرض تهيئتهما للاجتماع في مجلس الدفاع الأعلى المشترك إن اقتضى اجتماعه.

هـــ – يكون القائد العــام المســؤول الأول أمام مجلــس الدفاع الأعلى المشترك عن حسن استخدام جميع القطعات الموضوعة بإمرته، ويكون كل من المعاونين مسؤولًا أمام حكومته عن حسن استخدام قطعات جيشه.

3 – **بخصوص المادة الرابعة**

توجيهات مشتركة لتحديد مسؤوليات القائد العام المشترك وواجباته.

أولًا– توجيه عام للقائد العام

قرر مجلس الدفاع الأعلى أن تكون السياسة الحربية في استخدام القوات المشتركة الموضوعة بإمرة القائد العام دفاعية بحتة.

ثانيًا– الواجب

أ – واجبك الدفاع عن سلامة أراضي المملكة الأردنية الهاشمية بأجمعها

(كلتا الضفتين)، وذلك بتدمير القوات الإســرائيلية التي تغزو المملكة الأردنية الهاشمية.

ب - وفي أداء واجباتك ينبغي تجنب القيام بعمليات استفزازية من شأنها أن تؤدي إلى التورط بمعارك لا صلة لها بواجبك الأساسي المبين في (أ) أعلاه.

ثالثًا- التنفيذ

أ - وفي تنفيذ واجباتك توجه أوامرك إلى القيادات العسكرية التي بإمرتك ويترك لهذه القيادات أمر التنفيذ على عاتقهـــا، وهذا يتطلب تجنب التدخل في المواقف الصغيرة الآنية التي هي من صميم واجبات تلك القيادات.

ب - وعليك بمعاونة هيئة الأركان المشتركة التي وضعت بإمرتك أن تهيئ بأسرع وقت ممكن الخطة الابتدائية لتوزيع قواتك ومجمل واجباتها [ال] مبنية على تقديـــر موقف يتناول خطة العدو المحتملـــة، وأن تعرض هذه الخطة على مجلس الدفاع ليكون بموقف يســتطيع فيه ســبق النظر في إعداد القوات لأداء واجباتها حسب تلك الخطة الابتدائية.

ج - ومن باب التنبيه والتحذير نبدي أن القوات الإســرائيلية قد تعمد كما ظهر مـــن حركاتها حتى الآن إلى القيام بحركة إحاطة واســعة مما يتطلب على العموم تأمين الاحتياطات وحماية الأجنحة بقوات كافية.

د - وينبغي أن تتذكر أن مرجعك الأعلى هو مجلس الدفاع الأعلى المشترك الذي يقوم بتزويدك بالإمكانيات الحالية والمقبلة لكلي [لكلتا] الدولتين ويسهل تنفيذ مهمتك ولذلك فإذا ارتأيت إجراء تغيير جوهري في واجبك العام المذكور في أعلاه فإن مرجع البت بذلك هو مجلس الدفاع الأعلى المشار إليه.

هـ - وضعت بإمرتك لتنفيذ ما جاء بأعلاه القوات التالية:

أولًا- جميع القوات الأردنية المسلحة والحرس الوطني.

ثانيًا- الفرقة العراقية الأولى عند تكامل تحشدها داخل الأراضي الأردنية.

4 - في ما يتعلق بالمادة السادسة

يقوم بواجب ســكرتارية مجلس الدفاع الأعلى المشترك ضابطان أحدهما أردني والآخر عراقــي، وعليهما مســك ضبط محاضر الجلســات ومقررات المجلس بنســخ لدى كل منهما عــلاوة على النســخ التي تبلــغ إلى كل من حكومتيهما.

الجلسة الثانية لمجلس الدفاع الأعلى

عقد مجلس الدفاع الأعلى العراقي - الأردني جلســته الثانية في الســاعة العاشــرة من صباح يوم 5 تشرين الثاني وقد حضر الجلسة السيد أنور الخطيب وزير الأشغال الأردني.

بيــن رئيس أركان الجيش الأردنــي توتر الحالة على الحــدود الأردنية - الإسرائيلية، وقيام إسرائيل باستعدادات عسكرية كبيرة للقيام بهجوم واسع على الأردن، وطلب سرعة دخول القوات العراقية إلى الأردن.

كان جو الحرب يخيم على البلد وكانت أوامــر التعتيم ومنع التجول ليلًا مطبقة بشدة، وكانوا يتوقعون غارات الطائرات الإسرائيلية في أي وقت.

ونظرًا لإلحاح الجانب الأردني على دخول القوات العراقية إلى الأراضي الأردنية، فقد اهتم الجانب العراقي بهذا الطلب، وصدرت الأوامر إلى القوات العراقيــة باجتياز الحــدود قبل أن يتم توقيــع الاتفاق. كما وصــل قائد الفرقة العراقية وهيئة أركانه إلى عمان.

بين أنور الخطيب التزامات الأردن نحو سورية وتعهده بمعاونتها واحتمال بقاء القــوة العراقية وحدها في الأردن عند الاقتضــاء. وطلب موافقة المجلس على ذلك. فأوضحنا تفصيلًا أن هذا الموضوع خــارج عن اختصاص مجلس الدفاع الأعلى العراقي-الأردني، ولا يمكن اتخاذ قرار بشــأنه لأن ذلك يتطلب إجراء مفاوضات بين الحكومات الثلاث العراق والأردن وسورية.

كان بعض أعضاء الجانب الأردني مؤمنًا بصحة أقوالنا وصدقها، ولكنه كان مغلوبًا على أمـــره ومحتارًا. وبعد أخذ ورد حول تدويـــن هذه النقطة في محضر الجلسة، وافق الجانب العراقي على تدوينها استجابة لرغبة الجانب الأردني. وأخذ أعضاء الجانب الأردني مســـودة محضر الجلسة إلى خارج قاعة الاجتماع. وبعد المداولة مع من يستمدون منه الوحي، أعادوها ووافقوا على صيغتها ومحتواها.

القائد العام

بناءً على قرار مجلـــس الدفاع الأعلى بتعيين اللـــواء الركن علي الحياري قائد الفرقة الأولى الأردنية قائـــدًا عامًا للقوات الأردنيـــة والعراقية العاملة في الأردن، فقد اســـتدعي المومأ إليه إلى الاجتماع وجرى تبليغه من قبل مجلس الدفاع الأعلى بتعيينه قائـــدًا عامًا، وبواجباته المتفـــق عليها. وأخذ الحاضرون يهنئونه على ثقة المجلس به ويتمنون له النجاح والتوفيق في مهمته.

وهكذا انتهى المجلس من اجتماعه وقراراته باتفاق الآراء وبقي ينتظر طبع مقررات الجلسات لتوقيعها من الجانبين العراقي والأردني.

وفيما يلي مقررات الجلســـة الثانية المنعقدة في الساعة 10:00 من يوم 5 تشرين الثاني.

مقررات الجلسة الثانية

انعقد مجلس الدفاع الأعلى العراقي - الأردني في رئاسة مجلس الوزراء الأردني الساعة 10:00 يوم 5 تشـــرين الثاني 1956، وقد حضر الاجتماع من الجانب العراقي:

معالي صالح صائب الجبوري وكيل وزير الدفاع.

معالي الدكتور ضياء جعفر وكيل وزير الخارجية.

سعادة رئيس أركان الجيش أمير اللواء الركن محمد رفيق عارف.

وحضر من الجانب الأردني:

معالي عبد الحليم النمر وزير الدفاع.

معالي أنور الخطيب وكيل وزير الدولة للشؤون الخارجية.

عطوفة أمير اللواء الركن علي أبو نوار رئيس أركان حرب الجيش العربي الأردني.

وجرى البحث فيما يلي:

1 - بعد أن انتهى مجلس الدفاع الأعلى من وضع المقررات المشتركة المتعلقة بأسلوب استخدام القوات المشتركة الأردنية العراقية، وتشكيل القيادة العامة المشتركة التي وردت في مقررات الجلسة الأولى، أثار الجانب الأردني في مجلس الدفاع الأعلى موضوع التزامات الأردن بما له علاقة بالجبهة السورية حسب الاتفاق العسكري الذي بينهما، وبعد أن جرت المداولة بصورة مفصلة في الموضوع، وإيضاح الجانب العراقي خطورة التناقض الذي يحصل بين المقررات التي اتفق عليها، وما يتوقع من التزامات الجيش الأردني منفردًا بحيث يؤثر على سلامة القطعات، وعلى صلب خطة الدفاع عن الأردن فقد اتفق مجلس الدفاع الأعلى بأن موضوع شمول الجبهة السورية لا يدخل ضمن اختصاص مجلس الدفاع الأعلى، ولا يمكنه النظر فيه، بل يتطلب ذلك إجراء مفاوضات سياسة بمستوى عالٍ بين الحكومات الثلاث الأردنية والسورية والعراقية، وما لم يتم ذلك فمقررات مجلس الدفاع تكون نافذة وقائمة ولا يجوز الشذوذ عنها.

2 - وبالإشارة إلى ما جاء في المادة الثالثة من منهاج الاجتماع الأول لمجلس الدفاع الأعلى حضر أمير اللواء الركن علي الحياري، وجرى تبليغه من قبل المجلس وجاهًا بتعيينه قائدًا عامًا للقوات العراقية والأردنية العاملة في المملكة الأردنية الهاشمية وبواجباته المتفق عليها.

استدعاء أعضاء الجانب الأردني وتأجيل توقيع المقررات

بينما كنا بانتظار إتمام طبع المقررات لتوقيعها استدعى رئيس الوزراء الأردني أعضاء الجانب الأردني. وبعد حوالى نصف ساعة عادوا إلى قاعة الاجتماع. فتكلم الريماوي طالبًا تأجيل توقيع المقررات إلى جلسة أخرى تعقد في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه، وتملص الجانب الأردني من بيان أسباب التأجيل، ولكننا شعرنا بوجود أمر مفاجئ لا نعرف حقيقته وأسبابه، فوافقنا مرغمين مع أننا كنا مصممين على العودة إلى بغداد بعد ظهر ذلك اليوم.

وقد علمنا بعد ذلك بأن المقدم السوري جودت الأتاسي الملحق العسكري في السفارة السورية في عمان أبلغ رئيس الوزراء الأردني، بأنه تلقى مكالمة تلفونية من رئيس أركان الجيش بين له فيها أن وزارة الخارجية والحكومة السورية، لا توافقان على دخول القوات العراقية إلى الأردن، وأن الضباط السوريين الموجودين في الأردن يستاءون من ذلك أيضًا. وهم غير مستعدين للتعاون مع الجيش الأردني ويحتجون على وضعه تحت إشراف مجلس الدفاع العراقي - الأردني في حين أنه تحت إمرة القيادة المصرية - السورية - الأردنية المشتركة.

عودة المجلس إلى الاجتماع

وفي الساعة السادسة مساءً عاد المجلس إلى الاجتماع فحضر السيد أنور الخطيب نيابةً عن الريماوي الذي سافر إلى دمشق عقب جلسة الصباح. كما حضر السيد سليمان النابلسي رئيس الوزراء الأردني.

تكلم النابلسي وبين وجود قوات من الجيش السوري في الأردن وضعت بإمرة القيادة الأردنية، وأن القوات الأردنية بدورها تحت إمرة القيادة العامة للقوات المصرية - السورية - الأردنية، وذلك بموجب الاتفاقية العسكرية التي وقعت بين الأردن وسورية ومصر خلال زيارة المشير عبد الحكيم عامر

وزير الحربية المصرية قبل عشــرة أيام، ولذلك فإن الحكومة السورية تعترض على وضع القوات الأردنية تحت إشــراف مجلس الدفــاع العراقي - الأردني المشــترك. ولهذا فإن الوفد الأردني يقترح وضع القــوات العراقية العاملة في الأردن مع القوات الأردنية بإمرة القيادة العامة المصرية - السورية - الأردنية. وقد وجدنا أنفســنا بمواجهة موقف جديد يتجاوز حــدود صلاحيات مجلس الدفاع العراقي - الأردني، ويختلف تمامًا عن المقررات التي اتخذت وينسفها من الأســاس. وقال الجانب العراقي في رده: بأننا لم نكــن نعلم بأن الجيش الأردني ربط نفسه بالتزامات مع سورية ومصر كالتي سمعناها منكم الآن. فأنتم طلبتــم المعاونة بإدخال القوات العراقية إلــى الأردن بموجب معاهدة الأخوة والتحالف التي تربط بين مملكتينا، والتــي تحتم وضع قوات الطرفين العراقية والأردنية تحت سلطة مجلس الدفاع الأعلى العراقي - الأردني المشترك. وفي صباح هذا اليوم طالبتم بسرعة دخول القوة العراقية بالنظر إلى الموقف الحرج المتأزم بينكم وبين إســرائيل، وأنتم علــى علم بأن اتفاقيتكم العســكرية مع ســورية ومصر قائمة. فوافقنا على تعيين قائد عام أردني ووضعنا قواتنا بإمرته لأننا نشــعر بأن الأردن يواجه خطرًا لا يتمكن من صــده لوحده، ومن واجبنا أن نشــترك معكم في مقاتلة عدونا المشــترك، وأن نشــد أزركم في موقفكم الحرج هذا. وتقولون الآن إن الحكومة الســورية تعترض على دخول القوات العراقية إلــى الأردن. وجوابنا علــى ذلك أن القوات العراقيــة تدخل الأردن بموجب معاهدة الأخوة والتحالف المعقودة بيــن مملكتينا، وبناءً على طلبكم كحكومة أردنيــة. ونحن لم نفكر في الاعتراض على دخول القوات الســورية إلى الأردن لمســاعدة الجيش الأردني، بل نرحب بكل مساعدة عسكرية تأتي من أية دولــة عربية إلى دولة عربية أخرى. لأن العــدو واحد ويجب أن يكون التعاون والعمل مشــتركًا بين القوات العربية. لا ندري لماذا تعترض ســورية على معاونة القوات العراقية إلى القوات الأردنية في الدفاع عن الأردن، كما لا نعرف القصد الكامن وراء ذلك؟

تقولون إن القوات الأردنية هي الآن تحت أمرة المشير عبد الحكيم عامر قائد عام القــوات المصرية - الســورية - الأردنية، وتقترحــون علينا أن نضع

القـوات العراقية أيضًا تحت إمرتـه، ولكن لا يوجد نص فـي معاهدة الأخوة والتحالـف المعقودة بين مملكتينا يسـتند عليه في تنفيـذ اقتراحكم هذا، كما لا توجد أية اتفاقيـة بين الحكومتين العراقية والمصريـة تقضي بوضع القوات العراقية بإمرة القيادة المصرية. أنتم تتكلمون باسـم سورية ومصر وليس لهما ممثل بيننا، كما ليس لديكم تخويل رسمي منهما بذلك.

فحلًا للإشـكال، ولسـرعة القرار والعمـل لمواجهة الموقـف الراهن والاستفادة من جميع القوات العربية المتيسرة في الأردن، نقترح أن يعين معاون سـوري للقائد العام الأردني أسـوةً بالمعاونين العراقي والأردني، وأن تعمل القوات الأردنية تحت قيادة واحدة يرأسها القائد العام الأردني.

بقي الوفد الأردني صامتًا يتلفت بعضهم نحو بعضهم، لعل أحدهم يتكلم. وأخيرًا نطق أنور الخطيب موجهًا كلامه إلى الوفد العراقي فقال: «والله صحيح ما تقولون، ولكن ما حيلتنا مع السوريين».

ثم خرج النابلسي من الاجتماع واسـتدعى علي أبو نوار. وقد فهمنا بعد ذلك أنهما اتصلا هاتفيًا بالريماوي في دمشق، وبعد المداولة وتلقي التعليمات عادا إلى قاعة الاجتماع.

سأل النابلسي الوفد العراقي عن صلاحية القائد العام الأردني في استخدام القوات العراقية، أو الأردنية في الجبهة السورية. وكان المفهوم من هذا السؤال أن تطلـق يد القائد العـام الأردني في اسـتخدام القوة العراقيـة الموجودة في الأردن أو الجيش الأردني، في سورية، إذا أراد ذلك. فأجاب الوفد العراقي بأن القوات العراقية المخصصة لمعاونة الأردن هي قوة محدودة تكاد تكفي لمعاونة الجيش الأردني في صد العـدوان عن الأردن. وأن الدفـاع عن الأردن يقضي بوجود القوات العراقية والجيش الأردنـي جنبًا إلى جنب في مواجهة العدوان. وأن سـحب أي من القوتين العراقية أو الأردنية هو إضعـاف للجبهة الأردنية. ولذلك فإن الجيش الأردني يجب أن لا يغادر خطـوط دفاعه ويتحرك إلى بلد آخر تاركًا القوة العراقية وحدها، كما أن الجيش الأردني لا يستطيع صد العدوان

عن الأردن لوحده بدون مساعدة القوة العراقية. وعليه ليس من الحكمة وسداد الرأي ترك الجبهة الأردنية من قبل أي من القوتين لحشدها في الجبهة السورية، بل بإمكان القيادة العامة استخدام القوة السورية الموجودة في الأردن في الجبهة السورية عند الحاجة، وهذه القوة أدرى بالجبهة السورية من القوة العراقية أو القوة الأردنية التي ترسل على عجل إلى سورية، وهي غير مطلعة على أحوال الجبهة السورية. وإذا رغبت سورية في الحصول على معاونة عسكرية عراقية فبإمكانها الاتصال بالحكومة العراقية لطلب ذلك. والوفد العراقي يؤكد جازمًا بأن العراق سيلبي طلب سورية هذا بلا تأخير ويخصص فرقة عسكرية أو أكثر لمعاونة وإسناد سورية بعد الاتفاق على ذلك، لأن العراق لا يحصر خطر الصهاينة في الجبهة الأردنية فقط، بل يتوقعه على جميع البلاد العربية، وخاصة المحاددة منها إلى فلسطين. أما استخدام القوات العراقية في الجبهة السورية بناءً على طلب الحكومة الأردنية فأمر لا يقره العرف الدولي الذي يعطي لسورية وحدها الحق في إدخال قوات عسكرية من دولة أخرى إلى أراضيها، خاصة وأن الحكومة السورية لم تبرم بعد معاهدة الدفاع المشترك التي أبرمتها الدول العربية المنظمة إلى الجامعة العربية.

وحيث كنت أنا المتكلم باسم الوفد العراقي فقد رد علي أبو نوار موجهًا كلامه إلي قائلاً: «يقولون عنك إنك رجل عسكري، جنرال، تفهم الأصول العسكرية وإنك مخلص للعروبة، ولكنك تستهزأ بنا، وتضع عراقيل أمام القائد العام الأردني في استخدام القوات العراقية في الجبهة السورية».

لقد كانت كلمات أبو نوار ولهجته مفاجأة سيئة استهجنها جميع الحاضرين العراقيين والأردنيين. ولا أدري إذا كان دافعه في قوله هذا هو جهله بالحقائق، أم أنه تعمد ذلك ليخلق جوًا متوترًا يؤدي إلى إنهاء الاجتماع بدافع الغضب والاستياء. إلا أني تمالكت أعصابي حرصًا على المصلحة العربية التي عقد الاجتماع من أجلها. وقلت بهدوء: «أنا لا أرد على علي أبي نوار من حيث الأصول العسكرية التي تطرق إليها، لأني لا أرى في كلامه منطقًا وإدراكًا، وإني لا أتوقع صدور هذا الكلام من ضابط صغير يمتلك شيئًا قليلًا من محاكمة الأمور أو من

الخبرة في الأمور العسكرية، فكيف إذا صدر من شخص يحمل رتبة لواء ويشغل منصب رئيس أركان جيش». وزدت قائلاً: «نحن جئنا مسرعين لمساندتكم ولبينا جميع طلباتكم ووضعنا قواتنا بإمرة قائد منكم لمعالجة موقفكم الخطر حسب ادعائكم. فلسنا نحن الذين يضعون العراقيل، بل أنتم الذين تضعونها».

لم يجد الوفد الأردني ما يقوله، وطلب إرجاء الجلسة إلى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لتوقيع محاضر الجلسات.

ثم اعتذر لي أبو نوار عما بدر منه وعيونه تدمع.

كنت أشعر بأن الوفد الأردني مقتنع بصدق وصحة كل ما قلناه، ومتفق معنا بالرأي، غير أنه يواجه تأثيرات وضغوط خارجية لا يقوى بعض أعضائه على مقاومتها، أو مخالفتها ولذلك فقد انجرفوا مع التيار بغير إرادة منهم.

إنهاء الاجتماع

في ليلة 5 – 6 تشرين الثاني كلم السيد أنور الخطيب هاتفيًا السيد بهاء الدين نوري السفير العراقي في عمان وأعلمه بنيتهم إرسال محاضر الجلسات إلى السفارة العراقية في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي لتوقيعها من قبل أعضاء الوفد العراقي، وفي الوقت المعين حضر الوفد العراقي إلى السفارة العراقية، ولكن المحاضر لم ترد، ولهذا فقد ذهب السفير العراقي إلى وزارة الخارجية الأردنية للاستفسار عن ذلك فعاد وأخبرنا بتغيير كل شيء، وطلبهم حضورنا إلى قاعة الاجتماع.

اجتمع الوفدان العراقي والأردني، فتكلم عبد الله الريماوي الذي عاد من دمشق صباح ذلك اليوم الموافق 6 تشرين الثاني، وبيّن تعذر توقيع الاتفاق الذي تم بين الجانبين العراقي والأردني لأنه يناقض الاتفاق العسكري الأردني – السوري – المصري الذي يفرض على الأردن وضع جيشه تحت إمرة القائد العام المصري المشير عبد الحكيم عامر الذي له وحده الحق في استخدام الجيش الأردني، وأن اجتماعات مجلس الدفاع الأعلى العراقي – الأردني

تناقض اتفاق الأردن مع سـورية ومصر. وبهذا لم يبقَ مجـال للكلام. وهكذا انفض الاجتماع.

ولشـعوري وتقديري بما سـيصيب الأردن من ضرر بالـغ (من أية جهة كانت) وجهت للوفد الأردني كلمتي الأخيرة التالية:

«نحن أسـرعنا لأداء الواجب الأخـوي بالنظر لوضعكم المتـأزم ولبينا طلباتكم وها إنكم عدلتم عن توقيع الاتفاق. فإذا أصاب الأردن سوء من جراء تجميد الاتفاق الذي تم بيننا فاللوم يقع عليكم وأنتم المسؤولون، ولات ساعة مندم»

بعد انفضاض الاجتمـاع ذهبنا إلى المطار للعودة إلـى بغداد. وقد حضر السفير العراقي والوفد الأردني ومرافق رئيس الوزراء إلى المطار لتوديعنا. ولقد كرر علي أبو نوار اعتذاره عما بدر منه في الاجتماع في اليوم السابق، وزاد على ذلك أنه يقدر وجهة نظرنا التي نحن محقون فيها، ولكنه تكلم مضطرًا مماشـاة لبعض السياسـيين الأردنيين الذين لهم صلة قوية بأبناء الشـارع، ويخشى من تحريضهم عليه وقيام مظاهرات ضده.

كما تكلم إلي في المطار السـيد عبد الحليم النمـر وزير الدفاع الأردني، ورجا ألا ننزعج مما حدث ومن نكوثهم عـن التوقيع على الاتفاق. ومما قاله: إنه شـخصيًا غير راضٍ عما حدث، ولكن بعض أعضاء الأحزاب كانوا السبب في ذلك.

الفصل الواحد والثلاثون

فرية «ماكو أوامر»(*)

(*) عبارة في اللهجة العراقية تعني «لا يوجد» (المحرر).

نظرًا لتدهور الموقف في فلسطين في النصف الثاني من سنة 1948 وتلكؤ الدول العربية في معالجتـــه، كان بعض رجال العرب من السياســـيين وغيرهم شـــاعرًا بما ســـتؤول إليه نتيجة القتال، فأخذ يتحين الفـــرص لخلق المصاعب لغيره ليتذرع بذلك لاتهامه بالتقصير وإلقاء اللـــوم عليه. وكان الجيش العراقي خاصة هدف هذه المحاولات، لأنه بقي صامدًا لـــم تنل منه هجمات الصهاينة المســـتمرة. فبعد أن اضطر جيش الإنقاذ إلى الانسحاب من شمال فلسطين إلى داخل الأراضي اللبنانيـــة، وبعد أن أجبرت القوات المصرية على الانســـحاب وعزل قســـم منها في جيوب متباعدة، تحرج الموقف في فلسطين إلى حد كبير في نهاية تشرين الأول 1948 ولم يبقَ أمام القوات المعادية إلا الجيش العراقي والجيش الأردني في أواسط فلسطين.

لقد تفتق ذهن زبانيـــة الدعاية عن نكتة «ماكو أوامـــر»، وهي تنطوي على التعريض بالجيش العراقـــي وقادته واتهامه بأنه لم يقاتل لأنه لم تكن لديه أوامر بالقتال.

بعد فشل حرب فلسطين ســـنة 1948 حدثت تغيرات عديدة في المنطقة العربية نبتت جذورها من مشاعر الألم والسخط لذلك الفشل المخزي - الذي توقعته وحذرت منه في تقاريـــري العديدة أثناء حرب فلســـطين - وأدت هذه التغيرات إلى نشـــوء خلافات أساســـية بين أنظمة الحكم في المعسكر العربي، تحولت إلى خصومات حادة، فتكتلات متناحرة تتبادل التهم والأقوال الجارحة، وكل ما في قاموس الدعاية من أســـاليب الإيقاع بالخصم. وقد هللت إسرائيل لهذا الوضع وأخذت تنفخ فيه لتوسيع شقة الخلاف والشقاق بين الدول العربية والوصول بها إلى طريق مسدود.

وفي غمرة تلك الخلافات استعملت قضية فلسطين وحرب فلسطين سنة 1948 - لشدة تأثيرها في الأنفس -سلاحًا في ذلك الصراع. وقد استغلت فرية «ماكو أوامر» - مع الأسف - في ميدانين من ميادين الخصومة:

الأول - ميدان الخصومات السياسية بين الحكومات العربية.

الثاني - ميدان الخصومات الشخصية للنيل من بعض المسؤولين بدافع من حسد أو حقد أو مكاسب لم تتحقق أو غير ذلك من الدوافع الوضيعة التي لا تشرف أصحابها.

وحيث إن هذا الميدان الأخير لا يستحق التفصيل في هذا المقام، فإننا سنضرب صفحًا عن الخوض فيه. غير أنه مما يؤسف له حقًا أن يكون بعض من تاجروا بهذه البضاعة هم من العسكريين. وأسفنا ينصب في هذا الباب على ناحيتين:

الناحية الأولى: إن هذه الفرية الساذجة التافهة يجب ألا تنطلي على العسكريين بالدرجة الأولى لأنهم أعرف من غيرهم بطبيعة العمل العسكري. ويجب أن لا يسمحوا لأنفسهم - مهما كانت دوافعهم الشخصية واتجاهاتهم السياسية - أن يظهروا بمظهر المصدق أو المروج لها، لما ينطوي عليه ذلك من جهلٍ وغباء.

والناحية الثانية: إنهم، بترويج مثل هذه الدعاية المسمومة، لا يضرون بسمعة خصومهم بقدر ما يضرون بسمعة جيشهم، لما ينطوي عليه ذلك من نكران لجهوده المخلصة وجهاده وتضحياته في تلك الحرب المقدسة ودوره الكبير فيها الذي صان الضفة الغربية من الاحتلال الصهيوني، والتي ركز الصهاينة أعظم جهودهم عليها في محاولة لضرب القوات العراقية وخذلانها واحتلال ما كان يسمى بالمثلث العربي أو المثلث الخطر.

ولذلك فإن دواعي الإنصاف تملي على أمثال هؤلاء ألا يتغاضوا - لمجرد أن ينالوا من خصومهم حقًا أم باطلاً - عما ينطوي عليه تصرفهم من

إساءة لسمعة الجيش العراقي وكرامته، ولحقوق أولئك الأبطال المجهولين من الأحياء والشـــهداء الأبرار من الضباط والجنود الذين ناضلوا وجاهدوا وجادوا بأرواحهم في سبيل وطنهم ومقدســاتهم. وقد بلغ الأمر بأحدهم أن راح ينفس عن هموم الأغراض الشخصية هذه عن طريق دسها في كتاب أضفى عليه صفة التأليف في ذكرياته دوّن فيه نبذة عن فلســطين باعتبارها جزءًا من تاريخ الأمة العربية والإسلامية، مستندًا في ذلك إلى مشــاعره الشخصية وأقاويل الشوارع ودعايات الأعداء بعيدًا عما يســتلزمه تدوين التاريخ من الموضوعية والمراجع الموثوقة والبراهين الثابتة. ولولا ما في ذلك من إجحاف بحق الجيش العراقي ومنتسبيه جميعًا لما تطرقت إلى هذا الجانب الشخصي البتة.

أما عن استغلال حكاية «ماكو أوامر» في ميدان الخصومات السياسية بين الدول العربية، فــإن ما دونته في فصول هذا الكتاب من وقائع ووثائق رســمية يكشف الحقائق الساطعة عن مواقف الجيش العراقي ودوره في حرب فلسطين، كما يكشــف مواقف الآخرين ممن عزفوا على نغمة «ماكو أوامر» تســترًا على مواقفهم السلبية التي لم تكن حقًا بحاجة إلى أوامر. أما مواقف الجيش العراقي الإيجابية في تلك الحرب فلم تكــن تتحقق طبعًا بلا أوامر. ومع ذلك فإني أود أن أقتبس باختصار الحقائق التالية من فصول الكتاب:

1 – في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في عاليه بلبنان في تشــرين الأول 1947عرض الوفد العراقي ما يلي:

أولًا: الإسراع بتشكيل لجنة عســكرية من ممثلي الجيوش العربية لدرس الحالة في فلســطين وتهيئة المعلومات اللازمة لتنوير القيادة العامة التي سيعهد إليها بإدارة الحركات العسكرية العربية المشتركة.

ثانيًا: يتحتم القيام بعمل جدي وســريع له نتائج مثمــرة إذا كان قرار هيئة الأمم المتحدة ليس في مصلحة العرب، وهذا يتطلب من الدول العربية إشراك قواتها النظامية في القتال، وتوحيد القيادة العامــة وتعيين قائد عام لوضع خطة التحشد والحركات والقيام بالاستحضارات اللازمة لذلك.

2 – وبناءً على طلب العراق تقرر تشــكيل اللجنة العســكرية المشــتركة المنوه عنهــا في (1) أعلاه، وقد اتفقت على ضرورة اشــتراك الجيوش العربية النظامية بالقتال في فلســطين. ورفعت تقاريرها إلى الهيئة العامة لجامعة الدول العربية بذلك. وقد رفع العضو الأقدم باللجنة اللواء الركن إســماعيل صفوت تقريرًا، كما حضر اجتماعات اللجنة السياســية للجامعة العربية في القاهرة في تشــرين الثاني 1947 وطلب بإصرار وجوب تطبيق ما ورد فــي التقرير منذرًا بسوء العاقبة إن لم يؤخذ به، وقد تضمن وجوب القيام بحرب نظامية ووجوب الإسراع في سوق وتحشيد الجيوش العربية ولزوم تعيين القيادات اللازمة فورًا.

غير أن الجامعة العربية لم تتخذ إجراء بهذا الشأن.

3 – وفي اجتماع رؤساء الحكومات العربية في القاهرة في 8 كانون الأول 1947، اقترح رئيس وزراء العراق ما يلي:

أ – تنفيذ مقررات مجلس الجامعة العربية في توقيف أعمال شركات النفط في كافة البلاد العربية وإلغاء امتيازاتها.

ب – اتخاذ قرار صريح بإشراك القوات النظامية لمجابهة الصهاينة. غير أن المجتمعين اتخذوا قرارات غير مجدية انطوت على عدم رغبتهم في المســاس بمصالح الإنكليز والأمريكان ولم تتطرق إلى إشراك الجيوش النظامية للحيلولة دون قيام دولة صهيونية.

4 – في اجتماع مجلس الجامعة العربية في القاهرة في شباط 1948 اقترح الوفد العراقي اجتماع رؤساء أركان الجيوش العربية لبحث إمكانياتها في الدفاع عن فلسطين وتعيين الخطة الواجب الســير عليها. ولكن الدول العربية أخذت تماطل في عقد هذا الاجتماع، وأخيرًا طلب أمين الجامعة العربية تأجيله – منعًا للقيل والقال!

5 – ولم يتمكن الممثلون العسكريون من الالتقاء إلا في 30 نيسان 1948 في عمان حيث تذاكروا في الموقف والقوات المتيســرة للعمل في فلســطين،

وتبين لهم أن القــوات التي تخصصها الجيوش العربيــة للعمل يوم 15 أيار لا تكفي للقيام بالواجــب. وأن الجيش المصري مثلًا، وهو أكبر الجيوش العربية، لم يخصص من مجموعه غير جحفل لواء واحد. ومع ذلك فإن العراق كان في هذا التاريخ قد حرك قوته الآلية إلى شــرق الأردن وتعهد بإرسال جحفل لواء آخر أيضًا بالرغم من مقتضيات أمنــه الداخلي حينذاك. وكانت القوات العراقية أكبر القوات العربية التي اشــتركت في حركات فلســطين يوم 15 أيار 1948، وقد ضاعف الجيش العراقي بعد ذلك قواته في فلســطين، بحيث أرسل جميع قطعات الجيش المقاتلة ولم يبقَ منها شــيء في العراق، كما أرسل فوجين من الشرطة أيضًا إلى فلسطين.

6 – عند بدء الحركات يوم 15 أيار 1948 لم يقم الجيش الأردني بقيادة الفريق غلوب بتنفيذ أوامر الملك عبد الله بالتحرك نحو جســر الشــيخ حسين وبيســان ومن جنين إلى عفولة، وقد حقــق ذلك للصهاينة حريــة العمل ضد القوات العراقية في معركة كيشر، كما عرّض جناحيها لخطر الالتفاف عليها.

7 – عندمــا تحرج وضع الجيش الأردني في باب الــواد واللطرون نتيجة القتال الشــديد مع الصهاينة الذين كانوا يبغون فتح الطريــق إلى بلدة القدس، أصدرت القيــادة العامة في 27 أيــار 1948 وصايا حركات طلبــت فيها قيام الجيشــين العراقي والمصري بحركات تعرضية لتخفيــف الضغط عن الجيش الأردنــي، كما طلبت من الجيش الســوري وجيش الإنقــاذ أن يقوما بحركات تعرضيــة للغرض نفســه. فقامت القــوات العراقية بما طلب منهــا وأغار رتل طولكرم على مســتعمرة كولم فاحتلها. كما أشــغل قريتي قلقيلية وكفر قاسم، واحتل رأس العين ومجدل يابا وهاجم مســتعمرتي كفاريونا وكاكون (قاقون). كما قام رتل جنين بغــارة على قرية زرعين وعلى اللجون. أما الجيش المصري فلم نعلم أنه قام بأي عمل، وكذلك الجيش السوري وجيش الإنقاذ.

8 – عندما كان موقف القوات العراقية دقيقًــا جدًا في منطقة جنين، لقيام الصهاينة بهجومهم القوي في أوائل حزيران 1948، أرسلت القيادة العامة برقية إلى القوات الســورية وإلى جيش الإنقاذ طلبت فيها قيامهما بحركات تعرضية

في منطقة بنت جبيل لتخفيـف الضغط عن القوات العراقية. ولكن لم تقم تلك القوات بأية حركة لهذا الغرض.

9 - جاء في برقية اللواء الركن نوري الدين محمود القائد العام، المؤرخة 8 حزيران 1948، أنه يتبين له من جريان الحركات منذ 15 أيار أن من الصعب السـيطرة على الجيوش العربيـة المقاتلة في فلسـطين، إذ إن كل جيش يتلقى أوامره من مقره الأعلى المختص به، وهو الذي يدير حركاته كالجيش المصري والجيش الأردني.

10 - مـن الاجتماعـات والاتصـالات المختلفة، ومن اجتمـاع القادة المصرييـن والأردنيين في القاهرة الذي حضرته مسـتمعًا يوم 6 تموز 1948، اقتنعت بأن الجيش المصري لا ينوي الاشـتراك بحركات موحدة مع الجيوش العربية الأخرى، ولا الدخول تحـت قيادة موحدة، ولا يقبل أن يعين قائدًا عامًا مصريًا. وكذلك الحكومة الأردنية وقيادتها العسـكرية غير راغبتين في استئناف القتال وتبديان شتى الأعذار لذلك.

11 - أرسـلت القيادة العراقيـة فوجًا إلى منطقة دير نظـام في 12 تموز 1948 لمعاونـة الأردن في صد تقدم العدو من ذلـك الاتجاه، مع أن المنطقة المذكورة كانت من مسؤولية الأردنيين ولهم مركز تدريب فيها.

12 - في اجتماع الإسـكندرية فـي 10 أيلول 1948 لمحاولة تنسـيق الخطط العسكرية أعلن رئيس وزراء مصر:

أ - أنه يتمسـك بأن لا يخرق الهدنة، ولا يشرك جيش مصر بأي عمل من هذا القبيل.

ب - لا يقاتل الجيش المصري ما لم يهاجم مـن قبل العدو ويجبر على القتال.

ج - لا يشترك بوضع خطة يعين فيها واجب للجيش المصري.

وكان هذا موقف وزير الدفاع المصري أيضًا عند بحث الأمر معه.

13 - أرسـل الجيش العراقي فـوج الاحتياط الوحيد الـذي بقي تحت تصرفه، عندما تحـرج الموقف في الجبهة المصرية في تشـرين الثاني 1948، وذلك للمساهمة في فك الحصار عن القوة المحصورة في الفالوجة. وقد بقي الفوج بإمرة القيادة المصرية خمسة أسابيع إلى أن طلبت هي إعادته.

كما طلبت الجهـات المصرية بإلحاح إرسـال طائرات فيـوري العراقية الثـلاث التي كانت تعمل من مطار دمشـق وكانت هذه كل مـا يملكه الجيش العراقي آنذاك، إلى مطار ألماظة، فسلمت إليهم واستعملت من قبلهم وأتلفت.

14 - من اتصالاتي مع بعض رجال السياسة للدول العربية ومن حضوري بعض الاجتماعات حصلت لدي قناعة بأن وجهة نظر الدول العربية غير موحدة في قضية فلسـطين وأن الجهود العربيـة غير كافية لإنقاذهـا، وأن الأعمال لا تتناسـب مع كثرة الأقوال والاجتماعات، وفي إحدى فقـرات تقريري المرقم 125/ د والمؤرخ 21/ 9/ 1948 إلى وزير الدفاع ذكرت ما يلي:

ضرورة مصارحة الدول العربية بعضها البعض وتثبيت وجهات نظرها

لقد ظهر لي من اتصالاتي الشخصية مع رجال السياسة للدول العربية ومن حضوري بعض الاجتماعـات بأن وجهة نظر الدول العربية غير موحدة في حل قضية فلسطين، فمنها المندفع لبذل كل مجهود حسب الاستطاعة، ومنها من هو متردد في أعماله ولم يسـتخدم إمكانياته كاملة، ومنها من يبدي علائم الاندفاع ظاهرة في أقواله ولكن إمكانياته محدودة، ولم تظهر له أعمال تذكر، ومنها من هو مشترك في المباحثات والقرارات، ولكن ليس لقواته المقاتلة أثر في ميدان القتال أو له رغبة في الاشتراك الفعلي.

إن الموقف يحتم على الدول العربيـة مصارحة بعضها البعض في نواياها وإمكانياتها بغية توحيد الجهود ووضع الخطة العملية التي تؤمن النجاح.

إن عدم نجاح الدول العربية عسكريًا بالقضاء على القوات الصهيونية وبقاء الموقف مترجرحًا سـيهز الأقطار العربية هزة عنيفة يخشى من نتائجها، كما أنه

سيحط كثيرًا من قيمة هذه الدول عسكريًا وأدبيًا وسياسيًا في نظر العالم بدرجة أنه لا يمكن التعويض عن هذه الخسائر بأي شكل أو ثمن، وسيجعل هذه الدول أيضًا نادمة على عملها غير المبني على بعد في النظر وسيترك عندها أثرًا عميقًا من الندامة والألم يزداد أثره ورد فعله بتعاقب السنين والعصور. وعندئذٍ ستشرع الدول العربية في إلقاء اللوم بعضهـا على بعض لكي تبرر موقفها متهمة غيرها بالتقصير. ولا شـك أن الدول التي لها دعاية وملكة واسعة في الأقوال وتمويه الحقائق سـتنجح في تبرير موقفها، وإن كانت هي المقصرة. هذا وسـتتطاحن البلاد العربية مع بعضها في هذا الأمر الذي ليس من ورائه فائدة.

وعليه أرى أن مصلحة فلسطين بصورة خاصة والبلاد العربية بصورة عامة تقضي بـأن تتصارح هذه الدول مـن الآن، وقبل أن تصبح تجـاه الأمر الواقع ويثبت موقف كل دولة في الموضوع.»

15 - فـي برقيتي إلى وزيـر الدفاع العراقي المؤرخـة 27/ 10/ 1948 ذكرت أننا مستعدون لكل تعاون لا يجعل جيشـنا في مأزق. وأن دقة الموقف تتطلب الحيطة والحذر وعدم المجازفة بقوة الاحتياط القليلة، وأن سلامة منطقة الجيش العراقي حيوية لحركات فلسـطين وكل ضعـف أو تصدع يحصل فيها يقضي على القضية بأجمعها، وأن هناك من يتحين الفرص لإيجاد ممسك على الجيش العراقي وإلقاء اللوم عليه وأنني أخشـى من نتائج دسـائس المغرضين وتلفيقهم الحقائق.

ومن حسـن الصدف أن يكون ما ذكرته في الفقـرات الأخيرة من البرقية أعلاه كان قبل دس المغرضيـن وتلفيقهم فرية «ماكو أوامـر»، وقد أوضحت الحقائـق أعلاه وبينت مـن الذي تحرك وحـارب بالأوامر، ومـن الذي قعد وتقاعس بلا أوامر، ومن الذي كان عاملًا ومن الذي كان عاطلًا، وسـامح الله كل من ردد تلك الفرية الباطلة، سـواء عن سذاجة أو حسـن نية أو عن جهل بالحقائق.

وبصرف النظر عما سـلف ذكره فليس من الإنصـاف ولا هو في صالح

القضية الفلسطينية إلقاء اللوم جزافًا على دولة عربية أو فئة أو شخص في خسارة العرب سنة 1948، إذ إن هذه الخسارة لم تكن وليدة حرب 1948 فحسب، بل إن بوادرها سبقت ذلك التاريخ بعشرات السنين وعلى وجه التحديد منذ وعد بلفور المشؤوم سنة 1917 وما تبعه من تمهيدات واستحضارات، هذا إذا لم نقل منذ إعلان المنهج الصهيوني في مؤتمر بال سنة 1897، وإنشاء المنظمة الصهيونية التي أصبحت الوسيلة السياسية لمساعي الصهاينة وطلباتهم. أما في سنة 1947 وبعد قرار هيئة الأمم المجحف بحقوق العرب فقد تبلور الوضع وبرز السرطان الصهيوني للعيان تمده بوسائل القوة وتشجعه الحكومات الاستعمارية استجابة لرغبات الصهيونية العالمية ذات النفوذ القوي الواسع في تدوير وتوجيه سياسة كثير من الدول وخاصة الكبيرة منها. ولم تكن التدابير التي اتخذها العرب كافية لوقف اندفاع الصهيونية وتغلغلها في فلسطين والحيلولة دون تثبيت أقدامها وتحصين مواقعها فيها مما آل إلى الوضع الذي سبق حرب فلسطين وما توفر للصهاينة فيها من القوات المدربة الكبيرة والأسلحة المختلفة الكثيرة والمواضع المحصنة بينما وقف العالم شرقيه وغربيه متأهبًا للاعتراف بالدولة الجديدة غير الشرعية التي ولدت وترعرعت في أحضان الاستعمار وقامت على الغزو والإجرام ووقفت الصهيونية العالمية بكل إمكاناتها ونفوذها ترعى المولود غير الشرعي وتمده بكل مستلزمات العيش والقوة.

باعتقادي إن وزر الخسارة ومسؤولياتها يقعان على جميع الحكومات العربية، كل بنسبة تغافلها وتماهلها وعدم اهتمامها بإعداد العدة اللازمة لدرء الخطر المحدق بأمتها.

إن مأساة فلسطين لطخة سوداء في تاريخ القرن العشرين وجرح مقيم في قلب الإنسانية حتى يعود الحق لأهله بمزيد من «الدم والدموع والعرق والعناء» بإذن الله تعالى..

الفصل الثاني والثلاثون

مؤتمرات القمة

مؤتمر القمة الأول

كانت قضية تحويل مياه نهر الأردن الباعث الرئيسي لانعقاد مؤتمر القمة الأول، لأن محاولة إسرائيل لتحويل مياه نهر الأردن إلى داخل إسرائيل أكدت للعرب أطماعها ونواياها التوسعية والأخطار التي ستلحق بالبلاد العربية وبالقضية الفلسطينية من سكوت العرب على هذا العمل العدائي.

وفي مستهل سنة 1964 دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى اجتماع مؤتمر قمة يحضره الملوك والرؤساء العرب. فالتأم المؤتمر بالقاهرة في 17 كانون الثاني 1964 للنظر في الوسائل الممكن اتخاذها لمنع إسرائيل من تحويل مياه نهر الأردن لمصلحتها، إذا أقدمت على ذلك حقًا.

وبعد درس الموقف وتقليب وجهات النظر، ولعدم وجود قوات عربية كافية لمنع إسرائيل بالقوة من تحقيق مثل هذا الغرض تقرر:

1 - إنشاء قيادة عربية موحدة تتولى الإشراف على القوات العسكرية للحكومات العربية وتنسيقها وإكمال تسليحها لتكون جاهزة ومستعدة لمواجهة تهديدات إسرائيل وتكون قادرة على ردعها. وعين الفريق الأول المصري علي علي عامر قائدًا عامًا.

2 - إعداد الدراسات لتحويل روافد نهر الأردن في كل من سورية ولبنان للحيلولة دون استفادة إسرائيل منها.

3 - التوقيع على ميثاق الدفاع العربي المشترك الذي ألزم الدول الموقعة عليه أن تعتبر الاعتداء على أي جزء من خط الهدنة اعتداء عليها جميعًا.

4 – إنشـــاء منظمة التحرير الفلســـطينية وتعيين أحمد الشقيري رئيسًا لها. على أن تخضع كل عملية يقوم بها الفدائيـــون لموافقة القيادة العربية الموحدة. وقد اتفق المؤتمرون على تجنب استفزاز إسرائيل وإعطائها حجة لشن الحرب قبل إكمال الجانب العربي استعداداته وتهيؤه للقتال.

مؤتمر القمة الثاني

لم تأبه إســـرائيل بتهديدات العرب وإعلان تصميمهم على إيقاف عملية تحويل مياه نهـــر الأردن بالقوة، فبـــدأت بتحويل الميـــاه لإرواء النقب. وكان عملها هذا عملًا عدوانيًا وتحديًا سافرًا لجميع العرب. وعليه عقد مؤتمر القمة الثاني في الإســـكندرية بين 5 و12 أيلول 1964، وتقـــرر فيه مواجهة التحدي الإسرائيلي بالمبادرة حالًا بتحويل روافد نهر الأردن في كل من سورية ولبنان، وهو حق من حقوق سيادة الدولتين في مياههما الإقليمية.

مؤتمر القمة الثالث

فما كاد العرب يباشـــرون بأعمال تحويل روافد نهـــر الأردن، حتى هبت الدعايـــة الصهيونية فاتهمـــت العرب بقطع المـــاء عنهم وهو شـــريان حياتهم وبقائهم. وأخذت إسرائيل تلح في طلب المزيد من الأسلحة، خاصة من أمريكا اســـتعدادًا للمعركة. واســـتطاع الصهاينة الذين يملكون جميع وســـائل الدعاية والإعلام وكافة وسائل الإغراء، من كسب عطف الرأي العام بدعايتهم المنظمة ليبرروا اعتداءهم علـــى مواقع العمل العربية وتدميرها. وقامت إســـرائيل فعلًا بضرب مواقع تحويل الروافد في سورية ودمرتها فتوقف العمل فيها.. وكان هذا الحادث السبب في الدعوة إلى عقد مؤتمر القمة الثالث..

اجتمع الملوك والرؤســـاء العرب في الدار البيضاء فـــي 19 أيلول 1965 واســـتعرضوا في الاجتمـــاع نتائج العمل المشـــترك فـــي الحقلين السياســـي والعسكري منذ مؤتمر القمة الأول في القاهرة. وقد ظهر واضحًا احتياج القيادة العربية الموحدة إلى المال لتتمكن من تحقيق الغاية التي أنشئت من أجلها، وهي

تأمين التوازن بين القوات العربية والقوات الإسرائيلية ضمن المدة المحددة التي قدرها العسكريون، وهي ثلاث سنوات. وهناك ادعى أكثر زعماء العرب أنه ليس بإمكانهم تخصيص اعتمادات إضافية للقيادة العامة الموحدة. إلا أن المؤتمر توصل إلى اتخاذ قرار يقضي بالتضامن العربي والتعايش السلمي بين الأنظمة السياسية العربية المختلفة، والعمل على حل المشاكل القائمة في البلاد العربية، ومنها الحرب في اليمن، والحملة العراقية ضد الأكراد في شمال البلاد والمشاكل الأخرى داخل البلاد العربية، بغية تسهيل مهمة القيادة العربية الموحدة، وتمكينها من استخدام القوات المشتركة في تلك الحركات وتخصيص الأموال التي تستنزفها للمجهود الحربي في فلسطين. غير أن توصية المؤتمر في التقارب بين وجهات النظر العربية وتوحيد الجهود وتكريسها للقضية الفلسطينية لم يعمل بها، وفضلًا عن ذلك قام خلاف شديد بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بسبب القتال في اليمن، وبين الجمهورية العربية المتحدة والأردن بسبب أعمال واستفزازات منظمة التحرير الفلسطينية التي أغلقت مكاتبها في الأردن سنة 1966. وقد سبب ذلك خلافًا بين سورية والأردن أيضًا. وفوق ذلك فقد جمدت القيادة العربية الموحدة وشلت أعمالها.

الهجوم الإسرائيلي على بلدة السموع الأردنية

في 13 تشرين الثاني 1966 هاجم الإسرائيليون بلدة السموع التي يسكنها أربعة آلاف لاجئ بحجة إيوائهم إرهابيين قادمين من سورية والرد على نشاط الإرهابيين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية.

بدأ الهجوم صباحًا وكانت القوة المعادية مؤلفة من أربعة آلاف جندي تنقلهم السيارات المصفحة معززين بالدبابات وتسندهم نار المدفعية في حين لم تكن هنالك قوة تحمي البلدة غير الشرطة المحلية فنسف الصهاينة 46 منزلًا والمستشفى وقصفت الدبابات دائرة الشرطة وأصابت مئذنة الجامع.

تحركت قوة أردنية من بلدة الخليل لنجدة السموع فاشتبكت مع القوات

المعادية واشـــتركت بالقتـــال طيارات الطرفيـــن. دامت الحملة أربع ســـاعات انسحب بعدها الصهاينة وكانت خسارة الأردنيين 21 قتيلًا و37 جريحًا وطائرة واحدة أسقطتها الطائرات المعادية..

حيث إن ميثاق الدفاع العربي المشـــترك الذي وقع عليه في القاهرة ينص على أن أي اعتداء إســـرائيلي يقع على أي جزء من خط الهدنـــة تعتبره الدول الموقعة علـــى الميثاق اعتداء عليها جميعًا، وأن الخطـــة الدفاعية التي وضعتها القيـــادة العربية الموحدة تضمنـــت أن الغطاء الجوي للمنطقـــة الواقعة جنوب القدس تؤمنه الجمهورية العربية المتحدة فإن عدم نجدة الأردن بالقوات الجوية وغيرها من قبل البلاد العربية، عند وقوع الاعتداء الصهيوني على بلدة السموع، زاد التوتر والجفاء بين الأردن من جهة والجمهورية العربية المتحدة وســـورية ومنظمة التحرير الفلســـطينية من جهة أخرى، وزادت معـــه التهم والتهجمات بين الحكومات المذكورة في وقت هم في أشـــد الحاجة إلى التقارب والتعاون وتنفيذ القرارات والمخططات لمجابهة إسرائيل مجتمين.

الفصل الثالث والثلاثون

حرب 5 حزيران 1967

حرب الخامس من حزيران 1967 كانت كارثة على الأمة العربية، فقدت فيها ما تبقى من أرض فلسطين وشبه جزيرة سـيناء من مصر والهضبة السورية من سـورية. وتولدت عنها مشاكل سياسية وعسـكرية واقتصادية كبرى، ومن النوع الذي يتطلب حلها، بالإضافة إلى عوامل أخرى، أعمالًا جبارة وتضحيات جسامًا وتعاونًا مخلصًا وتضامنًا وتنسـيقًا ونكران ذات بين كافة الدول العربية لكي تستطيع إزالة آثار تلك النكبة.

إن مأسـاة حرب حزيران وقعت نتيجة لأخطاء سياسية وعسكرية جسيمة لم يكشـف النقاب بعد عن جميع حقائقها وأسـرارها وملابساتها التي نخشى أن يضيع الكثير منها بمرور الأيام دون اسـتخلاص الدروس الصحيحة والعبر والاسـتنتاجات الصائبة التي نحن بأمـس الحاجة إليها، لأن كشـف الحقائق وتعرية الأخطاء هما اللذان يحولان دون تكرارها وتجدد النكبات لا سمح الله. ومع ذلك فإن تدوين تفاصيل الحركات العسـكرية من المصادر المتيسرة، وما سـبق تلك الحركات وما تولد عنها من ملابسات وتبعات ضخمة وعِبر مؤلمة، ليؤلف مجلدًا بحد ذاته، غير أننا رأينا، ربطًا لسلسـلة الأحـداث التي تناولتها هذه المذكرات، أن نستعرض بإيجاز وقائع حرب 5 حزيران، وأن نزود القارئ الكريم بفكـرة مجملة عنها تمكنه مـن الوقوف على الأخطـاء التي أدت إلى النتائج المؤلمة لتلك الحرب وما جرته على الأمة العربية من ويلات، آملين أن نأخذ منها العبرة النافعة ندخرها لليوم الذي نتمكن فيه بعون الله أن نسـترد ما خسرناه ونمحو وصمة 5 حزيران من جبين الأمة العربية[1].

---

(1) للاطلاع على دراسة تحليلية سياسية وعسكرية عن حرب حزيران وأوجه التواطؤ الدولي فيها مكتوبة بصورة موضوعية ومحايدة، راجع كتاب 1967 ... سـويس ثانية، تأليف الصحفي الهندي كمبو دفري جانسن، مطبوع سنة 1968.

توتر الحالة بين سورية وإسرائيل

في 7 نيسان 1967 نشبت معركة فوق الأراضي السورية مع القوات الصهيونية اشتركت فيها طائرات الطرفين. وبعد هذه المعركة حشدت إسرائيل قوات كبيرة على الحدود السورية وأخذت الحوادث تتلاحق وتنذر بازدياد تردي الموقف واحتمال نشوب الحرب.

وفي 10 أيار 1967 أعلن رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال رابين أن القوات الإسرائيلية مستعدة لدخول دمشق وهدم النظام القائم فيها إذا استمرت أعمال الفدائيين العرب من الأراضي السورية.

وفي 14 أيار 1967 أعلن ليفي أشكول رئيس الوزارة الإسرائيلية أن إسرائيل لا يمكنها التسامح في حوادث تسلل الفدائيين من سورية، وأنها تدرس خطة اتخاذ إجراءات رادعة.

إعلان حالة الطوارئ في القوات المصرية

بعد هذه التصريحات من قبل المسؤولين الإسرائيليين وتهديداتهم، أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية أمرها اليومي في 15 أيار 1967 برفع حالة الطوارئ في القوات المصرية إلى أعلى الدرجات، وذلك بموجب ميثاق الدفاع المعقود بين مصر وسورية. وأعلن في مصر صدور الأوامر لإرسال قوات إلى سيناء لتخفيف الضغط الإسرائيلي عن السوريين.

وفي 15 أيار وضعت إسرائيل قواتها تحت الإنذار.

سحب القوات الدولية

كانت قوات دولية ترابط على خط الهدنة بين مصر وإسرائيل منذ 26 شباط 1957 لمنع الاحتكاك والتصادم بين قوات الطرفين. وفي 16 أيار 1967 طلب رئيس أركان حرب القوات المصرية من الجنرال الهندي قائد القوات الدولية سحب القوات الدولية من مراكز المراقبة على الحدود.

وفي 17 منه تحركت قوات مصرية لاحتلال سيناء، واحتلت بعض مواقع القوات الدوليــة. وفي 18 منه وافق يوثانت الأمين العــام للأمم المتحدة على جلاء القوات الدولية بنــاءً على طلب الجمهورية العربية المتحدة. وفي 19 منه بدأت عمليات انســحاب القوات الدولية، فاحتلت كتيبتــان من جيش التحرير الفلسطيني في غزة مراكز المراقبة التي جلت عنها القوات الدولية.

وفي 20 منه احتلت القوات المصرية مواقعها في شرم الشيخ.

وفي اليوم نفســه أعلنت إســرائيل تعبئة جزئية، كما أصــدر القائد العام المصري أمرًا بالتعبئة العامة.

إغلاق مضائق تيران

في 22 أيار 1967 أعلنت السلطات المصرية إغلاق مضائق تيران، ابتداء من منتصف ليلة 22-23 أيار في وجه الملاحة الإســرائيلية والســفن الأخرى المحملة مواد عسكرية لإسرائيل.

وفي 23 أيار قال ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي في الكنيست إن منع الملاحة الإسرائيلية من عبور المضائق يعتبر عملًا عسكريًا عدوانيًا.

وفي اليوم نفسه أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جونسون أن إغلاق المضائق عمل غير قانوني، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ملزمة بحماية سيادة واستقلال كافة دول المنطقة. كما أنه وجه رسالة إلى المستر كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي بين فيها ضرورة تنسيق الجهود بين الدولتين الكبيرتين للضغط على العرب وإسرائيل لضبط الأعصاب وبذل المساعي المشتركة لتحاشي الصدام بين الدولتين. وفي 23 أيار أعلن الملك فيصل ملك المملكة العربية الســعودية الذي كان في لندن آنذاك أنــه أمر أن توضع القوات العربية الســعودية في حالة تأهب للاشتراك في المعركة ضد العدوان الإسرائيلي[2].

---

(2) للوقوف على معلومــات إضافية راجع كتاب المملكة العربية الســعودية كما عرفتها، تأليف أمين المميز المطبوع في بيروت سنة 1969.

وفي 24 أيار أعلنت كل من أمريكا وبريطانيا لزوم فتح مضائق تيران وخليج العقبة للملاحة الدولية، ولو أدى الأمر إلى استعمال القوة من قبل الحكومات البحرية. وتحرك الأسطول السادس الأميركي في البحر الأبيض المتوسط فوصلت منه حاملة طائرات وست مدمرات إلى قرب الساحل الشرقي منه.

وضع الأسطول البريطاني في مالطة بالإنذار وصدرت الأوامر إلى حاملة الطائرات البريطانية التي عبرت قناة السويس يوم 22 أيار بالتوقف في البحر الأبيض بانتظار تعليمات جديدة. كما لوحظ نشاط عسكري بريطاني في قبرص، وجرى تعزيز القوات البريطانية في منطقة الخليج العربي.

استمرت الاجتماعات في واشنطن بين دين راسك وزير الخارجية ومكنمارا وزير الدفاع، وقالت المصادر الأمريكية بأنها اتخذت إجراءات وأعدت خطة للطوارئ للتعاون بينها وبين فرنسا وبريطانيا.

وفي 24 أيار اجتمع مجلس الأمن بطلب من كندا والدانيمارك، وبسبب معارضة روسيا الشديدة لم يتمكن المجلس من اتخاذ أي قرار.

في 25 أيار قال ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل، إن على إسرائيل أن تعتمد على نفسها وتعمل بمفردها لتأمين مصالحها.

زار القاهرة يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة واتصل برجال مصر المسؤولين، وقد أوضح في تقريره الذي قدمه إلى مجلس الأمن بتاريخ 25 أيار 1967 أن مصر لن تكون البادئة بالعدوان، وأنها راغبة في استئناف لجنة الهدنة المشتركة أعمالها وإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل حرب السويس سنة 1956.

وفي 26 أيار قال الرئيس جمال عبد الناصر: «إذا قامت إسرائيل بعمل عدواني، ضد أية دولة عربية، فإن حربنا معها ستكون حربًا شاملة هدفها تطهير الوطن المحتل»، كما قال «إن أمريكا هي العدو الأكبر للقضايا العربية وإن بريطانيا تابعة لها في هذا المضمار».

وجه جونسون رئيس الولايات المتحدة رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر

بواسطة السفير المصري في واشنطن حث فيها على ضرورة ضبط النفس والتزام الهدوء وعدم المبادرة بالعدوان.

وفي الســاعة الثالثة والنصف من صباح يوم 27 أيار 1967 حمل السفير الروســي في القاهرة رسالة مماثلة من كوســيغين رئيس الوزراء السوفياتي إلى الرئيس جمال عبد الناصر.

جولة وزير خارجية إسرائيل ومباحثاته

في الصباح الباكــر من يوم 24 أيار 1967 اســتقل إيبــان وزير خارجية إســرائيل طائرة عســكرية خاصة نقلته إلى باريس، ولكن هدفــه الحقيقي كان واشــنطن. فقابل إيبان الجنرال ديغول رئيس الجمهورية الفرنسية لمدة ثلاثين دقيقة وطلب مساعدة الجنرال لإســرائيل للخروج من هذا المأزق، وقال له إن رأيكم مهم جدًا بالنسبة لنا. فنصحه الجنرال ديغول بأن لا تكون إسرائيل البادئة بالحرب. وعندما كرر ديغول نصيحته وتحذيراته بعدم بدء الحرب، طمأنه إيبان، وأوضح له بأن إسرائيل ستواصل بذل جهودها الدبلوماسية، ويفهم من ذلك أن الجنرال ديغول كان ينوي إيقاف تجهيز إســرائيل بالأســلحة الفرنسية لو بدأت هي بالأعمال العدائية.

أما رئيــس وزراء بريطانيــا هارولد ولســون، الذي دعا إيبــان إلى لندن للاجتماع به، فقــد أكد للوزير الإســرائيلي خلال الاجتماع الذي دام خمسًــا وأربعين دقيقة استعداد بريطانيا للاشتراك بكل عمل تقوم به الولايات المتحدة أو منظمة الأمم المتحدة لضمان حرية الملاحة في خليج العقبة.

وصل إيبان العاصمة الأمريكية مساء يوم الرابع والعشرين من أيار. غير أن الرئيس جونسون لم يستعجل باستقباله.

وفي يوم 26 أيار اســتمع [جونســون] إلــى تقارير المســؤولين ووكالة الاســتخبارات المركزية التــي أبلغته بأن إســرائيل قادرة علــى مهاجمة مصر ومواجهة الموقف بمفردهــا إذا أتيحت لها فرصة الضربــة الأولى المفاجئة..

عندئذٍ اطمأن جونسون، واستقبل إيبان في الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم، ودامت المقابلة ساعة وخمسًا وعشرين دقيقة.

بعد وصول تقرير إيبان إلى الحكومة الإسرائيلية عن مختصر محادثاته مع الرئيس الأمريكي صدرت الأوامر إلى القوات الإسرائيلية بالتحرك إلى الخطوط الأمامية يوم 27 أيار.

عاد إيبان مساء السابع والعشـــرين من أيار راضيًا عما توصل إليه، وتوجه من المطار رأسًـــا إلى مجلس الوزراء الـــذي اجتمع بصورة اســـتثنائية في تل أبيب. وبعد أن اســـتمع المجلس إلى بيانات وزيـــر الخارجية عن رحلته، أعلن تسعة وزراء معارضتهم لكل انتظار آخر، وأعلن تسعة وزراء آخرون معارضتهم للحرب، لأنهم لا يعتقدون بمقدرة الجيش الإسرائيلي على الانتصار..

رسالة كوسيغين وجونسون إلى أشكول

بعد انتهاء اجتماع مجلس الوزراء الإســـرائيلي فـــي منتصف ليلة 27-28 أيار طلب السفير السوفياتي مقابلة رئيس الوزراء الإسرائيلي فتمت المقابلة في الساعة الثالثة من صباح يوم الأحد 28 أيار، وكان السفير يحمل رسالة شخصية من كوســـيغين رئيس وزراء الاتحاد الســـوفياتي مؤرخة في 26 أيار، يلفت فيها رئيس مجلس وزراء الاتحاد الســـوفياتي انتباه رئيس وزراء إسرائيل إلى النتائج الخطيرة التي يمكن أن تحدث من نزاع مسلح في الشرق الأوسط، ويرجوه عدم الســـير مع هؤلاء الذين يحاولون دفع إسرائيل نحو الحرب. وبعد بضع ساعات من مقابلة الســـفير السوفياتي قابل أشـــكول الســـفير الأمريكي بناءً على طلب الأخير. وكان السفير يحمل رسالة من جونسون رئيس الولايات المتحدة يطلب فيها من الحكومة الإسرائيلية أن تتحلى بالصبر والاتزان، فاجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي في صباح يوم الأحد 28 أيار، وناقش رسالتي كوسيغين وجونسون. وعند التصويت في أمر السياســـة التي يجب اتباعها صوت كل الوزراء، باستثناء وزير واحد، بجانب مواصلة الجهود الدبلوماسية لحل المشكلة.

في 28 أيار أعلن ناطق إسرائيلي رسمي أن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي أمام غلق المضائق، وأنها ستحمي حقها الشرعي بالقوة إذا فشلت المنظمة الدولية أو مجموعة الدول البحرية في الوصول إلى حل إيجابي يؤمن حقوق إسرائيل. وفي 28 أيار هدد الرئيس عبد الناصر في مؤتمرٍ صحفي بغلق قناة السويس فيما إذا تدخلت قوى خارجية في الصراع بين العرب وإسرائيل. وأضاف قائلاً: «أما مضايق تيران فهي مياه إقليمية خاضعة للسيادة المصرية ولن تكون موضوع مساومة».

وفي الواقع كانت مضائق تيران مغلقة منذ سنة 1948 إلى سنة 1956 عند القيام بالعدوان الثلاثي على مصر. كما أن وجود إسرائيل في إيلات كان نتيجة عمل عدواني أيضًا، إذ إن إسرائيل احتلتها خلافًا لقرار الأمم المتحدة، وبعد قيام الهدنة سنة 1949[3].

وفي 29 أيار عقد مجلس الأمن جلسة طارئة اقترحت فيها الولايات المتحدة مطالبة مصر بحرية الملاحة، ريثما ينتهي المجلس من مناقشة القضية والوصول إلى قرار، ولكن لم ينظر في هذا الاقتراح بسبب استعمال روسيا حق الرفض (الفيتو).

وفي اليوم نفسه، 29 أيار، قال ليفي أشكول إن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والدول البحرية ملتزمة بتأمين الملاحة في المضائق الدولية، وأن إسرائيل ستتريث لترى ما إذا كان بإمكان هذه الدول الوفاء بالتزاماتها.

موقف الأردن وإرسال الفريق عامر خماش إلى القاهرة

من تطور الأحوال وتتابع الوقائع، أدرك الملك حسين بأن الحرب أصبحت وشيكة. وفي يوم 29 أيار أرسل رئيس هيئة أركان الجيش الأردني الفريق عامر خماش إلى القاهرة للاتصال بالقيادة العربية الموحدة، والاطلاع على الخطط

---

(3) راجع كتاب السيادة العربية على خليج العقبة ومضائق تيران، تأليف الدكتور صلاح مصطفى الدباغ المطبوع في بيروت سنة 1967.

المعدة لمواجهة الهجوم الإسرائيلي. وعندما عاد الفريق خماش من القاهرة أبلغ الملك حسين أن القيادة العامة الموحدة أصبحت مشلولة بنتيجة الخلافات العربية، وأن المسؤولين في القاهرة أكدوا له أن ليس للقيادة المشتركة أي دور في الاستعدادات الجارية، بل إن مصر وحدها هي التي تقود هذه العملية وفق اتفاق الدفاع المشترك الثنائي بينها وبين سورية.

منح الرئيس عبد الناصر الصلاحيات المطلقة

وفي 29 أيار منح مجلس الأمة المصري الرئيس عبد الناصر الصلاحيات المطلقة وأعلنت حالة الطوارئ في جميع مطارات مصر.

لقاء الملك حسين مع الرئيس عبد الناصر وتوقيع معاهدة الدفاع الأردنية-المصرية

أمام خطورة الوضع وتطور الأحداث قرر الملك حسين مقابلة الرئيس عبد الناصر في القاهرة وجرت الاتصالات الدبلوماسية السريعة لترتيب المقابلة، فورد جواب القاهرة بالموافقة ليلة 29-30 أيار.

وفي صباح 30 أيار غادر الملك حسين عمان جوًا وقد رافقه رئيس الحكومة ورئيس هيئة أركان الجيش وقائد الطيران.

وتم الاجتماع بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين في قصر القبة حيث بدأت المحادثات حول الوضع الراهن والوضع الذي ينجم عنه وضرورة التنسيق الجدي والفعال والتدابير الواجب اتخاذها. وعلى إثر ذلك وقع الملك حسين على معاهدة دفاع ثنائية أردنية - مصرية مطابقة تمامًا لمعاهدة الدفاع الثنائية السورية - المصرية، واتفق في هذا الاجتماع على أن يدير العمليات العسكرية من الأردن الفريق عبد المنعم رياض مساعد رئيس هيئة أركان القيادة العربية الموحدة. وقد غادر القاهرة الفريق رياض في اليوم نفسه على رأس وفد مصري إلى بغداد ودمشق لكي يشرح الوضع للمسؤولين العراقيين والسوريين

للإسراع باستعدادات الدفاع المشترك ضد أي هجوم إسرائيلي محتمل.

وفي 30 أيار قال أبا إيبان وزير خارجية إسـرائيل، إن إسـرائيل مستعدة لقبول أي حل سياسي يؤمن حرية الملاحة، ولكن يجب أن يتم ذلك في أقرب وقت مستطاع.

إعلان إسرائيل التعبئة العامة

في 1 حزيران أعلنت إسـرائيل التعبئة العامة، فانصرفت الجهود كليًا إلى القوات المسلحة وشـلت أو تعطلت الأعمال الأخرى، وإسـرائيل لا تحتمل ذلك الشـلل العام لمدة طويلة، وأصبحت الحرب على قاب قوسين أو أدنى. وفي اليوم نفسه انضم الجنرال موشي ديان ومناحيم بيغن زعيم عصابة الأرغون الإرهابية، إلى الوزارة الإسرائيلية، الأول وزيرًا للدفاع والثاني وزير دولة.

وصول الفريق عبد المنعم رياض إلى عمان

في 1 حزيران وصل إلى عمان الفريق عبـد المنعم رياض الذي عهد إليه بقيادة القوات العربية علـى الجبهة الأردنية، ووصلت معـه هيئة أركان حربه. كان عليه أن يتولى، علاوة على قيادته الجيش الأردنـي، قيادة القوات العراقية والسـعودية والسـورية وكتيبتين من رجـال الكومندوس المصـري اللتين تم الاتفاق في القاهرة على إرسالهما إلى الأردن لتعزيز قواته.

وفي 3 حزيران وقـع العراق على ميثـاق دفاع ثنائي مـع مصر، وبذلك أصبحت ثلاث دول عربية مرتبطة مع مصر بهذا الميثاق..

ونظرًا إلى الإمكانات العسـكرية المحدودة وسـعة الجبهة الأردنية، فإن الخطـة على هذه الجبهة كانـت دفاعية بحتة، ومع ذلك فـإن القوات الأردنية المتيسـرة لم تكن تكفي للدفـاع أيضًا ما لم تصلها القـوات العراقية والقوات السعودية التي تقرر إرسالها إلى الأردن.

وفي 3 حزيران قال موشـــي دايان في مؤتمره الصحفي الذي عقده في تل أبيب، وذلك على ســـبيل الخداع والغش، إنه يعتقد بـــأن الوقت قد فات للقيام بإجراء عســـكري، وإن المجتمع الدولي لن يهضم ذلك بسهولة، وإنه لا بد من الانتظار فترة كافية لاستنفاد جميع المساعي السياسية قبل القيام بأي عمل آخر. فنشرت الصحف الأمريكية والصحف الغربية تصاوير للجنود الإسرائيليين وهم يستحمون على شاطئ البحر غير مكترثين ولا مستعدين لحرب.

وفي مساء 4 حزيران اجتمعت الوزارة الإسرائيلية، واستمعت إلى تقرير من رئيس الوزراء ومن وزير الدفاع، وتقرير آخر من وزير الخارجية حول التطورات السياسية الأخرى، وتقرر بدء العمليات العسكرية في صباح اليوم التالي.

وقت الشروع بالهجوم الإسرائيلي

بالرغم مـــن كل التضليلات الصهيونية والتمويهـــات، فإن الجانب العربي كان على علم بالموعـــد التقريبي إن لم نقـــل بالوقت الحقيقـــي لبدء الهجوم الإسرائيلي. وفي أدناه بعض التفاصيل التي تؤيد ذلك:

1 - قال الملك حسين للرئيس عبد الناصر، عند مقابلتهما في القاهرة يوم 30 أيار 1967، إن المعلومات التي تسربت إلى الأردن من مصادر كثيرةٍ، بعضها أجنبي، تشير إلى أن إسرائيل ستفاجئ المطارات المصرية بغاراتٍ يوم 5 حزيران 1967. فأجاب الرئيس عبد الناصر، هذا واضح ونحن نتوقع مثل هذا الهجوم.

2 - في المؤتمر الصحفي الذي عقده الملك حســـين في عمان ظهر يوم 3 حزيران 1967 سأل صحفي أميركي عن زمن توقع نشوب حرب في الشرق الأوسط، فأجابه الملك «إننا نتوقع نشوب حرب خلال الثماني والأربعين ساعة المقبلة، وإلا يكون الإســـرائيليون قـــد صرفوا النظر عنها فـــي الوقت الحاضر ليشنوا الحرب في فرصةٍ مواتيةٍ ووضعٍ ملائمٍ، حالما يأنسون منا غفلةً أو إهمالًا يباغتوننا بهجومهم».

3 - في 4 حزيران 1967 قابل الســـفير العراقي فـــي عمان رئيس الوزراء

الأردني، وقال له إن معلوماتٍ جديدةً قد وصلت إلى الاستخبارات العسكرية العراقية تؤكد أن إسرائيل ستشن هجومها المفاجئ صباح يوم 5 حزيران 1967، فذهبا معًا لمقابلة الملك حسين، حيث نقل السفير العراقي تلك المعلومات إلى الملك. فذهب الملك بنفسه إلى القيادة العربية الموحدة في عمان، وأطلع القائد الفريق عبد المنعم رياض على ما ذكره السفير العراقي. ونقلت المعلومات إلى القيادة العليا في القاهرة فورًا.

4 - في مساء يوم 4 حزيران 1967 قام الفريق عامر خماش رئيس أركان القوة المسلحة الأردنية بمصارحة الفريق عبد المنعم رياض بالهواجس التي تقض مضاجع الأردنيين وتوقعهم هجومًا إسرائيليًا واسع النطاق بين ساعة وأخرى[4].

الهجوم الإسرائيلي

كانت أهداف خطة العمليات العسكرية الإسرائيلية ما يلي:

1 - تدمير الجيش المصري.

2 - احتلال مساحات شاسعة من سيناء.

3 - فتح مضايق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية.

الهجوم الجوي

ففي الساعة الثامنة وعشر دقائق، بتوقيت مصر المحلي، من يوم 5 حزيران 1967 انطلقت التشكيلات الجوية الإسرائيلية الأولى من قواعدها، وقبل الساعة التاسعة بقليل وصلت فوق أهدافها المحددة لها، وهي المطارات المصرية، وقصفت الطائرات وهي جاثمة على الأرض، في الوقت الذي توقفت أجهزة الرادار المصرية عن العمل ولم تعد الشاشات تعطي الإشارات المعتادة، لأن الطائرات الإسرائيلية طارت على ارتفاعات واطئة جدًا للأسباب التالية:

(4) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب المؤامرة وتقرير المصير تأليف سعد جمعة رئيس وزراء الأردن في ذلك الحين، المطبوع في بيروت سنة 1968.

1 – لا تتمكن أجهزة الرادار تحت ارتفاع معين من إعطاء معلومات كافية عن اقتراب تشكيلات الطائرات المعادية.

2 – لا تتمكن الصواريخ الروسية الموجهة من الأرض إلى الجو المستعملة في الجيش المصري من العمل بصورة مؤثرة إلا على ارتفاع يزيد على ألف متر.

3 – سـهولة تعيين وتحديد الهدف من ارتفاع واطئ وتأمين نجاح عملية القصف. وقد اسـتخدمت جميع طائرات سلاح الجو الإسـرائيلي في حملتها لتدمير الطيران المصري حتى طائرات التدريب التـي حملت قنابل وصواريخ بعد أن أجرى عليها الفنيون بعض التغييرات البسيطة.

أعقبت ضربة الموجة الأولى المباغتة والمذهلة موجات أخرى من الطائرات الإسـرائيلية دمرت بقصفها الطائرات المصرية والمـدارج، وتوقفت عن العمل محطات الرادار وبطاريات الصواريخ توقفًا تامًا. واستمر القصف ثلاث ساعات بموجات متلاحقة وسـريعة إلى أن تم إنجاز الواجب المكلفـة به القوة الجوية الإسرائيلية وأصبح التفوق الجوي التام بجانب الإسـرائيليين. وهذا هو العامل الأساسي في فوز إسرائيل على مصر والبلاد العربية المجاورة لفلسطين في حرب سـنة 1967. وكانت الطائرات الإسـرائيلية قد قامت يـوم 5 حزيران بمهاجمة خمسٍ وعشرين قاعدة جوية عربية. منها سبع عشرة قاعدة مصرية وخمس قواعد سوريةً وقاعدتان أردنيتان وقاعدة عراقية واحدة هي (إيج ثري)[5].

الهجوم البري

إن صحراء سـيناء جرداء تكسـوها كثبان الرمال وطرقهـا محدودة وغير صالحـة. وتكتنف الحركات العسـكرية فيها صعوبات جمـة. وإن كل ترتيب

(5) من الكتب الأجنبية التي صدرت حالًا بعد انتهاء الحرب، كتاب لونسـتون تشرشل (الصغير) وولده راندولف، المعنون حرب الأيام السـتة، وهو مكتوب بتحيز لوجهة النظر الإسـرائيلية. والكتاب مطبوع في لندن سنة 1967 ومترجم إلى العربية.

ومن الكتب الخطيرة التي صدرت حديثًا كتاب وضعه الإسرائيلي باروخ نادل، وصف فيه الحفلة السـاهرة التي أقامها الجاسوس الإسـرائيلي آرام أنور ليلة 5 حزيران، وهرب المومأ إليه إلى تركيا قبيل هجوم الطائرات الإسرائيلية على المطارات المصرية، وهو مترجم إلى عدة لغات أوروبية.

للقطعات في الصحراء الرملية المحدودة المسالك، سواء أكان دفاعيًا أم هجوميًا لا بد وأن يكون على طرق المواصلات وعقد تقاطعها. وتوجد في سيناء الطرق الرئيسة التالية:

1 - محور رفح - العريش - القنطرة على قناة السويس.

2 - محور نتسانا - أبو عجيلة - الإسماعيلية.

3 - محور نتسانا - القسيمة - بئر حسنة - ميتلا - السويس.

4 - محور كونتيلا - نخل - ميتلا - السويس.

وتوجد طرق فرعية تربط هذه المحاور بعضهــا ببعض. كما يوجد طريق يمتد من قناة السويس إلى شرم الشيخ.

وقد توزعت القوات المصرية في ســيناء على موضعيــن دفاعيين الواحد خلف الآخر. ويمر الخط المتقــدم للجبهة المصرية بالمواضع الدفاعية كونتيلا - أبو عجيلة - العريش - رفح، ويســتند الموضع الدفاعــي الثاني على مواقع دفاع بئر حســنة وجبل لبنى، كما كانت قوة تقدر بفرقــة مع قطعات مدرعة في قطاع غزة وكانت قوة كبيرة من الدروع المصرية والقوات الآلية محتشــدة على بعد حوالى خمسين كيلومترًا شرق قناة السويس بمثابة قوة ضاربة واحتياط عام. وكانت الخنادق محكمة والألغام مزروعة في الأماكن اللازمة وكل شيء جاهز للقتال إذا استوجب الأمر ذلك.

لقد تم حشــد القوات الإســرائيلية مقابل التحشــدات المصرية وأعطت القيادة الإســرائيلية أهمية خاصة إلى قطاع رفح - العريش القريب من ســاحل البحر الأبيض المتوســط، وخصصت له أكفأ القواد والقطعــات. وفي الوقت الذي تمــت فيه مباغتة المطــارات المصرية، وقصفها وبقــاء القوات المصرية بدون إســنادٍ جوي بدأ الهجوم الإسرائيلي في الســاعة التاسعة (بتوقيت مصر) من صباح يوم 5 حزيران بتقدم القوات كل فــي جبهتها. فبدأ الهجوم في قاطع رفح - العريش باتجاه خان يونس. وبمعاونة القصف الجوي وقصف المدفعية

المركز على المدفعية المصرية وأســلحة المقاومة الأخرى، تمكن المهاجمون بعــد قتال عنيف من احتلال خــان يونس والاندفاع نحو رفــح. وبتعاون القوة الجوية والمدفعية والدبابات المعادية وتأثير نيرانها أمكن التغلب على أســلحة المقاومة المصرية، فحوصرت رفح وتمكن العدو من احتلالها والاندفاع باتجاه الشيخ زويد. وبعد احتلالها جرى التقدم بسرعة نحو جيرادي، وهو آخر معقل حصين للمقاومة الدفاعية المصرية قبل العريش. وفي الساعة الخامسة والنصف من مســاء 5 حزيران كانت القوات الإســرائيلية على أبــواب العريش، غير أن المواضع المصرية كانت مستمرة في المقاومة.

الحركات البحرية

عند حلول الظلام مساء 5 حزيران اقتربت غواصة إسرائيلية إلى بعد أربعة كيلومترات من ساحل الإسكندرية، فخرج منها ستة من الضفادع البشرية لتثبيت حشوات متفجرة على هياكل الوحدات البحرية المصرية في الميناء. ومع أنهم تمكنوا من عبور الحواجز، فإن انتشــار الوحدات البحرية في الميناء خوفًا من تعرضهــا للقصف الجوي فوت عليهــم الفرصة، وحــال دون أدائهم الواجب المكلفين به. وفي اليوم التالي اكتشف أمرهم فاعتقلوا وباءت حركتهم بالفشل. وفي الوقت الــذي كان فيه رجال الضفــادع يغادرون غواصتهــم بالقرب من ساحل الإســكندرية، كان هناك ثلاثة قوارب طوربيد إســرائيلية تقترب من بور سعيد بحراســة مدمرة. وكانت الغاية من العمليتين البحريتين تهديد المصريين وتكبيدهم ما أمكن من خســائر. لأن البحرية الإسرائيلية غير قادرة على خوض معارك بحرية ضد البحرية المصرية التي تتفوق عليها بعدد السفن وحجمها.

وقد كان الموقف مساء الخامس من حزيران كما يلي:

نجح الهجوم الجوي الإســرائيلي بحركته المفاجئة ودمر مئات الطائرات المصرية، وهي جاثمة على الأرض. كما نجح الهجوم البري الإسرائيلي وخرق موضع دفاع رفــح - العريش، ولكــن العملية البحرية التي اســتهدفت إغراق الوحدات البحرية الموجودة في ميناء الإســكندرية باءت بالفشل. وهكذا انتهى

اليوم الأول من الحرب بين إســرائيل ومصر وقد استخدم فيه الإسرائيليون في الجو والبر والبحر جميع الوسائل التي يمتلكونها. ويعتبر اليوم الأول يومًا بالغ الأهمية وحاسمًا في حرب 1967 ومكللًا بالظفر بالنسبة لإسرائيل.

الحركات ليلة 5 - 6 حزيران

هاجمت القوات الإســرائيلية موضع جيرادي في منتصف الليل، فتمكنت من احتلاله في الساعة الثانية من صباح يوم 6 حزيران. وعند ذاك أصبح الطريق نحو العريش مفتوحًا أمام القوات الإســرائيلية، وفي الســاعة الثالثة من صباح اليوم نفســه تم احتلال العريش، وباحتلالها تمكن الإسرائيليون من كسر طوق الاســتحكامات المصرية وانفتح الطريق أمامهم لاندفاعات أخرى. فأرســلت القيادة المصرية لواءين مدرعين لتقوية دفاعات العريش - واستمر القتال طوال الليل، فلم تتقرر نتيجة المعركة لصالح إســرائيل إلا بعد الفجر وتدخل الطيران الإسرائيلي بصورة كثيفة.

وقــام الرتل الإســرائيلي الآخــر المتجه نحو أبــو عجيلــة بالتقدم طول النهار والليل مشــتبكًا مع القوات المصرية المدافعة. وما بين الســاعة الرابعة والسادسة من مساء يوم 6 حزيران جرت المعارك الأخيرة بالدبابات، فاستولى الإسرائيليون على موضع أبو عجيلة. وتقدمت قوات أخرى نحو جبل لبنى.

سقوط غزة

درات معــارك ضارية في منطقة غــزة يوم 5 حزيران كبــدت المهاجمين خســائر كبيرة بالرغم من إلقائهم آلاف القنابل الأرضية والجوية على القطعات المصرية. ومنذ فجــر يوم الثلاثاء 6 حزيران بدأ الطيران الإســرائيلي بمهاجمة الدبابات والتحصينات وكل شــيء بشدة متناهية، واســتمر القتال على أشد ما يكون. وعند الظهر تمكــن المهاجمون من احتلال المدينة، فدخلوها بإســناد الدبابات. ومع هذا استمر رمي القناصة أربعًا وعشرين ساعة أخرى، وأدى إلى وقوع العديد من الخسائر بالعدو.

وضوح الموقف الحربي

وفي مساء يوم 6 حزيران اتضح تمامًا ما سيؤول إليه الموقف في سيناء، وماذا ستكون نتيجة القتال. فقد قدرت القيادة المصرية الموقف على حقيقته، وأمرت القوات يوم 7 حزيران بالانسحاب إلى قناة السويس. بدأت حالًا الوحدات القريبة من القناة بعبورها إلى الضفة الغربية، بينما أسرع المهاجمون في حركاتهم وتقدمهم بأمل حصر القوات المصرية قبل عبورها. وعلاوةً على الاشتباكات الأرضية العديدة أمطروا القوات المتراجعة والعابرة بوابل من قنابل الطائرات.

وفي الساعة الواحدة والنصف من صباح الجمعة 9 حزيران وصلت طلائع القوة الإسرائيلية إلى قناة السويس. وفي الساعة الثالثة من صباح اليوم نفسه أصبحت الضفة الشرقية كلها تقريبًا تحت سيطرة القوات الإسرائيلية.

شرم الشيخ

بعد أن تقدمت القوات الإسرائيلية في سيناء، سحبت القوة المصرية من شرم الشيخ، خشية وقوعها في الأسر، بعد أن تركت هناك قوة صغيرة، فأرسل الإسرائيليون زورق طوربيد برفقة عدد من قوارب الإنزال السريعة من إيلات إلى شرم الشيخ. كما أرسل رتل من المظليين إلى إيلات، تمهيدًا لنقله وإنزاله في شرم الشيخ.

ووصل التشكيل البحري الإسرائيلي مضايق تيران، فاحتل شرم الشيخ وفي الوقت نفسه وصلت الطائرات التي تحمل المظليين. وبذلك أصبحت مضايق تيران مفتوحة للملاحة تحت احتلال إسرائيل منذ يوم 7 حزيران 1967.

الجبهة الأردنية

اشتراك القوات الأردنية في القتال

بعد الغارات الجوية الإسرائيلية المفاجئة على مطارات مصر وشروع القوات البرية الإسرائيلية بالتقدم داخل الأراضي المصرية يوم 5 حزيران

1967، أرســل المشــير عبد الحكيم عامر إلى الفريق عبــد المنعم رياض في الأردن المعلومات والتعليمات التالية:

1 – إن طائرات إســرائيلية قد شــرعت فــي قصف القواعــد الجوية في الجمهورية العربية المتحدة. وقد دمر أو عطب 75 بالمئة من الطائرات المغيرة.

2 – بدأ الطيران المصري هجومه المضاد فوق إسرائيل نفسها. وفي سيناء اشتبكت القوات المصرية البرية بالعدو، وهي الآن تقوم بنشاط هجومي.

3 – يأمر المشير عامر بأن يفتح القائد العام للجبهة الأردنية جبهة جديدة، وأن يبدأ العمليات الهجومية وفقًا للخطة التي رسمت في اليوم السابق.

وبناءً على ذلك قام الفريق رياض بإصدار الأوامر التالية:

4 – احتلال المدفعيــة الأردنية خطــوط النار الأمامية لقصــف المواقع الإسرائيلية.

5 – احتلال جبل (سكوبوس) في القدس من قبل كتيبة مشاة.

6 – قيام الطائرات الأردنية من طراز (هوكر هنتر) بقصف القواعد الجوية الإسرائيلية بالتعاون مع الطائرات العراقية والسورية.

وبناءً على هذه الأوامر احتلت كتيبة أردنية جبل سكوبوس في وقت قصير لأن الجبل المذكور يقع في المنطقة المجردة من السلاح، وفيه يقوم المقر العام للجنرال (أودبول) رئيس أركان هيئة الرقابة الدولية.

أما الطائرات الأردنية فقد كانت على أهبة الإقلاع للقيام بمهمتها. اتصلت القيادة الجوية الأردنيــة بالقيادة الجوية الســورية لتوحيــد أعمالهما، فكانت الطائرات السورية غير مســتعدة للعمل وطلبوا [الســوريون] إمهالهم وكرروا الطلب مرارًا، وفي الســاعة الحادية عشــرة لم يعد بالإمكان الانتظار فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم إلى الطائرات الأردنية، وتساهم في القيام بالمهمة المشتركة المنوطة بسلاح الطيران. وكان من نتيجة الاستمهال والتأخر

أن عمليات الطيران العربي لم تبدأ إلا بعد الساعة الحادية عشرة.

وقد هاجمت الطائرات الأردنية مطار ناثانيا الإسرائيلي ثلاث مرات، وقصفت الطائرات العراقية مطار اللد وأخيرًا أغارت الطائرات السورية على القاعدة الجوية في رامات دافيد وعلى مصفاة البترول في حيفا.

وفي تلك الأثناء كلم الجنرال أودبول الملك حسين هاتفيًا، ونقل إليه نداءً وجهه إلى الأردن ليفي أشكول رئيس حكومة إسرائيل، وفيه يحيط الأردن علمًا ببدء الهجوم الإسرائيلي ضد مصر، ويعد بعدم إصابة الأردن بضرر إذا امتنع عن التدخل. فلم يعر الملك حسين أي اهتمام لهذا النداء، واستمرت قوات الأردن المختلفة على خوض المعركة.

أرسل المشير عبد الحكيم عامر برقية ثانية إلى الأردن أخبر القيادة العامة فيها أن الهجوم الجوي الإسرائيلي مستمر، وأكد مرة أخرى أن المصريين أسقطوا وعطبوا 75 بالمئة من طائرات العدو، وأن القاذفات المصرية انتقلت إلى الهجوم المضاد ودمرت المطارات الإسرائيلية، وأن الجيش المصري دخل إسرائيل عبر النقب.

وقد ظهر أخيرًا بأن هذه الأخبار لا تنطبق على الواقع، وليس لها نصيب من الصحة. ولكنها أوهمت القادة والمطلعين عليها في الأردن، وظنوا أن الطائرات المقبلة من ناحية مصر كانت طائرات عربية أتت للقيام بمهمتها في دك المطارات الإسرائيلية وقواتها. وقد تبين في ما بعد أنها طائرات العدو عائدة من مصر بعد أن قامت بالدور المسند إليها، وهو قصف المطارات والطائرات المصرية.

قصف مطارات الأردن وتدمير طائراتها

وصلت الموجة الأولى من القاذفات الإسرائيلية وألقت قنابلها على مطار عمان في الساعة الثانية عشرة والنصف. وبعد أربعين دقيقة هاجمت موجة ثانية المطار، واستمر القصف بموجات متتابعة. وفي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر 5 حزيران توقف القصف، وانسحبت الطائرات الإسرائيلية من سماء

الأردن بعدما دمرت تدميـرًا تامًا القاعدتين الجوتين اللتيـن يملكهما الأردن، وهما مطار عمان ومطار المفرق وقضت على سلاح الجو الأردني قضاءً تامًا.

كما استهدف الطيران الإسرائيلي قصر الملك حسـين في عمان وحياته، فألقى بنيرانه على مكتب الملك وفتح فجوات في الجدار القائم خلف المكتب ومزق الرصاص المقعد الذي يجلس عليه الملك، ولكن الملك حسين لم يكن في القصر آنذاك.

القوات المدرعة الأردنية

كان لدى الأردن لـواءان من دبابات باتون 48، اللـواء الأربعون ومهمته العمل على الجبهة الشـمالية مـن وادي الأردن والقطاع الشـمالي الغربي من البلاد. أمـا اللواء الآخر، وهـو اللواء السـتون، فكانت مهمته تغطية القسـم الجنوبي من وادي الأردن ويحمي قطاع أريحا. وإن حشد هذين اللواءين على هذه الصورة يشكل فكي كماشة يحولان دون وصول العدو إلى وادي الأردن.

أمر الفريق عبد المنعم رياض اللواء المدرع السـتين في السـاعة 13:00 من يوم 5 حزيران بالتوجه نحو الخليل ومنها إلى بئر السـبع، لاعتقاده أنها أهم قاعدة للدبابات الإسـرائيلية. وكان الغرض من هذه الحركـة تحقيق الاتصال بالقوات المصرية التي كان مفترضًا أن تكون على وشك بلوغ المواقع الأمامية على الجبهـة الجنوبية. كما أمر اللـواء المدرع الأربعين الـذي يغطي الجبهة الشـمالية للأردن بالانتقال إلى منطقة أريحا ليحل محل اللواء المدرع الستين، على أن تصل إمدادات سورية دون إبطاء إلى الجبهة الشمالية لملء الفراغ الذي تركـه انتقال اللواء الأربعيـن. فتحرك اللواء المدرع الأربعون حسـب الأوامر الصادرة إليه، وليس من غطاء جوي يحميه من هجمات الطائرات الإسـرائيلية المستمرة، وتمكن من الوصول إلى أريحا والتمركز في المرتفعات المحيطة بها حيث حل محل اللواء الستين.

وقد لاحظت هيئة الأركان الإسـرائيلية، أن السـوريين قد اكتفوا بإزعاج المسـتعمرات الإسـرائيلية الواقعة عند سـفوح مرتفعات الجـولان بقصفها

بالمدفعية فقـط. وعليه أصدرت الأوامر إلى قائد المنطقة الشـمالية بعد الظهر بتهيئة خطة للهجوم على جنين. فسحب قائد المنطقة الشمالية الإسرائيلية قواته التي كانت منفتحة أمام الجبهة السـورية، ووجه القسم الأكبر منها نحو الحدود الأردنية إلى الشمال من جنين.

فاغتنـم العدو فرصة انتقال اللـواء المدرع الأربعين مـن الجبهة الأردنية الشمالية، فشـن هجومًا واسـع النطاق بالدبابات المدعمة بالطائرات في قطاع جنين، حيث لم يكن هناك سوى لواء مشاة أردني وسرية دبابات من طراز باتون 47، وكانا بأشـد الحاجة إلى الدعم الجوي. ونظرًا إلـى وضع اللواء الأردني الدقيق في منطقة جنين، طلب الفريق عبد المنعم رياض من السـوريين بإلحاح أن يتدخلوا ليخففوا العبء عن كاهل القوات الأردنية، فبينوا عدم اسـتطاعتهم القيام بأية عملية ما لم يتوفر لهم الدعم الجوي.

وفي السـاعة 19:15 اتصل الفريق رياض لاسلكيًا بالفريق محمد فوزي، رئيس أركان القيـادة الموحدة في القاهرة، وأبلغه أن العـدو دخل قطاع جنين متجهًا نحو نابلس، وأن الموقـف في جنين دقيق جدًا، وأنهـم بأمس الحاجة إلى المساعدة الجوية من جانب سـورية والعراق في القطاع المهدد. وبعد أن قطع ريـاض أمله من وصول النجدات الجوية أصدر في السـاعة 20:45 أمره إلى اللواء المدرع الأربعين أن يعود من أريحا إلى الشمال. وأمر اللواء المدرع الستين بأن يحتفظ بمواقعه ويرسل بعض وحداته إلى القدس التي كانت معارك طاحنة تدور حولها. فتحول اللواء الأربعون ليـلا إلى منطقة جنين بعد صدور الأمر إليه، واشترك في القتال الدائر فيها[6].

معركة القدس

بدأ الهجوم الإسـرائيلي على مدينة القدس في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر يوم 5 حزيران. فخاضت المعركة ثلاثة ألوية إسرائيلية تسندها الدبابات

(6) لمزيد من التفاصيل عن الجبهة الأردنية، راجع كتاب حربنا مع إسـرائيل، وهو مجموعة من مقابلات صحفية أجريت مع الملك حسين، ونشر في بيروت سنة 1968 من قبل دار النهار.

وتدعمها الطائرات التي شكلت مظلة فوق كل فلسطين، ومنعت أية طائرة عربية من الوصول إليها، وبذلك أمنت حرية العمل والقتال للقوات الإسرائيلية بينما بقيت القوات العربية محرومة من الإسناد الجوي. دارت معارك ضارية فاقت قسوتها كل تصور، إذ استعمل الصهاينة جميع أنواع الأسلحة الفتاكة، واستمر القتال نهارًا وليلًا لمدة ثلاثة أيام بلا انقطاع والأردنيون صامدون وخسائر المهاجمين الأعداء بازدياد. إلا أن الإسرائيليين تمكنوا من قطع أكثر طرق المواصلات مع القدس لعزلها ومنع وصول إمدادات إليها. كان العامل المؤثر في نجاح الإسرائيليين في قتالهم ضد الأردنيين، الذين قاتلوا بشجاعة وبسالة وشرف في كل الأماكن، هو السلاح الجوي الإسرائيلي الذي كانت له السيطرة الكاملة على ساحة الحركات، والذي لم يتورع عن إلقاء قنابل النابالم المحرقة دوليًا بكثرة وبلا حساب.

تقدير الفريق عبد المنعم رياض للموقف

في صباح يوم الثلاثاء 6 حزيران قدر الفريق رياض الموقف على ضوء حركات يوم 5 حزيران واستقر رأيه على ما يلي:

1 - الحصول على وقف إطلاق النار بالطرق الدبلوماسية.

2 - أو إصدار الأمر بانسحاب القوات إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن.

3 - وإذا لم يتخذ قرار خلال الأربع والعشرين ساعة، سيستولي العدو على الضفة الغربية وتصبح جميع القوات الأردنية معزولة ومدمرة.

وقد حصلت اتصالات مع القاهرة، وتبودلت برقيات بهذا الشأن فهم منها حقيقة موقف القوات المصرية والخسائر التي منيت بها خاصة القوة الجوية.

وقف إطلاق النار

في الساعة الحادية عشرة ليلًا «حسب التوقيت المحلي الأردني» من يوم 6 حزيران أصدرت الأمم المتحدة أمرًا بوقف إطلاق النار فورًا بدون قيد أو

شرط. وقد جاء هذا القرار في الوقت المناسب لأن القوات الأردنية كانت لا تزال تقاوم في الضفة الغربية كلها، أي في قطاع نابلس، ورام الله، والقدس، والخليل. وأراد العدو احتلال الضفة الغربية للأردن، وهي التي كان يطمع بها من زمن بعيد ليضع العالم أمام الأمر الواقع. فبلغت هجمات الطائرات الإسرائيلية ذروتها والقتال المرير تدور رحاه في كل مكان والقوات الأردنية صامدة تقاتل بشجاعة نادرة وبسالة فاقت حدود التصور.

وقد شدد العدو هجماته، واحتل القدس ظهر يوم الأربعاء 7 حزيران، ثم جاء دور نابلس، فاستسلمت بعدما تعرضت للقصف الشديد خلال 18 ساعة، وأخيرًا استطاع العدو اجتياح أريحا والخليل.

وعلى هذا صدرت الأوامر اضطرارًا بانسحاب القوات الباقية من الجيش الأردني من الضفة الغربية التي أصبح الاحتفاظ بها أو الدفاع عنها أمرًا مستحيلًا. ولم يتحقق وقف إطلاق النار فعلًا إلا بعد ظهر يوم الخميس 8 حزيران، وذلك بعد أن تم للصهاينة احتلال الضفة الغربية بكاملها.

دور قوات الدول العربية في معاونة الأردن

القوات السعودية: في 1 حزيران 1967 أخبر السعوديون القيادة العامة الأردنية أنهم أرسلوا لواءً مؤلفًا من ثلاث كتائب مشاة سيصل من تبوك في اليوم نفسه.

وفي 6 حزيران وصلت كتيبة مشاة إلى المدورة.

وفي 8 حزيران وصل جزء من الكتيبة السعودية الأولى إلى معان ليلًا. وفي 9 حزيران لحق بها ما تبقى من الكتيبة الأولى والكتيبة الثانية ومقر اللواء.

وفي 12 حزيران وصلت الكتيبة الثالثة، وبذلك تم تجمع اللواء السعودي في معان ولم يشترك في قتال حزيران 1967.

القوات السورية: في الساعة العاشرة من مساء 6 حزيران أبلغ الملحق

العسكري السوري في عمان السلطات الأردنية أن اللواء 17 السوري سيصل الحدود السورية الأردنية بعد ساعة. غير أن اللواء المذكور لم يصل لا في تلك الليلة ولا في نهار اليوم الثاني، ولكن وصلت مقدمته بعد الساعة الثامنة من مساء 7 حزيران. وصدرت الأوامر إلى آمرية اللواء المذكور باحتلال المواقع الدفاعية في محور وادي شعيب، وذلك لإفساح المجال أمام القوات الأردنية للتجمع. أمضى آمر اللواء يوم 8 حزيران في استطلاع المواقع مع ضباط لوائه. وقد رفض إكمال الاستطلاع، وإشغال المواقع المخصصة في تلك الليلة، فطلب مهلة إضافية حتى اليوم التالي، ليتمكن ضباط اللواء من إكمال تفاصيل استطلاعهم.

وفي 9 حزيران أبلغ الفريق عبد المنعم رياض آمر اللواء السوري أنه يستطيع العودة إلى سورية مع لوائه عند الغروب، فانسحب اللواء 17 في الموعد المحدد، ولم يشترك بأية عملية.

القوات العراقية: على أثر تأزم الموقف بين مصر وإسرائيل وتطور الأمور تطورًا سريعًا في شهر أيار 1967، عقد مجلس الدفاع العراقي بتاريخ 17 أيار اجتماعًا ناقش فيه الموقف العام في الجبهة السورية وما يمكن توفيره من قطعات برية وجوية لنجدة سورية، في حالة وقوع اعتداء عليها وتم إخبار السلطات السورية عن استعداد العراق لتقديم المساعدة والتعاون.

وفي مساء يوم 19 أيار وافقت الحكومة السورية على حضور وفد عسكري عراقي للاتفاق على أسلوب التعاون. وبتاريخ 20 أيار سافر الوفد إلى دمشق برئاسة معاون رئيس أركان الجيش ومدير الحركات وقائد القوة الجوية، وتم الاتفاق على إسناد سورية بسربين عراقيين وتبادل ضباط الارتباط. وعندما عرض الجانب العراقي المساعدة بإرسال قوات برية مؤلفة من جحفل لواء مشاة آلي وكتيبة دبابات وفوج صاعقة، أجاب الجانب السوري بأنه ليس بحاجة لهذه القوات لأن مواضعهم قوية.

عاد الوفد العراقي إلى بغداد يوم 23 أيار ووضع الاتفاق موضع التنفيذ. وفي 24 أيار أبدت سورية موافقتها على إشراك قوات برية عراقية للعمل مع

القطعات الســورية. وفي اليوم نفســه صدرت الأوامر إلى لواء المشــاة الثامن الآلي، وكتيبة الدبابات بالتوجه إلى الحبانية تمهيدًا للحركة إلى الجبهة السورية، وتم تجمع القطعات المذكورة يوم 27 أيار.

وفي صباح يوم 25 أيار ســافر قائــد الفرقة المدرعة الثالثــة اللواء الركن محمود عريم، مع آمر جحفل لواء المشــاة الثامن الآلــي وبعض الطيارين إلى سورية للاستطلاع ووضع خطة التعاون.

وفي 29 أيار طلــب الأردن، عن طريق الســفير العراقي فــي عمان، من العراق إرسال قطعات عسكرية إلى الأردن، إلا أن المسؤولين في العراق أجابوا بأن الطلب ورد متأخرًا، ولم يستجيبوا لطلب الأردن.

وفي 30 أيار 1967 وقعت - بنتيجة زيارة الملك حســين إلى القاهرة - معاهدة دفاع مشــترك بيــن الأردن والجمهورية العربية المتحــدة. وقد اتصل الرئيس جمال عبد الناصر والملك حســين برئيس الجمهوريــة العراقية آنذاك لإبلاغه عن آخر التطورات. وعلى ذلك أنذر مقر الفرقة المدرعة الثالثة وجحفل لواء المشاة الأول ولواء المشاة السابع والعشرين بالتهيؤ للحركة بالإضافة إلى اللواء المدرع السادس الذي سبق إنذاره.

وفي يوم 31 أيار زار بغداد نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة السيد زكريا محيي الدين والفريق عبد المنعم رياض الــذي عين ممثلًا لرئيس أركان الجيش المصري في الأردن، ولقيادة القــوات الأردنية. وبنتيجة هذه الزيارة تم الاتفاق على مساعدة العراق للأردن بدلًا من مساعدته لسورية.

وبتاريخ 31 أيار زار بغداد رئيــس أركان الجيش الأردني أيضًا، وصدرت في اليوم نفسه الأوامر إلى جحفل لواء المشــاة الثامن بالحركة إلى (إيج ثري) تمهيدًا لدخول الأردن. كما صدرت الأوامر إلى بقية القطعات المذكورة أعلاه بالتحشــد في منطقة الرمادي. وقد وصل جحفل لواء المشاة الثامن الآلي إلى إيج ثري يوم 2 حزيران.

وفي يوم 3 حزيران وقع العراق اتفاقية دفاع مشترك مع الجمهورية العربية

المتحدة. وفي 4 حزيران دخلت القطعات العراقية إلى الأرضي الأردنية. وكان آمر الجحفل، الذي وصل مقر القيادة المتقدمة في الأردن في الساعة 21:00 من يوم 4 حزيران، قد تلقى منها الأوامر بواجب الجحفل وهو التقدم إلى منطقة نابلس.

يوم 5 حزيران 1967

وفي الساعة 8:45، من يوم 5 حزيران 1967 وقع العدوان الإسرائيلي. وفي الساعة 11:00 وصل جحفل لواء المشاة الثامن إلى المفرق في الأردن. وقد اضطر هذا الجحفل إلى الاشتراك بالمعركة حالًا، وقبل أن تتاح له فرصة التعرف على المنطقة والاستطلاع والاستراحة، وبعد أن قطع مسافة تربو على الألف كيلومتر. وعندما كان آمر الجحفل يزمع الاندفاع نحو الضفة الغربية للاستطلاع وتقرير المواضع التي يشغلها هناك، وصل ضابط ارتباط أردني وأبلغ آمر الجحفل أمر القيادة بتغيير واجبه، وأن عليه أن يحتل موضعًا دفاعيًا في منطقة المثلث المصري محل اللواء المدرع الأربعين الأردني.

يوم 6 حزيران 1967

تم احتلال الموضع الجديد في الساعة 4:00 من يوم 6 حزيران بالرغم من تدخل القوة الجوية المعادية ليلًا حيث أضاءت أرض الموضع بالمشاعل وقصفت الموضع بقنابل زنة 500 رطل. وقد اشتغلت القطعات العراقية طوال ليلة 5-6 حزيران بالحفر وإعداد الموضع الدفاعي وغشه (كاموفلاج). واستمر العدو بقصف الموضع في يوم 6 حزيران بموجات متتابعة من الطائرات. وفي الساعة 11:00 صدر الأمر إلى الجحفل بالتقدم إلى القدس على محور جسر اللنبي - أريحا لتعزيز اللواء الهاشمي واسترجاع القدس، فأصدر آمر الجحفل أوامره الفورية بالحركة لتنفيذ هذا الواجب. وعند وصول المقدمة قرب أريحا، فتح العدو نيرانه على التلول الشرقية للقدس، فانفتحت القطعات بتشكيل المعركة. وهنا وردت برقية من القيادة المشتركة إلى الجحفل تطلب فيها إبقاء فوجين في منطقة أريحا، والتقدم بباقي القوة إلى رام الله والبيرة لتعزيز

اللواء الهاشمي في موضعه الدفاعي. ثم صدر أمر لاحق بالاندفاع بكافة قوات الجحفل إلى منطقة رام الله لتعزيز اللــواء المذكور. ثم وردت برقية أخرى في الساعة 16:00 من القيادة المشتركة تشير بالرجوع إلى الموضع الدفاعي الأول في منطقة المثلث المصري والتمســك به لمقاومة الخــرق المعادي في جبهة طوباس - دامية.

لقد تــم احتلال الموضع الدفاعــي الجديد ليلــة 6-7 حزيران. وقامت الطائرات المعادية بقصف هذا الموضع في الليلة نفسها. وكانت جبهة الموضع الدفاعي نحو 10 كيلومترات.

وفي الساعة 23:00 صدرت أوامر القيادة المشتركة إلى الجحفل العراقي بدفع كتيبة صاعقة وفوج مشاة إلى الضفة الغربية فورًا لتعزيز قاطع تلول موسى وصد اختراق العدو على محور القدس - البحر الميت. وقد نفذت هذه الأوامر وبقي الموضع الدفاعي محتلًا بفوجين فقط وبدون احتياط.

يوم 7 حزيران 1967

منذ الســاعة 6:00 مــن يوم 7 حزيــران ركز العدو هجومــه على قاطع الجحفل والقطعات التي أرســلت لتنفيذ الواجب في تلول موسى. واستمرت الغارات الجوية المعادية بشــكل عنيف ومركز طوال هذا اليوم وحتى الساعة 19:30.

وفي الســاعة 16:00 صدر أمر من القيادة المشتركة إلى الجحفل العراقي بالتقدم باتجاه جسر دامية واحتلال موضع دفاعي بالتنسيق مع اللواء الأردني في منطقة المثلث المصري وحتى مثلث العارضــة. وقبل تنفيذ هذا الواجب صدر أمر آخر للجحفل يقضي بالانســحاب إلى مدينة الســلط. وقد عجل الجحفل بإخلاء موضعه لتوقعه قيام العدو بقصف الموضع ليلًا لعرقلة الانســحاب منه. وقد صح هذا التقدير، إذ ركز العدو بالســاعة 24:00 نيران مدفعيته الشــديدة على الموضع كما قام بغارات جوية عليه. وقد أصدر الجحفل أوامره إلى الفوج

الثاني وكتيبة الصاعقة التي كانت في قاطع تلول موسى بالانسحاب باتجاه جسر دامية فورًا.

يوما 8 و9 حزيران

تنقل الجحفل إلى السلط ليلًا فوصلها في الساعة 4:00 من يوم 8 حزيران، وفي يوم 9 حزيران تم انسحاب الجحفل إلى منطقة الزرقاء بين عمان والمفرق. لقد كان اللواء الثامن الآلي يتحرك بشكل متواصل خلال الحرب وطائرات العدو لا تتوقف عن مهاجمته على الطرق الأردنية ليلًا ونهارًا. واستمر على التنقل نحو المواقع التي حددت له غير مبالٍ بالخسائر التي تكبدها. وكان همه الوحيد هو الاشتراك في المعركة لصد العدوان، ومعاونة إخوانه الأردنيين بأي ثمن مهما كان باهظًا. وإن السلطات العليا الأردنية قد قدرت ذلك كل التقدير.

وفي مساء 6 حزيران أرسل العراق اللواء الأول ثم لواء المشاة السابع والعشرين، واللواء المدرع السادس، للاشتراك بالقتال. ولو كانت هذه القوات قد وصلت الأردن في الوقت المناسب وقبل بدء القتال، لقامت بدور كبير وفعال وأثرت على نتيجة القتال في جبهة الأردن تأثيرًا كبيرًا.

الجبهة السورية

طبيعة الأرض والتحكيمات

إن الأراضي السورية في جبهة الجولان هي أعلى من الأراضي الفلسطينية ومسلطة عليها، وإن تحصينات مرتفعات الجولان مبنية بالإسمنت المسلح، وجميع نقاط الإسناد فيها تتمكن من التعاون فيما بينها، وهي مجهزة بالمدافع وقذائف مقاومة الدروع ، وترتبط جميع المواضع بخنادق محمية بسقوف من الإسمنت المسلح. وقد جرى تشييد هذه التحصينات بإشراف مهندسين اختصاصيين، وتعتبر مرتفعات الجولان منيعة إلى حد بعيد ومحصنة على نمط تحصين خط ماجينو.

القتال في الجبهة السورية

عند بدء القتـال في الجبهة المصرية والجبهة الأردنيـة في يوم 5 حزيران بقيت الجبهة السورية هادئة نسبيًا.

وفي يـوم 6 حزيران فتح السـوريون النـار على المسـتعمرات الزراعية الإسرائيلية، وفي الساعة السـابعة تقدمت سريتان بإسناد عشـر دبابات باتجاه قرية دان وشرشوف. فطلب المدافعون الإسرائيليون مساعدة عاجلة، فوصلتهم عدة دبابات تمكنت من صد القوة السـورية وتدمير بعـض دباباتها. ثم هاجم السـوريون كلًا من مسـتعمرتي دفنا وكفار سـولد، وعلى أثر تدخل الطيران الإسرائيلي انسحبت القوة السورية[7].

وفي اليوم السـابع من حزيـران حين بانـت طلائع نتائـج المعارك في جبهتـي الجيش المصري والجيـش الأردني تضاعف القصف السـوري على المستعمرات الإسـرائيلية. فطلب أهلها معاونة الجيش الإسرائيلي لهم. عندئذٍ قررت هيئة الأركان الإسـرائيلية التحول إلى الهجوم على المرتفعات السورية، وحدد يوم الجمعة التاسع من حزيران للبدء في العمليات ضد سورية. وفي هذا الوقت توقف القتال على الجبهتين المصرية والأردنية، وأمكن وضع قسم كبير من القوة الجوية الإسـرائيلية تحت تصرف القيادة القائمة بالهجوم. كانت خطة القائد الإسرائيلي تسـتهدف مهاجمة الهضبة السورية من الشمال ومن الجنوب في آنٍ واحد. وفي يـوم 9 حزيران قامت الطائرات الإسـرائيلية بقصف عنيف على المواضع السورية، وبدأ الهجوم الإسرائيلي على الهضبة السورية ومواقعها المحصنة، فدارت معارك شـديدة بيـن الطرفين تمكن خلالها الإسـرائيليون خلالها من إحراز التقدم فـي بعض الأماكن. وفي ليلـة 9-10 حزيران نقلت التقويات والإمدادات إلى المهاجمين.

وفي فجر يوم السبت العاشـر من حزيران بدأ الطيران الإسرائيلي بقصف

---

(7) لمزيد من التفاصيل راجع كتابي أتحدى وأتهم وكسـرة خبز، تأليف الدكتور سامي الجندي المطبوعين في بيروت سنة 1969.

المواقع السورية قصفًا شديدًا مؤثرًا وأعقبه الهجوم العام على الجبهة كلها ودارت معارك حامية تمكنت خلالها بعض القوات الإسرائيلية من التقدم وأخيرًا اخترقت الوحدات المدرعة ووحدات المشاة الآلية الإسرائيلية الجبهة من عدة نقاط، بالرغم من دفاع القوات السورية العنيد. وتمكنت بعض القوات المعادية من إحراز التقدم والتوغل في الهضبة السورية. وفي الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة أعلنت إذاعة دمشق سقوط القنيطرة، وهي المركز الإداري والعسكري للهضبة بينما كانت لا تزال بيد القوات السورية، ولم تصلها القوات الإسرائيلية إلا بعد أكثر من ست ساعات من إعلان سقوطها[8].

تصورت القوات السورية المدافعة عند سماعها البيان المشهور بالبيان رقم 66، أنها قد طوقت مما أدى بها إلى ترك مواضعها وانسحابها من ساحة القتال بغير انتظام. وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت 10 حزيران استولى الإسرائيليون على الهضبة السورية، وفي الساعة الرابعة والنصف ساد الهدوء الهضبة كلها. وفي الساعة السادسة والنصف نفذ وقف إطلاق النار بصورة رسمية، وذلك بعد مرور أربعة أيام على قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار، وبعد أن تم للإسرائيليين الاستيلاء على جميع الأماكن التي أرادوا احتلالها من فلسطين والبلدان المجاورة، ووضع العالم العربي والهيئات العالمية أمام الأمر الواقع غير مكترثين بقرارات الأمم المتحدة التي كان منطق القوة أقوى منها.

إن التمنيات كثيرة حول الحركات التي جرت في تلك الحرب، فيا ليت:

1 - لم تجمد القيادة العربية الموحدة، وتشل عن القيام بأعمالها وأداء واجباتها.

2 - لم تنفرد مصر بالعمل وحدها بدون مشاورة البلاد العربية مسبقًا، لا في التدابير الدبلوماسية ولا بالإجراءات والخطط العسكرية، بل وإشراك جيوشها بالقتال موحدة أعمالها مع الجيوش العربية الأخرى.

---

(8) راجع كتاب سقوط الجولان، تأليف المقدم خليل مصطفى، ضابط استخبارات الجولان، المطبوع في عمان سنة 1970.

3 - لم يقم المشـــير عبد الحكيم عامر بطيرانه إلى ســـيناء في صباح يوم الهجوم الإسرائيلي 5 حزيران 1967 وإصداره الأمر بإيقاف الطيران المصري، ذلك الأمر الذي شل عمل الطيران المصري والمدافع المصرية المضادة للجو، وســـبب نكبة القوة الجوية المصرية بتخريب مطاراتهـــا وتحطيم طائراتها وهي جاثمة على الأرض.

4 - لم يرسل المشـــير عبد الحكيم عامر برقيات غير حقيقية، عن موقف القتال فـــي جبهة مصر، إلى القيادة العامة الأردنية التي قامت اســـتنادًا إلى تلك البرقيات بتحريك لواءَي المدرعات الأردنيين الأربعين والستين من مواضعهما الدفاعية فتكبدا خسائر جســـيمة، وذلك علاوةً على إضعاف المواضع الدفاعية التي كانا يحتلانها.

5 - لم تتأخـــر الطائرات الســـورية والأردنية والعراقية عـــن القيام بعمل مشـــترك تجاه طائرات العدو العائـــدة من قصف مطارات مصـــر صباح يوم 5 حزيران.

الفصل الرابع والثلاثون

حركة المقاومة الفلسطينية

رب ضارة نافعة

إن نتائج حرب حزيران 1967 لم تكن كلها سيئة. فقد انبثقت عنها حركة مباركة في تاريخ الأمة العربية، تلك هي حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة بشكلها الجديد الذي خلق مشكلة حقيقية ورئيسية لإسرائيل ومن يناصرها، والتي وضعت القضية الفلسطينية في إطارها الصحيح لأول مرة منذ أن ظهرت القضية الفلسطينية منذ أكثر من خمسين عامًا.

إن فكرة النضال المسلح ضد إسرائيل ولدت في الحقيقة قبل 5 حزيران، وعلى وجه التحديد فإنها ولدت في كانون الثاني 1965، ولكنها واجهت حينذاك صعوبات جمة من الأصدقاء ومن الأعداء على السواء، غير أن إسرائيل منحتها فرصتها التاريخية عندما أشعلت نيران حرب حزيران، وأسفرت عن حقيقة مطامعها الإقليمية في البلاد العربية وجنحت إلى سياسة التشدد والتعنت والعناد والغطرسة بعد النصر العسكري الخاطف الذي أحرزته في تلك الحرب، فكانت المقاومة الفلسطينية المسلحة جوابًا واضحًا بأن شعب فلسطين، ومن ورائه الأمة العربية بأجمعها، يرفض الاحتلال والاستسلام، ولن يرضى عن وطنه وأرضه بديلًا.

لقد ظهرت حركة المقاومة المسلحة بعد حرب حزيران بشكل بطولي، ومنظم، وعنيف، ومتصاعد مطرد، وقامت بأعمال جبارة داخل فلسطين بصورة عامة، وفي الأراضي التي احتلت في تلك الحرب بصورة خاصة. وقد شملت أعمالها نسف مراكز مواصلات العدو ومؤسسات النفط والموانئ والمعامل والسفن والمحلات العامة، وقصف المستعمرات ونصب الكمائن وإلغام الطرق، إلى غير ذلك من الأعمال البطولية، فأجبرت العدو على اتخاذ تدابير

اليقظة وحالة الدفاع في طول البلاد وعرضها. كما خاضت معه معارك هامة أعطته دروسًا قاسية، وأنزلت به خسائر فادحة لم يكن ليتوقعها، كما حصل في معركة الكرامة وغور الصافي وغيرهما. وقد أرغمت المقاومة الفلسطينية إسرائيل على التعبئة المستمرة لقوات كبيرة، كما أثر العمل الفدائي على حركة السياحة التي تعتمد عليها، خاصة بعد ضم القدس القديمة، والخليل وسائر الأماكن المقدسة إليها، أضف إلى ذلك أن أعمال الفدائيين قد أثرت على حركة الهجرة التي هبطت كثيرًا بعد تصاعد العمل الفدائي. وكان تأثير ذلك على ميزانية إسرائيل كبيرًا جدًا بحيث أصبحت تعاني من العجز المالي المتواصل، رغم المساعدات الهائلة والتبرعات التي تنصب عليها من أميركا وألمانيا الغربية وغيرهما ومن الصهيونية العالمية. إن المقاومة الفلسطينية المسلحة قد أقضت مضاجع إسرائيل وزعزعت أمنها ونشرت الرعب والقلق بين سكانها وزرعت بذور الخلافات في أوساطهم فأثبتت للعالم أجمع أن قضية فلسطين ليست مسألة حدود، يسودها التوتر، بين إسرائيل والدول العربية المجاورة وإنما هي قضية شعب شرد من أرضه وسلب منه حقه الشرعي في الحياة الحرة والعيش فوق تربة وطنه ووطن آبائه وأجداده، وأن هناك كيانًا أجنبيًا غريبًا قد أقيم ظلمًا وعدوانًا في قلب الوطن العربي، وأنه يشكل خطرًا على الأمة العربية بأجمعها، لأنه قائم على العدوان والتوسع.

وكان لحركة المقاومة المسلحة فوائد أخرى على الصعيد الفلسطيني والعربي والعالمي. فقد أعادت هذه الحركة للفلسطيني عزته وكرامته المهدورة، وثقته بشخصيته العربية الفلسطينية التي حاولت الصهيونية بدسائسها وبدعاياتها طمسها وتشويه معالمها خلال عشرين عامًا من التشريد والحرمان والاتهام بأن عرب فلسطين باعوا أرضهم ووطنهم وأنه لا يوجد شعب اسمه الشعب الفلسطيني.

كذلك فقد أيقظت هذه الحركة المباركة الوعي العربي ومسحت عن وجه الأمة العربية عار نكسة حزيران، ونبهت إلى أن العدو يتحين الفرص للانقضاض وابتلاع البلاد العربية الممتدة من النيل غربًا إلى الفرات شرقًا، فضلًا عن ذلك

فإن حركة المقاومة المسلحة قد حشدت قوى الأمة العربية لدعمها ودفعها بزخم ثوري دفاعًا عن كل المصالح العربية في كل الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، ونبهت كذلك شعوب العالم إلى الخطر المحدق بالسلام العالمي من جراء الصراع القائم بين الأمة العربية صاحبة الحق وبين إسرائيل ربيبة الباطل والعدوان. وإن بدت بعض المظاهر أو التناقضات العربية المؤدية إلى تفتيت ذلك الحشد، فما ذلك إلا سحابة صيف لا بد أن تنقشع عاجلًا أو آجلًا.

وهناك فائدة أخرى نتجت عن العمل الفدائي، ألا وهي إدامة الصلة المادية بين الشعب العربي الفلسطيني وبين تربة وطنه المغتصب. فقبل اتساع نشاط العمل الفدائي كانت إسرائيل بلدًا مغلقًا بوجه العرب لا يعرفون إلا القليل عما يجري في داخلها، وكادت الأجيال العربية الفلسطينية الصاعدة تصبح مقطوعة الصلة الفعلية بالوطن الذي ولد فيه آباؤهم وأجدادهم، وتركوا فيه بيوتهم وأموالهم ومزارعهم وذكرياتهم، غير أن العمل الفدائي أعاد لهم هذه الصلة ومكنهم من التغلغل باستمرار في قلب وطنهم وتجديد المعرفة بمداخله ومخارجه وأحواله، وتأمين الصلة بإخوانهم الذين كتب الله عليهم أن يرضخوا تحت الاحتلال الإسرائيلي، والذين رفع العمل الفدائي من معنوياتهم كثيرًا، وشجعهم على المساهمة فيه أو التعاون معه بصورة أو بأخرى. إن لهذه الظاهرة فائدة كبرى من النواحي النفسية والعسكرية ومن حيث نجاح العمل الفدائي نفسه وذلك باستناده إلى مراكز عمل داخل الأراضي المحتلة بالإضافة إلى قواعده في خارجها.

وينبغي أن ينظر إلى العمل الفدائي على أنه جزء لا يتجزأ من عمل الجيوش العربية النظامية لتحرير فلسطين ومتمم لها. ويجب لهذا السبب مساندة العمل الفدائي في جميع الدول العربية وبكل الطاقات والمساعدات العسكرية والمالية. فمن حيث المبدأ ينبغي الاعتراف بحتمية العمل الفدائي، وحرية عمله، وتأسيس قواعده حسب مقتضيات الضرورة وضمن حدود الإمكانيات المعقولة، وتقديم تسهيلات التسليح والتموين والتدريب وغيرها. كما يجب التنسيق بين تخطيط العمل الفدائي وتخطيط الجيوش النظامية في

جميع الظروف والمواقف والأحـوال وتوثيق التعاون بينهـا واعتبار الفدائيين طليعـة النضال لتحرير فلسـطين من أيدي الصهاينة يوم تدق سـاعة الخلاص ويحين يوم النصر إن شاء الله.

إن الأمة العربية سـتبقى مدينة فـي تاريخها القريب والبعيـد إلى هؤلاء الأبطال الذين استرخصوا أرواحهم وبذلوا دماءهم، وضحوا بكل غالٍ ورخيص في سبيل وطنهم وأمتهم، فهم والحق أقول وأشهد، جديرون بكل تقدير واعتزاز ورعاية من كل فرد من أبناء أمتنـا العربية. غير أن ما يتمناه المخلصون من أبناء هذه الأمة هو أن يروا هؤلاء الأبطال، وقد جمعهم هدف مقدس واحد، إلا وهو تحرير وطنهم، وإنقاذه من براثن المغتصب الإسرائيلي. وهم موحدون تظللهم راية واحدة ويجمعهم هدف واحد، لا أن يروهم فرقًا وشيعًا ومنظمات يتجاوز عددها العشرة. إن هذا التشـتيت والتباين في الميول والاتجاهات والمعتقدات والمذاهب مما يوهـن الحركة الفدائيـة ويفت في عضدها. فإننـا نتمنى على إخواننا الفلسـطينيين أن يحذوا حذو إخوانهم الجزائريين فيما فعلوه من توحيد صفوفهم أثناء نضالهم.

هذه هي أمنية المخلصين الذين يتمنون الخير والتوفيق والنصر لإخوانهم الفدائيـين، ولهم الأمل بأن لا يخذلوهم بذلك لئلا تضيـع على الفدائيين ثمرة نضالهم المقـدس وألا تضيع علـى البلاد العربيـة ما بذلته من جهـودٍ مادية وعسكرية ودبلوماسية وغيرها في سبيل دعم العمل الفدائي.

والله نسـأل أن يلهم إخواننا الفدائيين السداد، ويدلهم على سبيل الرشاد، ويمدهم بنصرٍ من عنده.

الملاحق

الملحق (1)

نص كتاب الأمير عبد الإله الوصي وولي عهد العراق إلى المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة

حضرة صاحب الفخامة المستر فرانكلين د. روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية المحترم.

يا فخامة الرئيس:

أحيي في شخصكم الكريم الجهاد والتضحيات التي أسدتها أمتكم العظيمة في سبيل المثل الإنسانية العليا، كما أحيي في شخصكم العظيم تلك المبادئ السامية التي شنت من أجلها الحرب، والتي ساهمتم في صوغها في الميثاق الأطلنطي.

وإنه ليسرني أن أخاطب فخامتكم في ظروف أخذت فيها ألوية النصر للحلفاء تخفق في ميادين العالم كلها مؤملًا أن يحين يوم النصر النهائي قريبًا إن شاء الله، وراجيًا أن تفوز المبادئ السامية التي من أجلها تكافح الأمم المحبة للحرية والسلام في هذه الحرب. وإني لفخور أن تكون بلادي قد وقفت قلبًا وقالبًا إلى جانب الأمم الديمقراطية في هذه الحرب الضروس.

يا صاحب الفخامة:

تعلمون فخامتكم أن أول ما يحتاج إليه العالم بعد هذه الحرب هو طمأنينة شاملة للشعوب والأفراد كافة، طمأنينة تكون ثمرة العدل الشامل الذي تدعمه القوة، وهذا العدل الشامل يجب أن لا تستثنى منه بقعة من بقاع الأرض، ولا شعب من الشعوب مهما كان صغيرًا. وإن أية تسوية لمشاكل العالم بعد هذه الحرب لا تبنى على الإنصاف والعدل الشامل تكون مبعث قلاقل وسبب اضطرابات مقبلة للعالم. والعالم غني عن هذه القلاقل فيما لو عولجت المشاكل السياسية بالحكمة وتحري الحقيقة. ومن المسائل التي تتطلب علاجًا حكيمًا مبنيًا على الحقيقة والواقع وعلى الإنصاف ورؤية وجهة النظر المقابلة هي مسألة فلسطين العربية.

ففلسطين هي إحدى البلاد العربية التي انسلخت عن جسم الدولة العثمانية بنتيجة الحرب العالمية الأولى، وهي لا تختلف في عروبتها عن أي قطر من الأقطار العربية الأخرى التي تتمتع باستقلالها اليوم كالعراق أو سورية أو اليمن، فهي عربية بقدر ما (ديفونشاير) إنكليزية، وبقدر ما ولاية فرجينيا أمريكية؛ هي عربية من أوائل تاريخها حتى يومنا هذا، بالرغم من أنها أصبحت ساحة لحروب عديدة وفتوحات مختلفة في التاريخ. إن مطالبة الصهيونيين بفلسطين على أساس علاقاتهم التاريخية بها لهو مبدأ مخطر، كما أنه غير مبني على المنطق. والحقيقة إذ لو قررت شعوب العالم المختلفة اليوم العودة إلى البلاد التي تمت إليها بصلة تاريخية قديمة لاستوجب تبديل خارطة العالم الإثنولوجية، ولوجب تخلي الكثير من الأمم عن البلاد التي تقطنها اليوم. وحتى لو فرضنا إمكان تطبيق المبدأ التاريخي هذا، فلا أساس للمزاعم الصهيونية. فإن مدة حكم اليهود في فلسطين لم يبلغ الخمسة قرون، بينما عاش العرب قبل اليهود، وبعدهم نحوًا من عشرين قرنًا وهم حكامها مباشرة، أو بالمساهمة في معظم هذه القرون، كما أنهم سكانها الفعليون في الأربعة عشر قرنًا الأخيرة.

أما من الوجهة الدينية فإن فلسطين بلاد مقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء، وإن لعرب فلسطين تقاليد دينية حرة يشهد

لهم بها التاريخ. وليس أدل على ذلك من وصية خليفة الإسلام الأول أبي بكر رضي الله عنه، للجيش العربي المتوجه لفتح سوريا وفلسطين حيث قال:

«لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، إلخ.....»

ولنقارن بين هذه الوصايا الإسلامية، وبين ما ورد في التوراة حين افتتح يوشع بن نون مدينة أريحا حيث جاء: «وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» ثم: «... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها....». فمن هذه المقارنة تدرك سر الوحدة والتآخي بين المسلمين والمسيحيين من عرب فلسطين، فعرب فلسطين مسلمون ومسيحيون [مسلمين ومسيحيين] تربطهم وحدة قومية وثيقة بفضل التسامح العربي، وبروح التسامح ذاته عامل العرب اليهود في فلسطين. فلكل معابدهُ ومشاعرهُ. ولذلك فلا يمكن أن يقال إن علاقة اليهود الدينية بفلسطين تبرر استيلاءهم عليها، كما لا يمكن أن يقال إن علاقة إسبانيا الدينية بالفاتيكان تبرر استيلاء الإسبان على روما، أو إن علاقة الهنود المسلمين بمكة تبرر استيلاء الهنود على الحجاز. هذا ومن المعلوم أن الصهيونية السياسية هي حركة لا علاقة لها بالديانة اليهودية، ولذلك فلا يصح أن تستند الادعاءات الصهيونية إلى أساس ديني.

أما من الوجهة القومية، فقد كانت تقطن فلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى أكثرية عربية ساحقة وهي تستحق أن تصيبها نعمة الاستقلال كما أصابت بقية البلدان العربية. أما حرمان أهلها من حق الحياة السياسية الحرة فهو أمر لا يتفق وأبسط المبادئ التي شنت هذه الحرب من أجلها، وما الصهيونية إلا قومية اعتدائية تريد أن تحل محل القومية العربية في فلسطين، وهذا أمر تأباه الأمة العربية من أقصاها إلى أدناها، فهي لا تتحمل ضيمًا أو حيفًا يلحق بأي قطر من أقطارها.

أما المشكلة اليهودية في أوروبا، تلك المشكلة التي تذرع بها الصهيونيون في هذه الحرب، وراحوا يعتبرونها سببًا مبررًا للاستيلاء على فلسطين العربية وجعلها دولة يهودية فهي أمر مردود من عدة جهات:

أولًا: إن فتح أوروبا على يد الحلفاء وإنقاذها من براثن النازية سوف يسهل عودة اليهود كافة إلى بلادهم الأصلية، وهم سوف يعيشون في جو هادئ حرٍ في ظل الحكم الديمقراطي في أوروبا. إذن فالمشكلة اليهودية في أوروبا يجب أن تعتبر منتهية باندحار النازية.

ثانيًا: إن فلسطين لا يمكن أن تكون حلًا للمشكلة اليهودية العالمية فيما لو استعصى حل هذه المشكلة في أوروبا، فإن قابلية فلسطين على الاستيعاب محدودة بشهادة تقارير الخبراء، ومنها تقرير السر جون هوب سمبسون الذي يدلنا بصراحة على أن استمرار الهجرة إلى فلسطين معناه خنق السكان الأصليين، وعدم الحساب لازديادهم الطبيعي المطرد.

ثالثًا: إن المشكلة اليهودية لا يجوز أن تحل على حساب عرب فلسطين الأبرياء. فلا يجوز حل المشكلة اليهودية بخلق مشكلة عربية، وجعل مليون عربي من مسلم ومسيحي في بلادهم غرباء، يرون بأم أعينهم الأجانب اليهود يأتون لاستيطانها وحكمها. وإن تحقق ذلك لا سمح الله فستتمثل في فلسطين أكبر مأساة في القرن العشرين.

إن الصهيونيين قد يطالبون بحق اليهود في العالم بتشكيل دولة. إن هذا الحق إذا ثبت لجماعة من الجماعات الدينية في العالم، وهذا أمر غير معقول في هذا العصر، فيجب أن يكون ذلك في بلاد غير مأهولة وليس على حساب قوم آمنين في بلادهم.

إن الصهيونيين قد يدعون بأن في مجيئهم إلى فلسطين فوائد للعرب اقتصادية وصحية وعمرانية. إن هذه الفوائد لو ثبتت فتقابلها أضرار عظيمة في الأخلاق والعادات، وفي الحياة السياسية والاجتماعية. وإن العرب لفي غنى

عن أية فوائد يأتي بهـا اليهود، ويرومون من ورائها الاسـتيلاء على بلادهم. وإن الاستعمار الصهيوني لأمر يخشاه العرب ويحسبون له ألف حساب.

يا فخامة الرئيس:

إن أبناء الأقطار العربية كافة قلقون على مستقبل فلسطين غير مطمئنين من أجلها وذلك للأسباب التالية:

1 - إن الهجرة اليهوديـة منذ الحرب الماضية جـاءت خلافًا لرغبة أهل البلاد وحقهم الطبيعي في تحديـد عدد الذين يدخلونهـا. ولذلك فقد أصبح عدد اليهود الذين دخلوا فلسـطين منذ الحرب العالمية الماضية أكثر من عشرة أضعاف اليهـود الذين كانوا فيها قبلهـا، وإن كل الصرخات والاضطرابات في فلسـطين والبلاد العربية لم تكـن إلا رد فعل طبيعي للمصيـر المخيف الذي أوشك أن يؤول إليه أهل فلسطين.

2 - إن اليهود اسـتولوا على أجود أراضي فلسطين، وتركوا ألوف الأفراد العرب بدون مأوى أو ملجأ، ومتى علمتم فخامتكم بأن اليهود إذا ما استملكوا الأراضي جعلوها وقفًا لا يجوز بيعها أو التنازل عنها لغير اليهود، كما لا يجوز تشغيل أيدٍ عاملة غير يهودية فيها، أدركتم أن الخطر الذي يداهم فلسطين العربية جسيم.

3 - إن اليهود في فلسـطين هم السبب المباشـر لحرمان أهالي فلسطين العربية لحد لآن من الحكم الذاتي والاسـتقلال الذي أخذت تتمتع به الأقطار العربية الواحدة تلو الأخرى، وهذا أمر لا يرتاح إليه أي إنسان يملأ نفسه الروح الديمقراطي فضلًا عن أبناء البلاد العربية أنفسهم.

4 - إن اليهود في فلسطين أصبحوا مسلحين ومدربين تدريبًا عسكريًا فتاكًا، فقد أصبح لديهم ما يناهز الـ 50 ألف شـاب مدرب على أفظع أساليب القتال، كما أن لديهم معامل لصنع القنابل، وقد ظهرت نواياهم العدوانية في الاغتيالات الأخيرة التي كان أبرزها حادث الاعتداء على السـر هارولد مكمايكل، وحادث

اغتيال المرحوم اللورد موين. ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن هذه الحركات العدوانية هي جزء من حركة صهيونية منظمة عامة تتسلح بشتى الوسائل، ونبني اعتقادنا هذا على كثرة الوساطات من شتى الجهات الصهيونية لعدم تنفيذ حكم الإعدام بالمجرمين اللذين أوديا بحياة اللورد موين، والا لكان المؤمل أن يكون الصهيونيون أول من تبرأ من هذين المجرمين، ويدعون إلى تنفيذ حكم الإعدام فيهما. والعرب من حقهم أن يوجسوا خيفة من هذا الخطر العدائي الكامن الذي جاءت به الصهيونية إلى البلاد العربية.

5 - إن العرب يدركون حقًا بأن الصهيونيين إنما يريدون فلسطين كواسطة لا كغاية فهم ينوون جعل فلسطين بابًا ينفذون منه إلى الأقطار العربية كافة فيستولون على اقتصادياتها وسياستها، بل ويرومون استيطانها، أي إنهم يستهدفون استعمار البلاد العربية كافة. والعرب الذين يعشقون الحرية والاستقلال بحكم طبيعتهم وتقاليدهم لا يمكنهم أن يتحملوا أي نوعٍ من أنواع الاستعمار، ناهيك الاستعمار الصهيوني.

6 - إن العرب معتقدون حقًا بأن اتحاد البلاد العربية لا يمكن إنجازه بدون فلسطين، فموقع فلسطين الجغرافي يجعل ارتباط البلاد العربية أمرًا مستحيلًا فيما لو أصبحت في فلسطين دولة غير عربية قد تختلف مصالحها عن مصالح البلاد العربية، وإن العرب الذين يعتبرون أمر اتحادهم أعز أمانيهم القومية، لا يسعهم التساهل في أمر عروبة فلسطين. وفي الحقيقة إن العرب جميعهم كأفراد وكدول يدركون أن قضية فلسطين هي قضية حياة أو ممات للأقطار العربية كلها، ولذلك فهم يستميتون من أجلها مهما كلف الأمر.

هذه يا فخامة الرئيس هي بعض النقاط الأساسية التي تجعل العرب يطالبون بحقوقهم الطبيعية في فلسطين، تلك الحقوق التي ضمنتها لهم كل المبادئ الإنسانية. وتعلمون فخامتكم بأن الاعتداء على الحقوق الطبيعية للشعوب هو العامل الأساسي في توليد الحروب والقلاقل، وما أحوج العالم بعد هذه الحرب إلى إقرار مبادئ العدل والسلام واتجاهه نحو التعمير والتعاون المشترك بين الأمم بدل الاعتداء والاستيلاء.

بما أن فخامتكم في مقدمة المســاهمين في تكوين هــذا العالم الجديد، وواضعي أسسه فكلنا رجاء في أن فخامتكم ستعملون على نيل عرب فلسطين حقوقهم الطبيعية، وبذلك تكونون قد أزلتم عامــلًا من أكبر العوامل التي تهدد السلام والاستقرار في الشرق الأدنى، بل وفي العالم أجمع.

وتقبلوا يا فخامة الرئيس أطيب تحياتي وأجمل أمنياتي.

حرر في بغداد في اليوم الســادس والعشــرين من شــهر ربيع الأول سنة 1364 الموافق لليوم العاشر من شهر آذار 1945.

عبد الإله

الملحق (2)

نص جواب المستر روزفلت على كتاب الأمير عبد الإله

البيت الأبيض – واشنطن

صاحب السمو الملكي عبد الإله الوصي وولي العهد لصاحب الجلالة ملك العراق – بغداد.

يا صاحب السمو:

تلقيت الكتاب الذي بعثتم به إلـيّ بتاريخ 10 مارث [آذار] 1945 والذي شرحتم فيه موقف العرب من قضية فلسطين.

أغتنم هذه الفرصة لأعرب لكم عن تقديري لهذا البيان المتعلق بوضع العرب وقد قرأته باهتمام عظيم. إني أعلم ما يساور العالم العربي من قلق شديد في تتبعه التطورات المتعلقة بفلسطين، وأرغب بهذه المناسبة في أن أؤكد لكم من جديد ما سبق تبليغه للحكومة العراقية، من أن الحكومة الأمريكية ترى أنه يجب أن لا يتم التوصل إلى قرار ما، يمس الوضع الأساسي في فلسطين بدون استشارة العرب واليهود استشارة تامة. وإني أترقب مقابلة سموكم بمناسبة زيارتكم القادمة إلى الولايات المتحدة. وفي غضون ذلك أبعث إليكم بأحر التحيات وبأطيب التمنيات لرفاه الشعب العراقي.

المخلص فرانكلن د. روزفلت

الملحق (3)

نص رسالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى المستر ترومان

يا صاحب الفخامة

إن الصداقة التـي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحـدة، والصداقة التي تأسسـت بيني وبين الرئيس الراحل روزفلت، والصداقـة التي تجددت بيني وبين فخامتكم، تجعلني شـديد الحـرص في المحافظة على هـذه الصداقة وتغذيتهـا والعمل علـى تقويتها بكل الوسـائل الممكنة، ولذلـك تجدوني فخامتكم ألح وأكرر في كل مناسـبة مشـيرًا فيها بما يخـل بصداقة الولايات المتحدة مع بـلادي ومع سـائر البلاد العربيـة لكي أزيل كل مـا يمكن أن يعرقل هذا الصفاء. وقد كتبـت للراحل العظيم ولفخامتكـم حقيقة الموقف في فلسـطين والحق الطبيعي للعرب فيها وأن ذلك يرجع إلى آلاف السـنين، وأن اليهود ليسـوا إلا فرقة ظالمـة باغية معتدية اعتدت في أول الأمر باسـم الإنسـانية، ثم أخذت تظهر عدوانهـا الصريح بالقوة والجبـروت والطغيان مما ليس بخافٍ على فخامتكم وعلى شـعب الولايـات المتحدة. أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيتونها ليس لفلسـطين وحدها، بل لسـائر البلاد العربية المجاورة ومنها أماكن في بلادنا المقدسة.

لقد دهشـت للإذاعات الكثيرة التي نسـبت تصريحًا لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأييد هجرتهم إليها مما يؤثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافًا للتعهدات السـابقة. ولقد زاد في دهشـتي أن التصريح الذي نسب أخيـرًا لفخامتكم يتناقض مع البيـان الذي طلبت مفوضيـة الولايات المتحدة الأمريكية في جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر في جريدة «أم القرى» باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ 16 أوغسطس 1946. وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين، وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية والفريق الثالث. وأظهرتـم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة لإيواء المشردين ومن جملتهم اليهود. ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلعت على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم مما جعلني أشك بصحة نسبته لكم لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في 16 أغسطس 1946 من البيت الأبيض.

وإني لعلى يقين أن شـعب الولايـات المتحدة الذي بذل دمـه وماله في مقاومة العدوان الغاشـم لا يمكن أن يسـمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق لـم يقترف ذنبًا غير إيمانه بمبادئ العـدل والإنصاف الذي [التي] قاتلت من أجلها الأمم المتحدة، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة، وكان لفخامتكم بعد سـلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل. ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت مساعدات لهذا العدوان الصهيوني، وإني على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل، أن يدعو للحق والعدل والإنصاف ويحارب من أجله ليقره في سائر أنحاء العالم، ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة.

واقبلوا تحياتنا

عبد العزيز

الملحق (4)

موجز التقرير رقم (1)
المرفوع من اللجنة العسكرية الدائمة
إلى الهيئة العامة لجامعة الدول العربية

لقد عقــدت اللجنة العســكرية الدائمة اجتماعهــا الثاني فــي عاليه يوم 8/ 10/ 1947 وناقشــت الموقف في فلسطين على ضوء المعلومات المتيسرة لديها فاتضح لها ما يلي:

1 – الصهيونيون:

أ – إن للصهيونيين في فلسطين منظمات وتشــكيلات سياسية وعسكرية وإدارية على درجة قصوى من النظام والإحكام وفي وسعها أن تنقلب فورًا إلى حكومة صهيونية، لها كل ما تحتاج إليه من الوسائل والوسائط اللازمة للحكم.

ب – إن للصهيونيــن قوة كبيرة من الرجال والســلاح والعتاد في الوقت الحاضر، كما أن لهم قوة احتياطية كبرى من الرجال المدربين، أو الذين يمكن تدريبهم وتجنيدهم وتحشــيدهم خلال مدة قصيرة كما يتضح ذلك من الملحق المربوط.

ج - لدى الصهيونيين منابع من المال لا تنضب، سواء في فلسطين نفسها أو فيما وراء البحار.

د - للصهيونيين مقدرة فائقة على استيراد التقويات والامدادات من رجال وسلاح ومعدات وكل ما تتطلبه الحرب من وراء البحار بمقياس واسع.

2 - عرب فلسطين:

أ - ليس لعرب فلسطين في الوقت الحاضر من القوة على اختلاف أنواعها (رجال، سلاح، عتاد، تنظيمات وإلخ...) ما يقبل القياس مع القوة الصهيونية بوجه من الوجوه.

ب - يوجد في المناطق التي تقطنها أكثرية يهودية في الوقت الحاضر ما لا يقل عن (350) ألف عربي بكتل وقرى متفرقة، وهؤلاء مهددين بالقتل الجماعي، والفناء فيما إذا قام الصهيونيون بحركات قاسية ضد العرب.

3 - الموقف السياسي الأخير:

إن الموقف السياسي الأخير، وما أعلنته الحكومة البريطانية من عزمها على الانسحاب ينذر بوقوع أحداث خطيرة جدًا في فلسطين لا يفيد منها سوى الجانب الصهيوني إذا لم تبادر الدول العربية وتشرع بتحشيد أقصى ما يمكن من قوى وجهودٍ لإحباط قرارات الصهيونيين، والقضاء عليها، تلك القرارات التي إذا قدر لها النجاح لا سمح الله ستكون القاضية على فلسطين وعلى كل أملٍ عربي فيها.

هذا هو وصف الحالة بإيجاز وعليه تقترح لجنتنا (اللجنة الدائمة) قيام الدول العربية بما يلي:

أولًا: المبادرة حالًا بدعوة المكلفين والمتطوعين وتسليحهم وتجهيزهم وتدريبهم، سواء بواسطة الدوائر الحكومية أو الهيئات والمنظمات الشعبية - وفقًا للموقف السياسي للدول العربية -.

ثانيًا: شـــروع الدول العربية بتحشـــيد أقصى ما يمكن من قواتها المسلحة النظامية في مناطق قريبة من الحدود الفلســـطينية، علـــى أن تؤلف قيادة خاصة لكل من هذه القوات.

ثالثًا: تأليف قيادة عربية عامة بأســـرع مســـتطاع، على أن ترتبط بها جميع القيادات الخاصة وتخضع لأوامرها جميع القوات التي يتم تحشدها بالقرب من فلسطين، أو في فلسطين نفسها، سواء كانت تلك القوات نظامية أو غير نظامية، وعلى أن يعين المرجع لهذه القيـــادة العامة، ومن المفيد أن تتمثل جميع الدول العربية في المرجع الأعلى المشار إليه.

رابعًا: إمداد عرب فلسطين كوجبة أولى بما لا يقل عن خمسة آلاف بندقية وكمية كافية من الرشاشـــات الخفيفة والقنابل اليدوية والمتفجرات، ومبلغ من المـــال لا يقل عن نصف مليون دينـــار يوضع تحت تصرف اللجنة العســـكرية الدائمـــة لصرفه على تمويـــن، وإدامة القوات الفلســـطينية كلما يتم تشـــكيلها وتنظيمها. وكذلك إمدادهم ببعض الضباط المتطوعين وضباط الصف والجنود المرخصين للقيام بواجب تدريبهم وقيادتهم.

خامسًا: يتوقع قويًا أن يبلغ عدد المجاهدين في فلسطين حدًا كبيرًا يحتاج إلى كميات وافرة من الســـلاح والعتاد، فعلى الدول العربيـــة أن تبادر فورًا إلى شراء أكبر كمية ممكنة من الأسلحة والعتاد، وادخارها لهذا الغرض.

سادسًـــا: تحشـــيد أقصى ما يمكن من الطائرات الحربية فـــي المطارات القريبة من الساحل الشرقي لبحر الأبيض المتوسط لمراقبة المواصلات البحرية والحيلولة دون وصول التقويات إلى الصهيونيين من وراء البحار.

تابع الملحق (4)

المعلومات المتيسرة عن الصهيونيين في فلسطين

1 - المنظمات العسكرية أو الشبه عسكرية:

للصهيونيين في فلسطين ثلاث منظمات عسكرية أو شبه عسكرية هي:

أ - الهاغانا وهي أكبر منظمة عسكرية ويقدر عدد أفرادها بـ (60) أو (70) ألف شخص مدربين ومنظمين ومهيئين أن ينقلبوا خلال مدة قصيرة إلى قطعات نظامية لها قيادتها وتشكيلاتها وضباطها، وكل ما تحتاج إليه من أسلحة ومهمات، وهي تابعة للوكالة اليهودية التي هي بمثابة الحكومة الصهيونية في فلسطين.

ب - الأرغون وهي منظمة سرية إرهابية يقدر عدد أفرادها بثلاثة أو أربعة آلاف مقاتل معظمهم من الذين سبقت لهم خدمة [الخدمة] في الجيوش الأوروبية في الحرب الأخيرة أو ممن تدربوا تدريبًا خاصًا ويمتازون بجرأتهم وكفاءتهم.

ج - الاشتيرن وهي منظمة سرية إرهابية شبيهة بالأرغون، ويقدر عدد منتسبيها بألف وخمسمائة أو ألفين [ألفي] مقاتل، وهم أشبه بالفدائيين الذين لا يتقاعسون عن أي عمل يطلب منهم.

2 - الأسلحة والعتاد:

لدى الصهيونيين كميات كبيرة من الأسلحة الخفيفة والعتاد والقنابل اليدوية والمواد المتفجرة مختزنة في أماكن عديدة سرية، ولا يستبعد أن يكون لديهم بعض الأسلحة الثقيلة كالمدافع والمصفحات بحالة قطع مفككة يستطيعون تركيبها واستعمالها عند الحاجة.

3 - المعامل:

لدى الصهيونيين معامل للتصليح ولصنع بعض القطع اللازمة للأسلحة الخفيفة والمواد المتفجرة، وكذلك معامل واسعة لتصليح الآليات، وكلها تدار من قبل مهندسين إخصائيين وعمال ماهرين وقسم من هذه المعامل واقعة بالقرب من ساحل البحر الميت.

4 - القوات الاحتياطية:

إن معظم المهاجرين الذين قدموا إلى فلسطين هم من الشباب والكهول الصالحين للخدمة العسكرية، وقسم كبير منهم سبق له خدمة [الخدمة] في الجيوش الأوروبية، أو تدرب في فلسطين في دورات تدريبية خاصة مدتها ستة أشهر، وبهذا الاعتبار تكون لدى الصهيونيين قوات احتياطية كبيرة، ربما تقرب من مئة ألف فيما إذا أعلنوا النفير العام.

5 - المنظمات السياسية:

إن أكبر المنظمات السياسية وأوسعها انتشارًا وأعظمها نفوذًا هي الوكالة اليهودية التي تملك من التنظيم والتشكيلات ما يمكنها من تأسيس حكومة صهيونية خلال مدة قصيرة جدًا.

6 - المنظمات الإدارية:

يوجد لدى الوكالة اليهودية - على ما يقال - منظمات وتشكيلات إدارية تكفي لتأليف جهاز حكومي بكامله.

ملحوظة: إن المعلومات المتيسرة لدينا عن الصهيونيين في الوقت الحاضر يســيرة وتافهة وقد اتخذنا تدابيــر خاصة لجمع كل ما يمكــن من المعلومات الوافية عنهم، كما أننا طلبنا مــن الجامعة العربية ومن بعض المصادر أن تزودنا بكل ما لديها من معلومات وسنقدمها عند الحصول عليها.

الملحق (5)

[كتاب القائد العام لقوات فلسطين إلى رئيس لجنة فلسطين]

سري

الرقم: 7/ خاص

التاريخ: 11/ 3/ 1948

إلى دولة وكيل رئيس لجنة فلسطين

بالرغم من أن الفقرة الخامســة للمادة الثالثة من المقررات السرية نصت بصراحة ووضوح علــى تخويل القائد العام الســلطة المطلقة في توجيه وإدارة الحركات العسكرية في فلسطين، وجعل جميع القوات المقاتلة تابعة له وتحت ســيطرته فإن الرجال المرتبطين بســماحة المفتــي لم يعترفوا بالقيــادة العامة ولم يرضخوا لأوامرهــا ولا يزالون دائبين على أعمالهــم الإفرادية وحركاتهم الفوضوية بدون أي اكتراث أو إذعان لتلك المقررات، وعلى ســبيل المثال نرد [نورد] الوقائع التالية:

1 - رعاية لشــعور ســماحة المفتي وتطمينه لقد عينا الســيد عبد القادر الحسيني قائدًا لمنطقة القدس بدون النظر لكفاءته العسكرية - وخولناه تسجيل (300) مجاهد دائمي من رجاله تدفع رواتبهم من قبلنا، وكذلك وضعنا حامية القدس المؤلفة من (128) متطوع نظامي و(250) مجاهد محلي تحت إمرته، مع أن آمرها من خيــرة الضباط وأكفأهم، وأظهرنا له اســتعدادنا لتأمين جميع حاجاته، غير أنه لم يعترف بالقيادة العامة، ولا يذعن لأوامرها حتى الآن، وهو

لا يزال يعلن عن نفسه أنه هو القائد العام، أو القائد الأعلى ويعبث في هذه المنطقة حسب رغائبه وأهوائه.

2 - أعلن العقيد المتقاعد طارق الأفريقي أنه عين قائدًا عامًا من قبل سماحة المفتي لمنطقة غزة، وقد سافر فعلًا ولم يرَ لزومًا للاتصال بنا وإخبارنا بمهمته.

3 - لقد وصل المدعو أبو ابراهيم الصغير مع (200) مسلح إلى الناصرة معلنًا أنه عين قائدًا لها من قبل سماحة المفتي، وأخذ يحاول السيطرة على هذه المنطقة ويجبر الناس على الانصياع إليه بدون أن يتصل بقائد الجبهة الشمالية السيد القاوقجي، مع أن الناصرة واقعة ضمن جبهته، وداخل حدود منطقة حركاته، وهو لا يزال يعبث هناك بدون أن يعترف بسلطة ما، وقد جاءني نهار أمس أربعة ذوات من وجهاء الناصرة يشكون من هذه الحالة، ويطلبون إرسال ضابط يسيطر على مدينتهم.

4 - يدعي كل من فوزي الجزار ونجيب المصطفى في منطقة جنين أنه عين قائدًا من قبل المفتي، وأخذا يجمعان الناس ويحاولان السيطرة عليهم بالقوة بدون الاتصال بقائد الجبهة الشمالية السيد القاوقجي مع أن جنين واقعة في وسط جبهته وتعتبر ضمن منطقة تحشد قواته.

5 - أتى الشيخ محمد أبو جنب إلى قباطية وعبد الرحمن مسعود إلى بنا (منطقة طولكرم)، والسيد أحمد نسيبه إلى طولكرم ومعهم سيارة مشحونة بالأسلحة والعتاد، وأخذوا يقومون بأعمال إفرادية، ويجمعون الناس حولهم بالرغم من أن قائد الجبهة الشمالية طلب منهم الاتصال به ومواجهته، ولم يتصلوا به، ولم يكترثوا لإنذاره وهم لا يزالون دائبين على أعمالهم الانفرادية، وبث الشغب بين الناس.

6 - قام شخص يدعى عبد الرحمن زيدان بتوزيع مناشير يدعو فيها [إلى] الانضمام إليه باعتباره قائدًا من أفراد المفتي، وينتحل عنوان قائد فرقة إعلاء كلمة الله.

7 – ذهب شـــخص إلى مدينة الخليل مدعيًا أنه أرســـل مـــن قبلنا ليقود المجاهدين هناك، ولمـــا أبرقنا إلى رئيس البلدية بأننا لم نرســـل أحدًا أتى عبد القادر الحسيني إلى المدينة وأخذ يهدد الأهلين ويتوعدهم معلنًا سخطه عليهم لأنهم اتصلوا بنا.

8 – إن منسوبي المفتي في نابلس، وجنين، وطولكرم، يعملون كل ما في وســـعهم لبث الدعايات السيئة ضد قوات الجبهة الشـــمالية، ويحاولون عرقلة أعمال هذه القوات.

9 – لم تردنا حتى الآن القوائم التي طلبناها من ســـماحة المفتي بأســـماء المجاهدين الذين يجب تسجيلهم للنظر في أمر استخدامهم، وصرف رواتبهم، وبالرغم من هذا فقد أصدرنا الأوامـــر اللازمة لجميع آمري الحاميات بوجوب تسجيل المجاهدين الذين كانوا تابعين إلى الهيئة العربية العليا وترجيحهم على سواهم.

إن ما ذكر أعلاه هو قليل من كثير وإنني أترك إلى لجنة فلسطين المحترمة تقدير النتائج الســـيئة والعواقب الوخيمة التي تنتج من هذه الحالة التي أخذت تتســـع يومًا فيومًا، وأقول بصراحة إنه إذا لم يقضَ على هـــذه الحالة المؤلمة، فســـتصبح القيادة العامة أشـــبه بمهزلة منها بقيادة، وإنني غير مســـتعد لمقاومة هؤلاء النـــاس وضربهم بالوقت الـــذي نحن أحوج ما يكـــون لجمع الصفوف وتوحيد المساعي والجهود.

إسماعيل صفوت
اللواء الركن
القائد العام لقوات فلسطين

الملحق (6)

تواريخ حركة الوحدات والتشكيلات من بغداد إلى شرق الأردن وفلسطين

التسلسل	الوحدة والتشكيل	تاريخ الحركة من بغداد	الملحوظات
	القوة الآلية	29/ نيسان/ 948	
	اللواء الركن نور الدين	6/ 5/ 948	
	القدمة الأولى لمقر القيادة والقدمة الأولى لآمرية خط المواصلات	7/ 5/ 948	
	القدمة الثانية لمقر القيادة والقدمة الثانية لآمرية خط المواصلات	8/ 5/ 948	
	سرية المخابرة الأولى للفوج الأول مخابرة	9/ 5/ 948	
	كتيبتا 7 و3 الآليتان ناقص بطارية	10/ 5/ 948	
	الفوج الثاني للواء الأول	10/ 5/ 948	
	الجماعة الأرضية للسرب السابع	10/ 5/ 949	
	البطارية ضد الجو الثالثة	11/ 5/ 948	
	جحفل اللواء الأول ناقص الفوج الثاني	12/ 5/ 948	

يتبع

تابع

	المعمل السيار الأول	12/ 5/ 948	
	البطارية ضد الجو الثانية	12/ 5/ 948	
	الجماعة الجوية للسرب السابع	12/ 5/ 948	
	مقر السرية النقلية الآلية الأولى	16/ 5/ 948	
	محطة إخلاء الخسائر	19/ 5/ 948	
	رف كلاديتر	19/ 5/ 948	
	البطارية الثالثة من كتيبتي 7 و3 الآليتين	20/ 5/ 948	
	مقر سرية النقلية الآلية الثالثة	24/ 5/ 948	
	المعمل السيار الثاني	24/ 5/ 948	
	مقر سرية المعامل	24/ 5/ 948	
	فصيل هندسة خط المواصلات	25/ 5/ 948	
	فصيل 6 عقدة	25/ 5/ 948	
	الفوج الثاني للواء الخامس	28/ 5/ 948	
	مقر جحفل اللواء الرابع	29/ 5/ 948	
	سرية مخابرة الجحفل الرابع	29/ 5/ 948	
	وحدة الميدان الطبية الثانية للفرقة الثانية	29/ 5/ 948	
	الفوج الأول للواء الرابع	29/ 5/ 948	
	الفوج الثاني للواء الرابع	30/ 5/ 948	
	كتيبة الصحراء السابعة	1/ 6/ 948	
	رعيل من السرية الأولى كتيبة مدرعات المنصور	1/ 6/ 948	
	الفوج الثاني للواء الثالث	10/ 7/ 948	

يتبع

تابع

	مقر الجحفل الثالث	11/7/948	
	سرية مخابرة الجحفل الثالث	11/7/948	
	الفوج الأول للواء الرابع عشر	11/7/948	
	وحدة الميدان الطبية الأولى للفرقة الثانية	11/7/948	
	الفوج الثالث للواء الثالث	12/7/948	
	سرية الهندسة الرابعة	12/7/948	
	سرية المدرعات الأولى من كتيبة المنصور	12/7/948	
	رف أنسن من السرب الأول	15/7/948	
	فوج الشرطة الثاني	16/7/948	
	اللواء مصطفى راغب	18/7/948	
	مقر جحفل اللواء الخامس	21/7/948	
	الفوج الأول للواء الخامس	21/7/948	
	سرية مخابرة الجحفل الخامس	21/7/948	
	وحدة الميدان الطبية الثالثة للفرقة الثانية	21/7/948	
	المعمل السيار للفرقة الثانية	21/7/948	
	الفوج الثالث للواء الخامس	22/7/948	
	سرية الهندسة الأولى	22/7/948	
	سرية رحبة الهندسة للفرقة الأولى	10/8/948	
	فصيل الناقلات من الفوج الأول الآلي	15/8/948	
	فوج الشرطة الخامس	16/8/948	
	فصيل 18 رطلًا لرتل المجامع	17/8/948	
	كتيبة الصحراء الخامسة	19/8/948	

يتبع

تابع

	الكتيبة الجبلية الثانية	11/ 9/ 948	
	بطارية 18 رطلًا ناقص فصيل للرتل الشمالي	11/ 9/ 948	
	مقر الفوج الثاني مخابرة	12/ 9/ 948	
	الفوج الثاني للواء الخامس عشر	16/ 9/ 948	
	رعيل 6 رطل	16/ 9/ 948	
	بطارية 6 عقدة (ناقص رعيل)	16/ 9/ 948	
	سرية المدرعات المرتبة	12/ 11/ 948	

الملحق (7)

الرد على ما نشر في بعض الصحف العربية

أولًا: ما نشر في مجلة آخر ساعة المصرية

نشـــرت مجلة آخر ســـاعة المصرية في الصفحة الثالثة مـــن العدد 804 المؤرخ في 22 آذار 1950 بأني حضرت مؤتمر رؤساء أركان الجيوش العربية في القاهرة في شهر كانون الأول سنة 1948 وتكلمت في المؤتمر المذكور.

بعد عودتي من الاستشـــفاء خارج العراق، اطلعت على عدد المجلة وما نشـــر فيه، وبما أني لم أحضر المؤتمر وبالطبع لم أتكلم فيه، أرســـلت الكتاب التالي إلى رئيس تحرير مجلة آخر ساعة لتصحيح ما نشر عني.

بغداد في 11 مايس 1950

حضرة رئيس تحرير مجلة آخر ساعة المحترم

بعد التحية:

كنتم نشرتم في الصفحة الثالثة من العدد 804 من مجلتكم الغراء المؤرخ فـــي 22 آذار 1950 الذي لم أطلع عليه إلا مؤخرًا بســـبب وجودي في خارج العراق للاستشفاء أني كنت من بين رؤساء أركان حرب الجيوش العربية الذين

حضروا المؤتمر العربي المنعقد في مقر رئاسة الجيش المصري بالعباسية في القاهرة يوم 13 ديسمبر سنة 1948 وأوردتم على لساني كلمة زعمتم أني قلتها في المؤتمر المذكور.

وحيث إني لم أحضر المؤتمر المذكور، ولم أسافر إلى البلاد المصرية منذ أول شهر (سبتمبر) أيلول 1948 حتى الوقت الحاضر، فإن ما نشرتموه عني في العدد المذكور من مجلتكم لا أساس له من الصحة.

لذلك أرجو نشر هذا التصحيح على صفحات مجلتكم الغراء ونفي ما نشرتموه عني تثبيتًا للحقيقة والواقع.

وتقبلوا مزيد الاحترام.

صالح صائب الجبوري
العميد الركن
رئيس أركان الجيش العراقي

صورة إلى:

سعادة الفريق عثمان المهدي باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري، نظرًا لما جاء في المجلة المذكورة مما لا صحة له، ولانعقاد المؤتمر برئاسة سعادتكم، كما ذهبت إليه المجلة اقتضى التنويه بالحقيقة المبينة في أعلاه تصحيحًا لما ذهبت إليه المجلة المذكورة مما يخالف الواقع.

المفوضية الملكية العراقية بالقاهرة
وزارة الخارجية
معالي وزير الدفاع

نشير إلى ما نشرته المجلة المذكورة على الصفحة نفسها من أن المفوضية العراقية في القاهرة أخذت نسخة التقرير التي أخذها القائد العراقي المشترك في المؤتمر وأعادت طبع عدة نسخ منه وزعت كأنها منشورات ثم وزعته على بعض الضباط العراقيين الذين لم يشتركوا في المؤتمر. فنرجو اتخاذ ما تنسبونه حول ذلك.

طلبت وزارة الخارجيــة العراقية بكتابها المؤرخ فــي 16 أيار 1950 من المفوضية الملكية العراقية فــي القاهرة إعلامها ما اتخذته المفوضية بخصوص تكذيب الخبر الوارد في مجلة آخر ساعة.

وقد طلبــت المفوضية العراقية فــي القاهرة بكتابها المــؤرخ في 27 أيار 1950 نشر البيان التالي:

المفوضية الملكية العراقية

مصر

بيــان

نشرت مجلة آخر ســاعة في عددها رقم 804 الصادر في 22 آذار 1950 خبرًا مؤداه أن رئيس أركان الجيش العراقي السيد صالح صائب الجبوري حضر المؤتمر العربي الذي عقد في مقر رئاســة الجيش المصري بالعباســية يوم 13 ديسمبر ســنة 1948 وتحدث عن المؤتمر المذكور. كما أن المفوضية العراقية في القاهرة قامت بطبع التقرير الذي وضعه المؤتمر المشــار إليه ووزعته على بعض الضباط العراقيين.

والحقيقة هــي أن ســعادة رئيس أركان الجيــش العراقي لم يشــهد هذا الاجتماع، ولم يسافر إلى البلاد المصرية منذ أوائل سبتمبر 1948 حتى اليوم، كما أن المفوضية العراقية لا تعرف شيئًا عن التقرير المشار إليه.

نرجو التفضل بنشر البيان عاليه مع خالص الشكر.

الرقم: 338/ 8/ 15

التاريخ: 27/ 5/ 1950

صورة منــه إلــى: وزارة الخارجية -بغداد- إشــارة إلى كتابهــا المرقم د/ 618/ 618/ 600/ 10346 المؤرخ في 16 مايس 1950.

رئاسة أركان الجيش - بغداد - للاطلاع.

القائم بالأعمال الموقت

إذاعة ونشر بيان:

لم تنشر مجلة آخر ساعة التصحيح كما لم أتسلم جوابًا من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري بالرغم من مرور مدة شهرين، وفضلًا عن ذلك علمت بأن ما نشرته المجلة قد أعيد نشــره ضمن محتويات كراسة مطبوعة في مصر بعنوان (وثائق خطيرة)، مما يوحي بأن النشر السابق كان مقصودًا، وعليه وجهت الكتاب التالي إلى مديرية الدعاية العامة لإذاعة البيان المرفق ونشره في الصحف.

رئاسة أركان الجيش

بغداد 12 تموز 1950

مديرية الدعاية العامة

الموضوع: إذاعة ونشر بيان

نرجو إذاعة البيان المرفق من دار الإذاعة اللاســلكية ونشره في الصحف المحلية وإنباءنا.

صالح صائب الجبوري
العميد الركن
رئيس أركان الجيش العراقي

صورة منه إلى:

معالي وزير الدفاع

وزارة الخارجية إلحاقــا بكتابنــا المؤرخ فــي 11 مايس 1950

المفوضية الملكية العراقية بالقاهرة

بيان من العميد الأول الركن صالح صائب الجبوري

رئيس أركان الجيش

نشرت مجلة آخر ســاعة المصرية في عددها الرابع بعد الثمانمائة الصادر

فــي 22 آذار 1950 أني كنت من بين رؤســاء أركان حــرب الجيوش العربية الذين حضروا المؤتمر العربي المنعقد في مقر رئاسة الجيش المصري بالعباسية في القاهرة يوم 13 كانون الأول ســنة 1948 وزعمــت المجلة المذكورة أني تكلمت في المؤتمر المذكور، واقترحت أن تقدم كل دولة إلى هذا المؤتمر بيانًا بما لديها من ذخائر وأســلحة وجنود ومدى تحملها للهجوم والدفاع. وذكرت المجلة أن المعلومات التي قدمها المؤتمرون بهذا الصدد قد تسربت بعدئذٍ إلى العدو بطريقة لا شأن لنا بها ومن قبل جهة غير عراقية.

وحيث إنني لــم أحضر المؤتمر المذكور ولم أســافر إلى مصر منذ أوائل شهر أيلول سنة 1948 وإن ما نشرته المجلة المذكورة لا أساس له من الصحة فقد طلبت بكتابي المؤرخ في 11 مايس [أيار] 1950 من رئاســة تحرير مجلة آخر ســاعة أن تصحح ما ادعته، وتنفي ما نشرته على لساني إثباتًا للحقيقة، كما لفت في كتابي نفسه أنظار سعادة الفريق عثمان المهدي باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري بصفته رئيسًا للمؤتمر الذي زعمت المجلة أني حضرته، إلى ما نشرته المجلة تأكيدًا لعدم صحة ذلك وتصحيحًا له.

غير أن المجلة المشــار إليها لم تنشر حتى الآن التصحيح المطلوب الذي تقتضيه أمانة النشر وتوخي الحقائق بالرغم من مرور مدة طويلة على طلبي إليها ذلك.

وقد علمنا أخيرًا أن ما نشــرته هذه المجلة قد أعيد نشره ضمن محتويات كراسة مطبوعة في مصر بعنوان (وثائق خطيرة).

فلأجل تصحيح الأمــر وتنوير الرأي العام اقتضى إذاعة ونشــر هذا البيان ليقف الجمهور على جلية الأمر وحقيقة الواقع وعدم صحة ما نشــر أو سينشر مما ينسب إلى شخصي عن المؤتمر المذكور.

صالح صائب الجبوري
العميد الركن
رئيس أركان الجيش العراقي

وقد أذيع البيان من دار الإذاعة العراقية كما نشـــر فـــي الصحف العراقية والسورية واللبنانية والأردنية وأخيرًا في بعض الصحف المصرية (القاهرية).

ثانيًا: ما نشر في صحيفة الجبهة الشعبية العراقية

نشرت صحيفة «الجبهة الشـــعبية» العراقية في العدد 244 المؤرخ في 15 أيار 1952 تحت عنوان (للتاريخ - وثائق خطيرة في حرب فلســطين) وذكرت منتقدة الأمور التالية:

واجب الجيش العراقي هو الدفاع لا الهجوم.

مساعدة الجيش المصري بالمناضلين لا بالجيش النظامي.

القيادة العراقية تطلب استئناف القتال.

قائد القوات العراقية يستقيل.

إيضاح حول ما نشر في صحيفة الجبهة الشعبية

في 1 حزيران 1952 أرســلت كتابًا مرفقًا بإيضاح إلى المدير المســؤول لصحيفة الجبهة الشـــعبية وفي اليوم التالي نشـــر الإيضاح في جميع الصحف العراقية، وهو يرد على ما نشرته الصحيفة المذكورة كما الآتي:

1 - حول واجب الجيش العراقي هو الدفاع لا الهجوم:

كما هـــو معلوم لدى الجميـــع أن القوات العراقية في فلســطين كانت لها قيادة خاصة، وأنها مرتبطة بالقيـــادة العامة في الميدان. ولقد جاء في تقارير اللواء الركن نوري الدين محمـــود القائم بواجب القيادة العامة للجيوش العربية آنذاك أن الجيوش العربية في حالة الدفاع. ولقـــد ذكر حرفيًا في تقريره المرقم ح/ 2/ ص/ 45 والمؤرخ فـــي 8/ 6/ 1948 «أن الجيـــوش العربية في الحال الحاضر قـــد انتقلت من خطة الهجـــوم إلى خطة الدفاع وأن القـــوات العراقية بدورهـــا لا تتمكن مـــن القيام بأي عمل تعـــرض بمفردها ما لـــم تتعاون معها

الجيوش الأخرى، لا سيما الجيشين الأردني والمصري لذلك أقترح احتفاظها بمواضعها الحالية والبقاء في حالة دفاعية في الوقت الحاضر، وأعتقد أن قوتها تكفي للقيام بهذا الواجب لا سيما وأن مناعة المنطقة المرابطة فيها تجعلها قادرة على إنجاز ذلك».

ومما لا جدال فيه أن القيادة العامة في الميدان أدرى من غيرها بحالة الجيوش العربية وما يتطلبه الموقف. وعليه فإن ما جاء ذكره في كتاب رئاسة أركان الجيش العراقي المرقم 71 د والمؤرخ 20/ 6/ 1948 إلى قائد القوات العراقية جوابًا إلى كتابه ما هو إلا ذكر واقع الحال «كما ورد في كتاب القائد العام المدون نصه في أعلاه» وليس له أي علاقة بالخطة العامة.

2 – حول مساعدة الجيش المصري بالمناضلين لا بالجيش النظامي:

إن قرار خرق الهدنة واستخدام الجيوش النظامية أمر يتعلق بسياسة الحكومات العربية منفردة أو مجتمعة، وعليه لا يصح أبدًا إلقاء اللوم على القيادة العراقية لعدم خرقها الهدنة من تلقاء نفسها، مع أن الموقف الراهن لا يساعدها على ذلك، وأن كل حركة ارتجالية تقوم بها لوحدها مصيرها الفشل. إن البعد بين منطقة الجيش العراقي ومنطقة الجيش المصري شاسع لوجود الجيش الأردني بين الجيشين. ولا يعلم أحد عن مراكز الجيش المصري، وقواته المشتركة بقتال مع الصهاينة وذلك لتكتم المصريين أنفسهم بالرغم من الاستفسارات الواقعة. فمن المعلوم أن النقص الأساسي البارز في حركات الجيوش العربية كان انعدام التعاون بينها، وعدم وجود قيادة موحدة لتوحيد حركات جيوشها. ولم تنجح المحاولات في مصر في شهر تموز 1948 لأجل توحيد القيادة. فلم تقبل مصر أن تضع جيشها تحت تصرف قيادة عربية عامة، ولم توافق على أخذ مهمة القيادة العامة على عاتقها. كما أنها لم تقبل كذلك في شهر أيلول 1948 الموافقة على وضع أية خطة مشتركة للتعاون بين الجيوش العربية عند الضرورة. وبالرغم من الحقائق السافرة التي أوضحت إلى دولة رئيس الحكومة المصرية آنئذ، ومعالي وزير حربيتها والتي تتعلق بسلامة كافة الجيوش العربية ومنها مصر والتي كان الغرض الأساس منها رد عدوان

الصهاينـــة، وتقديم المعونة للجيش الذي يهاجمـــه الصهاينة لئلا يصاب بضربة قوية فإن الحكومة المصرية أصرت على عدم أخذ أية تدابير بهذا الشـــأن وكان جواب رئيس الحكومة المصرية صريحًا ويحتوي على ما يلي:

1 - إنه لا يتحمل مســـؤولية خرق الهدنة ولا يشرك جيش مصر بأي عمل من هذا القبيل.

2 - لا يقاتل الجيش المصري ما لم يهاجم من قبل العدو.

3 - لا يشترك بوضع خطة يعين فيها واجب إلى الجيش المصري وفي ما بعد يلقى اللوم على الجيش المصري لعدم قيامه بواجبه.

وعليه يظهر من هذه الإيضاحات المختصرة أن عدم إمكان تأمين التعاون الوثيق بين الجيـــوش العربية كان نتيجة طبيعية لعدم وجـــود قيادة موحدة لهذه الجيوش واستخدامها وفق مقتضيات الموقف وبموجب خطة منسقة. وهذا ما طلبه العراق وألح على تحقيقه، ولكن مع الأسف لم يتم له ما أراد.

3 - حول القيادة العراقية تطلب استئناف القتال:

بتاريخ 17 شـــباط 1949 و8 آذار 1949 طلب إلـــى الفريق الركن نوري الدين محمود تقديـــم تقرير عن الحـــركات بصفته قائدًا للقـــوات العراقية في فلســـطين ولقيامه بواجب القائد العام للجيوش العربية في الأشـــهر الأولى من الحركات فقدم تقريره المؤرخ في 17/ 6/ 1949 وممـــا جاء فيه حرفياً: «أود أن أبين لكم بأنه كانت بعض الدول العربية تنتحل أعذارًا مختلفة بعدم إمكانها استئناف القتال وكانت الحكومة المصرية حسب ما أعلم على رأس هذه الفكرة لذلك يصعب علـــى القوات العراقية القيام بحركات ضـــد اليهود بمفردها دون تعاون الجيوش الأخرى معها إلا أنه ظهرت فرصة سانحة لاستئناف القتال مع الجيش المصري الذي هاجمه اليهود في شـــهر تشرين الأول 1948 وحينذاك قدمت اقتراحًا ببرقية القيادة العراقية المرقمة 52/ج والمؤرخة 21/ 10/ 1948 وأوضحت لكم الموقف كما يلي: وذكر هنا برقية القيادة العراقية التي نشـــرت

في صحيفة الجبهة الشـعبية بتاريخ 15 مايس [أيار] 1942 وأضاف في آخرها قوله «إلا أننا لم نتلـق أي جواب لهذه المقترحات وقـد علمت أخيرًا أن هذه البرقية قد فقدت».

إن ما جاء في التقرير حول هذه القضية كان مفاجأة لرئاسة أركان الجيش العراقي من عدة وجوه ذلك أن البرقيـة المزعومة ليس لأحد علم بها، وليس لها أي أثـر في مقر القيادة العامة في الزرقاء، أو فـي دائرة الأركان العامة في بغداد، ومع ذلك ودفعًا لأي شـك أبرق إلى القيادة العامة للتحري عن حقيقة البرقية المذكورة، فورد الجواب بأن هذه البرقية لا سجل لها في سجل محطة اللاسـلكي للقيادة ولا في سـجل الوارد والصادر للبرقيـات والكتب وغير مدونة في سـجل الوقائع ولا علم لهم بها. وعليه بتاريخ 7/ 7/ 1948 قدمت تقريرًا إلى معالي وزير الدفاع شارحًا فيه الموضوع ليعمل ما يراه مناسبًا بشأن هذه القضية.

مع العلم أن مـا ورد في البرقيـة المزعومة هو عبارة عـن اقتراح لعقد مؤتمر لبحـث الخطة الضرورية حـول الموقف. على أني كنت قد سـافرت إلى عمان في اليوم التالي لتاريخ البرقيـة المزعومة في يوم 22/ 10/ 1948 لحضـور الاجتمـاع المنعقد فيها يـوم 23/ 10/ 1948 الـذي حضره دولة النقراشـي باشـا رئيس وزراء مصر بالإضافة إلى ممثلـي الحكومات العربية الأخرى من رؤسـاء وزراء ووزراء وعسـكريين للمداولة في معاونة الجيش المصري. ولقد تم الاتفاق في الاجتماع على القيام بحركات مشتركة لتخفيف الضغط عن الجيش المصري من قبل الجيشـين العراقي والسـوري من جهة والجيشـين المصري والأردني من جهة أخرى. وكذلك تم الاتفاق أيضًا على أن يقرر العسـكريون في صباح اليوم التالي وقت الشـروع بالحركات، ولكن في صباح اليوم التالي فوجئ المجتمعون بتبـدل في موقف المصريين، حيث صرح دولة النقراشـي باشـا بأنه تلقى معلومات في الليلة السـابقة أن هجوم اليهود قد توقف، وأنه لذلك لا يرى لزومًا للقيام بالحركات التي سبق الاتفاق عليها، وأن مصر تريد من جانبهـا المحافظة على الهدنة. وهكذا رفضت مصر

ما أوشـــك أن يتم تقديمه من المســـاعدة الفعلية للتخفيف من حدة هجمات اليهود على الجيش المصري.

4 - حول قائد القوات العراقية يستقيل:

أ - عند تعيين اللواء مصطفى راغب إلى قيادة القوات العراقية كنت تحت التداوي في مستشـــفى نابلس، وبعد وصوله إلى نابلس زارني في المستشـــفى صباح يوم 20 تموز 1948. عدت في نفس اليوم إلى شرق الأردن، ومنها إلى بغداد ودخلت المستشفى للتداوي الذي استمر حتى أواخر آب 1948.

في أواســـط شـــهر أيلول 1948 بطريق عودتي من اجتماع الإسكندرية، ذهبت إلى نابلس بقصد زيارة القوات العراقية، ولدى مواجهتي اللواء مصطفى راغب أخبرني بنيته الاســـتقالة، وفي اليوم التالي قدم طلبًــا بإحالته إلى التقاعد مؤرخًا في 15 أيلول 1948، ومن ثم أرسل لي رســـالة خصوصية مؤرخة في 18 أيلول 1948 يؤكد فيهـــا طلبه. وبعد عودتي إلى بغـــداد بتاريخ 20 أيلول 1948 أخبرت المقامات العليا بذلك.

بتاريـــخ 26 أيلـــول 1948 طرت إلى عمـــان، فوردتني برقيـــة من اللواء مصطفى راغب يذكر فيها بأنه منتظر أمر إحالته إلى التقاعد، فأجيب على برقيته بالعودة إلى بغداد ومراجعة مقر الجيش حتى انتهاء المعاملة المقتضية لذلك.

يتضح مما ذكر أعلاه بأني واجهت اللواء مصطفى راغب بتاريخ 20 تموز 1948 عند استلامه قيادة القوات العراقية في نابلس، وواجهته مرة ثانية بتاريخ 14 أيلول 1948 عندما طلب إحالته إلى التقاعد، ولقد قضيت معظم هذه المدة بين المواجهتين في المستشفى.

ب - لقد جاء في عدد صحيفة «الجبهة الشعبية» الذي نحن بصدده ما يلي حرفياً:

«لم يحل القائد على التقاعـــد فاضطر بعد بضعة أشـــهر على توجيه هذه الرسالة الشخصية إلى رئيس أركان الجيش».

لو أُمعن النظر في تاريخ طلب الإحالة إلى التقاعد المؤرخ في 15 أيلول 1948، وتاريخ الرسالة الشخصية المؤرخة في 18 أيلول 1948 لظهر واضحًا بأن المدة ثلاثة أيام، وليس بضعة أشهر كما نشر.

ج - لقد تطرق اللواء مصطفى راغب في رسالته إلى قضية القيادة، وهيئة الأركان «ويقصد بذلك الخلاف الموجود بينه، وبين اللواء الركن نوري الدين الذي كان قائمًا بواجب في هيئة الأركان العراقية في الزرقاء»

بمناسبة دخولي المستشفى وابتعادي عن مقر الجيش علمت أخيرًا ورود برقيات بتاريخ 4 آب 1948 من اللواء مصطفى راغب ومن اللواء الركن نوري الدين إلى مديرية الحركات يتضح منها عدم إمكان اشتغالهما بصفاء ويطالب اللواء مصطفى راغب سحب أحدهما إلى بغداد، وعليه عرض مدير الحركات الأمر على أولي الشأن فصدرت الأوامر بتاريخ 5 آب 1948 بسحب اللواء نوري الدين إلى العراق. وبعد شفائي واستئنافي العمل علمت بعودته إلى شرق الأردن بتاريخ 21 آب 1948 والتحاقه ثانية بهيئة الأركان العراقية في الزرقاء. ولم يكن لي رأي في ذهابه هذا.

ملحوظة:

هذا ما نشر في حينه من رد على جريدة الجبهة الشعبية في موضوع استقالة اللواء مصطفى راغب وكنت أعتقد أن هذا الرد كان كافيًا، ولم أرغب في ذكر تفاصيل أخرى في حينه إذ اعتبرت القضية منتهية. لكن فهمت أخيرًا بوجود من لا يزال يعلق تعليقات لا نصيب لها من الصحة على موقف اللواء مصطفى راغب واستقالته، ومع أني لا أرغب في فتح الموضوع مجددًا خاصة بعد وفاة المرحوم مصطفى راغب ورعاية لخدمته الطويلة في الجيش وحقوق الزمالة، أجد نفسي مرغمًا على بيان بعض الإيضاحات لتنوير من يرغب في معرفة الحقائق. ويجد القارئ هذه الإيضاحات في الملحق رقم 8.

الملحق (8)

قصة استقالة اللواء مصطفى راغب

تعيين اللواء مصطفى راغب قائدًا للقوات العراقية في فلسطين

في 18 تمــوز 1948 بينما كنــت في نابلــس وردت برقية مــن مديرية الحركات في بغداد بتعيين اللواء مصطفى راغب لقيادة القوات العراقية وحركته إلى فلسطين. لا شك أن ذلك جرى حسب تنسيب المقامات العليا.

وفي 20 تموز وصل اللواء مصطفى راغب وزارني في مستشــفى نابلس العسكري. تكلمنا حول الوضع في فلسطين بصورة عامة وزودته بما عندي من معلومات. ولورود برقية من الوزير المفوض في عمان ينبئني فيها بطلب رئيس وزراء العراق عودتي إلــى بغداد لبعض الأمور. تحركت إلى معســكر الزرقاء بانتظار وصول طائرة تنقلني إلى بغداد.

مقابلة الأمير عبد الإله

قابلت الأمير عبد الإله في معسكر الزرقاء وكلمته حول موقف اللواء الركن نوري الدين بعد استلام اللواء مصطفى راغب قيادة القوات العراقية وبقاء نوري الدين في هيئة الركن العراقية بينما الهيئة الســورية مؤلفــة من ملازمين. وبينت خشــيتي من حصول اختلافات ومعاكســة متعبة إذا بقي الاثنــان في وضعهما

الراهن. طلب الأمير إمهاله للبت في الأمر، فرجوته السرعة في البت لأن تعيين ونقل الأمراء في الجيش من صلاحيات رئيس الدولة وحسب نصوص الدستور العراقي.

برقيات نوري الدين ومصطفى راغب

في 4 آب سنة 1948 وردت إلى مديرية الحركات في رئاسة أركان الجيش برقيات من اللواء الركن نوري الدين في هيئة الركن العراقية في الزرقاء ومن اللواء مصطفى راغب قائد القوات العراقية في نابلس يظهر منها عدم إمكان اشتغالهما وامتزاجهما ويطلب اللواء مصطفى راغب سحب أحدهما إلى العراق.

هذا ما كنت أتوقعه وأخشاه ورجوت الأمير عبد الإله سرعة البت فيه قبل أن يحدث موقف مؤسف كهذا.

وفي 5 آب 1948 قابل مدير الحركات الأمير عبد الإله وأطلعه على البرقيات، فأمر الأمير بجلب نوري الدين إلى بغداد وأبلغ ذلك.

برقية دفاع بغداد الحركات

أرسل مقر الجيش العراقي البرقية التالية إلى القيادة العراقية وهيئة الأركان العراقية أكد فيها حدود واجبات المقرين المذكورين. «جميع القطعات والتشكيلات العسكرية العراقية الموجودة في فلسطين وشرق الأردن مرتبطة بالقيادة العراقية مباشرة، وإن القيادة المذكورة هي المسؤولة عن حسن استخدام هذه القوات حسب تطلب المواقف. أما هيئة الأركان العراقية فهي حلقة الوصل بينكم وبين سلطات حكومة شرق الأردن فيما يتعلق بقضايا الجيش العراقي في شرق الأردن وهي تمثل الجيش العراقي أيضًا مع هيئات أركان الجيوش الأخرى. على القيادة العراقية وهيئة الأركان العراقية تزويد دائرة الأركان العامة في بغداد بكافة المعلومات الخاصة بحركات وأعمال الجيوش العربية الأخرى في حينها».

سفر اللواء الركن نوري الدين إلى الأردن ثانية والتحاقه بهيئة الأركان العراقية

بعد عودتي من فلسطين إلى بغداد في يوم 23 تموز 1948 انقطعت عن الاشتغال في رئاسة أركان الجيش وذلك بسبب حالتي الصحية والنفسانية. ونظرًا إلى الإلحاح من جميع الجهات استأنفت العمل اعتبارًا من 21 آب 1948 فعلمت بمغادرة اللواء الركن نوري الدين بغداد مؤخرًا والتحاقه ثانية بهيئة الركن العراقية في الزرقاء، ولقد أزعج ذلك اللواء مصطفى راغب، فأرسل كتابه المدون في أدناه إلى مدير الحركات في بغداد.

صورة كتاب قائد القوات العراقية:

الرقم: ح 5/ 720

التاريخ: 23/ 8/ 1948

من القيادة العراقية

إلى مدير الحركات

برقيتنا رقم -327ح تاريخ 23/ 8/ 1948 وبرقيتكم رقم -987ح تاريخ 5/ 8/ 1948. لقد أخبرني العقيد الركن عباس علي غالب بالتحاق اللواء الركن نوري الدين محمود في هيئة الأركان العراقية. ولقد سبق وسألت دائرتكم الموقرة عما سيكون واجب كلا المقرين وحدود صلاحيتهما ولحد الآن لم أنال [أنل] أي جواب إيجابي عن ذلك. والآن التحق المومأ إليه وباشر يتهيأ للتدخل في أمور هذه القيادة.

ولما كنت قد عرضت في برقيتي المرقمة -1160ح والمؤرخة 4/ 8/ 1948 حقيقة الموقف من أن لا تحدث هناك قيادة مزدوجة، فلا أرى لزومًا لتكرار البحث.

وتعلمون جيدًا أن أهم صفات القيادة هي التمتع باعتماد واحترام

الوحدات جميعًا احترامًا متقابلًا، فلما لم يكن المومأ إليه متمتعًا بهذه الصفات، فإذا ما قدر الله أن تشـكل قيادة عامة للجيوش العاملة في دار الحركات، فإنني لا يسعني البقاء في قيادة جيشـنا العزيز بالرغم من حبي له تحت قيادة شخص لم تكن له أية مؤهلات عسكرية ترفعه إلى هذا المنصب.

فرجائي عرض القضية على سعادة رئيس أركان الجيش لسحبي من القيادة وإناطتها بالمومأ إليه. هذه معروضاتي وإني أنتظر الجواب من دائرتكم الموقرة.

مصطفى راغب
اللواء
قائد القوات العراقية

قطع الاتصال بين القيادة العراقية وهيئة الركن العراقية

ولقد قطع مقر القيادة في نابلس اتصاله مع هيئة الركن العراقية في الزرقاء، ولم تبـقَ أية صلة بين المقرين وأخذت القطيعة بينهما شـكلًا خطيرًا فأرسـل اللواء الركن نوري الدين برقيته المدونة في أدناه إلى مدير الحركات في بغداد.

صورة برقية هيئة الركن في الزرقاء

من هيئة الأركان العراقية

إلى الحركات

الرقم -779ح منذ 23/ 8 حتـى هذا اليوم ومقر هيئة الأركان العراقية في الموقف الحالي. رفضت محطة القيادة العراقية اسـتلام برقيتنا يوم 23/ 8 رغم إلحاحنا وتشبثاتنا حتى هذا اليوم. استفسـرنا السبب فعلمنا من ملاحظ محطة القيادة أن الأمـر صدر إليه برفض اسـتلام برقياتنا. وصلتنا برقيـة آمر مخابرة القيادة رقم 48-أ تاريخ 23/ 8 يعلمنا فيها أنه ترفض جميع برقياتنا المرسـلة إليهم حتى إشـعارٍ آخر حسـب الأوامر الصـادرة إليـه. [و] أن محطة القيادة العراقية ترفض حتى التنصت إلى محطة هذا المقر. حاولنا تعبير برقياتنا بواسطة

محطات خط المواصلات والقوة الجوية والجحفل الخامس فرفضت أيضًا من قبل محطة القيادة وتبين أن الأمر صدر إلى جميع المحطات بعدم اســتلام أي برقية منا تعبر إلى القيادة العراقية. علم الرئيس الأول الركن ســلمان الدركزلي عند وجوده في نابلس يوم 25/ 8 أن قائد القــوات العراقية كان قد أصدر أمره حال وصولــه نابلس يوم 23/ 8 بعــد عودته من عمان بقطــع التماس مع هذا المقر وعدم استلام البرقيات منا وإرسالها إلينا. منذ 23/ 8 حتى الآن لم يصلنا حتى البريد الاعتيادي من القيادة العراقية والــذي كان يرد باطراد. ليس لنا أي اتصال أو تماس مع القيادة المذكورة ولا نعلم حدود هذا الموقف وهذه الحالة والأسباب والعوامل التي استوجبت ذلك. إذا كان هناك تعليمات خاصة صادرة بهذا الموضوع يرجى تنويرنا بها وتعريفنا موقفنا من هذا الوضع الشــاذ يرجى عرض ذلك على سعادة رئيس أركان الجيش وإنباءنا.

رغبة القيادة الأردنية في التملص من مسؤولية محافظة القدس

كانت قيادة الجيش الأردني منذ بدء الحركات في فلســطين تبدي شــتى الحجج والأســباب لتوســيع جبهة الجيش العراقي ولتســليمه منطقة اللطرون والقدس مســتفيدة من كل مناسبة ومتوســلة بواســطة وتأثير المقامات العليا لتنفيذ رغبتها هذه لأسباب غير خافية على ذوي البصيرة. ولقد استغلت القيادة الأردنية التبدل فــي القيادة العراقية وتقلد اللواء مصطفــى راغب قيادة القوات العراقية، فرتبت الدخــول في مفاوضات بيــن الجهات الأردنيــة وبين اللواء مصطفى راغب مســتهدفة من ذلك إغفاله وتطمين رغبتها في تنفيذ الخطة التي تشغل بالها، وهي في غير صالح القضية الفلسطينية. ولقد عقد اجتماع في عمان بتاريخ 16 آب 1948 وتلته اجتماعات أخرى وكان الجانب الأردني اســتعان كعادته بالملك عبد الله، فطلب الملك اللواء مصطفى راغب إلى القصر وأبدى له رغبته بإرســال قوات عراقية إلى جبهة القدس، وكان جواب اللواء مصطفى راغب ضرورة جعل الجيش الأردني بإمرة القيادة العراقية ليتمكن من النظر في الأمر ولم يتوصل إلى نتيجة وقرار قطعي في الموضوع.

تقلد اللواء مصطفى راغب قيادة الجيشين العراقي والأردني

ولقد ورد كتاب آخر من اللواء مصطفى راغب معنون إلى القيادة الأردنية يذكر فيه تقليده قياده الجيشين العراقي والأردني بموافقة الملك عبد الله وتأييد الأمير عبد الإله وصورة من الكتاب إلى وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش للاطلاع فقط، مما يدل على اعتباره توحيد قيادة الجيشين بهذه البساطة والسهولة.

مع العلم أنه في المداولات التي جرت في عمان بين الجانب العراقي والأردني ارتئي مبدئيًا تعيين اللواء مصطفى راغب إلى قيادة الجيش الأردني فقط، وليس لقيادة الجيشين كما زعم هو في كتابه.

صورة كتاب اللواء مصطفى راغب:

الرقم: 721

التاريخ: 24/ 8/ 1948

من: قيادة القوات العراقية

إلى: القيادة الأردنية

إخواني قادة وضباط الجيش العربي الباسل وأولادي جنوده.

لقد اقترن توحيد قيادة الجيشين العربي والعراقي بموافقة صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله المعظم السامية وقد أيد ذلك صاحب السمو الملكي الوصي على عرش العراق وولي عهده المعظم بأمره السامي.

ونظرًا لتقليدي قيادة هذين الجيشين الأخوين أحييكم قادة وجنودًا وأقدر حق التقدير إخلاصكم لقضيتنا المقدسة والشجاعة المثلى التي أظهرتموها حتى الآن متمنيًا من الله عز وجل أن يوفقنا جميعًا في كفاحنا المقدس لسحق الصهيونية الغاشمة تحت ظل صاحبي الجلالة الهاشميين المعظمين.

مصطفى راغب

اللواء

قائد القوات العراقية

صورة منه إلى:

معالي وزير الدفاع الأردني للتفضل بالاطــلاع- راجين عرض كتابنا هذا على جلالة العاهل الهاشــمي مع إبلاغ تحيات الجيش العراقي لعرشه الكريم، وإننا لفخورين من هذا الاندماج الأخوي.

المرافق الأقدم لسمو الوصي - راجين عرضه على صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم.

معالي وزير الدفاع - للتفضل بالاطلاع.

سعادة رئيس أركان الجيش العراقي - للتفضل بالاطلاع.

كان هذا الكتاب مفاجأة لنا وشــاذًا في أسلوبه وطريقة إصداره، ولقد علق وزير الدفاع العراقي الســيد صادق البصام بخط يده على الكتاب نفسه وأرسله لي مستفسرًا.

صورة تعليق وزير الدفاع العراقي

إعلام 343

1948/8/26

رئاســة أركان الجيش: إن في هذا شذوذًا عن الســبل الدستورية الواجبة الاتباع من قبل المرؤوســين، إذ إن صاحبي الجلالة والســمو غير مســؤولين (دستورياً) عن هكذا مقررات، فالمســؤول الحكومات التي تمارس السلطات الدســتورية الممنوحة لرؤســاء الدولتين الأعلون، كما أن إصدار قائد القوات هذا البيان قبل إقــرار الخطة من قبل مجلس الوزراء أمــر لا يتفق ومبدأ توزيع المسؤوليات، لهذا أرجو بيان مطالعتكم حول هذا الشذوذ مع الخطة التي كانت متبعة قبلًا في حالات مماثلة لهذه.

صادق البصام

الاستفسار من الأمير عن رأيه

لوجود الأمير عبد الإله مع رئيس الوزراء في عمان وقيامهما بمذاكرات ومداولات مع الملك عبد الله وحكومة الأردن، واتخاذهما بعض القرارات العراقية حسبما فهم، رأيت من المناسب إطلاع الأمير عبد الإله على كتابي القيادة العراقية وبرقية هيئة الركن للوقوف على رأيه في الموضوع، وذلك قبل اتخاذ إجراءات يخشى أن تكون مخالفة لما اتخذ من مقررات في عمان لم نطلع عليها بعد، فأرسلت كتابًا إلى الأمير بذلك استوضحت فيه رأيه كما صدرت الأوامر إلى القيادة العراقية وهيئة الركن العراقية لاستئناف الاتصالات والمراسلات بينهما كالمعتاد.

مقابلة رئيس الوزراء والسفر إلى مصر

في 4 أيلول 1948 قابلت رئيس الوزراء السيد مزاحم الباجه جي بمناسبة عودته من الأردن، فأخبرني بسفر الأمير عبد الإله من عمان إلى مصر، وطلب الأمير التحاقي به في الإسكندرية فسافرت في اليوم الثاني وحضرت الاجتماعات وقمت بالاتصالات كما مر بحثه في محل آخر من هذه المذكرات.

العودة إلى عمان وزيارة القوات العراقية في فلسطين

في 14 أيلول 1948 عدت من القاهرة إلى عمان وفي اليوم التالي سافرت إلى نابلس لزيارة القوات العراقية.

استقالة اللواء مصطفى راغب

واجهني اللواء مصطفى راغب في نابلس فأبدى تأثره من وجود اللواء الركن نوري الدين في هيئة الأركان العراقية ورجاني قبول استقالته من الجيش وتمشيتها. حاولت تخفيف تأثره ولم أوافقه على رأيه في الاستقالة وطلبت منه التريث.

وفي 15 أيلول 1948 تناولنا طعام العشاء في مقر القيادة العراقية بدعوة من اللواء مصطفى راغب، وبعد ذلك أرسل لي استقالته التحريرية.

وفي 18 أيلــول 1948 عند حركتي من نابلس إلى بغــداد وتوديعي، أكد اللواء مصطفى راغب رجاءه بقبول اســتقالته، فأجبته بأني سأعرض ذلك على المقامات العليا. وفي 20 أيلول 1948 أخبرت الســلطات العليا بتقديم اللواء مصطفى راغب استقالته من الجيش.

وقد استنتجت أن مصطفى راغب تورط في توجيه كتابه إلى المقامات العليا الأردنية والعراقية الذي لم يســتند إلى قرار أوامر من سلطة مسؤولة بتوليته قيادة الجيش الأردنــي. ولذلك لم يلاقِ كتابه اهتمامًا من أحــد خاصة من الأردنيين، الأمر الذي أدى إلى استيائه فضلًا عن موقفه من وجود اللواء الركن نوري الدين.

إحالة اللواء مصطفى راغب على التقاعد

بعد صدور الإرادة الملكيــة بتعييني قائدًا عامًا للجيــش العراقي المرابط في شرق الأردن وفلســطين وتخويلي قيادة الجيش الأردني، وذلك علاوة على منصبي الحالي كرئيس أركان الجيش العراقي سافرت في 26 أيلول 1948 إلى الزرقاء في شــرق الأردن، وفي يوم وصولي أبرقت إلى اللواء مصطفى راغب قائد القوات العراقية للحضــور في اليوم التالي إلى الزرقــاء للمداولة معه في الأمور التي يتطلبهــا الموقف. وفي برقيته الجوابية ذكر أنه أرســل رئيس ركن القيادة العراقية بدلًا منه، وأنه بانتظار أمر إحالته على التقاعد.

كان يجب على اللواء مصطفى راغب أن يســتمر بالعمل حتى تبليغه بأمر إحالته على التقاعد وذلك عملًا بالأنظمة المعمول بها في الجيش. ولكن بالنظر إلى موقفه هذا اضطررت، رغم رغبتي في الاحتفاظ به، أن أطلب إليه تســليم القيادة إلى أقــدم آمر في القوة ومراجعته مدير الإدارة بــوزارة الدفاع في بغداد انتظارًا لإكمال معاملة إحالته على التقاعد، ففعل وأحيل على التقاعد.

هذا ما وجب نشــره في الوقت الحاضر، وأعتقد أن فيــه الكفاية لمعرفة الحقيقة وتصحيح ما علق في أفكار بعضهم من مسموعات خاطئة.

تم بعــون الله تعالى طبع هذا الكتاب في اليوم الخامس عشــر من شــهر تشرين الأول عام 1970م.

فهرس عام

- ب -

- ت -

- ح -

- خ -

- ز -

- س -

- ص -

- ض -

- ط -

- ل -

- ن -